٥

العقائد الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم

العقائد الاسلاميه:عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادر السنه و الشيعه

كاتب:

آیت الله سید علی حسینی سیستانی

نشرت فی الطباعهٔ:

مرکز المصطفی للدراسات الاسلامیه

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
العقائد الاسلامیه: عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادرالسنه والشیعه - المجلد۵ ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
فهرست مطالب کتاب: العقائد الإسلامیة (المجلد ۵) ----- ۱۵
مقدمة ----- ۲۲
عقیدة الیهود نفی الحکمة عن الله تعالی و نفی العصمة أنبیائه ----- ۲۴
لماذا یحسد الیهود الشعوب التی عندها مقدسات ----- ۲۴
لم یکن الیهود موحدین حتی فی عصور أنبیائهم ----- ۲۴
الالحاد الصریح فی الیهود الماضین والمعاصرین ----- ۲۵
افتراء الیهود علی الله تعالی و نفیهم عنه العلم والعدل ----- ۲۶
وصفوا الله تعالی بأنه لا یعلم ما خلق ----- ۲۶
و وصفوه بالطیش والغضب والظلم ----- ۲۶
و افتروا علی الله تعالی بأنه ینسی عهده ثم یتذکره ----- ۲۷
و زعموا أن یعقوب صارع الله تعالی فعجز الله أن یغلبه ----- ۲۷
و وصفوا معبودهم بأنه موجود مادی یسکن فی السماء ----- ۲۷
و وصفوه بأن له سبعة أرواح کالقطط ----- ۲۷
من إهانات الیهود لأنبیائهم و افتراءاتهم علیهم ----- ۲۷
افتروا علی ابراهیم بأنه کان قبل نبوته یعبد الأوثان ----- ۲۷
و اتهموا ابراهیم بأنه تزوج سارة و هی أخته ----- ۲۷
و اتهموه بأنه کذب علی الحاکم القبطی بأن سارة أخته ----- ۲۸
و اتهموا نبی الله إسحاق بنفس التهمة ----- ۳۰
و اتهموا إبراهیم و بقیة الأنبیاء بأنهم کانوا یشربون الخمر ----- ۳۰
و زعموا أن لوطا سکن فی سدوم اختلافه مع ابراهیم ----- ۳۰

و نسبوا إلی سارة رضی الله عنها الظلم والقسوة ---- ۳۰
و اتهموا إبراهیم بأنه أطاع سارة و طرد هاجر و ابنها إسماعیل ---- ۳۱
اما مصادرنا فتبرئ إبراهیم و عترته من الظلم والمعصیة ---- ۳۲
و اتهموا نبی الله هارون و موسی بالشرک والمعاصی ---- ۳۳
و اتهموا أنبیاء الله بالحیل والدجل والبلاهة ---- ۳۴
و اتهموا یوشع بأنه ختن الیهود بسکاکین من حجر الصوان ---- ۳۵
و افتروا علی سلیمان أنه أشرک بالله تعالی ---- ۳۵
النتائج الخطیرة لتخریب الیهود لعقیدة العدل والعصمة ---- ۳۵
امتیاز الشیعة عن الیهود والسنة بعقیدة العصمة التامة ---- ۳۶
نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالی والعصمة التامة للأنبیاء والأئمة ---- ۳۶
من أحادیث الشیعة فی عصمة الأنبیاء والأئمة عصمة تامة ---- ۳۸
من شرائع دیننا عصمة الأنبیاء و الأوصیاء ---- ۳۸
وجوب طاعة الأنبیاء والأوصیاء تستوجب عصمتهم ---- ۳۹
ضرورة بعثة الأنبیاء تستوجب عصمتهم ---- ۳۹
العصمة من أول صفات الإمام ---- ۴۰
احادیث نصت علی إمامة الأئمة الإثنی عشر و عصمتهم ---- ۴۰
کتاب کفایة الأثر فی النصوص علی الأئمة الإثنی عشر ---- ۴۲
العصمة التامة هی الوسطیة بین الغلو والتقصیر ---- ۴۷
من کلمات علماء الشیعة فی عصمة الأنبیاء والأئمة ---- ۴۹
الانبیاء معصومون مطهرون کاملون ---- ۴۹
العصمة عن الذنوب، والغلط، والرذائل، وما ینفر ---- ۵۰
جلیلنا ---- ۵۰
اصل الأدلة عندنا علی العصمة التامة: الدلیل العقلی ---- ۵۰
العصمة لاتعنی الإجبار، و لا تنافی الإختیار ---- ۵۶

دفاع أهل البیت و شیعتهم عن عصمهٔ الأنبیاء ----- ۶۰
الامام الصادق یتألم لظلم الناس للأنبیاء والأوصیاء ----- ۶۰
اشاره ----- ۶۰
ملاحظهٔ ----- ۶۵
استغفار الأنبیاء والأوصیاء وابتلاؤهم لم یکن بسبب الذنوب ----- ۶۶
اشاره ----- ۶۶
ملاحظهٔ ----- ۶۷
هشام بن الحکم یدافع عن عصمهٔ الأنبیاء والأئمهٔ تحت سیف هارون الرشید ----- ۶۷
مرجع الشیعهٔ الشیخ المفید رحمه الله یدافع عن عصمهٔ نبینا ----- ۷۰
مرجع الشیعهٔ السید المرتضی قدس سره یؤلف کتابا فی تنزیه الأنبیاء ----- ۷۰
مقتطفات من کتاب تنزیه الأنبیاء ----- ۷۱
بیان الخلاف فی نزاهة الأنبیاء عن الذنوب ----- ۷۱
تنزیه آدم عن الغوایهٔ ----- ۷۲
تنزیه نوح عما لا یلیق به ----- ۷۳
تنزیه إبراهیم عن الکفر والعصیان ----- ۷۳
تنزیه إبراهیم عن الشک فی الله تعالی ----- ۷۳
تنزیه إبراهیم عن الإستغفار للکفار ----- ۷۴
تنزیه یعقوب عن إیقاع التحاسد بین بنیه ----- ۷۴
تنزیه یعقوب عن الحزن المکروه ----- ۷۴
تنزیه یوسف عن الصبر علی الإستعباد ----- ۷۴
تنزیه یوسف عن الهم بالمعصیهٔ ----- ۷۴
فی أن أیوب ابتلی امتحانا لا عقابا ----- ۷۴
تنزیه موسی عن العصیان بالقتل ----- ۷۵
تنزیه یونس عن الظلم والمعصیهٔ بمغاضبته قومه ----- ۷۵

معرکهٔ تنزیه الأنبیاء بین الشیعهٔ و مخالفیهم ۷۸
موقف علماء الشیعهٔ الثابت: تأویل الآیات التی یبدو منها... ۷۸
لا عصمهٔ للأنبیاء عند السنیین لکن الصحابهٔ عندهم معصومون ۷۹
نماذج من آراء علمائهم فی عصمهٔ الأنبیاء ۸۵
رأی الغزالی ۸۵
رأی الآمدی ۸۶
رأی القاضی عیاض ۸۷
رأی الفخر الرازی ۸۸
ملاحظات علی کتاب عصمهٔ الأنبیاء للفخر الرازی ۹۰
الملاحظهٔ ۰۱ ۹۰
الملاحظهٔ ۰۲ ۹۰
رأی ابن تیمیهٔ و مشبههٔ الحنابلهٔ فی عصمهٔ الأنبیاء ۹۱
ابن تیمیهٔ یهاجم الشیعهٔ لقولهم بعصمهٔ الأنبیاء ۹۱
السبب الغریب لهجوم ابن تیمیهٔ علی العصمهٔ ۹۲
دفاع ابن تیمیهٔ عن الیهود و عن أسطورهٔ الغرانیق ۹۴
ابن تیمیهٔ یجوز أن یکون النبی کافرا فاسقا شریرا ۹۴
البخاری ینقض عصمهٔ الأنبیاء و یفتری علیهم ۹۵
صحیح البخاری مشحون بالإسرائیلیات التی تطعن فی الأنبیاء و أسوأ منها القرشیات التی تطعن فی نبینا ۹۵
نبی الله إبراهیم یکذب ۹۵
نبی الله موسی غضوب بطاش ۹۶
نبی الله موسی یرکض عاریا وراء ثیابه ۹۶
نبی الله سلیمان مفرط فی الجنس، معرض عن ذکر الله ۹۶
البخاری یروی تفضیل نبینا علی الرسل والبشر ۹۷
ثم یتراجع البخاری و یفضل نبی الله موسی علی نبینا لکنه یفضل قریشا علی الیهود ۹۷

و يفضل عيسى على نبينا ۹۸
و يروى النهى عن تفضيل الأنبياء على بعضهم ۹۸
الانبياء عند البخارى عصبيون كما فى التوراة ۹۹
قرشيات البخارى فى الطعن بنبينا أسوأ من إسرائيلياته ۹۹
روايات البخارى المشينة فى سلوک نبينا ۱۰۰
البخارى يفتتح صحيحه بالطعن فى نبوة نبينا ۱۰۰
غرانيق قريش و محاولات التغطية على البخارى ۱۰۱
البخارى يروى فرية الغرانيق فى ست مواضع ۱۰۲
تناقض الفخر الرازى فى حديث الغرانيق ۱۰۵
القاضى عياض أكثر علماء السنة اعتدالا فى عصمة نبينا ۱۰۸
غرانيق قريش يتصيدها بروكلمان و مونتغمرى ۱۱۰
ملاحظات على قصة الغرانيق ۱۱۱
عمر عندهم معصوم و أفضل من جميع الأنبياء ۱۱۵
النبى معصوم نظريا، و أبوبكر و عمر معصومان عمليا ۱۱۵
مقولة عدالة الصحابة سياج لعصمة أبى بكر وعمر ۱۱۵
اضطرارهم لتضييق سياج الصحابة بأهل بدر و بيعة الرضوان ۱۱۶
عصمة عمر عندهم أعلى من عصمة جميع الأنبياء ۱۱۷
النبى عندهم أضعف من عمر أمام شيطانه ۱۱۹
و زعموا أن الله تعالى يتكلم بلسان عمر ۱۲۰
و زعموا أن الملائكة تحدث عمر ۱۲۱
و الفوا مؤلفات فى الأخطاء النبوية والتصحيحات العمرية ۱۲۲
و اخترع الذهبى قاعدة خاصة لعصمة عمر و أبى بكر ۱۲۳
و غيروا إسم العصمة لإثباتها لعمر و أبى بكر ۱۲۴
و من لعبهم بالألفاظ و ادعائهم الأدب مع النبى ۱۲۴

و منهم أخذ الصوفيون عصمة الأقطاب و حفظ الأولياء ----- ۱۲۵
رأى التفتازانى: فى عصمة أبى بكر و عمر و عدالة باقى الصحابة ----- ۱۲۵
نقد منطق التفتازانى فى العصمة فى مسائل ----- ۱۲۶
المسألة ۰۱ ----- ۱۲۶
المسألة ۰۲ ----- ۱۲۷
المسألة ۰۳ ----- ۱۲۸
المسألة ۰۴ ----- ۱۲۸
ابوبكر و عمر معصومان عند الغزالى، لكن لا يجب تقليدهما ----- ۱۲۹
هل تشيع الغزالى فى آخر عمره؟ ----- ۱۳۰
النقد الذاتى قليل نادر فى علمائهم ----- ۱۳۲
السلطة القرشية تتبع اليهود حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ----- ۱۳۳
تقليد اليهود.. من مصادرة الخلافة الى.. ترک الصلاة ----- ۱۳۳
اعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر و أبى بكر ----- ۱۳۷
بدأ نشاطهم بعد النبى واستمر إلى يومنا هذا ----- ۱۳۷
حملوا آيات مدح الصحابة أكثر مما تحتمل ----- ۱۳۷
غيبوا الآيات الصريحة فى نقد الصحابة و ذمهم ----- ۱۴۰
لابد من ميزان لتقييم الصحابة ----- ۱۴۱
وضعوا أحاديث فى مدح الصحابة و عصمتهم ----- ۱۴۱
ليقابلوا بها أحاديث عصمة العترة ----- ۱۴۱
نقد حديث: خير القرون قرنى ----- ۱۴۳
و معناه أن التاريخ الإسلامى يسير إلى الإنحدار، والأمة إلى الزوال ----- ۱۴۴
الخط البيانى للأمة.. نزول ثم صعود ----- ۱۴۴
تخبط الشراح فى حديث خير القرون قرنى ----- ۱۴۵
ردهم شهادات النبى فى انحراف الصحابة بعده ----- ۱۴۷

الامام مالک یعض یدیه ندما لروایته أحادیث الحوض ---- ۱۴۸
قرنوا الصحابهٔ بالنبی فی الصلاهٔ علیه من أجل عمر ---- ۱۴۹
من الذی حذف الصلاهٔ علی آل النبی؟! ومن أین جاء قولهم، أو علیه وآله صحبه و سلم؟ ---- ۱۴۹
من الذی وضع الصلاهٔ علی الصحابهٔ بدل الآل أو معها؟ ---- ۱۵۰
عصموا البخاری من أجل عصمهٔ عمر ---- ۱۵۳
مات البخاری قبل أن یکمل کتابه، فأکمله جماعهٔ المتوکل ---- ۱۵۴
السر فی تبنیهم کتاب البخاری ---- ۱۵۴
هل أن تبنی البخاری عمل علمی أم ضد العلم؟ ---- ۱۵۴
نظریهٔ إلجام العوام بید السلطهٔ و رجال الدین ---- ۱۵۵
الجام العوام عن قبول شهادهٔ الصحابهٔ بحق أنفسهم ---- ۱۵۵
الجام العوام عن قبول إقرار بعض الصحابهٔ بالمعصیهٔ ---- ۱۵۵
الجام العوام عن قبول شهادهٔ النبی لقاتل عمار بالنار ---- ۱۵۵
ابن حنبل یقول: صحابی فی النار ---- ۱۵۶
الجام العوام عن قبول شهادهٔ ثقهٔ و أمین أسراره ---- ۱۵۷
الجام العوام لتغطیهٔ مؤامرهٔ خیر القرون لقتل النبی ---- ۱۵۸
الجام العوام لتغطیهٔ اضطهاد خیر القرون لأهل بیت نبیهم ---- ۱۵۸
الجام العوام عن تصدیق القرآن بأن أکثریهٔ خیر القرون لن یؤمنوا ---- ۱۵۸
من أسالیبهم فی إلجام العوام ---- ۱۵۹
تمییع الحقائق و حلف الإیمان ---- ۱۵۹
تعلیم العوام إنکار الحقائق نهارا جهارا ---- ۱۶۰
الجام أطفال المسلمین بتربیتهم علی عصمهٔ عمر ---- ۱۶۰
الجام العوام باستخدام وسائل الإعلام ---- ۱۶۳
العصمهٔ والمعصومون فی القرآن ---- ۱۶۳
المعصومون ثمرهٔ الوجود البشری ---- ۱۶۳

آيات العصمة فى القرآن ---- ۱۶۴
آيات الإستخلاف ---- ۱۶۴
لا يكون خليفة الله فى الأرض إلا معصوما ---- ۱۶۴
تكريم بنى آدم لا يعنى استخلافهم لأنه تكريم تكوينى واقتضائى ---- ۱۶۵
خلفاء الله فى الأرض ليس بالضرورة أن يكونوا حكاما ---- ۱۶۶
تعليم آدم الأسماء دليل على عصمة خلفاء الله تعالى ---- ۱۶۷
آيات الإصطفاء الإلهى ---- ۱۶۸
آيات الإصطفاء الإلهى ---- ۱۷۰
معنى الإصطفاء و أنواعه ---- ۱۷۱
تفسير آية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفين ---- ۱۷۱
الآية من متشابهات القرآن ---- ۱۷۲
القرطبى يرفض التفسير الرسمى ---- ۱۷۲
تفسير أهل البيت ---- ۱۷۳
اختصاص أهل البيت بعلم الكتاب لا يلغى حجيته ---- ۱۷۵
ابناء فاطمة و أتباع أهل البيت ورثة مجازيون للكتاب ---- ۱۷۵
الظالم لنفسه درجات متفاوتة ---- ۱۷۵
رأى علماء الشيعة ---- ۱۷۶
بعض مفسرى الشيعة وافق على تفسير عمر و كعب ---- ۱۷۶
اهم الإشكالات على التفسير الحكومى ---- ۱۷۷
التوريث الإلهى للكتاب مقام عظيم ---- ۱۸۲
آيات الإستخلاص والإجتباء الإلهى ---- ۱۸۳
اخلاص الدين لله تعالى ---- ۱۸۳
دعاء الله بانقطاع و إخلاص ---- ۱۸۳
المخلصون المستخلصون ---- ۱۸۳

المخلصون ناجون من الضلال والهلاک ----- ۱۸۴
المخلصون مقربون من الله و لیسوا أبناءه ----- ۱۸۴
المخلصون ناجون من العذاب مکرمون فی الجنة ----- ۱۸۴
یتمنی غیر المخلصین أن یکونوا منهم ----- ۱۸۴
معنی الإخلاص والمخلص ----- ۱۸۴
دلالة الإستخلاص الإلهی علی العصمة ----- ۱۸۵
آیات الإجتباء تشبه آیات الإستخلاص ----- ۱۸۷
آیات نفی سلطان الشیطان علی المخلصین ----- ۱۸۹
وجه دلالتها علی العصمة ----- ۱۸۹
الحکمة من نزول آیات متشابهة فی عصمة الأنبیاء ----- ۱۹۳
معجزة الجغرافیة القرآنیة ----- ۱۹۵
العصمة و قاعدة اللطف ----- ۱۹۶
معنی العصمة فی القرآن واللغة والحدیث ----- ۱۹۶
من تعریفات المتکلمین للعصمة ----- ۱۹۸
قاعدة اللطف الإلهی التی استدل بها علماؤنا علی العصمة ----- ۱۹۸
قاعدة اللطف عقلیة و شرعیة ----- ۱۹۸
اللطف الإلهی فی القرآن ----- ۲۰۰
اللطف فی أحادیث النبی و آله ----- ۲۰۱
من کلمات علمائنا فی قاعدة اللطف ----- ۲۰۲
رد الفقهاء للإستدلال بقاعدة اللطف فی الفقه ----- ۲۰۴
ضرر الإغراق فی التأصیل بقاعدة اللطف ----- ۲۰۵
کیف یلطف الله تعالی بالمعصوم ----- ۲۰۶
درجات العصمة واللطف بالمعصومین ----- ۲۱۰
عصمة نبینا و آله أرقی أنواع العصمة ----- ۲۱۳

النبی و عترته المعصومون منظومة خاصة لا یقاس بهم أحد ----- ۲۱۴
درجة شیعة النبی و آله فی أحادیث الطرفین ----- ۲۱۵
زیادة رزین العبدری عن أبی داود ----- ۲۱۷
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۱۸

العقائد الاسلاميه: عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادرالسنه والشيعه - المجلد۵

اشارة

عنوان و نام پديدآور : العقائد الاسلاميه: عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادرالسنه والشيعه/ قام باعداده مركزالمصطفى للدراسات الاسلاميه؛ برعايه على السيد السيستانى.

مشخصات نشر : قم: مركز المصطفى للدراسات الاسلاميه، ۱۴۱۹ق= -.۱۳۷۷

مشخصات ظاهرى : ۵ ج.

شابک : دوره۶-۱۱۷-۳۱۹-۹۶۴ ؛ :۷۰۰۰ ريال: ج. ۴۱-۱۱۸-۳۱۹-۹۶۴ ؛ :۷۰۰۰ ريال: ج. ۲۲-۱۱۹-۳۱۹-۹۶۴ ؛ :۷۰۰۰ ريال: ج. ۴۴-۱۲۱-۳۱۹-۹۶۴ :

يادداشت : عربى.

يادداشت : ج. ۲ (چاپ اول: ۱۴۱۹ق = ۱۳۷۷).

يادداشت : ج. ۴ (چاپ اول: ۱۴۲۰ق. = ۱۳۷۸).

يادداشت : كتابنامه.

مندرجات : ج. ۱. الفطره والمعرفه.- ج. ۳. الشفاعه.- ج. ۴. يشتمل على مسائل: شفاعه اهل‌البيت عليهم‌السلام والاستشفاع والتوسل

موضوع : اسلام -- عقايد

شناسه افزوده : سيستانى، على، ۱۳۰۹ -، مصحح

شناسه افزوده : مركز المصطفى للدراسات الاسلاميه

رده بندى كنگره : BP۲۰۳/ع۷ ۱۳۷۷

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۴۱

شماره كتابشناسى ملى : م۷۷-۱۴۴۸۶

فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ۵)

العقائد الإسلامية (المجلد ۵)

مقدمة

عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى و نفى العصمة أنبيائه

لماذا يحسد اليهود الشعوب التى عندها مقدسات

لم يكن اليهود موحدين حتى فى عصور أنبيائهم

الالحاد الصريح فى اليهود الماضين والمعاصرين

افتراء اليهود على الله تعالى و نفيهم عنه العلم والعدل

وصفوا الله تعالى بأنه لا يعلم ما خلق

و وصفوه بالطيش والغضب والظلم

و افتروا على الله تعالى بأنه ينسى عهده ثم يتذكره

و زعموا أن يعقوب صارع الله تعالى فعجز الله أن يغلبه

و وصفوا معبودهم بأنه موجود مادى يسكن فى السماء

و وصفوه بأن له سبعة أرواح كالقطط

من إهانات اليهود لأنبيائهم و افتراءاتهم عليهم

افتروا على ابراهيم بأنه كان قبل نبوته يعبد الأوثان

و اتهموا ابراهيم بأنه تزوج سارة و هى أخته

و اتهموه بأنه كذب على الحاكم القبطى بأن سارة أخته

و اتهموا نبى الله إسحاق بنفس التهمة

و اتهموا إبراهيم و بقية الأنبياء بأنهم كانوا يشربون الخمر

و زعموا أن لوطا سكن فى سدوم اختلافه مع ابراهيم

و نسبوا إلى سارة رضى الله عنها الظلم والقسوة

و اتهموا إبراهيم بأنه أطاع سارة و طرد هاجر و ابنها إسماعيل

اما مصادرنا فتبرئ إبراهيم و عترته من الظلم والمعصية

و اتهموا نبى الله هارون و موسى بالشرك والمعاصى

و اتهموا أنبياء الله بالحيل والدجل والبلاهة

و اتهموا يوشع بأنه ختن اليهود بسكاكين من حجر الصوان

و افتروا على سليمان أنه أشرك بالله تعالى

النتائج الخطيرة لتخريب اليهود لعقيدة العدل والعصمة

امتياز الشيعة عن اليهود والسنة بعقيدة العصمة التامة

نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالى والعصمة التامة للأنبياء والأئمة

من أحاديث الشيعة فى عصمة الأنبياء والأئمة عصمة تامة

من شرائع ديننا عصمة الأنبياء و الأوصياء

وجوب طاعة الأنبياء والأوصياء تستوجب عصمتهم

ضرورة بعثة الأنبياء تستوجب عصمتهم

العصمة من أول صفات الإمام

احاديث نصت على إمامة الأئمة الإثنى عشر و عصمتهم

كتاب كفاية الأثر فى النصوص على الأئمة الإثنى عشر

العصمة التامة هى الوسطية بين الغلو والتقصير

من كلمات علماء الشيعة فى عصمة الأنبياء والأئمة

الانبياء معصومون مطهرون كاملون

العصمة عن الذنوب، والغلط، والرذائل، وما ينفر

جليلنا

اصل الأدلة عندنا على العصمة التامة: الدليل العقلى

العصمة لاتعنى الإجبار، و لا تنافى الإختيار

دفاع أهل البیت و شیعتهم عن عصمهٔ الأنبیاء
الامام الصادق یتألم لظلم الناس للأنبیاء والأوصیاء
ملاحظهٔ
استغفار الأنبیاء والأوصیاء وابتلاؤهم لم یکن بسبب الذنوب
ملاحظهٔ
هشام بن الحکم یدافع عن عصمهٔ الأنبیاء والأئمهٔ تحت سیف هارون الرشید
مرجع الشیعهٔ الشیخ المفید رحمه الله یدافع عن عصمهٔ نبینا
مرجع الشیعهٔ السید المرتضی قدس سره یؤلف کتابا فی تنزیه الأنبیاء
مقتطفات من کتاب تنزیه الأنبیاء
بیان الخلاف فی نزاههٔ الأنبیاء عن الذنوب
تنزیه آدم عن الغوایهٔ
تنزیه نوح عما لا یلیق به
تنزیه إبراهیم عن الکفر والعصیان
تنزیه إبراهیم عن الشک فی الله تعالی
تنزیه إبراهیم عن الإستغفار للکفار
تنزیه یعقوب عن إیقاع التحاسد بین بنیه
تنزیه یعقوب عن الحزن المکروه
تنزیه یوسف عن الصبر علی الإستعباد
تنزیه یوسف عن الهم بالمعصیهٔ
فی أن أیوب ابتلی امتحانا لا عقابا
تنزیه موسی عن العصیان بالقتل
تنزیه یونس عن الظلم والمعصیهٔ بمغاضبته قومه
معرکهٔ تنزیه الأنبیاء بین الشیعهٔ و مخالفیهم
موقف علماء الشیعهٔ الثابت: تأویل الآیات التی یبدو منها...
لا عصمهٔ للأنبیاء عند السنیین لکن الصحابهٔ عندهم معصومون
نماذج من آراء علمائهم فی عصمهٔ الأنبیاء
رأی الغزالی
رأی الآمدی
رأی القاضی عیاض
رأی الفخر الرازی
ملاحظات علی کتاب عصمهٔ الأنبیاء للفخر الرازی
الملاحظهٔ ۰۱
الملاحظهٔ ۰۲

رأى ابن تيمية و مشبهة الحنابلة فى عصمة الأنبياء
ابن تيمية يهاجم الشيعة لقولهم بعصمة الأنبياء
السبب الغريب لهجوم ابن تيمية على العصمة
دفاع ابن تيمية عن اليهود و عن أسطورة الغرانيق
ابن تيمية يجوز أن يكون النبى كافرا فاسقا شريرا
البخارى ينقض عصمة الأنبياء و يفترى عليهم
صحيح البخارى مشحون بالإسرائيليات التى تطعن فى الأنبياء و أسوأ منها القرشيات التى تطعن فى نبينا
نبى الله إبراهيم يكذب
نبى الله موسى غضوب بطاش
نبى الله موسى يركض عاريا وراء ثيابه
نبى الله سليمان مفرط فى الجنس، معرض عن ذكر الله
البخارى يروى تفضيل نبينا على الرسل والبشر
ثم يتراجع البخارى و يفضل نبى الله موسى على نبينا لكنه يفضل قريشا على اليهود
و يفضل عيسى على نبينا
و يروى النهى عن تفضيل الأنبياء على بعضهم
الانبياء عند البخارى عصبيون كما فى التوراة
قرشيات البخارى فى الطعن بنبينا أسوأ من إسرائيلياته
روايات البخارى المشينة فى سلوك نبينا
البخارى يفتتح صحيحه بالطعن فى نبوة نبينا
غرانيق قريش و محاولات التغطية على البخارى
البخارى يروى فرية الغرانيق فى ست مواضع
تناقض الفخر الرازى فى حديث الغرانيق
القاضى عياض أكثر علماء السنة اعتدالا فى عصمة نبينا
غرانيق قريش يتصيدها بروكلمان و مونتغمرى
ملاحظات على قصة الغرانيق
عمر عندهم معصوم و أفضل من جميع الأنبياء
النبى معصوم نظريا، و أبوبكر و عمر معصومان عمليا
مقولة عدالة الصحابة سياج لعصمة أبى بكر وعمر
اضطرارهم لتضييق سياج الصحابة بأهل بدر و بيعة الرضوان
عصمة عمر عندهم أعلى من عصمة جميع الأنبياء
النبى عندهم أضعف من عمر أمام شيطانه
و زعموا أن الله تعالى يتكلم بلسان عمر
و زعموا أن الملائكة تحدث عمر

و الفوا مؤلفات فى الأخطاء النبوية والتصحيحات العمرية

و اخترع الذهبى قاعدة خاصة لعصمة عمر و أبى بكر

و غيروا إسم العصمة لإثباتها لعمر و أبى بكر

و من لعبهم بالألفاظ و ادعائهم الأدب مع النبى

و منهم أخذ الصوفيون عصمة الأقطاب و حفظ الأولياء

رأى التفتازانى: فى عصمة أبى بكر و عمر و عدالة باقى الصحابة

نقد منطق التفتازانى فى العصمة فى مسائل

المسألة ۰۱

المسألة ۰۲

المسألة ۰۳

المسألة ۰۴

ابوبكر و عمر معصومان عند الغزالى، لكن لا يجب تقليدهما

هل تشيع الغزالى فى آخر عمره؟

النقد الذاتى قليل نادر فى علمائهم

السلطة القرشية تتبع اليهود حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل

تقليد اليهود.. من مصادرة الخلافة الى.. ترك الصلاة

اعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر و أبى بكر

بدأ نشاطهم بعد النبى واستمر إلى يومنا هذا

حملوا آيات مدح الصحابة أكثر مما تحتمل

غيبوا الآيات الصريحة فى نقد الصحابة و ذمهم

لابد من ميزان لتقييم الصحابة

وضعوا أحاديث فى مدح الصحابة و عصمتهم

ليقابلوا بها أحاديث عصمة العترة

نقد حديث: خير القرون قرنى

و معناه أن التاريخ الإسلامى يسير إلى الإنحدار، والأمة إلى الزوال

الخط البيانى للأمة.. نزول ثم صعود

تخبط الشراح فى حديث خير القرون قرنى

ردهم شهادات النبى فى انحراف الصحابة بعده

الامام مالك يعض يديه ندما لروايته أحاديث الحوض

قرنوا الصحابة بالنبى فى الصلاة عليه من أجل عمر

من الذى حذف الصلاة على آل النبى؟! ومن أين جاء قولهم، أو عليه وآله صحبه و سلم؟

من الذى وضع الصلاة على الصحابة بدل الآل أو معها؟

عصموا البخارى من أجل عصمة عمر

مات البخاری قبل أن یکمل کتابه، فأکمله جماعة المتوکل
السر فی تبنیهم کتاب البخاری
هل أن تبنی البخاری عمل علمی أم ضد العلم؟
نظریة إلجام العوام بید السلطة و رجال الدین
الجام العوام عن قبول شهادة الصحابة بحق أنفسهم
الجام العوام عن قبول إقرار بعض الصحابة بالمعصیة
الجام العوام عن قبول شهادة النبی لقاتل عمار بالنار
ابن حنبل یقول: صحابی فی النار
الجام العوام عن قبول شهادة ثقة و أمین أسراره
الجام العوام لتغطیة مؤامرة خیر القرون لقتل النبی
الجام العوام لتغطیة اضطهاد خیر القرون لأهل بیت نبیهم
الجام العوام عن تصدیق القرآن بأن أکثریة خیر القرون لن یؤمنوا
من أسالیبهم فی إلجام العوام
تمییع الحقائق و حلف الإیمان
تعلیم العوام إنکار الحقائق نهارا جهارا
الجام أطفال المسلمین بتربیتهم علی عصمة عمر
الجام العوام باستخدام وسائل الإعلام
العصمة والمعصومون فی القرآن
المعصومون ثمرة الوجود البشری
آیات العصمة فی القرآن
آیات الإستخلاف
لا یکون خلیفة الله فی الأرض إلا معصوما
تکریم بنی آدم لا یعنی استخلافهم لأنه تکریم تکوینی واقتضائی
خلفاء الله فی الأرض لیس بالضرورة أن یکونوا حکاما
تعلیم آدم الأسماء دلیل علی عصمة خلفاء الله تعالی
آیات الإصطفاء الإلهی
آیات الإصطفاء الإلهی
معنی الإصطفاء و أنواعه
تفسیر آیة: ثم أورثنا الکتاب الذین اصطفین
الآیة من متشابهات القرآن
القرطبی یرفض التفسیر الرسمی
تفسیر أهل البیت
اختصاص أهل البیت بعلم الکتاب لا یلغی حجیته

ابناء فاطمة و أتباع أهل البیت ورثة مجازیون للکتاب
الظالم لنفسه درجات متفاوتة
رأی علماء الشیعة
بعض مفسری الشیعة وافق علی تفسیر عمر و کعب
اهم الإشکالات علی التفسیر الحکومی
التوریث الإلهی للکتاب مقام عظیم
آیات الإستخلاص والإجتباء الإلهی
اخلاص الدین لله تعالی
دعاء الله بانقطاع و إخلاص
المخلصون المستخلصون
المخلصون ناجون من الضلال والهلاک
المخلصون مقربون من الله و لیسوا أبناءه
المخلصون ناجون من العذاب مکرمون فی الجنة
یتمنی غیر المخلصین أن یکونوا منهم
معنی الإخلاص والمخلص
دلالة الإستخلاص الإلهی علی العصمة
آیات الإجتباء تشبه آیات الإستخلاص
آیات نفی سلطان الشیطان علی المخلصین
وجه دلالتها علی العصمة
الحکمة من نزول آیات متشابهة فی عصمة الأنبیاء
معجزة الجغرافیة القرآنیة
العصمة و قاعدة اللطف
معنی العصمة فی القرآن واللغة والحدیث
من تعریفات المتکلمین للعصمة
قاعدة اللطف الإلهی التی استدل بها علماؤنا علی العصمة
قاعدة اللطف عقلیة و شرعیة
اللطف الإلهی فی القرآن
اللطف فی أحادیث النبی و آله
من کلمات علمائنا فی قاعدة اللطف
رد الفقهاء للإستدلال بقاعدة اللطف فی الفقه
ضرر الإغراق فی التأصیل بقاعدة اللطف
کیف یلطف الله تعالی بالمعصوم
درجات العصمة واللطف بالمعصومین

عصمة نبينا و آله أرقى أنواع العصمة

النبى و عترته المعصومون منظومة خاصة لا يقاس بهم أحد

درجة شيعة النبى و آله فى أحاديث الطرفين

زيادة رزين العبدرى عن أبى داود

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد، فإن عصمة الأنبياءوالأوصياء عليهم السلام من العقائد المركزية فى الأديان الإلهية، وقد اهتم بها علماء المسلمين، خاصةً علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام، وبحثوا مسائلها بإجمال وتفصيل، وسلكوا المنهج الكلامى الذى يغلب عليه الطابع العقلى، أو المنهج الحديثى الذى يغلب عليه الطابع النقلى، وإن كانت عملية الإستدلال عملية عقلية دائماً، لأنها ترتيب مقدمات للإنتقال بها إلى نتيجة سواءً كانت مقدماتها عقلية أو نقلية، أو مركبة.

وقد اخترنا لسلسلة العقائد الإسلامية المنهج الحديثى المقارن، وتوسعنا فى هذا المجلد فى بحثين من بحوث العصمة:

الأول: العصمة فى القرآن، فبحثنا طوائف من الآيات الكريمة لايمكن تفسيرها إلا بالمعصومين من الأنبياءوأوصيائهم عليهم السلام.

والثانى: مقارنة عقيدة العصمة بين الإسلام واليهودية، لبيان دور اليهود فى تخريب عقيدة عصمة الأنبياء عليهم السلام وتأثر المسلمين بهم! فاليهود هم الذين فتحوا باب التنقيص من مقام الأنبياءوالأوصياء عليهم السلام، وطوَّلوا ألسنتهم عليهم، واتهموهم بارتكاب أخطاء ومعاصى وأفعال مشينة، حتى الكفر بالله تعالى!

ومن المؤسف أن النصارى تبعوهم فى ذلك، ولم يستثنوا إلا نبى الله عيسى عليه السلام فقط. ثم تبعهم جمهور المسلمين فاستوردوا منهم أكثر اتهاماتهم للأنبياء عليهم السلام وافتراءاتهم عليهم، وكان السبب الأكبر فى ذلك أن الخلافة القرشية قامت على سياسة منع المسلمين من التحديث بأحاديث نبيهم صلى الله عليه وآله، وقرَّبَتْ عدداً من حاخامات اليهود وقساوسة النصارى، وأطلقت ألسنتهم فى نشر ثقافتهم بين المسلمين فنشروها بإسم الإسلام، وغرسوا فى أذهان المسلمين التصور اليهودى الظالم للأنبياءوالأوصيائهم عليهم السلام، ودخل كل ذلك فى كتب الصحاح والتفسير والسيرة، وورثت ذلك أجيال المسلمين على أنه حقائق دينية!

ولولا وقوف أهل البيت عليهم السلام وعلماء مذهبهم فى مقابل موجة الثقافة اليهودية، لاتسعت زاوية الإنحراف، وتضاعف الإفتراء على الأنبياءوالأوصياء عليهم السلام، بل على الله نفسه تبارك وتعالى، ولم يبقَ مَن يعتقد بعصمة الله وأوليائه، ويدفع عنهم افتراءات اليهود والمتهوكين!

إن النص التالى يصوِّر لنا عمق الفاجعة التى حلَّتْ بثقافة الأمة الإسلامية من تبنى السلطة القرشية للإسرائيليات، ويكشف نوع عمل الأئمة عليهم السلام فى معالجتها:

قال الصدوق رحمه الله فى عيون أخبار الرضا عليه السلام:۲/۱۷۰:(باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقالات، وما أجاب به على بن محمد بن الجهم فى عصمة الأنبياءسلام الله عليهم أجمعين:

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمدانى(رض)والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، وعلى بن عبد الله الوراق رضى الله عنهم قالوا: حدثنا على بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا القإسم بن محمد البرمكى قال:حدثنا أبو الصلت الهروى قال: لما جمع المأمون لعلى بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر المقالات، فلم يقم أحد إلا وقد ألزمه حجته كانه ألقم حجراً، قام إليه على بن محمد بن الجهم فقال له: يا ابن رسول الله أتقول بعصمه

الأنبیاء علیهم السلام؟ قال علیه السلام: نعم. قال: فما تعمل فی قول الله عز وجل: وَعَصَی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَی. (طه:۱۲۱)، وفی قوله عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أن لَنْ نَقْدِرَ عَلَیْهِ.(الأنبیاء:۸۷) وفی قوله عز وجل فی یوسف علیه السلام:وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا. (یوسف:۲۴). وفی قوله عز وجل فی داود: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَکَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِکَ إلی نِعَاجِهِ وإن کثیراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَیَبْغِی بَعْضُهُمْ عَلَی بَعْضٍ إلا الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِیلٌ مَاهُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ إنما فَتَنَّاهُ. (ص:۲۴)، وقوله تعالی فی نبیه محمد صلی الله علیه وآله: وَتُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اللهُ مُبْدِیهِ وَتَخْشَی النَّاسَ وَاللهُ أحق أن تَخْشَاهُ. (الأحزاب:۳۷)

فقال الرضا علیه السلام: ویحک یاعلی إتق الله ولاتنسب إلی أنبیاءالله علیهم السلام الفواحش ولا تتأول کتاب الله برأیک، فإن الله عز وجل قد قال: وَمَا یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ.(آل عمران:۷). أما قوله عز وجل فی آدم: وَعَصَی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَی(طه: ۱۲۱)، فإن الله عز وجل خلق آدم حجة فی أرضه وخلیفة فی بلاده لم یخلقه للجنة، وکانت المعصیة من آدم فی الجنة لافی الأرض، وعصمته یجب أن تکون فی الأرض لتتم مقادیر أمر الله، فلما أهبطه إلی الأرض وجعله حجة وخلیفة عصمه بقوله عز وجل: أن الله اصْطَفَی آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبراهیم وَآلَ عِمْرَانَ عَلَی الْعَالَمِینَ.(آل عمران: ۳۳) وأما قوله عز وجل:وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أن لَنْ نَقْدِرَ عَلَیْهِ. إنما ظن بمعنی استیقن أن الله لن یضیق علیه رزقه، ألاتسمع قول الله عز وجل: وأما إذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَیْهِ رِزْقَهُ.(الفجر:۱۶) أی ضیق علیه رزقه، ولو ظن أن الله لا یقدر علیه لکان قد کفر.

وأما قوله عز وجل فی یوسف: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا، فإنها همت بالمعصیة وهمَّ یوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله عز وجل: کَذَلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِینَ.(یوسف: ۲۴) یعنی القتل والزنا.

وأما داود علیه السلام فما یقول من قبلکم فیه؟

فقال علی بن محمد بن الجهم: یقولون إن داود علیه السلام کان فی محرابه یصلی فتصور له إبلیس علی صورة طیر أحسن ما یکون الطیور، فقطع داود صلاته وقام لیأخذ الطیر فخرج الطیر إلی الدار، فخرج الطیر إلی السطح، فصعد فی طلبه، فسقط الطیر فی دار أوریا بن حنان، فاطلع داود فی أثر الطیر بامرأة أوریا تغتسل فلما نظر إلیها هواها، وقد أخرج أوریا فی بعض غزواته، فکتب إلی صاحبه أن قدم أوریا إمام التابوت، فقدم فظفر أوریا بالمشرکین، فصعب ذلک علی داود، فکتب إلیه ثانیة أن قدمه إمام التابوت فقدم فقتل أوریا، فتزوج داود بامرأته!

قال: فضرب الرضا علیه السلام بیده علی جبهته وقال: إنا لله وإنا إلیه راجعون! لقد نسبتم نبیاً من أنبیاءالله علیهم السلام الی التهاون بصلاته حتی خرج فی أثر الطیر، ثم بالفاحشة ثم بالقتل! فقال: یا بن رسول الله فما کان خطیئته؟

فقال: ویحک! إن داود إنما ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه فبعث الله عز وجل إلیه الملکین فتسورا المحراب، فقالا: خَصْمَانِ بَغَی بَعْضُنَا عَلَی بَعْضٍ فَاحْکُمْ بَیْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاتُشْطِطْ وَاهْدِنَا إلی سَوَاءِ الصِّرَاطِ.إنَّ هَذَا أخی لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِیَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَکْفِلْنِیهَا وَعَزَّنِی فِی الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَکَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِکَ إلی نِعَاجِهِ، (صاد:۲۲-۲۴) فعجل داود علی المدعی علیه فقال: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَکَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِکَ إلی نِعَاجِهِ، ولم یسأل المدعی البینة علی ذلک ولم یقبل علی المدعی علیه فیقول له: ما تقول؟ فکان هذا خطیئة رسم الحکم لا ما ذهبتم إلیه! ألا تسمع الله عز وجل یقول: یَا دَاوُدُ أنا جَعَلْنَاکَ خَلِیفَةً فِی الأرض فَاحْکُمْ بَیْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَی فَیُضِلَّکَ عَنْ سَبِیلِ اللهِ. (صاد: ۲۶).

فقال: یا بن رسول الله فما قصته مع أوریا؟

فقال الرضا علیه السلام:إن المرأة فی أیام داود علیه السلام کانت إذا مات بعلها أو قتل لاتتزوج بعده أبداً، وأول من أباح الله له أن یتزوج بامرأة قتل بعلها کان داود علیه السلام، فتزوج بامرأة أوریا لما قتل وانقضت عدتها منه، فذلک الذی شق علی الناس من قبل أوریا.

وأما محمد صلی الله علیه وآله وقول الله عز وجل: وَتُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اللهُ مُبْدِیهِ وَتَخْشَی النَّاسَ وَاللهُ أحق أن

تَخْشَاهُ.(الأحزاب:۳۷)فإن الله عز وجل عرف نبيه صلى الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين، وإحداهن من سمى له زينب بنت جحش، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى إسمها في نفسه ولم يبده لكيلا يقول أحد من المنافقين أنه قال في امرأة في بيت رجل أنها إحدى أزواجه من أمهات المؤمنين، وخشىء قول المنافقين، فقال الله عز وجل: وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أحق أن تَخْشَاهُ، يعني في نفسك. وإن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حواء من آدم عليه السلام وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُاللهِ مَفْعُولاً.(الأحزاب:۳۷)وفاطمة من علي عليهما السلام.

قال: فبكى علي بن محمد بن الجهم وقال: يا بن رسول الله: أنا تائب إلى الله عز وجل من أن أنطق في أنبياءالله عليهم السلام بعد يومي إلا بما ذكرته). انتهى.

لذلك ركَّزنا البحث على كشف الجذور التاريخية للشبهات والإفتراءات على عصمة الأنبياءوالأوصياء عليهم السلام، خاصة ما يتعلق بعصمة نبينا صلى الله عليه وآله، ثم على بحث الأصل القرآني لعقيدة العصمة، وقاعدة اللطف. والله تعالى ولي التوفيق.

حرره بقم المشرفة في الثاني والعشرين من رجب الخير ۱۴۲۳

علي الكوراني العاملي

عقيدة اليهود نفي الحكمة عن الله تعالى و نفي العصمة أنبيائه

لماذا يحسد اليهود الشعوب التي عندها مقدسات

لا تتعجب إذا رأيت اليهودي عنده عقدة من كل ما هو مقدس عند الشعوب!

فقد ورث من أجداده التطاول على قداسة الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام، فهم أول من فتح باب الجرأة على الله وأنبيائه عليهم السلام، مع أن كل مايزعمونه لأنفسهم من مكانة وامتياز على الشعوب، مبنيٌّ على أنهم شعب الله المختار وأتباع أنبيائه عليهم السلام!

وبهذا تفهم سبب نشاطهم في تخريب مقدسات الأديان الأخرى، لأن الذي يخرب مقدساته، ويجعل معبوده جاهلاً، متعصباً، فظاً، غليظاً، ظالماً، ويجعل أنبياءالله عليهم السلام أنانيين، شهوانيين، خونة! لايطيق أن يكون للآخرين إلهٌ حكيمٌ، عادلٌ، لايظلم مخلوقاً مثقال ذرة. وأن يكون لهم أنبياءأطهارٌ، معصومون في كل حياتهم، وجميع أعمالهم، منزهون عن المعاصي والنقائض!

وقد نجح اليهود في تخريب مقدسات المسيحيين وعقيدتهم، ونفذوا إلى جهازهم الكنسي ونشروا فيه الفساد، وأسقطوا مقام القساوسة عند الناس!

وقد أخبرني مستشار ثقافي في مؤسسة اليونسكو أن اليهود هم الذين يقفون وراء طرح التحلل من الدين والمقدسات، الذي ينادي به مثقفون (مسيحيون) ويكتبون مقالات يطالبون فيها البابا والفاتيكان: نريد ديناً بلا محرمات!

وها نحن نرى سعيهم الحثيث لتخريب مقدسات المسلمين، بكل الوسائل!

لم يكن اليهود موحدين حتى في عصور أنبيائهم

لم يكن جمهور اليهود مخلصاً لتوحيد الله تعالى حتى في عصور أنبيائهم عليهم السلام، رغم تبجحهم بأنهم هم الموحدون، وأنهم أبناء نبي الله إبراهيم صلى الله عليه وآله، الذي قاوم عبادة الأوثان وأرسى أسس التوحيد، هذا إن صحت أنسابهم اليه!

ومن أوضح الأدلة على ذلك أنهم بعد أن رأوا المعجزة على يد موسى عليه السلام، وشقَّ الله لهم البحر وجعله طريقاً يبساً، وعبروا فيه ونجوا من فرعون وجنوده.. قابلوا هذه المعجزة الكبرى بفكرهم الوثني، وطالبوا موسى عليه السلام أن يتخذ لهم إلهاً عجلاً ليعبدوه!

وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إسرائيل الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إلهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إن هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إلهاً وَهُوَفَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (الأعراف:١٣٨-١٤٠(ويظهر أن سكوتهم يومها كان خوفاً من موسى عليه السلام! فأول ما سنحت لهم الفرصة فى غيابه، صنعوا عجلاً ذهبياً واتخذوه إلهاً! وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لايُكَلِّمُهُمْ وَلايَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ. وَلَمَّا سُقِطَ فِى أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنْ بَعْدِى أَعَجِلْتُمْ أمر رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الألواح وَأَخَذَ بِرَأْسِ أخيه يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أم أن الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلاتُشْمِتْ بِىَ الأَعْدَاءَ وَلاتَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.قَالَ رَبِّ اغْفِرْلِى وَلأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. أن الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَاوَكَذَلِكَ نَجزى الْمُفْتَرِينَ. وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا أن رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أخذ الألواح وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ.

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رجلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أخذتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّاىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا أن هِىَ إلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ أنت وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ. وَاكْتُبْ لَنَا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخرةِ أنا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أنزل مَعَهُ أولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ. (الأعراف ١٤٨-١٥٧)

وقال تعالى: وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أربعين لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ. ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إلى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ أنه هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). (البقرة: ٥١-٥٦)

فاليهود لم يخلصوا فى تاريخهم لتوحيد الله تعالى فكيف يخلصوم لأنبيائه؟! ولهذا أجاب أمير المؤمنين عليه السلام يهودياً عندما سأله: (ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه! فقال له عليه السلام: إنما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ماجفَّتْ أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم: اجْعَلْ لَنَا إلهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ). (نهج البلاغة:٤/٧٥، وأمالى المرتضى:١/١٩٨، والعرائس للثعالبى١١٣).

الالحاد الصريح فى اليهود الماضين والمعاصرين

شهد المؤرخ الغربى ول ديورانت فى قصة الحضارة (٢/٣٣٨) وغيره، بأن عبادة العجل الذهبى استمرت فى بنى إسرائيل فى زمن نبى الله موسى عليه السلام الى ما بعد سليمان عليه السلام، حيث استبدلوا العجل بأصنام أخرى!!

وقد أوردنا فى المجلد الثانى من العقائد الإسلامية ص١٧٧، نصوصاً من توراتهم وإنجيلهم تدل على تأصل المادية والوثنية فى تفكيرهم!

قال الدكتور الشلبى فى مقارنة الأديان:١/١٩٢: (على أن مسألة الألوهية كلها، سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد، لم تكن عميقة الجذور فى نفوس بنى إسرائيل، فقد كانت المادية والتطلع إلى أسلوب نفعى فى الحياة من أكثر ما يشغلهم، وإذا تخطينا عدة قرون، فإننا نجد الفكر اليهودى الحديث يجعل لليهود رباً جديداً نفعياً كذلك، ذلك هو: تربة فلسطين وزهر برتقالها!

والذى يقرأ رواية(طوبى للخائفين)للكاتبة اليهودية يائيل ديان، ابنة القائد الصهيونى العسكرى موشئ ديان، يجد أحد

أبطالها(إيفرى)ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيسة، وأن يحول اهتمامه لإلهه الجديد: تراب فلسطين! ونقتبس فيما يلى سطوراً من هذه الرواية:

...الصبى يحب أن يذهب إلى الكنيس مع أمه، ولكنه عندما عاد مرة من المعبد الذى لا يذهب إليه إلا القليلون، ثار أبوه فى وجهه بحديث له مغزى عميق قال له: أيام زمان حين كنا يهوداً فى روسيا وغيرها، كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ونحافظ على ديننا، فقد كان الدين اليهودى لنا وسيلتنا لنتعاون ونتعاطف ونذود عنا الردى، أما الآن فقد أصبح لدينا شئ أهم هو الأرض، أنت الآن إسرائيلى ولست مجرد يهودى، إنى قد تركت فى روسيا كل شئ، ملابسى ومتاعى وأقاربى وإلهى، وعثرت هنا على رب جديد، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال. إلا تحس بذلك؟.... وأخذ إيفرى حفنة من تراب الأرض وسكبها فى كف ابنه وقال له: إمسك هذا التراب، إقبض عليه، تحسسه تذوقه، هذا هو ربك الوحيد، إذا أردت أن تصلى للسماء فلا تصل لها لكى تسكب الفضيلة فى أرواحنا، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا، هذا هو المهم: إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد)!!.

وقال أيضاً:۱/۲۶۷: (ويقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة، وسنَّ له شريعة لم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهجها، فوقف الإنسان حائراً بين اتجاه الشر فى نفسه، وبين الشريعة المرسومة إليه، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئة بقتله أوريا واتصاله بامرأته، لأن الله هو السبب فى كل ذلك!!). (التلمود شريعة إسرائيل ص۱۷).

افتراء اليهود على الله تعالى و نفيهم عنه العلم والعدل

مضافاً إلى فريتهم الكبرى على الله تعالى بأنه جسم متجسدٌ فى عِجْل، من حجر أو ذهب، أو متجسد بصورة إنسان كبير السن، كما فى توراتهم طبعة مجمع الكنائس الشرقية(ص۴فقرة۲۷) قد وصفوا الله تعالى بصفات لاتناسب الإنسان العادى، فضلاً عن رب العالمين الذى ليس كمثله شئ، عز وجل:

وصفوا الله تعالى بأنه لا يعلم ما خلق

جاء فى ص۶ من توراتهم: (۸. وسمعاً صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة. ۹. فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. ۱۰. فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت. ۱۱. فقال من أعلمك إنك عريان، هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها. ۱۲. فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت).!!

و وصفوه بالطيش والغضب والظلم

قال الدكتور شلبى فى تاريخ الأديان:۱/۲۶۷: (يروى التلمود أن الله ندم لِمَا أنزله باليهود وبالهيكل، ومما يرويه التلمود على لسان الله قوله: تب لى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى!! وليست العصمة من صفات الله فى رأى التلمود، لأنه غضب مرة على بنى إسرائيل فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه، لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة).

وقال ابن حزم فى الفصل:۱/۱/۲۲۲: (ونقل فى توراتهم وكتب الأنبياء بأن رجلاً اسمه إسماعيل كان أثر خراب البيت المقدس، سمع الله يئن كما تئن الحمامة ويبكى وهو يقول: الويل الويل لمن أخرب بيته....وَيْلِى على ما أخربت من بيتى! ويْلى على ما فرقت من بنيَّ وبناتى)!!

و افتروا على الله تعالى بأنه ينسى عهده ثم يتذكره

فى التوراة والإنجيل ص۹۹: (۲۳.وبعد مرور حقبة طويلة مات ملك مصر وارتفع أنين بنى إسرائيل وصراخهم من وطأة العبودية، وصعد إلى الله.۲۴. فأصغى الله إلى أنينهم، وتذكر ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب.۲۵. ونظر الله إلى بنى إسرائيل.(ورق لحالهم).

و زعموا أن يعقوب صارع الله تعالى فعجز الله أن يغلبه

قال ابن حزم فى الفصل:۱جزء۱/۱۴۱: (ذكر فى هذا المكان(من التوراة)أن يعقوب صارع الله عز وجل.... حتى قالوا أن الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب! وفيه أن يعقوب قال: رأيت الله مواجهة وسلمت عليه)!

و وصفوا معبودهم بأنه موجود مادى يسكن فى السماء

فى/۵۷۹ من توراتهم: (۱۸.فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط أما قلت لك أنه لا يتنبأ على خيراً بل شراً. ۱۹. وقال فاسمع إذا كلام الرب. قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره. ۲۰. فقال الرب من يغوى أخآب فيصعد ويسقط فى راموت جلعاد. فقال: هذا هكذا، وقال: ذاك هكذا).

و وصفوه بأن له سبعة أرواح كالقطط

جاء فى توراتهم طبعة مجمع الكنائس الشرقية ص۳۹۹: (۱. بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح فى السماء والصوت الأول الذى سمعته كبوق يتكلم معى قائلاً إصعد إلى هنا فأريك ما لابد أن يصير بعد هذا. ۲. وللوقت صرت فى الروح وإذا عرش موضوع فى السماء وعلى العرش جالس. ۳. وكان الجالس فى المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش فى المنظر شبه الزمرد. ۴. وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً، ورأيت على العروش أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب. ۵. ومن العرش يخرج بروق ورعود وأصوات، وإمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هى سبعة أرواح الله)!!

من إهانات اليهود لأنبيائهم و افتراءاتهم عليهم

افتروا على ابراهيم بأنه كان قبل نبوته يعبد الأوثان

فى قاموس الكتاب المقدس ص۵۹۶: (وقد أدرك إبراهيم بالوحى والإلهام وجود إله واحد أبدى خالق السموات والأرض، وسيد الكون. (تك ۱۸: ۱۹)

وكان إيمان إبراهيم جديداً بالنسبة لأور التى كان يقيم فيها، حيث كانت مركز عبادة القمر، بل أن أبا إبراهيم نفسه كان يخدم آلهة أور الوثنية(يش۲:۲۴).

لذلك هاجر إبراهيم من أور نحو بلاد كنعان حوالى أواخر القرن العشرين قبل الميلاد).

و اتهموا ابراهيم بأنه تزوج سارة و هى أخته

فى قاموس الكتاب المقدس ص۹: (وقد عاش إبراهيم الجزء الأول من حياته مع أبيه وإخوته فى أور الكلدانيين، وقد تزوج من سارى وكانت أخته بنت أبيه وليست بنت أمه، كما نعرف ذلك من تك ۲۰: ۱۲).

و اتهموه بأنه کذب على الحاکم القبطی بأن سارة أخته

فی التوراة والإنجیل ص۲۱(موقع۱۴) :(arabicbible. ولما اقترب أبرام من مصر استرعى جمال ساراى أنظار المصریین، وشاهدها أیضاً رؤساء فرعون فأشادوا بها أمامه. ۱۵. فأخذت المرأة إلى بیت فرعون. ۱۶. فأحسن إلى أبرام بسببها وأجزل له العطاء من الغنم والبقر والحمیر والعبید والإماء والأتن والجمال. ۱۷. ولکن الرب ابتلى فرعون وأهله ببلایا عظیمة بسبب ساراى زوجة أبرام. ۱۸. فاستدعى فرعون أبرام وسأله ماذا فعلت بی؟ لماذا لم تخبرنی أنها زوجتک؟ ۱۹. ولماذا ادعیت أنها أختک حتى أخذتها لتکون زوجة لی؟ والآن ها هی زوجتک، خذها وامض فی طریقک. ۲۰. وأوصى فرعون رجاله بأبرام فشیعوه وامرأته، وکل ما کان یملک).

وفی التوراة والإنجیل ص۳۳: (۱. وارتحل إبراهیم من هناک إلى أرض النقب وأقام بین قادش وشور وتغرب، فی جرار. ۲. وهناک قال إبراهیم عن سارة زوجته هی أختی. فأرسل أبیمالک ملک جرار وأحضر سارة إلیه. ۳. ولکن الله تجلى لأبیمالک فی حلم فی اللیل وقال له: إنک ستموت بسبب المرأة التی أخذتها، فإنها متزوجة. ۴. ولم یکن أبیمالک قد مسها بعد، فقال للرب: أتمیت أمة بریئة؟ ۵. ألم یقل لی أنها أختی وهی نفسها ادعت أنه أخوها؟ ما فعلت هذا إلا بسلامة قلبی وطهارة یدی. ۶. فأجابه الرب: أنا أیضاً علمت إنک بسلامة قلبک قد فعلت هذا، وأنا أیضاً منعتک من أن تخطئ إلی ولم أدعک تمسها. ۷. والآن رُدَّ للرجل زوجته فإنه نبی، فیصلی من أجلک فتحیا، وإن لم تردها فإنک وکل من لک حتماً تموتون).

وفی قاموس الکتاب المقدس ص۱۰: (فارتحل من هناک إلى مصر(تک ۱۲: ۱۰) وهناک خوفاً على حیاته، ذکر لفرعون أن ساراى أخته دون أن یذکر أنها زوجته (تک ۱۲:۱۱-۲۰) ومن عند بلوطات ممرا انتقل إبراهیم إلى أرض الجنوب وهناک أرسل أبیمالک ملک جرار وأخذ سارة لأن إبراهیم قال أنها أختی ولکن الرب ظهر لأبیمالک فی حلم ولم یدعه یمسها، ولما عاقبه الرب على أخذه سارة ردها إلى إبراهیم. وصلى إبراهیم لأجله ولأجل بیته فرفع الرب العقاب عنه (تک/۲۰). إلا أنه أظهر ضعفاً مرتین عندما لم یقل الحق کله فی ذکر علاقة سارة زوجته به! (تک ۱۲: ۱۸ و۲۰: ۱۱).

وفی قاموس الکتاب المقدس ص۴۴۳: (سارة: إسم عبری معناه: أمیرة، وهی زوجة إبراهیم، وکانت فی الأصل تدعى ساراى. تزوجت سارة من إبراهیم فی أور الکلدانیین وکانت أصغر منه بعشر سنوات (تکوین۱۱: ۲۹-۳۱ و۱۷: ۱۷). وعندما خرج إبراهیم من حاران کان عمر سارة ۶۵سنة (تکوین۱۲: ۴) ولکنها کانت جمیلة بالرغم مما بلغت من العمر، وکانت محتفظة بقوتها وبشبابها. وبعد مغادرة حاران وقبل النزول إلى مصر، تحدث إبراهیم مع سارة وطلب منها أن تخفی أنها زوجته وتقول أنها أخته، وقد کانت بالفعل أخته ابنة أبیه لیست ابنة أمه! (تک ۲۰: ۱۲). وکان سبب طلب إبراهیم ذلک خوفه من أن جمال سارة یلفت نظر المصریین إلیها، فیقتلونه ویأخذونها، وأطاعت سارة زوجها، فأخذها ملک مصر، ولکن الله منعه من الإقتراب إلیها. ووبخ فرعون زوجها عندما أعلن له الله الأمر. وبعد عدة سنین سکن إبراهیم فی جرار وقال عن سارة أنها أخته، فطلب أبیمالک أن یتزوج منها، ربما لغرض إیجاد تحالف مع الأمیر البدوی القوی. وهنا أیضاً منع الله أبیمالک من الإساءة إلى سارة)! (تکوین ۲۰: ۱- ۱۸).

أما الروایة الصحیحة للقصة فهی فی مصادر أهل البیت علیهم السلام فی الکافی:۸/۳۷۰: (علی بن إبراهیم، عن أبیه، وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زیاد، جمیعاً عن الحسن بن محبوب، عن إبراهیم بن أبی زیاد الکرخی قال: سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول:إن إبراهیم علیه السلام کان مولده بکوثى ربا، وکان أبوه من أهلها، وکانت أم إبراهیم وأم لوط سارة وورقة- وفی نسخة رقیة- أختین وهما ابنتان للاحج، وکان لاحج نبیاً منذراً ولم یکن رسولاً، وکان إبراهیم علیه السلام فی شبیبته على الفطرة التی فطر الله عز وجل الخلق علیها، حتى هداه الله تبارک وتعالى إلى دینه واجتباه، وأنه تزوج سارة ابنة لاحج وهی ابنة خالته، وکانت سارة صاحبة ماشیة کثیرة وأرض واسعة وحال حسنة، وکانت قد ملَّکت إبراهیم علیه السلام جمیع ماکانت تملکه، فقام فیه وأصلحه، وکثرت الماشیة والزرع حتى لم یکن بأرض کوثى ربا رجل أحسن حالاً منه.

وإن إبراهیم علیه السلام لما کسر أصنام نمرود أمر به نمرود فأوثقه وعَمل له حِیراً وجمع له فیه الحطب وألهب فیه النار، ثم قذف

إبراهيم عليه السلام في النار لتحرقه، ثم اعتزلوها حتى خمدت النار، ثم أشرفوا على الحير فإذا هم بإبراهيم عليه السلام سليماً مطلقاً من وثاقه، فأخبر نمرود خبره، فأمرهم أن ينفوا إبراهيم عليه السلام من بلاده، وإن يمنعوه من الخروج بماشيته وماله، فحاجّهم إبراهيم عليه السلام عند ذلك فقال:إن أخذتم ماشيتي ومالي فإن حقي عليكم أن تردوا عليَّ ما ذهب من عمري في بلادكم! واختصموا إلى قاضي نمرود فقضى على إبراهيم عليه السلام أن يسلم إليهم جميع ما أصاب في بلادهم، وقضى على أصحاب نمرود أن يردوا على إبراهيم عليه السلام ما ذهب من عمره في بلادهم! فأخبر بذلك نمرود، فأمرهم أن يخلوا سبيله وسبيل ماشيته وماله، وأن يخرجوه، وقال: إنه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضر بآلهتكم، فأخرجوا إبراهيم ولوطاً معه من بلادهم إلى الشام، فخرج إبراهيم ومعه لوط لايفارقه وسارة، وقال لهم: إنِّي ذَاهِبٌ إلى رَبِّي سَيَهْدِينِ، يعني بيت المقدس، فتحمل إبراهيم عليه السلام بماشيته وماله وعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشد عليها الأغلاق غيرةً منه عليها، ومضى حتى خرج من سلطان نمرود وصار إلى سلطان رجل من القبط يقال له عرارة، فمر بعاشر له فاعترضه العاشر ليعُشِّر ما معه، فلما انتهى إلى العاشر ومعه التابوت، قال العاشر لإبراهيم عليه السلام: إفتح هذا التابوت حتى نُعَشِّر ما فيه، فقال له إبراهيم عليه السلام: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضة حتى نعطي عُشره ولا نَفتحه، قال: فأبى العاشر إلا فتحه، قال: وغضب إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلما بدت له سارة وكانت موصوفة بالحسن والجمال قال له العاشر: ما هذه المرأة منك؟ قال إبراهيم عليه السلام: هي حرمتي وابنة خالتي فقال له العاشر: فما دعاك إلى أن خبيتها في هذا التابوت؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الغيرة عليها أن يراها أحد، فقال له العاشر: لست أدعك تبرح حتى أعلم الملك حالها وحالك قال: فبعث رسولاً إلى الملك فأعلمه، فبعث الملك رسولاً ـ من قبله ليأتوه بالتابوت، فأتوا ليذهبوا به فقال لهم إبراهيم عليه السلام: إني لست أفارق التابوت حتى تفارق روحي جسدي، فأخبروا الملك بذلك فأرسل الملك أن احملوه والتابوت معه، فحملوا إبراهيم عليه السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتى أدخل على الملك فقاله له الملك: إفتح التابوت، فقال إبراهيم عليه السلام: أيها الملك إن فيه حرمتي وابنة خالتي، وأنا مفتدٍ فَتْحَهُ بجميع ما معي!

قال: فغضب الملك وأجبر إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلما رأى سارة لم يملك حلمه سفهه أن مد يده إليها، فأعرض إبراهيم عليه السلام بوجهه عنها وعنه غيرةً منه، وقال: اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي، فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه! فقال له الملك: أن إلهك الذي فعل بي هذا؟ فقال له: نعم، أن إلهي غيور يكره الحرام وهو الذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام! فقال له الملك: فادع إلهك يرد عليَّ يدي فإن أجابك لم أعرض لها، فقال: إبراهيم عليه السلام: إلهي رُدَّ عليه يده ليكف عن حرمتي: قال: فردَّ الله عز وجل عليه يده، فأقبل الملك نحوها ببصره ثم أعاد بيده نحوها فأعرض إبراهيم عليه السلام عنه بوجهه غيرةً منه وقال: اللهم احبس يده عنها، قال: فيبست يده ولم تصل إليها، فقال الملك لإبراهيم عليه السلام: أن إلهك لغيور وإنك لغيور، فادع إلهك يرد عليَّ يدي فإنه أن فعل لم أعد، فقال له إبراهيم عليه السلام: أسأله ذلك على أنك إن عدت لم تسألني أن أسأله، فقال الملك: نعم، فقال إبراهيم عليه السلام: اللهم إن كان صادقاً فردَّ عليه يده، فرجعت إليه يده! فلما رأى ذلك الملك من الغيرة ما رأى ورأى الآية في يده، عظَّمَ إبراهيم عليه السلام وهابَهُ وأكرمه واتقاه وقال له: قد أمِنتَ من أن أعرض لها، أو لشيء مما معك فانطلق حيث شئت ولكن لي إليك حاجة، فقال إبراهيم عليه السلام: ما هي؟ فقال له: أحب أن تأذن لي أن أخدمها قبطية عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً، قال: فأذن له إبراهيم عليه السلام فدعا بها فوهبها لسارة، وهي هاجر أم إسماعيل عليه السلام، فسار إبراهيم عليه السلام بجميع مامعه وخرج الملك معه يمشي خلف إبراهيم عليه السلام إعظاماً لإبراهيم عليه السلام وهيبةً له، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم أن قف ولا تمش قدام الجبار المتسلط ويمشئ هو خلفك، ولكن اجعله أمامك وامش خلفه وعظمه وهبه فإنه مسلط، ولا بد من إمرة في الأرض بَرَّة أو فاجرة، فوقف إبراهيم عليه السلام وقال للملك: إمض فإن إلهي أوحى إليَّ الساعة أن أعظمك وأهابك وأن أقدمك أمامي وأمشئ خلفك إجلالاً لك، فقال له الملك: أوحى إليك بهذا؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: نعم، فقال له الملك: أشهد أن إلهك لرفيق حليم كريم، وأنك ترغبني في دينك، قال: وودعه الملك فسار إبراهيم عليه السلام حتى نزل بأعلى الشامات، وخلف

لوط فی أدنی الشامات. ثم إن إبراهیم علیه السلام لما أبطأ علیه الولد قال لسارة: لو شئت لبعتنی هاجر لعل الله أن یرزقنا منها ولداً فیكون لنا خلفاً، فابتاع إبراهیم علیه السلام هاجر من سارة، فوقع علیها فولدت إسماعیل علیه السلام).

و اتهموا نبی الله إسحاق بنفس التهمة

فی التوراة صفحة ۴۶: (۶. فأقام إسحق فی مدینة جرار. ۷. وعندما سأله أهل المدینة عن زوجته قال: هی أختی، لأنه خاف أن یقول: هی زوجتی لئلا یقتله أهل المدینة من أجل رفقة، لأنها كانت رائعة الجمال. ۸. وحدث بعد أن طال مكوثه هناك، أن أبیمالك ملك الفلسطینیین أطل من النافذة، فشاهد إسحق یداعب امرأته رفقة. ۹. فاستدعاه إلیه وقال: إنها بالحقیقة زوجتك، فكیف قلت هی أختی؟ فأجاب إسحق: لأنی قلت لعلی أقتل بسببها. ۱۰. فقال أبیمالك: ما هذا الذی فعلت بنا؟ لقد كان یسیراً علی أی واحد من الشعب أن یضطجع مع زوجتك فتجلب بذلك علینا إثماً. ۱۱. وأنذر أبیمالك كل الشعب قائلاً: كل من یمس هذا الرجل أو زوجته فحتماً یموت).

و اتهموا إبراهیم و بقیة الأنبیاء بأنهم كانوا یشربون الخمر

فی قاموس الكتاب المقدس ص۷۷۶: وقد أتقن القدماء الإعتناء بالكروم ووضع ملكی صادق خبزاً وخمراً إمام أبرام. (تك ۱۴: ۱۸)
وشرب لوط خمراً. (تك ۱۹: ۳۳).
وأحضر یعقوب خمراً لإسحاق. (تك ۲۷: ۲۵)
وتنبأ یعقوب قبل موته بأن یهوذا یشتهر بتربیة الكرم. (تك ۴۹: ۱۲).
وكان أولاد أیوب یشربون الخمر. (أی ۱: ۱۸)
وندد صاحب الأمثال بمن یدمن الخمر. (أم ۲۳: ۳۰ و ۳۱)
وكذلك إشعیاء النبی. (اش ۵: ۱۱)!!

و زعموا أن لوطا سكن فی سدوم اختلافه مع ابراهیم

فی التوراة والإنجیل ص۲۲(موقع ۵) :(arabicbible. وكان للوط المرافق لأبرام غنم وبقر وخیام أیضاً. ۶. فضاقت بهما الأرض لكثرة أملاكهما، فلم یقدرا أن یسكنا معاً. ۷. ونشب نزاع بین رعاة مواشئ أبرام ورعاة مواشئ لوط، فی الوقت الذی كان فیه الكنعانیون والفرزیون یقیمون فی الأرض. ۸. فقال أبرام للوط: لا یكن نزاع بینی وبینك، ولابین رعاتی ورعاتك لأننا نحن أخوان ۹. ألیست الأرض كلها أمامك؟ فاعتزل عنی. أن اتجهت شمالاً، أتجه أنا یمیناً، وإن تحولت یمیناً، أتحول أنا شمالاً).

و نسبوا إلی سارة رضی الله عنها الظلم والقسوة

فی التوراة والإنجیل ص۲۶: (۴. فعاشر هاجر فحبلت منه. ولما أدركت أنها حامل هانت مولاتها فی عینیها، ۵. فقالت سارای لأبرام: لیقع ظلمی علیك، فأنا قد زوجتك من جاریتی، وحین أدركت أنها حامل هنتُ فی عینیها. لیقض الرب بینی وبینك. ۶. فأجابها أبرام: ها هی جاریتك تحت تصرفك، فافعلی بها ما یحلو لك. فأذلتها سارای حتی هربت منها).
وفی التوراة ص۳۶: (۹. ورأت سارة أن ابن هاجر المصریة الذی أنجبته لإبراهیم یسخر من ابنها إسحق. ۱۰. فقالت لإبراهیم: أطرد هذه الجاریة وابنها، فإن ابن الجاریة لن یرث مع ابنی إسحق. ۱۱. فقبح هذا القول فی نفس إبراهیم من أجل ابنه. ۱۲. فقال الله له: لا یسوء فی نفسك أمر الصبی أو أمر جاریتك، واسمع لكلام سارة فی كل ما تشیر به علیك لأنه بإسحق یدعی لك نسل. ۱۳. وسأقیم من

ابن الجارية أمَّةً أيضاً لأنه من ذريتك. ۱۴. فنهض إبراهيم فى الصباح الباكر وأخذ خبزاً وقربة ماء ودفعهما إلى هاجر، ووضعهما على كتفيها، ثم صرفها مع الصبى، فهامت على وجهها فى بريـة بئر سبع. ۱۵. وعندما فرغ الماء من القربـة طرحت الصبى تحت إحدى الأشجار. ۱۶. ومضت وجلست مقابله، على بعد نحو مئة متر، لأنها قالت: لا أشهد موت الصبى. فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت. ۱۷. وسمع الله بكاء الصبى، فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: ما الذى يزعجك يا هاجر؟ لا تخافى لأن الله قد سمع بكاء الصبى من حيث هو ملقى. ۱۸. قومى واحملى الصبى، وتشبثى به لأننى سأجعله أمة عظيمة. ۱۹. ثم فتح عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة وسقت الصبى. ۲۰. وكان الله مع الصبى فكبر، وسكن فى صحراء فاران وبرع فى رمى القوس. ۲۱. واتخذت له أمه زوجة من مصر).

وفى قاموس الكتاب المقدس ص۹۹۴: (وقد تكلم الرسول بولس عن هاجر وولادتها حسب الجسد ابناً للعبودية! ووصف المؤمنين بالمسيح بأنهم كأولاد الحرة يرثون مع الأب وميلادهم(الثانى) بالموعد مثل إسحاق ابن إبراهيم (غل ۴: ۲۱-۳۱). وقد جاء فى معظم التقاليد أن العرب هم ذرية إسماعيل).

و اتهموا إبراهيم بأنه أطاع سارة و طرد هاجر و ابنها إسماعيل

فى قاموس الكتاب المقدس ص۴۴۳: (وعندما بلغت سارة سن۸۹ جاءها الموعد بميلاد إسحق، الذى ولدته بعد سنة. وغيَّر الله إسم ساراى إلى سارة فى ذلك الوقت- وقت الموعد). (تك ۱۷: ۱۵ - ۲۲ و ۱۸: ۹ - ۱۵ و ۲۱: ۱ - ۵).

وعندما فطم إسحاق أقام والداه وليمة عظيمة... ولاحظت سارة أن إسماعيل يمزح، وقد قيل أنه كان يصوب سهامه على إسحاق مهدداً بقتله من باب التخويف، فطلبت سارة من إبراهيم أن يطرد الجارية مع ابنها! وقد ظن البعض أن ذلك كان قساوة وشراً من سارة، غير أن البعض الآخر يعتقد أن سارة لم تطلب طرد هاجر إلا إلى الخيام الأخرى لإبراهيم والتى كان يقيم فيها عبيده الآخرون، أى أن سارة منعت الجارية وابنها من السكن فى خيمة السيد، وجعلتها تأخذ مكانها كجارية فقط، واختلفت الآراء فى سارة، ولكنها كانت فى الحق مؤمنةً فاضلة وزوجةً أمينة وأما مثالية. وقد ماتت سارة وهى فى سن ۱۲۷ سنة، بعد ولادة إسحاق بما يزيد على۳۶ سنة، ودفنها إبراهيم فى حقل المكفيلة الذى اشتراه لهذا الغرض).

وفى قاموس الكتاب المقدس ص۷۳: (وقد حثَّت سارة إبراهيم أن يأخذ أمتها زوجة لكى يعقب منها نسلاً، لأن سارة كانت عاقراً (تك ۱۶: ۱ - ۴) وكان هذا النظام فى الزواج معمولاً به فى تلك الأزمنة. وقد دلت الإكتشافات على أنه كان موجوداً فى (نوزى) بالقرب من كركوك فى العراق. أما هذا العمل من ناحية سارة فمصدره ضعف الإيمان بمواعيد الرب لإبراهيم وسارة بأن يكون لهما ابن! وبعد أن حملت سارة نظرت إلى سيدتها باحتقار لأنها كانت عاقراً فطردتها سيدتها، ولاقاها ملاك الرب فى الطريق وأمرها أن ترجع إلى سيدتها وإلى بيت إبراهيم، ووعدها بأنها ستلد ابناً تسميه إسماعيل، وأنه يكون أبا لجمهور من الناس، وأنه سيسكن البرية كحمار وحشى). (تك ۱۶: ۵ - ۱۴)

وبعد أن رجعت هاجر ولدت إسماعيل، لما كان إبراهيم ابن ست وثمانين سنة وبعد أن كان له فى أرض كنعان عشر سنين(تك ۱۶: ۳ - ۱۶). وقد ختن إسماعيل فى الثالثة عشرة من عمره(تك ۱۷: ۲۵) وهى السن التى يختن فيها الأولاد العرب فى الوقت الحاضر.

وفى الوليمة التى أقيمت بمناسبة فطام إسحاق، سَخِرَ إسماعيل من أخيه الصغير وكان إسماعيل حينئذ قد بلغ السادسة عشرة من عمره. فألحَّت سارة على إبراهيم أن يطرد هاجر وابنها فطردهما (تك ۲۱: ۸ - ۱۴). فتاهت الأم وابنها فى برية بئر سبع فى جنوب فلسطين، وكانا على وشك الهلاك من الظمأ. فأرى الله هاجر بئر ماء ووعدها ثانية بأن ابنها إسماعيل سيصير مصدر أمة عظيمة. ومنذ ذلك الحين سكن إسماعيل فى برية فاران فى جنوب فلسطين على حدود شبه جزيرة سيناء، وأصبح ماهراً فى استعمال القوس. وأخذت له أمه زوجة من بلادها، من مصر (تك ۲۱: ۱۵ - ۲۱) وولد له اثنا عشر ابناً الذين أصبحوا آباء القبائل العربية(أنظر إسماعيليين) وولد له

أيضاً ابنة اسمها محلة (تك ۲۸: ۹) أو بسمة(تك ۳۶: ۳) وقد تزوجها عيسو. وقد اشترك إسماعيل مع إسحاق فی دفن أبيهما إبراهيم فی مَمْرا بالقرب من حبرون. (تك ۲۵: ۹). وقد مات إسماعيل بعد أن بلغ من العمر۱۳۷ سنة).(تك ۲۵: ۱۷.

اما مصادرنا فتبرئ إبراهيم و عترته من الظلم والمعصية

ففی المحاسن:۲/۳۳۷،عن الإمام الصادق عليه السلام:(إن إبراهم عليه السلام لما خلف هاجر وإسماعيل بمكة عطش إسماعيل فبكی، فخرجت هاجر حتی عَلَتْ علی الصفا وبالوادی أشجار فنادت: هل بالوادی من أنيس؟ فلم يجبها أحد، فانحدرت حتی علت علی المروة، فنادت هل بالوادی من أنيس؟ فلم تزل تفعل ذلك حتی فعلته سبع مرات، فلما كانت السابعة هبط عليها جبرئيل عليه السلام فقال لها: أيتها المرأة من أنت؟ قالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم، قال لها: وإلی من خلَّفك؟ قالت: أما إذا قلت ذلك، لقد قلت له يا إبراهيم إلی من تخلفنی ههنا؟ فقال: إلی الله عز وجل أخلفك، فقال لها جبرئيل عليه السلام: نعم ما خلفك إليه، ولقد وكلك إلی كافٍ فارجعی إلی ولدك، فرجعت إلی البيت وقد انبعث زمزم والماء ظاهر يجری، فجمعت حوله التراب فحبسته! قال أبو عبد الله عليه السلام: ولو تركته لكان سيحاً!

ثم مرَّ ركب من اليمن ولم يكونوا يدخلون مكة، فنظروا إلی الطير مقبلة علی مكة من كل فج، فقالوا: ما أقبلت الطير علی مكة إلا وقد رأت الماء، فمالوا إلی مكة حتی أتوا موضع البيت، فنزلوا واستقوا من الماء وتزودوا منه ما يكفيهم وخلفوا عندهما من الزاد ما يكفيهما، فأجری الله لهم بذلك رزقاً.

وروی محمد بن خلف، عن بعض أصحابه، قال: فكان الناس يمرون بمكة فيطعمونهم من الطعام، ويسقونهم من الماء). (والكافی:۴/ ۲۰۲).

وفی الكافی:۴/۲۰۱:(عن الإمام الصادق عليه السلام قال:لما ولد إسماعيل حمله إبراهيم وأمه علی حمار، وأقبل معه جبرئيل حتی وضعه فی موضع الحجر ومعه شئ من زاد وسقاء فيه شئ من ماء، والبيت يومئذ ربوةٌ حمراء من مَدَر فقال إبراهيم لجبرئيل عليهما السلام: هاهنا أمرت؟ قال: نعم، قال: ومكة يومئذ سَلَمٌ وسَمَر، وحول مكة يومئذ ناسٌ من العماليق).

وروی فی الكافی:۴/۲۰۲عن الإمام الصادق عليه السلام رواية تختلف عن المشهور تذكر أن زمزم الأولی شحَّت فحفرها إبراهيم عليه السلام، قال:(عن محمد بن يحيی، وأحمد بن إدريس، عن عيسی بن محمد بن أبی أيوب، عن علی بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن علی بن منصور، عن كلثوم بن عبد المؤمن الحرانی، عن أبی عبد الله عليه السلام قال: أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يحج ويحج إسماعيل معه ويسكنه الحرم، فحجَّا علی جمل أحمر وما معهما إلا جبرئيل عليه السلام، فلما بلغا الحرم قال له جبرئيل: يا إبراهيم إنزلا ـ فاغتسلا قبل أن تدخلا الحرم، فنزلا ـ فاغتسلا، وأراهما كيف يتهيئان للإحرام ففعلا، ثم أمرهما فأهلا بالحج، وأمرهما بالتلبيات الأربع التی لبی بها المرسلون، ثم صار بهما إلی الصفا فنزلا وقام جبرئيل بينهما، واستقبل البيت فكبر الله وكبرا، وهلل الله وهللا، وحمد الله وحمدا، ومجَّد الله ومجَّدا، وأثنی عليه وفعلا مثل ذلك.

وتقدم جبرئيل وتقدما، يثنيان علی الله عز وجل ويمجدانه، حتی انتهی بهما إلی موضع الحجر فاستلم جبرئيل الحجر وأمرهما أن يستلما، وطاف بهما أسبوعاً، ثم قام بهما فی موضع مقام إبراهيم عليه السلام فصلی ركعتين وصليا، ثم أراهما المناسك وما يعملان به. فلما قضيا مناسكهما أمر الله إبراهيم عليه السلام بالإنصراف وأقام إسماعيل وحده، ما معه أحد غير أمه، فلما كان من قابل أذن الله لإبراهيم عليه السلام فی الحج وبناء الكعبة، وكانت العرب تحج إليه وإنما كان ردماً إلا أن قواعده معروفة، فلما صدر الناس جمع إسماعيل الحجارة وطرحها فی جوف الكعبة. فلما أذن الله له فی البناء قدم إبراهيم عليه السلام فقال: يا بنيَّ قد أمرنا الله ببناء الكعبة، وكشفا عنها فإذا هو حجر واحد أحمر، فأوحی الله عز وجل إليه ضع بناءها عليه، وأنزل الله عز وجل أربعة أملاك يجمعون إليه الحجارة، فكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يضعان الحجارة والملائكة تناولهما، حتی تمت اثنی عشر ذراعاً، وهيئا له بابين: باباً

یدخل منه وباباً یخرج منه، ووضعا علیه عتباً وشرجاً من حدید علی أبوابه.

وکانت الکعبة عریانة فصدر إبراهیم وقد سوی البیت وأقام إسماعیل، فلما ورد علیه الناس نظر إلی امرأة من حِمْیَر أعجبه جمالها، فسأل الله عز وجل أن یزوجها إیاه، وکان لها بعل فقضی الله علی بعلها بالموت وأقامت بمکة حزناً علی بعلها، فأسلی الله ذلک عنها، وزوجها إسماعیل.

وقدم إبراهیم الحج وکانت امرأة موفقة، وخرج إسماعیل إلی الطائف یمتار لأهله طعاماً، فنظرت إلی شیخ شعث، فسألها عن حالهم فأخبرته بحسن حال، فسألها عنه خاصة فأخبرته بحسن الدین، وسألها ممن أنت؟ فقالت: امرأة من حِمْیَر فسار إبراهیم ولم یلق إسماعیل، وقد کتب إبراهیم کتاباً فقال: إدفعی هذا إلی بعلک، إذا أتی أن شاء الله، فقدم علیها إسماعیل فدفعت إلیه الکتاب فقرأه فقال: أتدرین من هذا الشیخ؟ فقالت: لقد رأیته جمیلاً فیه مشابهة منک، قال: ذاک إبراهیم فقالت: واسوءتاه منه فقال: ولِمَ، نظرَ إلی شئ من محاسنک؟ فقالت: لا ولکن خفت أن أکون قد قصرت! وقالت له المرأة وکانت عاقلة: فهلا تعلق علی هذین البابین سترین ستراً من ههنا وستراً من ههنا؟ فقال لها: نعم فعملا لهما سترین طولهما اثنی عشر ذراعاً فعلقا هما علی البابین فأعجبهما ذلک، فقالت: فهلَّا أحوکُ للکعبة ثیاباً فتسترها کلها فإن هذه الحجارة سمجة؟ فقال لها إسماعیل: بلی، فأسرعت فی ذلک وبعثت إلی قومها بصوف کثیر تستغزلهم. قال أبو عبد الله علیه السلام: وإنما وقع استغزال النساء من ذلک بعضهن لبعض لذلک، قال: فأسرعت واستعانت فی ذلک، فکلما فرغت من شقة علقتها فجاء الموسم وقد بقی وجه من وجوه الکعبة، فقالت لإسماعیل: کیف نصنع بهذا الوجه الذی لم تدرکه الکسوة، فکسوه خصفاً فجاء الموسم وجاءته العرب علی حال ماکانت تأتیه، فنظروا إلی أمر أعجبهم، فقالوا: ینبغی لعامل هذا البیت أن یهدی إلیه، فمن ثَمَّ وقع الهدی، فأتی کل فخذ من العرب بشئ یحمله من ورق ومن أشیاء غیر ذلک، حتی اجتمع شئ کثیر، فنزعوا ذلک الخصف وأتموا کسوة البیت وعلقوا علیها بابین.

وکانت الکعبة لیست بمسقفة، فوضع إسماعیل فیها أعمدة مثل هذه الأعمدة التی ترون من خشب، وسقفها إسماعیل بالجرائد وسوَّاها بالطین، فجاءت العرب من الحول فدخلوا الکعبة ورأوا عمارتها فقالوا: ینبغی لعامل هذا البیت أن یزاد، فلما کان من قابل جاءه الهدی، فلم یدر إسماعیل کیف یصنع، فأوحی الله عز وجل إلیه أن انحره وأطعمه الحاج.

قال: وشکا إسماعیل إلی إبراهیم قلة الماء، فأوحی الله عز وجل إلی إبراهیم أن احتفر بئراً یکون منها شراب الحاج فنزل جبرئیل علیه السلام فاحتفر قلیبهم یعنی زمزم حتی ظهر ماؤها ثم قال جبرئیل علیه السلام:إنزل یا إبراهیم فنزل بعد جبرئیل فقال: یاإبراهیم إضرب فی أربع زوایا البئر وقل بسم الله، قال فضرب إبراهیم علیه السلام فی الزاویة التی تلی البیت وقال: بسم الله فانفجرت عین ثم ضرب فی الزاویة الثانیة وقال: بسم الله فانفجرت عین، ثم ضرب فی الثالثة وقال: بسم الله فانفجرت عین، ثم ضرب فی الرابعة وقال: بسم الله فانفجرت عین.

وقال له جبرئیل:إشرب یا إبراهیم وادع لولدک فیها بالبرکة، وخرج إبراهیم علیه السلام وجبرئیل جمیعاً من البئر فقال له: أفض علیک یا إبراهیم، وطف حول البیت فهذه سقیا سقاها الله ولد إسماعیل، فسار إبراهیم وشیَّعه إسماعیل حتی خرج من الحرم، فذهب إبراهیم ورجع إسماعیل إلی الحرم). انتهی.

و اتهموا نبی الله هارون و موسی بالشرک والمعاصی

فی قاموس الکتاب المقدس ص۹۹۵: (غیر أن هارون أظهر ضعف إیمان فی حالات کثیرة، وکان أولها لما تأخر موسی وهو علی الجبل مع الرب. فقد ضج الشعب وارتد عن طاعة الله، وطلب إلی هارون أن یصنع له تماثیل آلهة لیعبدها. فصنع هارون عجل الذهب وبنی له مذبحاً (خر/۳۲). ومع هذا غفر الله له خطأه، وأمر برسمه، هو وذریته، کهنة علی بنی إسرائیل.(خر ۴۰: ۱۲ - ۱۵). وبذلک تأسست الکهانة اللاویة، وأصبح هارون أول رئیس کهنة....

وكان الله كثير الإحسان لهارون بالرغم من أخطائه. وكانت آخر أخطائه أنه لم يقدس الرب إمام بنى إسرائيل، لا هو ولا موسى، فى أواخر رحلة بنى إسرائيل إلى فلسطين وحينما شعر الشعب بالظمأ إمام قادش. فأمر الله بعقابهما، بمنعهما من دخول فلسطين، أى بموتهما قبل الوصول إليها (عد ۲۰: ۱ – ۱۳).

وغادر بنو إسرائيل قادش وأتوا إلى جبل هور، فأمر الرب موسى أن يأخذ هارون وابنه ألعازار، ويصعد بهما إلى الجبل وهناك يخلع ثياب هارون الكهنوتية ويلبسها لابنه. ولما نفذ هارون ذلك مات هارون، وانضم إلى آبائه وبكاه قومه ثلاثين يوماً (عد ۲۰: ۲۲ – ۲۹ و۳۳: ۳۷ – ۳۹ وتث ۱۰: ۶).

وكان عمره عند وفاته مئة وثلاث وعشرين سنة. ولا يزال أثر المكان الذى مات فيه محفوظاً إلى اليوم على إحدى قمتى جبل هور بالقرب من بترا. وسمى هارون (قدس الرب). (مز ۱۰۶: ۱۶).

وكان اليهود المتأخرون يحفظون ذكراه بإكرام. وهم يصومون تذكاراً له فى اليوم الأول من شهر آب. وظلت رئاسة الكهنوت عند العبرانيين فى بيت هارون إلى دمار أورشليم والهيكل فى سنة ۷۰م).

و اتهموا أنبياء الله بالحيل والدجل والبلاهة

فى التوراة والإنجيل ص۴۷:(۲۷-۱. ولما شاخ إسحق وضعف بصره استدعى ابنه الأكبر عيسو وقال له: يا بنى ۲. ها أنا قد شخت ولست أعرف متى يحين يوم وفاتى. ۳. فالأن خذ عدتك:جعبتك وقوسك، وامض إلى البرية واقتنص لى صيداً. ۴. وجهز لى طعاماً شهياً كما أحب وائتنى به لآكل، لتباركك نفسى قبل أن أموت. ۵. وسمعت رفقة حديث إسحق لابنه عيسو. فعندما انطلق عيسو إلى البرية ليصطاد صيداً ويأتى به. ۶. قالت رفقة لابنها يعقوب: سمعت أباك يقول لعيسو أخيك ۷. إقتنص لى صيداً، وجهز لى أطعمة شهية لآكل وأباركك إمام الرب قبل موتى. ۸. والأن يا بنى أطع قولى فى ما آمرك به، ۹. واذهب إلى قطيع الماشية، واختر جديين لأجهز لأبيك أطعمة شهية كما يحب! ۱۰. تقدمها لأبيك ليأكل، فيباركك قبل وفاته. ۱۱. فقال يعقوب لرفقة أمه: أخى عيسو رجل أشعر، وأنا رجل أملس. ۱۲. وقد يجسنى أبى فيتبين خداعى، وأستجلب على نفسى لعنة لا بركة. ۱۳. فقالت له أمه: لعنتك علىَّ يا بنىَّ، فأطع قولى فقط، واذهب وأحضر الجديين لى. ۱۴. فذهب واختارهما وأحضرهما لأمه، فأعدت رفقة الأطعمة المطيبة كما يحب أبوه ۱۵. وتناولت ثياب بكرها عيسو الفاخرة الموجودة عندها فى البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر، ۱۶. وكذلك غطت يديه وملاسة عنقه بجلد الجديين. ۱۷. وأعطته ما أعدته من الأطعمة الشهية والخبز. ۱۸. فأقبل على أبيه وقال: يا أبى. فأجابه: نعم يا ابنى من أنت؟ ۱۹. فقال يعقوب: أنا عيسو بكرك. وقد فعلت كما طلبت، والأن قم واجلس وكل من صيدى حتى تباركنى.۲۰. فقال إسحق: كيف استطعت أن تجد صيداً بمثل هذه السرعة يا ولدى؟ فأجابه: لأن الرب إلهك قد يسر لى ذلك. ۲۱. وقال إسحق: إقترب منى لأجسك يا ابنى لأرى أن كنت حقاً ابنى عيسو أم لا. ۲۲. فدنا يعقوب من أبيه إسحق فجسه وقال: الصوت صوت يعقوب، أما اليدان فهما يدا عيسو. ۲۳. ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدى أخيه عيسو، فباركه!! ۲۴. وسأل: هل أنت ابنى عيسو؟ فأجاب: أنا هو. ۲۵. ثم قال: قدم لى من صيدك حتى آكل وأباركك. فأحضر يعقوب إليه الطعام فأكل ثم قدم له خمراً فشرب، ۲۶. فقال له إسحق أبوه: تعال وقبلنى يا ولدى. ۲۷ فاقترب منه وقبله، فتنسم رائحة ثيابه وباركه قائلاً: ها أن رائحة ابنى كرائحة حقل باركه الرب، ۲۸. فلينعم عليك الرب من ندى السماء ومن خيرات الأرض، فيكثر لك الحنطة والخمر. ۲۹. لتخدمك الشعوب، وتسجد لك القبائل، لتكن سيداً على إخوتك. وبنو أمك لك ينحنون. وليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين.

۳۰. ولما فرغ إسحق من مباركة يعقوب، وخرج يعقوب من عند أبيه، رجع عيسو من صيده، ۳۱. فجهز هو أيضاً أطعمة طيبة وأحضرها إلى أبيه وقال: ليقم أبى ويأكل من صيد ابنه فتباركنى نفسك. ۳۲. فقال إسحق: من أنت؟ فأجابه: أنا ابنك بكرك عيسو. ۳۳. فارتعد إسحق بعنف وقال: من هو إذا الذى اصطاد صيداً وأحضره إلىَّ فأكلت من الكل قبل أن تجئ، وباركته؟ وحقاً يكون مباركاً. ۳۴. فما

أن سمع عيسو كلام أبيه حتى أطلق صرخة هائلة ومرة جداً وقال: باركنى أنا أيضاً يا أبى. ٣٥. فأجاب: لقد مكر بى أخوك وسلب بركتك! ٣٦. فقال: ألم يدع اسمه يعقوب؟ لقد تعقبنى مرتين: أخذ بكوريتى، وها هو يسلبنى الآن بركتى. ثم قال: أما احتفظت لى ببركة؟ ٣٧. فأجاب إسحق: لقد جعلته سيداً لك، وصيرت جميع إخوته له خداماً، وبالحنطة والخمر أمددته. فماذا أفعل لك الآن يا ولدي؟. ٣٨. فقال عيسو: ألك بركة واحدة فقط يا أبي؟ باركنى أنا أيضاً يا أبى. وأجهش عيسو بالبكاء بصوت عال. ٣٩. فأجابه أبوه: ها مسكنك يكون فى أرض جدباء لايهطل عليها ندى السماء. ٤٠. بسيفك تعيش ولأخيك تكون عبداً، ولكن حين تجمح تحطم نيره عن عنقك.

٤١. وحقد عيسو على يعقوب من أجل ما ناله من بركة أبيه. فناجى نفسه: قريباً يموت أبى، وبعدئذ أقتل أخى يعقوب. ٤٢. فبلغ رفقة وعيد عيسو ابنها الأكبر، فأرسلت واستدعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له: عيسو يخطط لقتلك. ٤٣. والأن يا ابنى إصغ لقولى، وقم اهرب إلى أخى لابان إلى حاران، ٤٤ وامكث عنده أياماً قلائل ريثما يهدأ سخط أخيك. ٤٥. ومتى سكن غضبه ونسى ما صنعت به، عندئذ أبعث إليك لتعود من هناك)!!

و اتهموا يوشع بأنه ختن اليهود بسكاكين من حجر الصوان

فى قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٧: (٧: ٢٢. والختان من الشعائر المعروفة فى اليهودية، وهو قطع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام... وقد ختن إبراهيم وهو فى التاسعة والتسعين وإسماعيل وهو فى الثالثة عشرة. (تك ١٧: ١١ – ٢٧).

ثم تجددت سنة الختان لموسى(لا ١٢: ٣) فقضى أن لا يأكل الفصح رجل أغرل. وكان اليهود يحافظون كل المحافظة على هذه السنة وقد أهملوها أثناء رحلتهم فى البرية. على أنه عند دخول الشعب أرض كنعان صنع يشوع سكاكين من الصوان وختن الشعب كله). (يشوع ٥: ٢ – ٩).

و افتروا على سليمان أنه أشرك بالله تعالى

فى التوراة/٥٥٤: (٩. فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين ١٠. وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب. ١١. فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك). انتهى.

النتائج الخطيرة لتخريب اليهود لعقيدة العدل والعصمة

لهذا العمل اليهودى دلالات مهمة ونتائج خطيرة بل مهولة، فى عقائد اليهود وحياتهم، فى تعاملهم مع ربهم وأنبيائهم عليهم السلام، ومع الشعوب الإخرى!

فمنها: أنه يكشف سبب التعقيد فيهم، والذى تحول من صفة فى الشخص اليهودى المنحرف، إلى صفة فى الجماعة اليهودية كلها، إلا من عصم الله.

فإن كنت تعتقد أن رب العالمين خالق السماوات والأرضين، يعامل عباده

بالغضب والظلم والإنتقام، ويفتقر إلى العلم المطلق، والحكمة المطلقة، والرحمة المطلقة.. فمن الطبيعى أن تتأصل فى نفسك الذاتية، وتشعر أنك موجودٌ فى مقابل خالقه، ليس المهم عنده عبادة ربه وطاعته وكسب فيض رحمته، بل المهم أن يستعمل الحيَل مع ربه لحماية نفسه منه، وكسب ما يمكنه منه! وهذا هو التعقيد فى الشخصية فى أعمق حالاته!

وإذا كان رب العالمين معاذ الله كذلك، وكان الأنبياء عليهم السلام جماعة أنانيين شهوانيين، يسيؤون استعمال السلطة والبركة التى

أعطاهم إياها! فماذا عسى أن يكون اليهودى العادى؟!!

ومنها: أنه يكشف منشأ نظرتهم الدونية إلى أنفسهم فضلاً عن غيرهم، فعقيدة أنهم شعب الله المختار لاتقلل من عقيدة الدونية! فما دام أنبياءهذا الشعب سيؤون ذميمون، فصفات عامة الشعب أحط منها وأسوأ بكثير!

ومنها: أن نعرف سبب عقيدتهم بدونية الشعوب، فمن كانت هذه عقيدته إلى أنبيائه عليهم السلام ونفسه، فلا عجب أن تكون نظرته إلى بقية شعوب العالم بأنهم حمير خلقهم الله ليركبهم أبناء الشعب اليهودى؟!

ومنها: أنه يكشف سبب حرصهم على نشر النظرة الدونية إلى الإنسان فى العالم، التى تزعم أن الإنسان حيوان يحركه الجنس لا أكثر! ولذا كان داروِن وفرويد اليهوديان أبطالاً قوميين عند اليهود! لايتكارهما نظريات تساعد فى تركيز النظرة اليهودية فى ثقافة شعوب العالم!

ومنها: أنا بذلك نضع يدنا على فعالية أحبار يهود المدينة وخيبر والشام واليمن، ونابغتهم كعب الأحبار، فى تخريب عقيدة المسلمين فى صفات الله تعالى والطعن فى عدالته، ونفيهم لعصمة الأنبياء عليهم السلام، وخاصة نبينا صلى الله عليه وآله فإن أول هدف وأهمه عند اليهودى أن يجعلك مثله تنتقد الله تعالى ورسله، وتطول لسانك عليهم، فبذلك تقف معه على الطريق الذى يريده لك!

راجع ماكتبناه فى(ألف سؤال وإشكال:۱/۴۸۵) عن دور كعب فى تخريب عقائد المسلمين وزرع اليأس فى نفوسهم من المستقبل، وزعمه حتمية انتهاء الإسلام وفناء أمته، وهدم الكعبة وخراب مكة، خراباً لاتسكن بعده أبداً!

امتياز الشيعة عن اليهود والسنة بعقيدة العصمة التامة

نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالى والعصمة التامة للأنبياء والأئمة

امتاز الشيعة عن غيرهم من جميع مذاهب المسلمين وأهل الأديان الأخرى بأنهم يعتقدون بالعدالة الكاملة لله تعالى، والعصمة الكاملة لأنبيائه وأوصيائه عليهم السلام وينزهونهم عن جميع المعاصى والرذائل، طوال أعمارهم الشريفة، قبل البعثة والإمامة وبعدها، سواء فى تبليغ الرسالة وعقائدها وأحكامها، أو فى غيره من سلوكهم الشخصى والعام.

وقد عرَّف الإمام الصادق عليه السلام العصمة كما فى معانى الأخبار للصدوق: ص۱۳۲:

(حدثنا على بن الفضل بن العباس البغدادى بالرى المعروف بأبى الحسن الحنوطى، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان بن الحارث، قال: حدثنا محمد بن على بن خلف العطار قال: حدثنا حسين الأشقر قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: أن الإمام لا يكون إلا معصوماً؟ فقال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم).

وفى معانى الأخبار ص۱۳۲: (حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المقرى قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر المقرى الجرجانى قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن الموصلى ببغداد، قال: حدثنا محمد بن عاصم الطريفى، قال: حدثنا عباس بن يزيد بن الحسن الكحال مولى زيد بن على قال: حدثنى أبى قال: حدثنى موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن على، عن أبيه على بن الحسين عليهم السلام قال: الإمام منا لايكون إلا معصوماً، وليست العصمة فى ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك لايكون إلا منصوصاً.

فقيل له: يا ابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لايفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدى إلى القرآن والقرآن يهدى إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل ": إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم. ")

وفى معانى الأخبار ص۱۳۲: (حدثنا محمد بن على ماجيلويه- رحمه الله - قال حدثنا على بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبى

عمیر قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحکم فی طول صحبتی له شیئاً أحسن من هذا الکلام فی صفهٔ عصمهٔ الإمام، فإنی سألته یوماً عن الإمام أهو معصوم؟ فقال: نعم. فقلت: فما صفهٔ العصمهٔ فیه؟ وبأی شیءٍ تعرف؟ فقال: إن جمیع الذنوب لها أربعهٔ أوجه ولا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوهٔ، فهذه منفیهٔ عنه لا یجوز أن یکون حریصاً علی هذه الدنیا وهی تحت خاتمه لأنه خازن المسلمین، فعلی ماذا یحرص؟ ولا یجوز أن یکون حسوداً لأن الإنسان إنما یحسد من فوقه ولیس فوقه أحد، فکیف یحسد من هو دونه؟ ولا یجوز أن یغضب لشیءٍ من امور الدنیا إلا أن یکون غضبه لله عز وجل، فإن الله عز وجل قد فرض علیه إقامهٔ الحدود وأن لا تأخذه فی الله لومهٔ لائم ولا رأفهٔ فی دینه حتی یقیم حدود الله عز وجل، ولا یجوز له أن یتبع الشهوات ویؤثر الدنیا علی الآخرهٔ لأن الله عز وجل حبب إلیه الآخرهٔ کما حبب إلینا الدنیا فهو ینظر إلی الآخرهٔ کما ننظر إلی الدنیا فهل رأیت أحداً ترک وجهاً حسناً لوجه قبیح وطعاماً طیباً لطعام مر وثوباً لیناً لثوب خشن ونعمهً دائمهً باقیهً لدنیا زائلهٔ فانیهٔ). (ورواه فی علل الشرائع:۱/۲۰۴. وأمالی الصدوق/۷۳۱:والخصال/۲۱۵)

وهذا الإمتیاز معروف للجمیع عن الشیعهٔ، من عصر النبی والأئمهٔ علیهم السلام.

قال الرازی فی تفسیره:۳/۷: (واختلف الناس علی ثلاثهٔ أقوال:

أحدها: قول من ذهب إلی أنهم معصومون من وقت مولدهم، وهو قول الرافضهٔ.

وثانیها: قول من ذهب إلی عصمتهم وقت بلوغهم، ولم یجوزوا منهم ارتکاب الکفر والکبیرهٔ قبل النبوهٔ، وهو قول کثیر من المعتزلهٔ.

وثالثها: قول من ذهب إلی أن ذلک (یعنی ارتکاب الکفر والکبیرهٔ) لایجوز وقت النبوهٔ أما قبلها فجائز، وهو قول أکثر أصحابنا، وقول أبی الهذیل العلاف، وأبی علی من المعتزلهٔ).

وقال أیضاً فی عصمهٔ الأنبیاءص۸: (وقد اختلفوا فیه علی خمسهٔ مذاهب:

(الأول): الحشویهٔ وهو أنه یجوز علیهم الإقدام علی الکبائر والصغائر.

(الثانی): أنه لایجوز منهم تعمد الکبیرهٔ البتهٔ، وأما تعمد الصغیرهٔ فهو جائز بشرط أن لا تکون منفراً، وأما أن کانت منفراً فذلک لایجوز علیهم، مثل التطفیف بما دون الحبهٔ، وهو قول أکثر المعتزلهٔ.

(الثالث) أنه لا یجوز علیهم تعمد الکبیرهٔ والصغیرهٔ، ولکن یجوز صدور الذنب منهم علی سبیل الخطأ فی التأویل، وهو قول أبی علی الجبائی

(الرابع): أنه لایجوز علیهم الکبیرهٔ ولا الصغیرهٔ، لا بالعمد ولا بالتأویل والخطأ. أما السهو والنسیان فجائز، ثم إنهم یعاتبون علی ذلک السهو والنسیان لما أن علومهم أکمل، فکان الواجب علیهم المبالغهٔ فی التیقظ، وهو قول أبی إسحاق إبراهیم بن سیار النظام.

(الخامس): أنه لا یجوز علیهم الکبیرهٔ ولا الصغیرهٔ، لا بالعمد ولا بالتأویل، ولا بالسهو والنسیان. وهذا مذهب الشیعهٔ).

وقال فی تفسیره:۱۸/۹: (وعندنا العصمهٔ إنما تعتبر فی وقت النبوهٔ لاقبلها).

وهذه النصوص من عالم سنی مشهود له بالعمق والدقهٔ، تکشف لنا أنه لم ینج من التأثر بالتهم الیهودیهٔ للأنبیاء علیهم السلام إلا الشیعهٔ، أتباع العترهٔ النبویهٔ الطاهرهٔ صلوات الله علیهم.

کما تکشف لنا خریطهٔ التأثیر الیهودی بنسب متفاوتهٔ علی فئات المسلمین فی تنقیصهم من مقام الأنبیاء علیهم السلام، مع الإلتفات إلی أن ماذکره الرازی هو القدر المتبنی رسمیاً فی فتاوی علمائهم وعقائدهم، أما فی مصادرهم الصحیحهٔ فهی حافلهٔ بأنواع الطعن فی عصمهٔ الأنبیاء علیهم السلام وعدالتهم واتهامهم فی سلوکهم الشخصی، وحتی فی تبلیغهم للرسالهٔ!

وسبب ذلک ما نشره الیهود فیهم من مفاهیم وقصص انتقاص الأنبیاء علیهم السلام! وإن حکومات الخلافهٔ القرشیهٔ شجعت تلک الروایات وجعلت مجالسها مجالس رسمیهٔ فی مسجد النبی صلی الله علیه وآله وغیره من مساجد المسلمین، وأعطت رواتها مناصب علیاً فی الدولهٔ!

كما أنها شجعت على روايات الإنتقاص من نبينا صلى الله عليه وآله لتبرير عمل الخلفاء، ورفعهم إلى صف النبى صلى الله عليه وآله، بل تفضيلهم عليه أحياناً، كما سيأتى!

من أحاديث الشيعة فى عصمة الأنبياء والأئمة عصمة تامة

من شرائع ديننا عصمة الأنبياء و الأوصياء

فى الخصال للصدوق ص٦٠٣: (حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلى، وأحمد بن الحسن القطان، ومحمد بن أحمد السنانى، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، وعبد الله بن محمد الصائغ، وعلى بن عبد الله الوراق رضى الله عنهم قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب قال: حدثنا تميم بن بهلول قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال:

(هذه شرائع الدين لمن أراد أن يتمسك بها وأراد الله هداه:

إسباغ الوضوء كما أمر الله عز وجل فى كتابه الناطق، غسل الوجه واليدين إلى المرفقين، ومسح الرأس والقدمين إلى الكعبين، مرة مرة. ومرتان جائز.... وهو حديث طويل تضمن أهم أحكام الوضوء والأغسال والفرائض والنوافل وصلاة الجماعة، وأحكام الزكاة... وجاء فيه قوله عليه السلام:

وبر الوالدين واجب، فإن كانا مشركين فلا تطعهما ولا غيرهما فى المعصية، فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق. والأنبياءوالأوصياء عليهم السلام لاذنوب لهم، لأنهم معصومون مطهرون...الى أن قال عليه السلام: ولا يفرض الله عزوجل على عباده طاعة من يعلم أنه يغويهم ويضلهم، ولا يختار لرسالته ولا يصطفى من عباده من يعلم أنه يكفر به ويعبد الشيطان دونه، ولا يتخذ على خلقه حجة إلا معصوماً. والإسلام غير الإيمان وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن...الخ).

وفى أمالى الصدوق ص٧٣٨: (المجلس الثالث والتسعون، مجلس يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان سنة ثمان وستين وثلاثمائة:

واجتمع فى هذا اليوم إلى الشيخ الفقيه أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى(رض)، أهل مجلسه والمشايخ، فسألوه أن يملى عليهم وصف دين الإمامية على الإيجاز والإختصار، فقال رضى الله عنه:

دين الإمامية هو الإقرار بتوحيد الله تعالى ذكره ونفى التشبيه عنه، وتنزيهه عما لا يليق به، والإقرار بأنبياءالله ورسله وحججه وملائكته وكتبه، والإقرار بأن محمداً صلى الله عليه وآله هو سيد الأنبياءوالمرسلين، وأنه أفضل منهم ومن جميع الملائكة المقربين، وأنه خاتم النبيين، فلا نبى بعده إلى يوم القيامة، وإن جميع الأنبياءوالرسل والأئمة عليهم السلام أفضل من الملائكة، وأنهم معصومون مطهرون من كل دنس ورجس، لا يهمون بذنب صغير ولا كبير ولا يرتكبونه، وأنهم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء.

وإن الدعائم التى بنى الإسلام عليها خمس: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وولاية النبى والأئمة صلوات الله عليهم بعده، وهم اثنا عشر إماماً، أولهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم على بن الحسين، ثم الباقر محمد بن على، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا على بن موسى، ثم الجواد محمد بن على، ثم الهادى على بن محمد، ثم العسكرى الحسن بن على، ثم الحجة بن الحسن بن على، عليهم السلام، والإقرار بأنهم أولوا الأمر الذين أمر الله عز وجل بطاعتهم، فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطيعوا اللهَ وَأطيعوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأمر مِنْكُمْ) (النساء:٥٩) وإن طاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، ووليهم ولى الله، وعدوهم عدو الله عز وجل. ومودة ذرية النبى صلى الله عليه وآله إذا كانوا على منهاج آبائهم الطاهرين فريضةٌ واجبةٌ فى أعناق العباد إلى يوم القيامة، وهى أجر النبوة، لقول الله عز وجل: (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاالْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى)(الشورى:٢٣) والإقرار بأن الإسلام هو الإقرار بالشهادتين، والإيمان هو إقرار باللسان، وعقد بالقلب، وعمل بالجوارح، لا يكون الإيمان إلا هكذا،

ومن شهد الشهادتين فقد حقن ماله ودمه إلا بحقها، وحسابه على الله عز وجل).

وفى التوحيد للصدوق ص۱۱۸: (حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا على بن الحسين السعد آبادى، عن أحمد بن أبى عبد الله البرقى، عن أبيه محمد بن خالد، عن أحمد بن النضر، عن محمد بن مروان، عن محمد بن السائب، عن أبى الصالح، عن عبد الله بن عباس فى قوله عزوجل: فَلَمَّا أفاق قَالَ سُبْحَانَكَ تُبتُ إِلَيْكَ وأنا أول الْمُؤْمِنِينَ، قال: يقول سُبْحَانَكَ تُبتُ إِلَيْكَ من أن أسألك الرؤية وأنا أول الْمُؤْمِنِينَ بأنك لا ترى.

قال محمد بن على بن الحسين مصنف هذا الكتاب رضى الله عنه:

إن موسى عليه السلام علم أن الله عز وجل لايجوز عليه الرؤية، وإنما سأل الله عز وجل أن يريه ينظر إليه عن قومه حين ألحوا عليه فى ذلك، فسأل موسى ربه ذلك من غير أن يستأذنه فقال: رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الْجَبَلِ فإن اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فى حال تزلزله فَسَوْفَ تَرَانِى، ومعناه إنك لا ترانى أبداً، لأن الجبل لايكون ساكناً متحركاً فى حال أبداً، وهذا مثل قوله عزوجل: وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ، ومعناه أنهم لا يدخلون الجنة أبداً، كما لايلج الجمل فى سم الخياط أبداً.

فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، أى ظهر للجبل بآية من آياته، وتلك الآية نور من الأنوار التى خلقها ألقى منها على ذلك الجبل جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً، من هول تزلزل ذلك الجبل على عظمه وكبره.

فَلَمَّا أفاق قَالَ سُبْحَانَكَ تُبتُ إِلَيْكَ، أى رجعت إلى معرفتى بك عادلاً عما حملنى عليه قومى من سؤالك الرؤية، ولم تكن هذه التوبة من ذنب لأن الأنبياء لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولم يكن الإستيذان قبل السؤال بواجب عليه، لكنه كان أدباً يستعمله ويأخذ به نفسه متى أراد أن يسأله، على أنه قد روى قوم أنه قد استأذن فى ذلك فأذن له، ليعلم قومه بذلك أن الرؤية لا تجوز على الله عزوجل.

وقوله: وأنا أول الْمُؤْمِنِينَ، يقول: وأنا أول المؤمنين من القوم الذين كانوا معه وسألوه أن يسأل ربه أن يريه ينظر إليه، بأنك لا ترى.

وجوب طاعة الأنبياء والأوصياء تستوجب عصمتهم

فى علل الشرائع للصدوق:۱/۱۲۳: (حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل(رض) قال: حدثنا على بن الحسين السعد آبادى، عن أحمد بن أبى عبد الله عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ابن أذينة، عن أبان بن أبى عياش، عن سليم بن قيس قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنما الطاعة لله عز وجل ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر بطاعة أولى الأمرلأنهم معصومون مطهرون لايأمرون بمعصيته).

وفى الخصال ص۱۳۹: (حدثنا أبى(رض)قال: حدثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن عمر بن أذينة. عن أبان بن أبى عياش، عن سليم بن قيس الهلالى قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: إحذروا على دينكم ثلاثة: رجلًا قرأ القرآن حتى إذا رأيت عليه بهجته، اخترط سيفه على جاره ورماه بالشرك!

فقلت: يا أمير المؤمنين أيهما أولى بالشرك؟ قال: الرامى.

ورجلًا استخفته الأحاديث، كلما أُحدثت أحدوثة كذب مدَّها بأطول منها!

ورجلًا آتاه الله عز وجل سلطاناً فزعم أن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله! وكذبَ لأنه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق، لاينبغى للمخلوق أن يكون حبه لمعصية الله، فلا طاعة فى معصيته ولا طاعة لمن عصى الله، إنما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر الله عز وجل بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر، لايأمر بمعصيته، وإنما أمر بطاعة أولى الأمر لأنهم معصومون مطهرون لايأمرون بمعصيته).

ضرورة بعثة الأنبياء تستوجب عصمتهم

فى الكافى:۱/۱۶۸عن الإمام الصادق عليه السلام قال:(إنا لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، لم يجز أن يشاهده خلقه ولايلامسوه فيباشرهم ويباشروه، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء فى خلقه،

یُعَبِّرون عنه إلی خلقه وعباده، ویدلونهم علی مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفی ترکه فناؤهم، فثبت الأمرون والناهون عن الحکیم العلیم فی خلقه والمعبِّرون عنه جلَّ وعز، وهم الأنبیاء علیهم السلام وصفوته من خلقه، حکماء مؤدبین بالحکمة، مبعوثین بها، غیر مشارکین للناس- علی مشارکتهم لهم فی الخلق والترکیب- فی شئ من أحوبالهم، مؤیدین من عند الحکیم العلیم بالحکمة. ثم ثبت ذلک فی کل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبیاء من الدلائل والبراهین لکی لاتخلو أرض الله من حجة، یکون معه عَلَم یدل علی صدق مقالته وجواز عدالته). انتهی.

وقال الوحید الخراسانی فی شرح هذا الحدیث فی منهاج الصالحین:۱/۶۴:

(ومعناه أن کل فعل وترک وحرکة وسکون یصدر من الإنسان، إما أن یکون نافعاً لدنیاه وآخرته، أو ضاراً، أو غیر نافع ولا ضار، وعلی کل الفروض یحتاج الإنسان إلی معرفة ما هو النافع وما هو الضار وما هو المصلح والمفسد لدنیاه وآخرته، وهذه المعرفة لا تتیسر إلا من عند من هو خبیر بالرابطة التی بین الأفعال والتروک وصلاح الإنسان وفساده، ومحیطٌ بتأثیر الحرکات والسکنات فی حیاة الإنسان فی الدنیا والآخرة، وإنما هو خالق الإنسان وخالق الدنیا والآخرة سبحانه. ولما کانت حکمته تعالی تستوجب أن یدل عباده علی ذلک، وکانت دلالته علیه بدون واسطة غیر ممکنة لتعالیه عن مباشرتهم ومخاطبتهم، فلا بد من سفراء مختارین (یدلونهم علی مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفی ترکه فناؤهم).

وهذا البرهان یمتاز من جهات عما برهن به الفلاسفة علی ضرورة النبوة، الذی اعتمد علی قاعدة أن الإنسان مدنی بالطبع فیحتاج إلی قوانین عادلة لمعاملاته وعلاقاته الاجتماعیة، فإن دلیلهم مختص بالحیاة الاجتماعیة علی الأرض، بینما دلیل الإمام علیه السلام یشمل عموم مصالح الإنسان ومضاره فی کل عوالم الوجود).

العصمة من أول صفات الإمام

فی الخصال ص۴۲۸: (حدثنا أحمد بن محمد بن الهیثم العجلی(رض)قال: حدثنا أحمد بن یحیی بن زکریا القطان قال: حدثنا بکر بن عبد الله بن حبیب قال: حدثنا تمیم بن بهلول قال: حدثنا أبو معاویة، عن سلیمان بن مهران، عن أبی عبدالله جعفر بن محمد علیهما السلام قال: عشر خصال من صفات الإمام: العصمة، والنصوص، وإن یکون أعلم الناس، وأتقاهم لله، وأعلمهم بکتاب الله، وإن یکون صاحب الوصیة الظاهرة، ویکون له المعجز والدلیل، وتنام عینه ولا ینام قلبه، ولا یکون له فیُّ، ویری من خلفه کما یری من بین یدیه).

احادیث نصت علی إمامة الأئمة الإثنی عشر و عصمتهم

فی أمالی الصدوق ص۵۷۴: (حدثنا أحمد بن زیاد بن جعفر الهمدانی رحمه الله قال:حدثنا علی بن إبراهیم بن هاشم قال: حدثنا جعفر بن سلمة الأهوازی قال: حدثنا إبراهیم بن محمد الثقفی، عن إبراهیم بن موسی بن أخت الواقدی قال: حدثنا أبو قتادة الحرانی، عن عبد الرحمن بن العلاء الحضرمی، عن سعید بن المسیب، عن ابن عباس قال: أن رسول الله صلی الله علیه وآله کان جالساً ذات یوم وعنده علیٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسینُ فقال: اللهم إنک تعلم أن هؤلاء أهل بیتی وأکرم الناس علیَّ فأحبب من أحبَّهم وأبغض من أبغضهم، ووال من والاهم وعاد من عاداهم، وأعن من أعانهم. واجعلهم مطهرین من کل رجس، معصومین من کل ذنب، وأیدهم بروح القدس.

ثم قال: یا علیُّ أنت إمام أمتی، وخلیفتی علیها بعدی، وأنت قائد المؤمنین إلی الجنة، وکأنی أنظر إلی ابنتی فاطمة قد أقبلت یوم القیامة علی نجیب من نور، عن یمینها سبعون ألف ملک، وعن یسارها سبعون ألف ملک، وبین یدیها سبعون ألف ملک، وخلفها سبعون ألف ملک، تقود مؤمنات أمتی إلی الجنة، فأیما امرأة صلت فی الیوم واللیلة خمس صلوات، وصامت شهر رمضان، وحجت بیت الله الحرام، وزکت مالها، وأطاعت زوجها، ووالت علیاً بعدی، دخلت الجنة بشفاعة ابنتی فاطمة، وإنها لسیدة نساء العالمین.

فقيل له: يا رسول الله أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال النبي: ذاك لمريم بنت عمران، فأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والإخرين، وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة (إِنَّ اللَه اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. ثم التفت إلى عليٍّ فقال: يا عليُّ، أن فاطمة بضعة منى، وهي نور عيني، وثمرة فؤادي، يسوءني ما ساءها، ويسرني ما سرها، وإنها أول من يلحقني من أهل بيتي فأحسن إليها بعدي.

وأما الحسن والحسين فهما ابناي وريحانتاي، وهما سيدا شباب أهل الجنة، فليكرما عليك كسمعك وبصرك. ثم رفع يده إلى السماء، فقال: اللهم إني أشهدك أني محب لمن أحبهم، ومبغض لمن أبغضهم، وسلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم، وعدو لمن عاداهم، وولي لمن والأهم).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام:۲/۶۵: (حدثنا علي بن عبد الله الوراق الرازي قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا الهيثم بن أبي مسروق النهدي، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباته، عن عبدالله بن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا وعليٌّ والحسنُ والحسينُ وتسعةٌ وُلْدِ الحسين، مطهرون معصومون). (ورواه أيضاً في كمال الدين ص ۲۸۰، وفي كفاية الأثر ص۱۹).

وفي دلائل الإمامة للطبري الشيعي ص۵۰۶: (أخبرني أبو القاسم عبد الباقي بن يزداد بن عبد الله البزاز قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد الثعالبي قراءة في يوم الجمعة مستهل رجب سنة سبعين وثلاثمائة، قال: أخبرنا أبو علي أحمد بن محمد بن يحيى العطار، عن سعد بن عبد الله بن أبي خلف القمي، من حديث طويل، قال:

كنت أمرءً لَهِجاً بجمع الكتب المشتملة على غوامض العلوم ودقائقها، كَلِفاَ باستظهار ما يصح من حقائقها، مغرماً بحفظ مشتبهها ومستغلقها، شحيحاً على ما أظفر به من معاضلها ومشكلاتها، ومتعصباً لمذهب الإمامية، راغباً عن الأمن والسلامة في انتظار التنازع والتخاصم، والتعدي إلى التباغض والتشاتم، معيباً للفرق ذوي الخلاف، كشافاً عن مثالب أئمتهم، هتاكاً لحجب قادتهم.

إلى أن بليت بأشد النواصب منازعة، وأطولهم مخاصمة، وأكثرهم جدالاً، وأقشعهم سؤالاً، وأثبتهم على الباطل قدماً. فقال ذات يوم وأنا أناظره:

تباً لك يا سعد ولأصحابك، إنكم معشر الرافضة تقصدون على المهاجرين والأنصار بالطعن عليهما....

وكنت قد اتخذت طوماراً، وأثبت فيه نيفا وأربعين مسألة من صعاب المسائل التي لم أجد لها مجيباً، على أن أسأل عنها خير أهل بلدي أحمد بن إسحاق صاحب مولانا أبي محمد عليه السلام فارتحلت خلفه، وقد كان خرج قاصداً نحو م ولأى بسر من رأى، فلحقته في بعض المناهل، فلما تصافحنا قال: لخير لحاقك بي؟ قلت: الشوق، ثم العادة في الأسئلة. قال: قد تكافأنا على هذه الخطة الواحدة، فقد برح بي الشوق إلى لقاء مولانا أبي محمد عليه السلام، وأريد أن أسأله عن معاضل في التأويل ومشاكل من التنزيل، فدونكها الصحبة المباركة، فإنها تقف بك على ضفة بحر لاتنقضي عجائبه، ولا تفني غرائبه، وهو إمامنا.

فوردنا سر من رأى فانتهينا منها إلى باب سيدنا عليه السلام، فاستأذنا فخرج إلينا الإذن بالدخول عليه، وكان على عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطاه بكساء طبري، فيه ستون ومائة صرة من الدنانير والدارهم، على كل صرة ختم صاحبها.

قال سعد: فما شبهت مولانا أبا محمد عليه السلام حين غشينا نور وجهه إلا ببدر قد استوفى من لياليه أربعاً بعد عشر، وعلى فخذه الأيمن غلام يناسب المشتري في الخلقة والمنظر، على رأسه فرق بين وفرتين، كأنه ألف بين واوين، وبين يدى مولانا عليه السلام رمانة ذهبية تلمع بدائع نقوشها وسط غرائب الفصوص المركبة عليها، قد كان أهداها إليه بعض رؤساء أهل البصرة، وبيده قلم، إذا أراد أن يسطر به على البياض قبض الغلام على أصابعه، وكان مولانا عليه السلام يدحرج الرمانة بين يديه ويشغله بردها لئلا يصده عن كتبة ما أراد، فسلَّمنا عليه فألطف في الجواب، وأومأ إلينا بالجلوس، فلما فرغ من كتابة البياض الذي كان بيده، أخرج أحمد بن إسحاق جرابه من طيِّ كسائه، فوضعه بين يدى مولانا فنظر أبو محمد عليه السلام إلى الغلام وقال: يا بني، فض الخاتم عن هدايا شيعتك

ومواليك.

فقال: يا م ولأى، أيجوز لى أن أمد يداً طاهرة إلى هدايا نجسة، وأموال رجسة قد شيب أحلها بأحرمها؟!

فقال مولانا عليه السلام: يا بن إسحاق، استخرج ما فى الجراب ليميز بين الأحل منها والأحرم. فأول صرة بدأ أحمد بإخراجها قال الغلام: هذه لفلأن بن فلأن من محلة كذا بقم، تشتمل على اثنين وستين ديناراً، فيها من ثمن حجرة باعها وكانت إرثاً له من أبيه خمسة وأربعون ديناراً، ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشر ديناراً، وفيها من أجرة الحوانيت ثلاثة دنانير.

فقال مولانا عليه السلام: صدقت يا بنى، دُلَّ الرجل على الحرام منها....

قال أحمد (رواى الحديث عن سعد): وكان ذلك الثوب فى حقيبة لى فنسيته. فلما انصرف أحمد بن إسحاق ليأتيه بالثوب نظر إلى مولانا أبو محمد عليه السلام فقال: ما جاء بك يا سعد؟ فقلت: شوقنى أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا. فقال: والمسائل التى أردت أن تسأله عنها؟ قلت: على حالتها يا مولاى. فقال: سل قرة عينى، وأومأ إلى الغلام، عما بدا لك منها.

فقلت: مولانا وابن مولانا، أنا روينا عنكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل طلاق نسائه بيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه حتى أرسل يوم الجمل إلى عائشة ": إنك قد أرهجت على الإسلام وأهله بفتنتك، وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك، فإن كففت عنى غربك وإلا طلقتك. "ونساء رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان طلاقهن بوفاته؟!

قال عليه السلام: ما الطلاق؟ قلت: تخلية السبيل. قال:فإذا كنَّ بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قد خُلِّيَ سبيلهنَّ، فلِمَ لايحلُّ لهنَّ الأزواج؟ قلت: لأن الله حرم الأزواج عليهن قال: كيف وقد خلَّى الموت سبيلهن؟ قلت فأخبرنى يا بن م ولأى عن معنى الطلاق الذى فوض رسول الله صلى الله عليه وآله حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال: إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبى صلى الله عليه وآله فخصهن بشرف الأمهات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن، إن هذا الشرف باق لهن ما دُمْنَ لله على الطاعة، فأيتهن عصت الله بعدى بالخروج عليك، فأطلق لها فى الأزواج وأسقطها من شرف الأمهات ومن شرف أمومة المؤمنين.....

قلت: فأخبرنى يا م ولأى عن العلة التى تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم؟ قال: مصلحٌ أو مفسد؟ قلت: مصلح. قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على الفساد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟

قلت: بلى. قال: فهى العلة أوردها لك ببرهان ينقاد له عقلك: أخبرنى عن الرسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم علمه، وأيدهم بالوحى والعصمة، إذ هم أعلام الأمم، وأهدى إلى الإختيار منهم، مثل موسى وعيسى عليهما السلام، هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما، إذا هما بالإختيار أن تقع خيرتهما على المنافق، وهما يظنان أنه مؤمن؟ قلت: لا.

قال عليه السلام: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه، اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلًا، ممن لم يشك فى إيمانهم وإخلاصهم، فوقعت خيرته على المنافقين، قال الله عز وجل: وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رجلًا لِمِيقَاتِنَا، وقوله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ، فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله لنبوته، واقعاً على الأفسد دون الأصلح، وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد، علمنا أن لا اختيار إلا لمن يعلم ما تخفى الصدور وتُكنُّ الضمائر، وتنصرف عليه السرائر، وإن لاخطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء عليهم السلام...). انتهى.

كتاب كفاية الأثر فى النصوص على الأئمة الإثنى عشر

وهو كتاب جليل جمع فيه مؤلفه الخزاز القمى رحمه الله وهو من علماء القرن الرابع، الأحاديث النبوية على إمامة الأئمة الإثنى عشر عليهم السلام عن ثلاثين صحابياً من طرق غير أهل البيت عليهم السلام. وقد اقترحنا على بعض الفضلاء تحقيقه وتخريج أحاديثه، وسيصدر فى مجلدات إن شاء الله، وهذه بعض أحاديثه فى عصمتهم عليهم السلام:

فى كفاية الأثرص ٢٩: (حدثنا على بن الحسين، قال حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن البرقوى(رض)، قال حدثنا القاضى أبو إسماعيل جعفر بن الحسين البلخى، قال حدثنا شقيق البلخى، عن سماك، عن زيد بن أسلم، عن أبى هرون العبدى، عن سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

أهل بيتى أمانٌ لأهل الأرض كما أن النجوم أمانٌ لأهل السماء.

قيل: يارسول الله فالأئمة بعدك من أهل بيتك؟ قال: نعم الأئمة بعدى اثنا عشر تسعةً من صلب الحسين، أمناء معصومون. ومنا مهدى هذه الأئمة، إلا إنهم أهل بيتى وعترتى من لحمى ودمى، ما بال أقوام يؤذوننى فيهم، لا أنالهم الله شفاعتى).

وفى كفاية الأثر: ص٣٥: (حدثنا أبو المفضل محمد بن عبد الله الشيبانى رحمه الله، قال حدثنا محمد بن رياح الأشجعى، قال حدثنا محمد بن غالب بن الحارث، قال حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلى، قال حدثنا عبد الكريم، عن أبى الحسن، عن أبى الحرث، عن أبى ذر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحبنى وأهل بيتى كنا نحن وهو كهاتين- وأشار بالسبابة والوسطى- ثم قال: أخى خير الأوصياء، وسبطى خير الأسباط، وسوف يخرج الله تبارك وتعالى من صلب الحسين أئمة أبراراً، ومنا مهدى هذه الأمة.

قلت: يارسول الله وكم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نقباء بنى إسرائيل.

حدثنا القاضى أبو الفرج المعافا بن زكريا البغدادى، قال حدثنى محمد بن همام بن سهيل الكاتب، قال حدثنى محمد بن معافا السلماسى، عن محمد بن عامر، قال حدثنا عبدالله بن زاهر، عن عبد العدوس، عن الأعمش، عن حبش بن المعتمر قال: قال أبو ذر الغفارى رحمة الله عليه: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فى مرضه الذى توفى فيه، فقال: يا أبا ذر إيتنى بابنتى فاطمة. قال: فقمت ودخلت عليها وقلت: يا سيدة النسوان أجيبى أباك. قال: فلبت منحلها وأبرزت وخرجت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وآله انكبت عليه وبكت وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها وضمها إليه، ثم قال: يا فاطمة لا تبكين فداك أبوك، فأنت أول من تلحقين بى مظلومة مغصوبة، وسوف يظهر بعدى حسيكة النفاق وسمل حلباب الدين، وأنت أول من يرد على الحوض.

قالت: ياأَبَهْ أين ألقاك؟ قال: تلقينى عند الحوض وأنا أسقى شيعتك ومحبيك وأطرد أعداك ومبغضيك. قالت: يا رسول الله فإن لم ألقك عند الحوض؟ قال تلقينى عند الميزان. قالت: يا أَبَهْ وإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: تلقينى عند الصراط وأنا أقول: سلِّمْ سلِّمْ شيعة على.

قال أبو ذر: فسكن قلبها ثم التفت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا أبا ذر أنها بضعة منى فمن آذاها فقد آذانى، إلا أنها سيدة نساء العالمين، وبعلها سيد الوصيين، وابنيها الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإنهما إمامان أن قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما، وسوف يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمه معصومون قوامون بالقسط، ومنا مهدى هذه الأمة. قال قلت: يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نقباء بنى اسرائيل.

وفى كفاية الأثر: ص٤٤: (حدثنا على بن الحسين بن محمد قال:حدثنا هارون بن موسى(رض)قال: أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا محمد بن عامر بن السائب الثقفى، عن أبيه، عن سلمان الفارسى رحمة الله عليه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده الحسن والحسين يتغديان والنبى صلى الله عليه وآله يضع اللقمة تارة فى فم الحسن وتارة فى فم الحسين، فلما فرغا من الطعام أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن على عاتقه والحسين على فخذه، ثم قال: يا سلمان أتحبهم؟ قلت: يا رسول الله كيف لا أحبهم ومكانهم منك مكانهم؟ قال: يا سلمان من أحبهم فقد أحبنى، ومن أحبنى فقد أحب الله. ثم وضع يده على كتف الحسين عليه السلام فقال: أنه الإمام ابن الإمام، تسعة من صلبه أئمة أبرار، أمناء، معصومون، والتاسع قائمهم).

وفى كفاية الأثر: ص٧٣: (حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عياش الجوهرى قال: حدثنا محمد بن أحمد الصفوانى قال:حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحمصى قال: حدثنا بن حماد، عن أنس بن سيرين، عن

أنس بن مالک، قال: صلی بنا رسول الله صلی الله علیه وآله صلاة الفجر، ثم أقبل علینا فقال: معاشر أصحابی من أحب أهل بیتی حشر معنا، ومن استمسک بأوصیائی من بعدی فقد استمسک بالعروة الوثقی.

فقام إلیه أبو ذر الغفاری فقال: یا رسول الله کم الأئمة بعدک؟ قال: عدد نقباء بنی إسرائیل، فقال: کلهم من أهل بیتک؟ قال: کلهم من أهل بیتی، تسعة من صلب الحسین، والمهدی منهم.

حدثنا محمد بن عبد الله الشیبانی رحمه الله قال: حدثنا رجا بن یحیی العرآنی الکاتب قال: حدثنا یعقوب بن إسحق عن محمد بن بشارقال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة، عن هشام بن زید، عن أنس بن مالک قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: لما عرج بی إلی السماء رأیت علی ساق العرش مکتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله أیدته بعلی ونصرته. ورأیت اثنی عشر إسماً مکتوباً بالنور فیهم علی بن أبی طالب وسبطی وبعدهما تسعة أسماء علیاً علیاً ثلاث مرات، ومحمد ومحمد مرتین، وجعفر وموسی والحسن، والحجة یتلألأ من بینهم، فقلت: یا رب أسامی من هؤلاء؟ فنادانی ربی جل جلاله: هم الأوصیاء من ذریتک، بهم أثیب وأعاقب).

وفی کفایة الأثر ص۷۵: وعنه قال: حدثنا أبو مزاحم موسی بن عبد الله بن یحیی بن خاقان المقرئ ببغداد قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن الفضل بن ربیع أبو العباس مولی بنی هاشم قال: حدثنی عثمان بن أبی شیبة فی مسند أنس. قال: حدثنا یزید بن هارون قال حدثنا عبد الله ابن عوف، عن أنس بن سیرین، عن أنس بن مالک قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله قال: أوصیاء الأنبیاءالذین بعدهم بقضاء دیونهم وإنجاز عداتهم ویقاتلون علی سنتهم. ثم التفت إلی علی علیه السلام فقال: أنت وصیی وأخی فی الدنیا والآخرة تقضی دینی وتنجز عداتی، وتقاتل علی سنتی، تقاتل علی التأویل کما قاتلت علی التنزیل، فأنا خیر الأنبیاءوأنت خیر الأوصیاء وسبطای خیر الأسباط، ومن صلبهما یخرج الأئمة التسعة، مطهرون معصومون قوامون بالقسط، والأئمة بعدی علی عدد نقباء بنی إسرائیل وحواری عیسی. هم عترتی من لحمی ودمی.

وفی کفایة الأثر ص۹۸: (حدثنا الحسین بن علی الرازی قال: حدثنی إسحاق بن محمد بن خالویه قال: حدثنی یزید بن سلیمان البصری قال: حدثنی شریک، عن الرکین بن الربیع، عن القإسم بن حسان، عن زید بن ثابت قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: معاشر الناس ألا أدلکم علی خیر الناس جداً وجدة؟ قلنا: بلی یا رسول الله، قال: الحسن والحسین، أنا جدهما، وجدتهما خدیجة سیدة نساء أهل الجنة.

ألا أدلکم علی خیر الناس أبا وأما؟ قلنا: بلی یا رسول الله، قال: الحسن والحسین أبوهما علی بن أبی طالب، وأمهما فاطمة سیدة نساء العالمین.

ألا أدلکم علی خیر الناس عماً وعمة؟ قلنا: بلی یارسول الله، قال: الحسن والحسین عمهما جعفر بن أبی طالب، وعمتهما أم هانی بنت أبی طالب.

أیها الناس إلا أدلکم علی خیر الناس خالاً وخالة؟ قلنا: بلی یا رسول الله، قال: الحسن والحسین، خالهما القإسم بن رسول الله، وخالتهما زینب بنت رسول الله.

ثم قال: علی قاتلهما لعنة الله والملائکة والناس أجمعین، وإنه لیخرج من صلب الحسین أئمة أبرار أمناء معصومون قوامون بالقسط، ومنا مهدی هذه الأمة الذی یصلی عیسی بن مریم خلفه. قلنا: من یا رسول الله؟ قال: هو التاسع من صلب الحسین، تسعة من صلب الحسین أئمة أبرار والتاسع مهدیهم یملأ الأرض قسطاً وعدلاً کما ملئت جوراً وظلماً).

وفی کفایة الأثر: ص۱۰۰: (حدثنا أبو عبد الله الحسین بن محمد بن سعید الخزاعی قال: حدثنا أبو الحسین محمد بن عبد الله الکوفی الأسدی قال: حدثنی محمد بن إسمعیل البرمکی قال: حدثنی مندل بن علی، عن أبی نعیم عن محمد بن زیاد، عن زید بن أرقم قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول لعلی علیه السلام: أنت الإمام والخلیفة بعدی، وابناک سبطای وهما سیدا شباب أهل الجنة، وتسعة من صلب الحسین أئمة معصومون، ومنهم قائمنا أهل البیت. ثم قال:

يا على، ليس فى القيامة راكب غيرنا، ونحن أربعة. فقام إليه رجل من الأنصار، فقال: فداك أبى وأمى يا رسول الله ومن هم؟ قال: أنا على دابة الله البراق، وأخى صالح على ناقته التى عقرت، وعمى حمزة على ناقتى العضباء، وأخى على على ناقة من نوق الجنة، وبيده لواء الحمد، ينادى لا إله إلا الله محمد رسول الله، فيقول الآدميون: ما هذا إلا ملك مقرب أو نبى مرسل أو حامل عرش، فيجيبهم ملك من بطنان العرش: يا معشر الآدميين، ليس هذا ملك مقرب، ولا نبى مرسل، ولا حامل عرش، هذا الصديق الأكبر على بن أبى طالب).

وفى كفاية الأثر ص ١١٠: (حدثنا على بن الحسن بن محمد قال:حدثنا هرون بن موسى قال: حدثنا جعفر بن على بن سهل الدقاق الدورى قال:حدثنا على بن الحارث المروزى قال: حدثنا أيوب بن عاصم الهمذانى قال:حدثنا حفص بن غياث، عن يزيد بن مكحول، عن واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لما عرج بى إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى نادانى ربى جل جلاله فقال: يا محمد. فقلت: لبيك سيدى. قال: انى ما أرسلت نبياً فانقضت أيامه إلا أقام بالأمر بعده وصيه، فاجعل على بن أبى طالب الإمام والوصى من بعدك، فإنى خلقتكما من نور واحد، وخلقت الأئمة الراشدين من أنوار كما، أتحب أن تراهم يا محمد؟ قلت: نعم يا رب. قال: إرفع رأسك. فرفعت رأسى فإذا أنا بأنوار الأئمة بعدى اثنا عشر نوراً، قلت: يا رب أنوار من هى؟ قال: أنوار الأئمة بعدك أمناء معصومون.

وفى كفاية الأثر ص١١٣: (أخبرنا أبو المفضل الشيبانى قال:حدثنى حيدر بن محمد بن نعيم السمرقندى قال: حدثنا محمد بن مسعود، عن يوسف بن السخت، عن سفيان الثورى، عن موسى بن عبيدة أياس بن مسلمة بن الأكوع، عن أبى أيوب الأنصارى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أناسيد الأنبياء، وعلىٌّ سيد الأوصياء، وسبطاى خير الأسباط، ومنا الأئمة المعصومون من صلب الحسين، ومنا مهدى هذه الأمة. فقام إليه أعرابى فقال: يارسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال:عدد الأسباط وحوارى عيسى ونقباء بنى إسرائيل).

وفى كفاية الأثر ص١٢۴: (حدثنى على بن الحسن بن محمد قال: حدثنا هارون بن موسى قال: حدثنى محمد بن على بن معمر قال: حدثنى عبد الله بن معبد قال: حدثنا موسى بن إبراهيم الممتع قال: حدثنى عبد الكريم بن هلال، عن أسلم، عن أبى الطفيل، عن عمار قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة دعا بعلى عليه السلام، فسارَّهُ طويلاً ـ ثم قال: يا على أنت وصيى ووارثى قد أعطاك الله علمى وفهمى، فإذا متُّ ظهرت لك ضغائن فى صدور قوم وغصبٌ على حقد. فبكت فاطمة عليها السلام وبكى الحسن والحسين، فقال لفاطمة: يا سيدة النسوان مم بكاؤك؟ قالت: يا أبة أخشى الضيعة بعدك. قال: أبشرى يا فاطمة فإنك أول من يلحقنى من أهل بيتى، ولاتبكى ولاتحزنى فإنك سيدة نساء أهل الجنة، وأباك سيد الأنبياء، وابن عمك خير الأوصياء، وابناك سيدا شباب أهل الجنة، ومن صلب الحسين يخرج الله الأئمة التسعة مطهرون معصومون، ومنا مهدى هذه الأمة. ثم التفت إلى على عليه السلام فقال:

يا على لا ـيلى غسلى وتكفينى غيرك. فقال على عليه السلام: يا رسول الله من يناولنى الماء فإنك رجل ثقيل لا أستطيع أن أقلبك. فقال: أن جبرئيل معك والفضل يناولك الماء وليغطى عينيه فإنه لا يرى أحد عورتى إلا انفقأت عيناه.

قال: فلما مات رسول الله صلى الله عليه وآله كان الفضل يناوله الماء وجبرئيل يعاونه، فلما أن غسله وكفنه أتاه العباس فقال:ياعلى أن الناس قد أجمعوا أن يدفن النبى صلى الله عليه وآله بالبقيع وإن يؤمهم رجل واحد، فخرج علىٌّ إلى الناس فقال: أيها الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إمامنا حياً وميتاً، وهل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن من جعل القبور مصلى، ولعن من جعل مع الله إلهاً آخر، ولعن من كسر رباعيته وشق لثته.

قال فقالوا: الأمر اليك فاصنع ما رأيت. قال: فإنى أدفن رسول الله صلى الله عليه وآله فى البقعة التى قبض فيها. قال: ثم قام على الباب فصلى عليه، وأمر الناس عشراً عشراً يصلون عليه ثم يخرجون).

وفى كفاية الأثر ص١٣٢: (أخبرنا محمد بن عبد الله بن المطلب، قال حدثنا أبو أسيد أحمد بن محمد بن أسيد المدينى بأصبهان، قال

حدثنا عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر، عن عبد الوهاب بن عيسى المروزى، قال حدثنا الحسين بن على بن محمد البلوى، قال حدثنا عبد الله بن سحح، عن على بن هاشم، عن على بن خرور، عن الأصبغ بن نباتة، قال سمعت عمران بن حصين، يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلى: أنت وارث علمى وأنت الإمام والخليفة بعدى، تعلِّم الناس بعدى ما لا يعلمون، وأنت أبو سبطيَّ وزوج ابنتى، من ذريتكم العترة الأئمة المعصومون. فسأله سلمان عن الأئمة، فقال: عدد نقباء بنى إسرائيل). (حدثنا على بن محمد بن الحسن، قال حدثنا هارون بن موسى قال: حدثنا حيدر بن نعيم السمرقندى قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهرى قال:حدثنا العباس بن بكار الضبى قال: حدثنا أبو بكر الهذلى، عن أبى عبد الله الشامى، عن عمران بن حصين، وذكر نحوه).

وفى كفاية الأثر ص۱۳۴: (حدثنا محمد بن وهبان بن محمد البصرى قال: حدثنا الحسين بن على البزوفرى قال: حدثنى عبد العزيز بن يحيى الجلودى بالبصرة قال: حدثنى محمد بن زكريا، عن أحمد بن عيسى بن زيد قال: حدثنى عمر بن عبد الغفار، عن أبى بصير، عن حكيم بن جبير، عن على بن زيد بن جذعان، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن مالك أن النبى صلى الله عليه وآله قال: يا على أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى، تقضى دينى وتنجز عداتى، وتقاتل بعدى على التأويل كما قاتلت على التنزيل. يا على حبك إيمان وبغضك نفاق، ولقد نبأنى اللطيف الخبير أنه يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومون مطهرون، ومنهم مهدى هذه الأمة الذى يقوم بالدين فى آخر الزمان كما قمت فى أوله).

وفى كفاية الأثرص۱۵۱: (أخبرنا القاضى المعافا بن زكريا قال: حدثنا على بن عتبة قال: حدثنى الحسين بن علوان، عن أبى على الخراسانى، عن معروف بن خربوذ، عن أبى الطفيل، عن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت الوصى على الأموات من أهل بيتى، والخليفة على الأحياء من أمتى، حربك حربى وسلمك سلمى، أنت الإمام أبو الأئمة الأحد عشر، من صلبك أئمة مطهرون معصومون، ومنهم المهدى الذى يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً، فالويل لمبغضكم. يا عليُّ لو أن رجلاً أحب فى الله حجراً لحشره الله معه وإن محبيك وشيعتك ومحبى أولادك الأئمة بعدك يحشرون معك. وأنت معى فى الدرجات العلى، وأنت قسيم الجنة والنار، يدخل محبيك الجنة ومبغضيك النار).

وفى كفاية الأثر ص ۱۸۰: (حدثنا على بن الحسن بن محمد بن مندة قال: حدثنا أبو الحسين زيد بن جعفر بن محمد بن الحسين الخزاز بالكوفة فى سنة سبع وسبعين وثلثمائة قال: حدثنا العباس بن العباس الجوهرى ببغداد فى دار عميرة قال: حدثنى عفان بن مسلم قال: حدثنى حماد بن سلمة، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن سداد بن أوس، قال: لما كان يوم الجمل قلت: لا أكون مع على ولا أكون عليه، وتوقفت عن القتال إلى انتصاف النهار فلما كان قرب الليل ألقى الله فى قلبى أن أقاتل مع على، فقاتلت معه حتى كان من أمره ما كان.

ثم إنى أتيت المدينة فدخلت على أم سلمة، قالت: من أين أقبلت؟ قلت: من البصرة. قالت: مع أى الفريقين كنت؟ قلت: يا أم المؤمنين إنى توقفت عن القتال إلى انتصاف النهار وألقى الله عز وجل أن أقاتل مع على.

قالت: نعم ما عملت، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من حارب علياً فقد حاربنى، ومن حاربنى فقد حارب الله! قلت: فترين أن الحق مع على؟ قالت: أى والله، عليٌّ مع الحق والحق معه، والله ما أنصف أمة محمد نبيهم إذ قدموا من أخره الله عز وجل ورسوله، وأخروا من قدمه الله تعالى ورسوله، وأنهم صانوا حلائلهم فى بيوتهم وأبرزوا حليلة رسول الله صلى الله عليه وآله الى الفناء! والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لأمتى فرقة وجعلة (وجمعة) فجامعوها إذا اجتمعت، وإذا افترقت فكونوا من النمط الأوسط، ثم ارقبوا أهل بيتى فإن حاربوا فحاربوا، وإن سالموا فسالموا، وإن زالوا فزالوا معهم، فإن الحق معهم حيث كانوا.

قلت: فمَن أهل بيته؟ قالت: أهل بيته الذين أمرنا بالتمسك بهم، قالت: هم الأئمة بعده كما قال: عدد نقباء بنى إسرائيل: عليٌّ وسبطاه، وتسعةٌ من صلب الحسين، هم أهل بيته، هم المطهرون، والأئمة المعصومون.

قلت أنا: لله هلكك الناس إذا! قالت: كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ).

وفى كفاية الأثر: ص١٨٥: (أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن العياشئ قال: حدثنى جدى عبيدالله بن الحسن، عن أحمد بن عبد الجبار، قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن المخزومى قال: حدثنا عمر بن حماد قال: حدثنا على بن هاشم البريد، عن أبيه قال: حدثنى أبو سعيد التميمى، عن أبى ثابت مولى أبى ذر، عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسرى بى إلى السماء نظرت فإذا مكتوب على العرش " لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلى ونصرته بعلى، " ورأيت أنوار على وفاطمة والحسن والحسين وأنوار على بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلى بن موسى ومحمد بن على وعلى بن محمد والحسن بن على، ورأيت نور الحجة يتلألأ من بينهم كأنه كوكب درى، فقلت: يا رب من هذا ومن هؤلاء؟ فنوديت: يا محمد هذا نور على وفاطمة، وهذا نور سبطيك الحسن والحسين، وهذه أنوار الأئمة بعدك من ولد الحسين مطهرون معصومون، وهذا الحجة يملأ الدنيا قسطاً وعدلا.

وهذه أم سلمة روى عنها شداد بن أوس والحكم بن قيس وأبو الأسود وأبو ثابت مولى أبى ذر رحمة الله عليه).

وفى كفاية الأثرص٣٠١: (حدثنا أبو المفضل رحمه الله قال: حدثنى محمد بن على بن شاذان بن حباب الأزدى الخلال بالكوفة قال: حدثنى الحسن بن محمد بن عبد الواحد قال: حدثنا الحسن ثم الحسين العربى الصوفى قال: حدثنى يحيى بن يعلى الأسلمى، عن عمرو بن موسى الوجيهى، عن زيد بن على عليه السلام قال: كنت عند أبى على بن الحسين عليه السلام إذ دخل عليه جابر بن عبد الله الأنصارى، فبينما هو يحدثه إذ خرج أخى محمد من بعض الحجر، فأشخص جابر ببصره نحوه ثم قام إليه فقال: يا غلام أقبل فأقبل ثم قال: ادبر فأدبر، فقال: شمائل كشمائل رسول الله صلى الله عليه وآله ما اسمك يا غلام؟ قال: محمد. قال: ابن من؟ قال: ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، قال: أنت إذاً الباقر. قال فأكبى عليه وقبل رأسه ويديه ثم قال: يا محمد إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام. قال: على رسول الله أفضل السلام وعليك يا جابر بما أبلغت السلام. ثم عاد إلى مصلاه، فأقبل يحدث أبى ويقول: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لى يوماً: يا جابر إذا أدركت ولدى الباقر فاقرأه منى السلام، فإنه سمِّى وأشبه الناس بى، علمه علمى وحكمه حكمى، سبعة من ولده أمناء معصومون أئمة أبرار، والسابع مهديهم الذى يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)

وفى كفاية الأثر ص٣٠٣: (حدثنى أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سعيد بن على الخزاعى قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بالكوفة قال: حدثنى جعفر بن على بن سحلح الكندى قال: حدثنى إبراهيم بن محمد بن ميمون قال: حدثنى المسعودى أبو عبد الرحمان، عن محمد بن على الفرارى، عن أبى خالد الواسطى، عن زيد بن على عليه السلام، قال حدثنى أبى على بن الحسين، عن أبيه الحسين ابن على، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حسين أنت الإمام وأخ الإمام وابن الإمام. تسعة من ولدك أمناء معصومون والتاسع مهديهم، فطوبى لمن أحبهم، والويل لمن أبغضهم).

وفى كفاية الأثرص٢٦١:(عن أبى عبدالله عليه السلام:أن قائمنا يخرج من صلب الحسين والحسين، يخرج من صلب على، وعلى يخرج من صلب محمد، ومحمد يخرج من صلب على، وعلى يخرج من صلب ابنى هذا، وأشار إلى موسى بن جعفر، وهذا خرج من صلبى. نحن اثنا عشر، كلنا معصومون مطهرون).

وفى أمالى الصدوق ص٦٧٩:(حدثنا أحمد بن على بن إبراهيم بن هاشم(رض)قال: حدثنا أبى، عن أبيه، عن محمد بن على التميمى قال: حدثنى سيدى على بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن النبى(صلى الله عليه وآله) أنه قال: من سره أن ينظر إلى القضيب الأحمر الذى غرسه الله بيده، ويكون متمسكاً به، فليتول علياً والأئمة من ولده فإنهم خيرة الله عز وجل وصفوته، وهم المعصومون من كل ذنب وخطيئة). (ورواه فى عيون أخبار الرضا عليه السلام:١/ ٦٢٩).

العصمة التامة هى الوسطية بين الغلو والتقصير

في الكافي:١/٢٦٩: (محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن البرقي، عن أبي طالب، عن سدير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أن قوماً يزعمون أنكم آلهة، يتلون بذلك علينا قرآناً: وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إله وَفِي الأرض إِلَهٌ! فقال: ياسدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولاعلى دين آبائي! والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم! قال قلت: وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل، يقرؤون علينا بذلك قرآنا: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صالحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ! فقال: ياسدير سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم! قال: قلت: فما أنتم؟

قال: نحن خُزَّانُ علم الله، نحن تَراجمة أمر الله، نحن قومٌ معصومون أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء و فوق الأرض).

وفي علل الشرائع للصدوق:١/١٧٣: (حدثنا أبو علي أحمد بن يحيى المكتب قال حدثنا أحمد بن محمد الوراق قال حدثنا بشر بن سعيد بن قلبويه المعدل بالرافقه قال حدثنا عبد الجبار بن كثير التميمي اليماني قال سمعت محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة يقول: سألت جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له يا ابن رسول الله في نفسي مسألة أريد أن أسألك عنها فقال: إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني وإن شئت فسل، قال: قلت له يا ابن رسول الله وبأي شئ تعرف ما في نفسي قبل سؤالي؟ فقال بالتوسم والتفرس، أما سمعت قول الله عز وجل(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) وقول رسول الله صلى الله عليه وآله اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، قال: فقلت له يا ابن رسول الله فأخبرني بمسألتي قال: أردت أن تسألني عن رسول الله صلى الله عليه وآله لمَ لم يطق حمله علي عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدته وما ظهر منه في قلع باب القموص بخيبر والرمي به إلى ورائه أربعين ذراعاً، وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يركب الناقة والفرس والحمار، وركب البراق ليلة المعراج وكل ذلك دون علي في القوة والشدة؟ قال فقلت له: عن هذا والله أردت أن أسألك يا ابن رسول الله، فأخبرني؟ فقال:

إن علياً عليه السلام برسول الله تشرَّف وبه ارتفع، وبه وصل إلى أن أطفأ نار الشرك، وأبطل كل معبود من دون الله عز وجل، ولو علاه النبي عليهما السلام لحطِّ الأصنام لكان عليه السلام بعلي مرتفعاً وتشريفاً وواصلاً إلى حط الأصنام، ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه، ألا ترى أن علياً عليه السلام قال: لما علوت ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنلتها، أما علمت أن المصباح هو الذي يهتدى به في الظلمة، وانبعاث فرعه من أصله، وقد قال علي عليه السلام أنا من أحمد كالضوء من الضوء، أما علمت أن محمداً وعلياً صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله عز وجل قبل خلق الخلق بألفي عام، وإن الملائكة لما رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد تشعب منه شعاع لامع فقالت: إلهنا وسيدنا ماهذا النور؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم هذا نور من نوري أصله نبوة وفرعه إمامة، أما النبوة فلمحمد عبدي ورسولي وأما الإمامة فلعلي حجتي ووليي، ولولاهما ما خلقت خلقي! أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله رفع يد علي عليه السلام بغدير خم حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما فجعله مولى المسلمين وإمامهم، وقد احتمل الحسن والحسين عليهما السلام يوم حظيرة بني النجار، فلما قال له بعض أصحابه ناولني أحدهما يارسول الله قال: نعم الراكبان وأبوهما خير منهما، وأنه كان يصلي بأصحابه فأطال سجدة من سجداته فلما سلم قيل له يارسول الله لقد أطلت هذه السجدة فقال صلى الله عليه وآله لأن ابني ارتحلني فكرهت أن أعاجله حتى ينزل، وإنما أراد بذلك رفعهم وتشريفهم، فالنبي صلى الله عليه وآله إمام ونبي وعلي عليه السلام إمام ليس بنبي ولا رسول، فهو غير مطيق لحمل أثقال النبوة.

قال محمد بن حرب الهلالي: فقلت له زدني يا ابن رسول الله فقال: إنك لأهل للزيادة إن رسول الله صلى الله عليه وآله حمل علياً عليه السلام على ظهره يريد بذلك أنه أبو ولده وإمام الأئمة من صلبه، كما حول رداءه في صلاة الإستسقاء وأراد أن يعلم أصحابه بذلك أنه قد تحول الجدب خصباً، قال: قلت له زدني ياابن رسول الله، فقال: احتمل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام يريد

بـذلك أن يعلم قومه أنه هو الـذى يخفف عن ظهر رسول الله مـا عليه من الـدين والعـدات والأـداء عنه من بعـده، قال: فقلت له يا ابن رسول الله زدنى فقـال: احتمله ليعلم بـذلك أنه قـد احتمله ومـا حمـل إلاـ لأـنه معصوم لايحمـل وزراً فتكون أفعاله عنـد الناس حكمهٔ وصواباً وقـد قال النبى صـلى الله عليه وآله لعلى يا على أن الله تبارك وتعالى حملنى ذنوب شـيعتك ثم غفرها لى وذلك قوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ،ولما أنزل الله عز وجل إذا اهتديتم وعلىٌّ نفسى وأخى أطيعوا علياً فإنه مطهر معصوم لايضل ولايشـقى ثم تلاهـذه الآيـهٔ: قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فإن تَوَلَّوْا فإنما عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وإن تُطِيعُوهُ تَهْتَـدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ.

قال محمـد بن حرب الهلالى: ثم قال جعفر بن محمـد عليه السـلام: أيها الأمير لو أخبرتك بما فى حمل النبى صـلى الله عليه وآله علياً عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبهٔ من المعانى التى أرادها به، لقلت إن جعفر بن محمد لمجنون! فحسبك من ذلك ما قد سمعت! فقمت إليه وقبلت رأسه وقلت: اللهُ أعلم حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ). انتهى.

من كلمات علماء الشيعهٔ فى عصمهٔ الأنبياء والأئمهٔ

الانبياء معصومون مطهرون كاملون

قال الصـدوق فى الإعتقادات فى دين الإماميهٔ ص ٧٠: باب الإعتقاد فى العصـمهٔ: (إعتقادنا فى الأنبياءوالرسل والأئمـهٔ والملائكهٔ عليهم السـلام أنهم معصومون مطهرون من كـل دنس، وأنهم لايـذنبون ذنباً لاصـغيراً ولاكبيراً، ولايعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. ومن نفى عنهم العصـمهٔ فى شـئ من أحوالهم فقـد جهلهم، ومن جهلهم فهو كـافر. واعتقادنا فيهم: أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم، من أوائل أمورهم وأواخرها، لايوصفون فى شئ من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل). انتهى.

ملاحظـهٔ: لابـد أن يكون الكفر فى كلام الصـدوق رحمه الله بمعناه اللغوى، فلا هو ولا بقيـهٔ فقهائنا يكفرون أحداً من أهل القبلهٔ لقوله بالعصمهٔ الناقصهٔ.

وقال المفيـد فى المقنعهٔ ص ٣٠: (ويجب أن يعتقـد التصـديق لكل الأنبياء عليهم السـلام وأنهم حجج الله على من بعثهم إليه من الأمم، والسـفراء بينه وبينهم، وإن محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، خاتمهم وسـيدهم وأفضـلهم، وإن شريعته ناسخهٔ لما تقدمها من الشرائع المخالفهٔ لها، وأنه لانبى بعده صلى الله عليه وآله ولا شريعهٔ بعد شريعته.

وكـل من ادعى النبوهٔ بعـده فهو كـاذب على الله تعالى، ومن يغير شـريعته فهو ضال، كافر من أهل النار، إلا أن يتوب ويرجع إلى الحق بالإسلام فيكفر بالله تعالى حينئذ عنه... بالتوبهٔ ما كان مقرفاً من الآثام.

ويجب اعتقـاد نبوهٔ جميع من تضـمن الخبر عن نبوته القرآن على التفصـيل، واعتقـاد الجملـهٔ منهم على الإجمـال، ويعتقـد أنهم كـانوا معصـومين من الخطأ، مـوفقين للصـواب، صـادقين عن الله تعـالى فى جميع مـا أدوه إلى العبـاد، وفى كـل شـئ أخـبروا به على جميع الأـحوال، وإن طـاعتهم طاعـهٔ لله ومعصـيتهم معصـيهٔ لله، وإن آدم ونوحـاً وإبراهيم وإسـماعيل وإسـحاق ويعقـوب ويوسـف، وإدريس وموسـى وهارون وعيسى وداود وسليمان وزكريا ويحيى وإلياس وذا الكفل وصالحاً وشعيباً ويونس ولوطاً وهوداً، كانوا أنبياءالله تعالى ورسـلًا له صادقين عليه، كما سماهم بذلك وشهد لهم به، وإن من لم يذكر اسمه من رسله على التفصيل كما ذكر ممن سميناه منهم، وذكرهم فى الجملهٔ حيث يقول:وَرسلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرسلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، كلهم أنبياءعن الله صادقون، وأصفياء له منتجبون لديه، وإن محمداً صلى الله عليه وآله سيدهم وأفضلهم، كما قدمناه...

ويجب على كـل مكلف أن يعرف إمـام زمـانه، ويعتقـد إمـامته وفرض طـاعته وأنه أفضل أهل عصـره وسـيد قومه، وأنهم فى العصـمهٔ والكمال كالأنبياء عليهم السلام ويعتقد أن كل رسول الله تعالى فهو نبى إمام، وليس كل إمام نبياً ولا رسولاً، وإن الأئمهٔ بعد رسول الله

صلى الله عليه وآله حجج الله تعالى وأوليائه، وخاصة أصفياء الله، أولهم وسيدهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عليه أفضل السلام، وبعده الحسن والحسين، ثم على بن الحسين، ثم محمد بن على بن الحسين، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم على بن موسى، ثم محمد بن على بن موسى، ثم على بن محمد بن على، ثم الحسن بن على بن محمد، ثم الحجة القائم بالحق ابن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى عليهم السلام. لاإمامة لاحد بعد النبى صلى الله عليه وآله غيرهم، ولايستحقها سواهم، وأنهم الحجة على كافة الأنام كالأنبياء عليهم السلام وأنهم أفضل خلق الله بعد نبيه عليه وآله السلام، والشهداء على رعاياهم يوم القيامة، كما أن الأنبياء عليهم السلام شهداء الله على أممهم، وأنه بمعرفتهم وولايتهم تُقبل الأعمال، وبعداوتهم والجهل بهم تُستحق النار).

فى بحار الأنوار:۱۱/۷۲-۹۶: (باب عصمة الأنبياء عليهم السلام وتأويل مايوهم خطأهم وسهوهم). أورد فيه نحو مجموعة أحاديث وكلمات لعلمائنا رضى الله عنهم فى عصمة الأنبياءالتامة عليهم السلام.

العصمة عن الذنوب، والغلط، والرذائل، وما ينفر

قال المفيد فى تصحيح اعتقادات الإمامية/۱۲۸:

(العصمة من الله تعالى لحججه هى التوفيق واللطف، والإعتصام من الحجج بها: عن الذنوب، والغلط فى دين الله تعالى.

والعصمة تفضل من الله تعالى على من علم أنه يتمسك بعصمته، والإعتصام فعل المعتصم، وليست العصمة مانعةً من القدرة على القبيح، ولا مضطرةً للمعصوم إلى الحسن، ولا مُلجئةً له إليه، بل هى الشئ الذى يعلم الله تعالى أنه إذا فعله بعبد من عبيده لم يؤثر معه معصيته له، وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفوة والإخيار).

جليلنا

وفى الكافى لأبى الصلاح الحلبى/۷۸: (وإذا ثبتت نبوة نبينا صلى الله عليه وآله بالبراهين الواضحة وجب القطع على كونه صلى الله عليه وآله على الصفات التى يجب كون النبى عليها من العصمة فيما يؤديه، والعصمة من جميع القبائح، وتنزيهه عن كل منفر حسب ما دللنا عليه).

اصل الأدلة عندنا على العصمة التامة: الدليل العقلى

أقول: أصل الدليل فى مذهبنا على عقيدة عصمة الأنبياءوالأئمة عليهم السلام عصمة تامة هو العقل، الذى يحكم بضرورة أن يكون المؤدى للناس عن الله تعالى والمؤدى للناس عن النبى صلى الله عليه وآله معصوماً، وإلا فلا يمكن الوثوق بقوله، وأن عصمته تثبت بنص المعصوم أو بالمعجزة.

وقد حاول غيرنا إثبات العصمة بالنقل لكنه يلزم منه الدور، لأن الوثوق بالنص الذى يثبت العصمة يتوقف عليها، فلا يصح أن تتوقف هى عليه.

وأسوأ من ذلك قول بعضهم بأن الأنبياء عليهم السلام يرتكبون الذنوب والمعاصى حتى فى تبليغ الرسالة، لكن الله تعالى لايقرهم على الخطأ، فيصحح لهم ما عصوا فيه ويتوبون من معصيتهم!

قال ابن تيمية فى منهاج سنته:۲/۴۰۰: (والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها، والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها، وحينئذ فما وصفوهم إلا بما فيه كمالهم، فإن الأعمال بالخواتيم. مع أن القرآن والحديث وإجماع السلف معهم فى تقرير هذا الأصل! فالمنكرون لذلك يقولون فى تحريف القرآن ما هو من جنس قول أهل البهتان، ويحرفون

الكلم عن مواضعه). انتهى.

وقوله: (والجمهور...) يقصد بهم أتباع المذاهب السنية، وتعبيره بالصغائر لكى يجعل آيات الغرانيق الشيطانية التى افتروها على النبى صلى الله عليه وآله وصحح هو روايتها ودافع عنها، أن يجعلها من المعاصى الصغيرة! مع أنها خيانةٌ للوحى، وكفرٌ بالله العظيم، وعبادةٌ للأصنام وسجودٌ لها!

والوجه فى بطلأن هذا الكلام أنه يستوجب سلب الثقة بكل كلام النبى عليه السلام فما دام قد يخطئ أو يخون الرسالة ويبلِّغ الكفرَ بدلَ التوحيد! فلا ينفع بعد ذلك أن الله تعالى لايقره على الخطأ، وأنه ينبهه بعد مدة فيقول النبى للناس إن الشئ الفلانى الذى بلغتكم إياه كان خطأ منى أو من شيطانى، وقد نبهنى اليه جبرئيل وتاب الله علىَّ! فخذوا الصحيح ودعوا الخطأ!

فمن أين يثق الناس بأن هذا البديل الذى بلغه الآن ليس منه أو من الشيطان كسابقه؟! فإن من وقع فى خطيئة مرة يمكن أن يقع فيها مئة مرة، ومن خان الوحى مرة، قد يخونه مئة مرة!

ونفس هذا الكلام يجرى بطريق أولى فى عصمة الإمام المؤدى للأمة عن نبيها صلى الله عليه وآله فإن من يؤدى عن النبى صلى الله عليه وآله لابد أن يكون عنده العلم القطعى بكتاب الله والسنة، وأن يكون معصوماً لايحتمل فى حقه النسيان والخطأ وارتكاب خيانة، لأن احتمال الكذب والخطأ فيه يسلب الإطمئنان من أجيال الأمة بأن ما أدَّاهُ اليها هو مراد الله تعالى من كلامه قطعاً وهو قول النبى صلى الله عليه وآله قطعاً!

قال المحقق الحلى فى المسلك فى أصول الدين ص۱۵۴:

(وأما العصمة(للنبى)عن المعاصى فقد اختلفوا، فمنهم من عصمه عن الخلل فى التبليغ لاغير، ومنهم من عصمه مع ذلك عن الكبائر.

والحق أنه معصومٌ عن الكل فى حال النبوة وقبلها. وهل هو معصوم عن السهو أم لا؟ فيه خلاف بين أصحابنا، والأصح القول بعصمته عن ذلك كله.

لنا: لو جاز شئ من ذلك لجاز تطرقه إلى التبليغ، لكن ذلك محال، ولأنه مع تجويز ذلك يرتفع الوثوق بخبره، فينتقض الغرض المراد بالبعثة.

وأما قبل النبوة فهو معصوم عن تعمد المعصية، صغيرة كانت أو كبيرة، ويدل عليه من القرآن قوله: لايَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ.

وأما ما تضمنه الكتاب العزيز وكثير من الأخبار من ماظاهره وقوع المعصية فمحمول على ضرب من التأويل، لئلا تتناقض الأدلة).

وقاتل العلامة الحلى فى شرح التجريد ص۳۷۵:

المسألة الثانية: فى وجوب العصمة قال: ويجب فى النبى العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض، ولوجوب متابعته، وضدها الإنكار عليه.

أقول: اختلف الناس هاهنا، فجماعة المعتزلة جوزوا الصغائر على الأنبياء عليهم السلام أما على سبيل السهو كما ذهب إليه بعضهم، أو على سبيل التأويل كما ذهب إليه قوم منهم، أو لأنها تقع محبطة بكثرة ثوابهم. وذهبت الأشاعرة والحشوية إلى أنه يجوز عليهم الصغائر والكبائر، إلا الكفر والكذب.وقالت الإمامية إنه يجب عصمتهم عن الذنوب كلها، صغيرة كانت أو كبيرة، والدليل عليه بوجوه:

أحدها: أن الغرض من بعثة الأنبياء عليهم السلام إنما يحصل بالعصمة فيجب العصمة تحصيلاً للغرض، وبيان ذلك أن المبعوث إليهم لو جوزوا الكذب على الأنبياءوالمعصية جوزوا فى أمرهم ونهيهم وأفعالهم التى أمروهم باتباعهم فيها ذلك، وحينئذ لا ينقادون إلى امتثال أوامرهم وذلك نقض للغرض من البعثة.

الثانى: أن النبى عليه السلام يجب متابعته فإذا فعل معصية فأما أن يجب متابعته أولاًوالثانى باطل لانتفاء فائدة البعثة، والأول باطل لأن المعصية لايجوز فعلها وأشار بقوله لوجوب متابعته وضدها إلى هذا الدليل، لأنه بالنظر إلى كونه نبياً يجب متابعته، وبالنظر إلى كون الفعل معصية لا يجوز اتباعه.

الثالث: أنه إذا فعل معصية وجب الإنكار عليه، لعموم وجوب النهى عن المنكر، وذلك يستلزم إيذائه، وهو منهيٌ عنه، وكل ذلك محال).

وفى النافع يوم الحشر للعلامة الحلى ص۸۴: (والإمامية أوجبوا العصمة مطلقاً عن كل معصية، عمداً وسهواً، وهو الحق لوجهين:

الأول: ما أشار إليه المصنف، وتقريره: أنه لو لم يكن الأنبياء عليهم السلام معصومين لانتفت فائدة البعثة، واللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان الملازمة: أنه إذا جازت المعصية عليهم لم يحصل الوثوق بصحة قولهم لجواز الكذب حينئذ عليهم، وإذا لم يحصل الوثوق لم يحصل الإنقياد لأمرهم ونهيهم، فتنتفى فائدة بعثهم، وهو محال.

الثانى: لوصدر عنهم الذنب لوجب اتباعهم، لدلالة النقل على وجوب اتباعهم، لكن الأمر حينئذ باتباعهم محال لأنه قبيح! فيكون صدور الذنب عنهم محالاً وهو المطلوب....

وأما ما ورد فى الكتاب العزيز والأخبار مما يوهم صدور الذنب عنهم فمحمول على ترك الأولى، جمعاً بين ما دل العقل عليه وبين صحة النقل، مع أن جميع ذلك قد ذكر له وجوه ومحامل فى مواضعه... وعليك فى ذلك بمطالعة كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام الذى رتبه السيد المرتضى رحمه الله علم الهدى الموسوى وغيره من الكتب، ولولا خوف الإطالة لذكرنا نبذة من ذلك).

وقال فى تذكرة الفقهاء(ط.ج):۹/۳۹۷: (الخامس عشر: أن يكون منزهاً عن القبائح لدلالة العصمة عليه، ولأنه يكون مستحقاً للإهانة والإنكار عليه، فيسقط محله من قلوب العامة فتبطل فائدة نصبه.

وأن يكون منزهاً عن الدناءات والرذائل، كاللعب والأكل فى الأسواق وكشف الرأس بين الناس، وغير ذلك مما يسقط محله ويوهن مرتبته.

وأن يكون منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات.

وقد خالفت العامة فى ذلك كله).

وقال ابن ميثم البحرانى فى قواعد المرام فى علم الكلام ص۱۲۵:

البحث الأول: العصمة صفة للإنسان يمتنع بسببها من فعل المعاصى ولايمتنع منه بدونها. وعندنا أن النبى معصوم عن الكبائر والصغائر عمداً وسهواً من حين الطفولية إلى آخر العمر. وجوز بعض الخوارج صدور جميع الذنوب عن الأنبياء عليهم السلام، وجوزت المعتزلة والزيدية وقوع الصغائر عنهم فيما يتعلق بالفتوى دون الكبائر. ثم منهم من جوزها سهواً فقط، وهو مذهب الأشعرية.

فأما ما يتعلق بأداء الشريعة فأجمعوا على أنه لايجوز عليهم فيه التحريف والخيانة لا عمداً ولا سهواً، وكذلك أجمعوا على أن وقت العصمة هو وقت النبوة دون ما قبله.

لنا وجوه: أحدها، أن غرض الحكيم من البعثة هداية الخلق إلى مصالحهم وحثهم بالبشارة والنذارة وإقامة الحجة عليهم بذلك لقوله تعالى:رسلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلايَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ. (النساء:۱۶۵) فلو لم يجب فى حكمته عصمة النبى لناقض غرضه من بعثه وإرساله، لكن اللازم باطل فالملزوم مثله، فعصمة النبى واجبة فى الحكمة.

أما الملازمة فلأنه بتقدير وقوع المعصية منه جاز أن يأمرهم بما هو مفسدة لهم وينهاهم عما هو مصلحة لهم، وذلك مستلزم لإغوائهم وإضلالهم، فكان فى بعثة غير المعصوم مناقضة للغرض من بعثه.

وأما بطلأن اللازم فلأن مناقضة الغرض يستلزم السفه والعبث، وهما محالأن على الحكيم، كما تقدم فى باب اللطف.

الثانى، لو جاز صدور المعصية عن النبى لوجب علينا فعل المفسدة أو ترك المصلحة الواجبة، لكن اللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان الملازمة أنه يجب علينا فعل ما أمرنا به والانتهاء عما نهانا عنه لقوله تعالى: وَمَاآتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا. (الحشر:۷) فبتقدير أن تجوز المعصية عليه جاز أن يوجب علينا ما هو محرم ويحرم علينا ما هو واجب، ويجب علينا اتباعه فى ذلك.

وأما بطلأن اللازم فلأن أمر الحكيم لنا باتباعه مطلقاً يستلزم أمره لنا بفعل القبيح إذن، لكن الأمر بالقبيح قبيح ممتنع عليه تعالى.

الثالث، لو جاز صدور المعصية عنهم لكان بتقدير وقوعها منهم لاتقبل شهاداتهم، لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا. (الحجرات:۶) لكن اللازم باطل، لأنها إذا لم تقبل فى محقرات الأمور فكان أولى أن لا تقبل فى الأديان الباقية إلى يوم القيامة).

قال الصدوق رحمه الله فى معانى الأخبار ص۱۳۳ بعد إيراد الحديث المتقدم فى أماليه:

(قال أبو جعفر مصنف هذا الكتاب: الدليل على عصمة الإمام أنه لما كان كل كلام ينقل عن قائله يحتمل وجوهاً من التأويل، وكان أكثر القرآن والسنة مما أجمعت الفرق على أنه صحيح لم يغير ولم يبدل، ولم يزد فيه ولم ينقص منه، محتملاً لوجوه كثيرة من التأويل، وجب أن يكون مع ذلك مخبرٌ صادقٌ معصومٌ من تعمد الكذب والغلط، منبئٌ عما عنى الله ورسوله فى الكتاب والسنة على حق ذلك وصدقه، لأن الخلق مختلفون فى التأويل، كل فرقة تميل مع القرآن والسنة إلى مذهبها، فلو كان الله تبارك وتعالى تركهم بهذه الصفة من غير مخبر عن كتابه صادق فيه لكان قد سوغهم الإختلاف فى الدين ودعاهم إليه، إذ أنزل كتاباً يحتمل التأويل، وسن نبيه سنةً تحتمل التأويل، وأمرهم بالعمل بهما، فكأنه قال: تأولوا واعملوا. وفى ذلك إباحة العمل بالمتناقضات والإعتماد للحق وخلافه. فلما استحال ذلك على الله عز وجل، وجب أن يكون مع القرآن والسنة فى كل عصر من يبين عن المعانى التى عناها الله عز وجل فى القرآن بكلامه، دون ماتحتمله ألفاظ القرآن من التأويل، ويبين عن المعانى التى عناها رسول الله فى سننه وأخباره دون التأويل الذى تحتمله ألفاظ الأخبار المروية عنه عليه السلام المجمع على صحة نقلها.

وإذا وجب أنه لا بدَّ من مخبر صادق، وجب أن لايجوز عليه الكذب تعمداً ولا الغلط فيما يخبر به عن مراد الله عز وجل فى كتابه، وعن مراد رسول الله فى أخباره وسننه. وإذا وجب ذلك وجب أنه معصوم.

ومما يؤكد هذا الدليل أنه لايجوز عند مخالفينا أن يكون الله عز وجل أنزل القرآن على أهل عصر النبى صلى الله عليه وآله ولا نبى فيهم ويتعبدهم بالعمل بما فيه على حقه وصدقه، فإذا لم يجز أن ينزل القرآن على قوم ولا ناطقٌ به ولا معبِّرٌ عنه ولا مفسر لما استعجم منه، ولا مبين لوجهه، فكذلك لايجوز أن نتعبد نحن به إلا ومعه من يقوم فينا مقام النبى صلى الله عليه وآله فى قومه وأهل عصره، فى التبيين لناسخه ومنسوخه وخاصه وعامه، و المعانى التى عناها الله عز وجل بكلامه دون ما يحتمله التأويل، كما كان النبى صلى الله عليه وآله مبيناً لذلك كله لأهل عصره. ولابد من ذلك ما لزموا العقول والدين.

فإن قال قائل: إن المؤدى إلينا ما نحتاج إلى علمه من متشابه القرآن ومن معانيه التى عناها الله دون ما يحتمله ألفاظه، هو الأمة.

أكذبه اختلاف الأمة وشهادتها بأجمعها على أنفسها فى كثير من أى القرآن لجهلهم بمعناه الذى عناه الله عز وجل!

وفى ذلك بيان أن الأمة ليست هى المؤدية عن الله عز وجل ببيان القرآن، وأنها ليست تقوم فى ذلك مقام النبى صلى الله عليه وآله.

فإن تجاسر متجاسر فقال: قد كان يجوز أن ينزل القرآن على أهل عصر النبى صلى الله عليه وآله , ولا يكون معه نبى ويتعبدهم بما فيه مع احتماله للتأويل.

قيل له: فهبْ ذلك كان قد وقع من الخلاف فى معانيه ما قد وقع فى هذا الوقت، ما الذى كانوا يصنعون؟

فإن قال: ما قد صنعوا الساعة.

قيل: الذى فعلوه الساعة أخذ كل فرقة من الأمة جانباً من التأويل وعمله عليه، وتضليل الفرقة المخالفة لها فى ذلك، وشهادتها عليها بأنها ليست على الحق.

فإن قال: أنه كان يجوز أن يكون أول الإسلام كذلك وإن ذلك حكمة من الله و عدل فيهم، ركب خطأ عظيماً وما لا أرى أحداً من الخلق يقدم عليه.

فيقال له عند ذلك: فحدثنا إذا تهيأ للعرب الفصحاء أهل اللغة أن يتأولوا القرآن ويعمل كل واحد منهم بما يتأوله على اللغة العربية، فكيف يصنع من لا يعرف اللغة من الناس؟ وكيف يصنع العجم من الترك والفرس؟ وإلى أى شئ يرجعون فى علم ما فرض الله عليهم

فى كتابه؟ ومن أى الفرق يقبلون مع اختلاف الفرق فى التأويل؟!

وإباحتك كل فرقة أن تعمل بتأويلها، فلا بد لك من أن تجرى العجم ومن لا يفهم اللغة مجرى أصحاب اللغة من أن لهم أن يتبعوا أى الفرق شاؤوا! و[إلا] إن ألزمت من لا يفهم اللغة اتباع بعض الفرق دون بعض، لزمك أنت تجعل الحق كله فى تلك الفرقة دون غيرها، فإن جعلت الحق فى فرقة دون فرقة نقضت مابنيت عليه كلامك واحتجت إلى أن يكون مع تلك الفرقة علم وحجة تبين بها من غيرها، وليس هذا من قولك!

ولو جعلت الفرق كلها متساوية فى الحق مع تناقض تأويلاتها، فيلزمك أيضاً أن تجعل للعجم ومن لايفهم اللغة أن يتبعوا أى الفرق شاؤوا، وإذا فعلت ذلك لزمك فى هذا الوقت أن لاتلزم أحداً من مخالفيك من الشيعة والخوارج وأصحاب التأويلات وجميع من خالفك ممن له فرقة ومن مبتدع لافرقة له على مخالفيك ذماً!! وهذا نقض الإسلام والخروج من الإجماع.

ويقال لك: وما ينكر على هذا الأعطاء أن يتعبد الله عز وجل الخلق بما فى كتاب مطبق لا يمكن أحداً أن يقرأ ما فيه، ويأمر أن يبحثوا ويرتادوا ويعمل كل فرقة بما ترى أنه فى الكتاب.

فإن أجزت ذلك أجزت على الله عز وجل العبث لأن ذلك صفة العابث! ويلزمك أن تجيز على كل من نظر بعقله فى شئ واستحسن أمراً من الدين أن يعتقده! لأنه سواء أباحهم أن يعملوا فى أصول الحلال و الحرام وفروعها بآرائهم، وأباحهم أن ينظروا بعقولهم فى أصول الدين كله وفروعه من توحيده وغيره، وإن يعملوا أيضاً بما استحسنوه وكان عندهم حقاً!

فإن أجزت ذلك أجزت على الله عز وجل أن يبيح الخلق أن يشهدوا عليه أنه ثانى اثنين، وإن يعتقدوا الدهر، وجحدو البارئ جل وعز. وهذا آخر ما فى هذا الكلام، لأن من أجاز أن يتعبدنا الله عز وجل بالكتاب على احتمال التأويل ولا مخبر صادق لنا عن معانيه، لزمه أن يجيز على أهل عصر النبى صلى الله عليه وآله مثل ذلك! وإذا أجاز مثل ذلك لزمه أن يبيح الله عز وجل كل فرقة العمل بما رأت وتأولت، لأنه لايكون لهم غير ذلك إذا لم يكن معهم حجة فى أن هذا التأويل أصح من هذا التأويل.

وإذا أباح ذلك أباح متبعهم ممن لايعرف اللغة! وإذا أباح أولئك أيضاً لزمه أن يبيحنا فى هذا العصر، وإذا أباحنا ذلك فى الكتاب لزمه أن يبيحنا ذلك فى أصول الحلال والحرام ومقائيس العقول وذلك خروج من الدين كله.

وإذاً وجب بما قدمنا ذكره أنه لابد من مترجم عن القرآن وأخبار النبى صلى الله عليه وآله وجب أن يكون معصوماً ليجب القبول منه، فإذا وجب أن يكون معصوماً بطل أن يكون هو الأمة لما بينا من اختلافاتها فى تأويل القرآن والأخبار، وتنازعها فى ذلك ومن إكفار بعضها بعضاً!!

وإذا ثبت ذلك وجب أن المعصوم هو الواحد الذى ذكرناه وهو الإمام. وقد دللنا على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً، وأرينا أنه إذا وجبت العصمة فى الإمام لم يكن بد من أن ينص النبى عليه، لأن العصمة ليست فى ظاهر الخلقة فيعرفها الخلق بالمشاهدة فواجب أن ينص عليها علام الغيوب تبارك وتعالى على لسان نبيه , وذلك لأن الإمام لايكون إلا منصوصاً عليه، وقد صح لنا النص بما بيناه من الحجج وبما رويناه من الأخبار الصحيحة). انتهى.

وقال الطباطبائى فى تفسير الميزان:۲/۱۳۴: (كلام فى عصمة الأنبياء عليهم السلام:

العصمة على ثلاثة أقسام: العصمة عن الخطأ فى تلقى الوحى، والعصمة عن الخطأ فى التبليغ والرسالة، والعصمة عن المعصية، وهى ما فيه هتك حرمة العبودية ومخالفة مولويته، ويرجع بالآخرة إلى قول أو فعل ينافى العبودية منافاةً ما. ونعنى بالعصمة وجود أمر فى الإنسان المعصوم يصونه عن الوقوع فيما لا يجوز من الخطأ، أو المعصية.

وأما الخطأ فى غير باب المعصية وتلقى الوحى والتبليغ، وبعبارة أخرى: فى غير باب أخذ الوحى وتبليغه والعمل به، كالخطأ فى الأمور الخارجية نظير الأغلاط الواقعة للإنسان فى الحواس وإدراكاتها، أو الإعتباريات من العلوم، ونظير الخطأ فى تشخيص الأمور التكوينية من حيث الصلاح والفساد والنفع والضرر ونحوها، فالكلام فيها خارج عن هذا المبحث.

وكيف كان، فالقرآن يدل على عصمتهم عليهم السلام فى جميع الجهات الثلاث:

أما العصمة عن الخطأ فى تلقى الوحى وتبليغ الرسالة: فيدل عليه قوله تعالى فى الآية: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَااخْتَلَفَ فِيهِ إلاالَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ. (البقرة:۲۱۳) فإنه ظاهر فى أن الله سبحانه إنما بعثهم بالتبشير والإنذار وإنزال الكتاب، وهذا هو الوحى، ليبينوا للناس الحق فى الإعتقاد والحق فى العمل. وبعبارة أخرى لهداية الناس إلى حق الإعتقاد وحق العمل، وهذا هو غرضه سبحانه فى بعثهم، وقد قال تعالى:لايَضِلُّ رَبِّى وَلايَنْسَى.(طه:۵۲) فبيَّن أنه لا يضل فى فعله ولايخطئ فى شأنه، فإذا أراد شيئاً فإنما يريده من طريقه الموصل إليه من غير خطأ، وإذا سلك بفعل إلى غاية فلا يضل فى سلوكه، وكيف لا وبيده الخلق والأمر وله الملك والحكم، وقد بعث الأنبياء عليهم السلام بالوحى إليهم وتفهيمهم معارف الدين، ولا بد أن يكون، وبالرسالة لتبليغها للناس ولابد أن يكون. وقال تعالى أيضاً: إنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرا.(الطلاق:۳) وقال أيضاً: وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أكثر النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. (يوسف:۲۱) ويدل على العصمة عن الخطأ أيضاً قوله تعالى:عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً، الأمن ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فإنه يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً. لِيَعْلَمَ أن قَدْ أَبْلَغُوارِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً.(الجن:۲۶-۲۸) فظاهره أنه سبحانه يختص رسله بالوحى فيظهرهم على الغيب ويؤيدهم بمراقبة ما بين أيديهم وما خلفهم، والإحاطة بما لديهم، لحفظ الوحى عن الزوال والتغير بتغيير الشياطين وكل مغير غيرهم، ليتحقق إبلاغهم رسالات ربهم.

ونظيره قوله تعالى حكاية عن قول ملائكة الوحى: وَمَا نَتَنَزَّلُ إلابِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً. (مريم:۶۴)، دلت الآيات على أن الوحى من حين شروعه فى النزول، إلى بلوغه النبى، إلى تبليغه للناس محفوظ مصون عن تغيير أى مغير يغيره).

وقال الوحيد الخراسانى فى مقدمة منهاج الصالحين ص۶۱:

والأدلة على عصمة الأنبياء عليهم السلام عديدة، نشير إلى بعضها:

الدليل الأول: أن لوصول كل مخلوق إلى كماله الذى خلق له سنناً وقوانين، وقد تبين مما تقدّم أن السنة التى توصل الإنسان إلى كماله المقصود من خلقه، إنما هى الهداية الإلهية ودين الحقّ.

ولما كان تحقق هذا الكمال يتوقف على تبليغ السنة والنظام الإلهى وتنفيذه،

والنبى متكفل لتربية الإنسان وفق هذه السنة والنظام، فلو حصل تخلّف فى تبليغه أو تنفيذه لكان نقضاً للغرض، ولا يكون تخلّف مبلغ الوحى والمربّى بالتربية الإلهية إلامن جهة الخطأ أو الهوى، وأىّ منهما كان فلا يحصل الغرض الأقصى.

فكمال الهداية الإلهية يتطلّب كمال الهادى، وعصمة النظام الإلهى الذى لايَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ، تستلزم عصمة المعلم والمنفذ.

الدليل الثانى: دلّ العقل والنقل على أن الدين جاء ليُحيى الإنسان حياة طيّبة مَنْ عَمِلَ صالحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ، وماء الحياة الطيّبة للإنسان هو الإيمان والعمل الصالح، وهما يشكّلأن مجموعة الدين، ومجرى هذا الماء الطيب وجود النبىّ عليه السلام، فلو كان مجرى الماء ملوثاً لتلوث الماء ولم يصلح لسقى عقول الناس وقلوبهم، ولا يحصل منه ثمرة الحياة الطيبة.

الدليل الثالث: بما أن الغرض من بعثة النبى عليه السلام لايتحقّق إلا بإطاعته فى أمره ونهيه، وبما أن إطاعة المخطئ والعاصى لاتجوز، فلو لم يكن النبى عليه السلام معصوماً لم تجب إطاعته، فيلزم نقض الغرض وبطلأن نتيجة البعثة.

الدليل الرابع: إذا لم يكن النبى عليه السلام معصوماً، لم يحصل للأمة اليقين بصدقه وصحة قوله فى تبليغ الوحى، وإذا لم يكن معصوماً من الذنوب، سقطت مكانته فى أعين الناس، وكلام العالم بلا عمل، والواعظ غير المتعظ لا يؤثر فى النفوس، فلا يحصل الغرض

المقصود من البعثة.

الدليل الخامس: منشأ الخطأ والذنب ضعف العقل والإرادة، وعقل النبى عليه السلام كامل، لأنه باتصاله بالوحى اتصل بحق اليقين، وصار يرى الأشياء على واقعها كما هى، وإرادته لا تتأثّر إلا من إرادة الله سبحانه وتعالى، فلا يبقى فى شخصيته مجالٌ للخطأ والذنب). انتهى.

العصمة لاتعنى الإجبار، و لا تنافى الإختيار

قال المفيد فى رسالة النكت الإعتقادية ص۴۵:

(فإن قيل: ما حد العصمة؟ الجواب: العصمة لطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليهما.

فإن قيل: ما الدليل على أنه معصوم من أول عمره إلى آخره؟

والجواب: الدليل على ذلك أنه لو عهد منه السهو والنسيان لارتفع الوثوق منه عند إخباراته. ولو عهد منه خطيئة لتنفرت العقول من متابعته فتبطل فائدة البعثة).

وقال العلامة الحلى فى شرح التجريد/۴۹۴:

قال: ولا تنافى العصمة القدرة.

أقول:اختلف القائلون بالعصمة فى أن المعصوم هل يتمكن من فعل المعصية أم لا؟ فذهب قوم منهم إلى عدم تمكنه من ذلك، وذهب آخرون إلى تمكنه منها. أما الأولون فمنهم من قال: أن المعصوم مختص فى بدنه أو نفسه بخاصية تقتضى امتناع إقدامه على المعصية، ومنهم من قال: أن العصمة هو القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية، وهو قول أبى الحسين البصرى. وأما الإخرون الذين لم يسلبوا القدرة فمنهم من فسرها بأنه الأمر الذى يفعله الله تعالى بالعبد من الألطاف المقربة إلى الطاعات التى يعلم معها أنه لا يقدم على المعصية بشرط أن لا ينتهى ذلك الأمر إلى الالجاء، ومنهم من فسرها بأنها ملكة نفسانية لا يصدر عن صاحبها معها المعاصى. وآخرون قالوا: العصمة لطف يفعله الله تعالى بصاحبها لا يكون له معه داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية، وأسباب هذا اللطف أمور أربعة:

أحدها: أن يكون لنفسه أو لبدنه خاصية تقتضى ملكة مانعة من الفجور وهذه الملكة مغايرة للفعل.

الثانى: أن يحصل له علم بمثالب المعاصى ومناقب الطاعات.

الثالث: تأكيد هذه العلوم بتتابع الوحى والإلهام من الله تعالى.

الرابع: مؤاخذته على ترك الأولى بحيث يعلم أنه لا يترك مهملا بل يضيق عليه الأمر فى غير الواجب من الأمور الحسنة.

فإذا اجتمعت هذه الأمور كان الإنسان معصوماً.

والمصنف رحمه الله اختار المذهب الثانى وهو أن العصمة لا تنافى القدرة بل المعصوم قادر على فعل المعصية، وإلا لما استحق المدح على ترك المعصية ولا الثواب، ولبطل الثواب والعقاب فى حقه، فكان خارجاً عن التكليف! وذلك باطل بالإجماع وبالنقل فى قوله تعالى:(قُلْ إنما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إلَىَّ).

وقال العلامة الحلى فى كتاب الألفين/۶۷:

البحث السابع: فى عصمة الإمام، وهى ما يمتنع المكلف معه من المعصية متمكنا منها، ولا يمتنع منها مع عدمها. اختلف الناس فى ذلك، فذهبت الإمامية والإسماعيلية إليه، ونفاه الباقون، لنا وجوه:

الأول: لو كان غير معصوم لكان محتاجاً إما إلى نفسه أو إلى إمام آخر فيدور أو يتسلسل وهما محالأن، وذلك لوجود العلة المحوجة إليه فيه.

لایقال: المعصوم لا-یخلو إما أن یقدر علی المعصیة أو لا یقدر، فإن قدر فلایخلو أن یمکن وقوعها منه أو لایمکن، فإن أمکن فهو کسائر المکلفین فی الحقیقة من غیر امتیاز، وإن لم یمکن فقدرته علی ما لایمکن وقوعه لا یکون قدرة، وإن لم یقدر فهو مجبورٌ ولیس ذلک بشرف له.

وأیضاً، إذا جاز أن یمتنع وقوع المعصیة من شخص من المکلفین بفعل الله تعالی، ولا یضر ذلک قدرته وتمکنه من الطرفین، فالواجب أن یجعل جمیع المکلفین کذلک، إذ کان الغرض من وجودهم إیصال الثواب إلیهم دون وقوع المعصیة وعقابهم علیها؟

وأیضاً، فلمَ یجوز أن یکون الإنتهاء فی الإحتجاج إلی النبی صلی الله علیه وآله أو القرآن وینقطع التسلسل.

لأنا نجیب عن الأول: بأنه یقدر علیها ولکن لاتقع مقدورة منه، لعدم خلوص داعیه إلیها، کما نقول فی امتناع وقوع القبایح من الحکیم تعالی، وکما نقول فی عصمة الأنبیاء علیهم السلام فإن القدرة علی ما لایمکن وقوعه لاعتبار شئ غیر ذاته لایستنکر، إنما یستنکر القدرة علی ما لا یمکن وقوعه لذاته.

وعن الثانی: أنا لا نقول أن الحکیم تعالی جعل شخصاً واحداً بفعله معصوماً من غیر استحقاق منه لذلک، لکِنَّا نقول: کل من یستحق الألطاف الخاصة التی هی العصمة بکسبه، فهو تعالی یخصه بها.

ثم الإمام یجب أن یکون من تلک الطایفة، فالمکلفون بأسرهم لو استحقوا بکسبهم تلک الألطاف لکانوا کلهم معصومین، فظهر أن الخلل فی عدم عصمتهم جمیعاً راجع علیهم لا علیه تعالی.

وعن الثالث: أن نسبة غیر المعصومین إلی النبی صلی الله علیه وآله القرآن نسبة واحدة، فلو جاز أن یکون النبی الموجود فی زمان سابق أو القرآن مُغنیاً لمکلف مع جواز خطأه عن الإمام لجاز فی الجمیع مثل ذلک، وحینئذ لایجب احتیاجهم جمیعاً إلی الإمام، وقد سبق فساد اللازم فظهر فساد الملزوم.

الثانی: لما ثبت وجوب نصب الإمام علی الله تعالی بالطریق الثانی فنقول: أنا نعلم ضرورة أن الحاکم إذا نصب فی رعیته من یعرف منه أنه لا- یقوم بمصالحهم ولا- یراعی فیهم ما لأجله احتاجوا إلی منصوب قبله، تستقبح العقول منه ذلک النصب وتنفر عنه، ونصب غیر المعصوم من الله تعالی داخل فی هذه الحِکم، فعلمنا أنه لاینصب غیر المعصوم، فکل إمام ینصبه الله تعالی فهو معصوم). انتهی.

وقال الشریف المرتضی فی رسائله:۳/۳۲۳:

(مسألة فی العصمة: ماحقیقة العصمة التی یعتقد وجوبها للأنبیاءوالأئمة علیه السلام، وهل هو معنی یضطر إلی الطاعة ویمنع من المعصیة أو معنی یضامُّ الإختیار؟ فإن کان معنی یضطر إلی الطاعة ویمنع من المعصیة، فکیف یجوز الحمد والذم لفاعلها؟ وإن کان معنی یضامُّ الإختیار، فاذکروه ودُلُّوا علی صحة مطابقته له، ووجوب اختصاص المذکورین به دون من سواهم، فقد قال بعض المعتزلة: إن الله عصم أنبیاءه بالشهادة لهم بالإعتصام، وضلل قوماً بنفس الشهادة علیهم بالضلال، فإن یکن ذلک هو المعتمد، أنعمْ بذکره ودلَّ علی صحته وبطلأن ما عساه نعلمه من الطعن علیه، وإن کان باطلًا دلَّ علی بطلانه وصحة الوجه المعتمد دون ما سواه؟

الجواب ولله التوفیق: أعلم أن العصمة هی اللطف الذی یفعله تعالی، فیختار العبد عنده الإمتناع من فعل القبیح، فیقال علی هذا إن الله عصمه، بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبیح، ویقال إن العبد معتصم، لأنه اختار عند هذا الداعی الذی فعل الإمتناع عن القبیح.

وأصل العصمة فی وضع اللغة المنع، یقال: عصمت فلاناً من السوء إذا منعت من فعله به. غیر أن المتکلمین أجروا هذه اللفظة علی من امتنع باختیاره عند اللطف الذی یفعله الله تعالی به، لأنه إذا فعل به ما یعلم أن یمتنع عنده من فعل القبیح فقد منعه منه، فأجروا علیه لفظ المانع قسراً أو قهراً. وأهل اللغة یتصارفون ذلک ویستعملونه، لأنهم یقولون فیمن أشار علی غیره برأی فقبله مختاراً، واحتمی بذلک من ضرر یلحقه هو وماله إنه حماه من ذلک الضرر ومنعه وعصمه، وإن کان ذلک علی سبیل الإختیار.

فإن قیل: أفتقولون فیمن لطف له بما اختار عنده الإمتناع من فعل واحد قبیح أنه معصوم.

قلنا: نقول ذلک مضافاً ولا نطلقه، فنقول: أنه معصوم من کذا ولا نطلق، فیوهم أنه معصوم من جمیع القبائح، ونطلق فی الأنبیاءوالأئمة

عليهم السلام العصمة بلا تقييد، لأنهم عندنا لايفعلون شيئاً من القبائح، دون ما يقوله المعتزلة من نفى الكبائر عنهم دون الصغائر.

فإن قيل: فإذا كان تفسير العصمة ما ذكرتم، أفلا عصم الله جميع المكلفين وفعل بهم ما يختارون عنده الإمتناع من القبائح.

قلنا: كل من علم الله تعالى أن له لطفاً يختار عنده الإمتناع من القبح، فإنه لا بدَّ أن يفعله وإن لم يكن نبياً ولا إماماً، لأن التكليف يقتضى فعل اللطف على ما دل عليه فى مواضع كثيرة.

غير أنا لانمنع أن يكون فى المكلفين من ليس فى المعلوم أن فيه سبباً متى فعل اختار عنده الإمتناع من القبح، فيكون هذا المكلف لاعصمة له فى المعلوم ولا لطف، ولا يكلف من لا لطف له بحسن ولا بقبح، وإنما القبيح منع اللطف فيمن له لطف مع ثبوت التكليف.

فأما قول بعضهم إن العصمة الشهادة من الله تعالى بالإعتصام، فباطل لأن الشهادة لا يجعل الشئ على ما هو به، وإنما يتعلق به على ما هو عليه، لأن الشهادة هى الخبر، والخبر عن كون الشئ على صفة لا يؤثر فى كونه عليها، فيحتاج أولاًإلى أن يتقدم إلى العلم بأن زيداً معصوم أو معتصم، ويوضح عن معنى ذلك، ثم تكون الشهادة من بعده مطابقة لهذا العلم، وهذا بمنزلة من سئل عن حد المتحرك، فقال: هو شهادة بأنه متحرك أو العلم بأنه على هذه الصفة. وفى هذا البيان كفاية لمن تأمل).

وقال الطباطبائى فى تفسير الميزان:۲/۱۳۸: (فإن قلت: الذى يدل عليه ما مر من الآيات الكريمة هو أن الأنبياء عليهم السلام لايقع منهم خطأ ولا يصدر عنهم معصية، وليس ذلك من العصمة فى شئ، فإن العصمة على ما ذكره القوم قوة تمنع الإنسان عن الوقوع فى الخطأ، وتردعه عن فعل المعصية واقتراف الخطيئة، وليست القوة مجرد صدور الفعل أو عدم صدوره، وإنما هى مبدأ نفسانى تصدر عنه الفعل كما تصدر الأفعال عن الملكات النفسانية.

قلت: نعم لكن الذى يحتاج إليه فى الأبحاث السابقة هو عدم تحقق الخطأ والمعصية من النبى عليه السلام ولايضر فى ذلك عدم ثبوت قوة تصدر عنها الفعل صواباً أو طاعة وهو ظاهر.

ومع ذلك يمكن الإستدلال على كون العصمة مستندة إلى قوة رادعة بما مر فى البحث عن الإعجاز من دلالة قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَئٍ قَدْراً. (الطلاق:۳) وكذا قوله تعالى: إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (هود:۵۶) على أن كلاً من الحوادث يحتاج إلى مبدأ يصدر عنه وسبب يتحقق به، فهذه الأفعال الصادرة عن النبى عليه السلام على وتيرة واحدة صواباً وطاعة تنتهى إلى سبب مع النبى عليه السلام وفى نفسه وهى القوة الرادعة.

وتوضيحه: أن أفعال النبى عليه السلام المفروض صدورها طاعة أفعال اختيارية من نوع الأفعال الإختيارية الصادرة عنا، التى بعضها طاعة وبعضها معصية، ولا شك أن الفعل الإختيارى إنما هو اختيارى بصدوره عن العلم والمشية، وإنما يختلف الفعل طاعة ومعصية باختلاف الصورة العلمية التى يصدر عنها، فإن كان المقصود هو الجرى على العبودية بامتثال الأمر مثلًا تحققت الطاعة، وإن كان المطلوب- أعنى الصورة العلمية التى يضاف إليها المشية- اتباع الهوى واقتراف ما نهى الله عنه تحققت المعصية، فاختلاف أفعالنا طاعة ومعصية لاختلاف علمنا الذى يصدر عنه الفعل، ولو دام أحد العلمين أعنى الحكم بوجوب الجرى على العبودية وامتثال الأمر الإلهى، لما صدر إلا الطاعة، ولو دام العلم الآخر الصادر عنه المعصية (والعياذ بالله) لم يتحقق إلا المعصية.

وعلى هذا فصدور الأفعال عن النبى عليه السلام بوصف الطاعة دائماً ليس إلا لأن العلم الذى يصدر عنه فعله بالمشية صورة علمية صالحة غير متغيرة، وهو الإذعان بوجوب العبودية دائماً، ومن المعلوم أن الصورة العلمية والهيئة النفسانية الراسخة غير الزائلة، هى الملكة النفسانية كملكة العفة والشجاعة والعدالة ونحوها، ففى النبى ملكة نفسانية تصدر عنها أفعاله على الطاعة والإنقياد وهى القوة الرادعة عن المعصية.

ومن جهة أخرى النبى عليه السلام لايخطئ فى تلقى الوحى ولا فى تبليغ الرسالة ففيه هيئة نفسانية لاتخطئ فى تلقى المعارف وتبليغها، ولاتعصى فى العمل. ولو فرضنا أن هذه الأفعال وهى على وتيرة واحدة ليس فيها إلا الصواب والطاعة تحققت منه من غير توسط سبب

من الأسباب يكون معه، ولا انضمام من شئ إلى نفس النبى عليه السلام، كان معنى ذلك أن تصدر أفعاله الإختيارية على تلك الصفة بإرادة من الله سبحانه من غير دخالة للنبى عليه السلام فيه، ولازم ذلك إبطال علم النبى عليه السلام وإرادته فى تأثيرها فى أفعاله، وفى ذلك خروج الأفعال الإختيارية عن كونها اختيارية، وهو ينافى افتراض كونه فرداً من أفراد الإنسان الفاعل بالعلم والإرادة. فالعصمة من الله سبحانه إنما هى بإيجاد سبب فى الإنسان النبى يصدر عنه أفعاله الإختيارية صواباً وطاعة، وهو نوع من العلم الراسخ، وهو الملكة كما مر).

وقال فى الميزان:۵/۷۸، فى تفسير قوله تعالى: وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْکَ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَةَ وَعَلَّمَکَ مَا لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ.(النساء:۱۱۳): (ظاهر الآية أن الأمر الذى تتحقق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبس بالمعصية والخطأ. وبعبارة أخرى: علم مانع عن الضلال، كما أن سائر الإخلاق كالشجاعة والعفة والسخاء كل منها صورة علمية راسخة موجبة لتحقق آثارها، مانعةٌ عن التلبس بأضدادها من آثار الجبن والتهور والخمود والشره والبخل والتبذير.

والعلم النافع والحكمة البالغة وإن كانا يوجبان تنزه صاحبهما عن الوقوع فى مهالك الرذائل، والتلوث بأقذار المعاصى، كما نشاهده فى رجال العلم والحكمة والفضلاء من أهل التقوى والدين، غير أن ذلك سببٌ غالبيٌّ كسائر الأسباب الموجودة فى هذا العالم المادى الطبيعى، فلا تكاد تجد متلبساً بكمال يحجزه كماله من النواقص ويصونه عن الخطأ صوناً دائمياً من غير تخلف، سنةً جاريةً فى جميع الأسباب التى نراها ونشاهدها.

والوجه فى ذلك أن القوى الشعورية المختلفة فى الإنسان يوجب بعضها ذهوله عن حكم البعض الآخر، أو ضعف التفاته إليه، كما أن صاحب ملكة التقوى مادام شاعراً بفضيلة تقواه لايميل إلى اتباع الشهوة غير المرضية ويجرى على مقتضى تقواه، غير أن اشتعال نار الشهوة وانجذاب نفسه إلى هذا النحو من الشعور، ربما حجبه عن تذكر فضيلة التقوى أو ضعف شعور التقوى، فلا يلبث دون أن يرتكب ما لاترتضيه التقوى، ويختار سفساف الشره، وعلى هذا السبيل سائر الأسباب الشعورية فى الإنسان.

وإلا فالإنسان لايحيد عن حكم سبب من هذه الأسباب ما دام السبب قائماً على ساق، ولا مانع يمنع من تأثيره، فجميع هذه التخلفات تستند إلى مغالبة التقوى والأسباب، وتغلُّب بعضها على بعض.

ومن هنا يظهر أن هذه القوة المسماة بقوة العصمة سبب شعورى علمى غير مغلوب البتة، ولو كانت من قبيل ما نتعارفه من أقسام الشعور والإدراك لتسرب إليها التخلف، وخَبَطت فى أثرها أحياناً، فهذا العلم من غير سنخ سائر العلوم والإدراكات المتعارفة التى تقبل الإكتساب والتعلم. وقد أشار الله تعالى إليه فى خطابه الذى خص به نبيه صلى الله عليه وآله بقوله: وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْکَ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَةَ وَعَلَّمَکَ مَا لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ. (النساء:۱۱۳) وهو خطاب خاص لانفقهه حقيقة الفقه، إذ لاذوق لنا فى هذا النحو من العلم والشعور.

غير أن الذى يظهر لنا من سائر كلامه تعالى بعض الظهور كقوله: قُلْ مَنْ كَانَ عدواً لِجِبْرِيلَ فإنه نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِکَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. (البقرة:۹۷) (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُبِينٍ، (الشعراء:۱۹۵-۱۹۶) أن الإنزال المذكور من سنخ العلم، ويظهر من جهة أخرى أن ذلك من قبيل الوحى والتكليم، كما يظهر من قوله: شَرَعَ لَکُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْکَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إبراهيم وَمُوسَى وَعِيسَى، الآية.. (الشورى:۱۳) وقوله: أنا أَوْحَيْنَا إِلَيْکَ كَمَا أَوْحَيْنَا إلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، (النساء:۱۶۳) وقوله: إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ.(الأنعام-۵۰)، وقوله: إنما أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ (لأعراف:۲۰۳) ويستفاد من الآيات على اختلافها أن المراد بالإنزال هو الوحى، وحى الكتاب والحكمة، وهو نوع تعليم إلهى لنبيه صلى الله عليه وآله.

غير أن الذى يشير إليه بقوله: وَعَلَّمَکَ مَا لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ. (النساء:۱۱۳) ليس هو الذى علمه بوحى الكتاب والحكمة فقط، فإن مورد الآية قضاء النبى صلى الله عليه وآله فى الحوادث الواقعة والدعاوى التى ترفع إليه برأيه الخاص، وليس ذلك من الكتاب والحكمة بشئ وإن كان متوقفاً عليهما بل رأيه ونظره الخاص به. ومن هنا يظهر أن المراد بالإنزال والتعليم فى قوله: وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْکَ الْکِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمْ. (النساء:۱۱۳) نوعان اثنان من العلم، أحدهما التعليم بالوحى ونزول الروح الأمين على النبى صلى الله عليه وآله والإخر: التعليم بنوع من الإلقاء فى القلب والإلهام الخفى الإلهى من غير إنزال الملك، وهذا هو الذى تؤيده الروايات الواردة فى علم النبى صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا فالمراد بقوله: وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ،آتاك نوعاً من العلم لو لم يؤتك إياه من لدنه لم يكفك فى إيتائه الأسباب العادية التى تعلم الإنسان ما يكتسبه من العلوم.

فقد بان من جميع ما قدمناه أن هذه الموهبة الإلهية التى نسميها قوة العصمة نوع من العلم والشعور، يغاير سائر أنواع العلوم فى أنها غير مغلوبة لشئ من القوى الشعورية البتة، بل هى الغالبة القاهرة عليها المستخدمة إياها، ولذلك كانت تصون صاحبها من الضلال والخطيئة مطلقاً.

وقد ورد فى الروايات أن للنبى والإمام عليهما السلام روحاً تسمى روح القدس تسدده وتعصمه عن المعصية والخطيئة، وهى التى يشير إليها قوله تعالى وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَامَاكُنْتَ تَدْرِى مَاالْكِتَابُ وَلا الإيمان وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا، (الشورى:۵۲) بتنزيل الآية على ظاهرها من الإلقاء عليه صلى الله عليه وآله ونظيره قوله تعالى: وَجَعَلْنَاهُمْ أئمة يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ، (الأنبياء:۷۳)بناء على ما سيجئ من بيان معنى الآية إن شاء الله العزيز أن المراد به تسديد روح القدس الإمام بفعل الخيرات وعبادة الله سبحانه. وبانَ مما مر أيضاً أن المراد بالكتاب فى قوله: وَأَنْزَلَ الله عَلَيْكَ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، هو الوحى النازل لرفع اختلافات الناس على حد قوله تعالى:كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ). (البقرة:۲۱۳).

دفاع أهل البيت و شيعتهم عن عصمة الأنبياء

الامام الصادق يتألم لظلم الناس للأنبياء والأوصياء

اشاره

فى أمالى الصدوق ص۱۶۳: (حدثنا أبى رحمه الله قال: حدثنا على بن محمد بن قتيبة عن حمدان بن سليمان، عن نوح بن شعيب، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح، عن علقمة، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام وقد قلت له: يا بن رسول الله أخبرنى من تقبل شهادته ومن لاتقبل شهادته؟ فقال: (يا علقمة، كل من كان على فطرة الإسلام جازت شهادته. قال فقلت له: تقبل شهادة المقترف للذنوب؟ فقال: يا علقمة لو لم تقبل شهادة المقترفين للذنوب لما قبلت إلا شهادات الأنبياءوالأوصياء صلوات الله عليهم، لأنهم هم المعصومون دون سائر الخلق، فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً أو لم يشهد عليه بذلك شاهدان، فهو من أهل العدالة والستر، وشهادته مقبولة، وإن كان فى نفسه مذنباً...

قال علقمة: فقلت للصادق عليه السلام: يا بن رسول الله أن الناس ينسبوننا إلى عظائم الأمور، وقد ضاقت بذلك صدورنا. فقال عليه السلام:

يا علقمة أن رضا الناس لايملك، وألسنتهم لاتضبط، فكيف تَسْلمون مما لم يسلم منه أنبياءالله ورسله وحججه عليهم السلام؟!

ألم ينسبوا يوسف إلى أنه هم بالزنا؟! ألم ينسبوا أيوب إلى أنه ابتلى بذنوبه؟!

ألم ينسبوا داود إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهواها! وأنه قدم زوجها إمام التابوت حتى قتل ثم تزوج بها؟!

ألم ينسبوا موسى إلى أنه عنين وآذوه حتى برأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها؟!

ألم ينسبوا جميع أنبياءالله إلى أنهم سحرة طلبة الدنيا؟!

ألم ينسبوا مريم بنت عمران إلى أنها حملت بعيسى من رجل نجار اسمه يوسف؟!

ألم ينسبوا نبينا محمداً صلى الله عليه وآله إلى أنه شاعر مجنون؟ ألم ينسبوه إلى أنه هوى امرأة زيد بن حارثة فلم يزل بها حتى استخلصها لنفسه؟ ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء! حتى أظهره الله عز وجل على القطيفة وبرأ نبيه من الخيانة، وأنزل بذلك فى كتابه: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أن يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يأت بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! ألم ينسبوه إلى أنه ينطق عن الهوى فى ابن عمه على حتى كذبهم الله عز وجل، فقال سبحانه: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى.إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى؟!

ألم ينسبوه إلى الكذب فى قوله: أنه رسول من الله إليهم؟ حتى أنزل الله عز وجل عليه: وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ؟!

ولقد قال يوماً: عرج بى البارحة إلى السماء. فقيل: والله ما فارق فراشه طول ليلته.

وما قالوا فى الأوصياء عليهم السلام أكثر من ذلك! ألم ينسبوا سيد الأوصياء عليه السلام إلى أنه كان يطلب الدنيا والملك وأنه كان يؤثر الفتنة على السكون، وأنه يسفك دماء المسلمين بغير حلها، وأنه لو كان فيه خير ما أمر خالدَ بن الوليد بضرب عنقه؟

ألم ينسبوه إلى أنه أراد أن يتزوج ابنة أبى جهل على فاطمة عليها السلام، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله شكاه على المنبر إلى المسلمين، فقال: أن علياً يريد أن يتزوج ابنة عدو الله على ابنة نبى الله، إلا أن فاطمة بضعة منى، فمن آذاها فقد آذانى، ومن سرها فقد سرنى، ومن غاظها فقد غاظنى؟

ثم قال الصادق عليه السلام: يا علقمة، ما أعجب أقاويل الناس فى على عليه السلام!

كم بين من يقول: أنه رب معبود، وبين من يقول: أنه عبد عاص للمعبود! ولقد كان قول من ينسبه إلى العصيان أهون عليه من قول من ينسبه إلى الربوبية.

يا علقمة، ألم يقولوا لله عز وجل: أنه ثالث ثلاثة؟ ألم يشبهوه بخلقه؟ ألم يقولوا أنه الدهر؟ ألم يقولوا: أنه الفلك؟ ألم يقولوا: أنه جسم؟ ألم يقولوا: أنه صورة؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

ياعلقمة، أن الألسنة التى تتناول ذات الله تعالى ذكره بما لايليق بذاته، كيف تحبس عن تناولكم بما تكرهونه! فاستعينوا بالله واصبروا، أن الأرض لله يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. فإن بنى إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أن تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا، فقال الله عز وجل: قل لهم يا موسى:عَسَى رَبُّكُمْ أن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرض فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ). (لأعراف:۱۲۹)

الإمام الرضا عليه السلام يدافع عن عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام

فى عيون أخبار الرضا عليه السلام:۲/۱۷۴: (باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون فى عصمة الأنبياء عليهم السلام: (حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشى(رض)قال: حدثنى أبى عن حمدان بن سليمان النيسابورى عن على بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا على بن موسى عليهما السلام فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك: الأنبياءمعصومون؟ قال: بلى قال: فما معنى قول الله عز وجل: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى؟

فقال عليه السلام: أن الله تبارك وتعالى قال لآدم:(اسْكُنْ أنت وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، وأشار لهما إلى شجره الحنطة فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، ولم يقل لهما: لاتأكلا من هذه الشجره ولا مما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجره ولم يأكلا منها وإنما أكلا من غيرها لمَّا أن وسوس الشيطان اليهما وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وإنما نهاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها، إلا أنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ , ولم يكن آدم وحواء شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً، فَدَلاهُمَا بِغُرُور، فأكلا منها ثقة بيمينه بالله>.وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم

یکن ذلک بـذنب کبیر استـحق به دخول النار، وإنما کان من الصـغائر الموهوبـهٔ التی تجوز علی الأنبیاءقبل نزول الوحی علیهم <فلما اجتبـاه الله تعالی وجعله نبیاً کان معصوماً لا یـذنب صـغیرهٔ ولا کبیرهٔ، قال الله عز وجل: وَعَصَـی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَی ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَیْهِ وَهَدَی. وقال عز وجل: أن الله اصْطَفَی آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبراهیم وَآلَ عِمْرَانَ عَلَی الْعَالَمِینَ.

فقال له المأمون: فما معنی قول الله عز وجل: فَلَمَّا آتَاهُمَا صالحاً جَعَلا لَهُ شُرَکَاءَ فِیمَا آتَاهُمَا؟

فقـال له الرضـا علیه السـلام>: إن حواء ولـدت لآدم خمس مأهٔ بطن ذکراً وأنثی، <وإن آدم علیه السـلام وحواء عاهـدا الله عز وجل ودعواه وقالا: لَئِنْ آتَیْتَنَا صالحاً لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ، فَلَمَّا آتَاهُمَا صالحاً من النسل خلقاً سویاً بریئاً من الزمانـهٔ والعاههٔ وکان ما آتاهما صنفین صـنفاً ذکراناً وصـنفاً إناثاً، فجعل الصنفان لله تعالی شُرَکَاءَ فِیمَا آتَاهُمَا، ولم یشکراه کشکر أبویهما له عز وجل، قال الله تبارک وتعالی: فَتَعَالَی اللهُ عَمَّا یُشْرِکُونَ.

فقـال المـأمون: أشـهد إنـک ابن رسول الله حقـاً، فـأخبرنی عن قول الله عز وجل فی حق إبراهیم علیه السـلام: فَلَمَّا جَنَّ عَلَیْهِ اللَّیْلُ رَأَی کَوْکَباً قَالَ هَذَا رَبِّی؟

فقال الرضا علیه السـلام: أن إبراهیم علیه السـلام وقع إلی ثلاثه أصـناف صـنف یعبد الزهرهٔ وصـنف یعبد القمر وصنف یعبد الشمس، وذلـک حین خرج من السـرب الـذی أخفی فیه فَلَمَّا جَنَّ عَلَیْهِ فرأی الزهرهٔ قال:هَـذَا رَبِّی؟! علی الإنکار والإسـتخبار فَلَمَّا أَفَلَ الکوکب قَالَ لا أحب الآفِلِین، لأن الأفول من صـفات المحدث لا من صفات القدم، فَلَمَّا رَأَی الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّی علی الإنکار والإستخبار: فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ یَهْدِنِی رَبِّی لأَکُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّینَ، یقول: لو لم یهدنی ربی لکنت من القوم الضالین، فلما أصبح رَأَی الشَّمْسَ بَازِغَـهً قَالَ هَـذَا رَبِّی هَذَا أَکْبَرُ من الزهرهٔ والقمر، علی الإنکار والإسـتخبار لا علی الأخبار والإقرار، فَلَمَّا أَفَلَتْ قال للأصـناف الثلاثهٔ من عبدهٔ الزهرهٔ والقمر والشمس:یَا قَوْمِ إِنِّی بَرِیءٌ مِمَّا تُشْرِکُونَ إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَالسَّمَاوَاتِ والأرض حنیفاً وَمَاأَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ وإنمـا أراد إبراهیم علیه السـلام بمـا قـال أن یـبین لهم بطلاًـن دینهم ویثبت عنـدهم أن العبـادهٔ لاـ تحق لمـا کـان بصـفهٔ الزهرهٔ والقمر والشمس، وإنما تحق العبادهٔ لخالقها وخالق السموات والأرض.

وکان ما احتج به علی قومه مما ألهمه الله تعالی وآتاه کما قال الله عز وجل: وَتِلْکَ حُجَّتُنَا آتَیْنَاهَا إبراهیم عَلَی قَوْمِهِ.

فقـال المأمون: لله درک یا ابن رسول الله فأخبرنی عن قول إبراهیم علیه السـلام: رَبِّ أَرِنِی کَیْفَ تُحْیِی الْمَوْتَی قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَی وَلَکِنْ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِی؟

قال الرضا علیه السـلام: أن الله تبارک وتعالی کان أوحی إلی ابراهیم علیه السـلام: إنی متخذ من عبادی خلیلًا أن سألنی إحیاء الموتی أجبته، فوقع فی نفس إبراهیم أنه ذلـک الخلیـل، فقـال:رَبِّ أَرِنِی کَیْفَ تُحْیِی الْمَوْتَی قَـالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَی وَلَکِنْ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِی علی الخلَّهٔ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَهً مِنَ الطَّیْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَیْکَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَی کُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ یَأْتِینَکَ سَعْیاً وَاعْلَمْ أن الله عَزِیزٌ حَکِیمٌ.

فأخـذ إبراهیم علیه السـلام نسـراً وطاووسـاً وبطاً ودیکاً، فقطَّعهنَّ وخَلَطهُنِّ، ثم جعل علی کل جبل من الجبل التی حوله وکانت عشـرهٔ منهن جزءً وجعـل مناقیرهن بین أصـابعه، ثم دعـاهن بأسـمائهن ووضع عنـده حباً وماءً، فتطایرت تلک الأجزاء بعضـها إلی بعض حتی اسـتوت الأبدان، وجاء کل بدن حتی انضمَّ إلی رقبته ورأسه، فخلَّی إبراهیم علیه السلام عن مناقیرهن فطِرْنَ، ثم وقعنَ فشربنَ من ذلک الماء، والْتقطنَ من ذلک الحب وقلنَ: یا نبیَّ الله أحییتنا، أحیاک الله. فقال إبراهیم: بل الله یحیی ویمیت، وهو علی کل شئ قدیر.

قال المأمون: بارک الله فیک یا أبا الحسن فأخبرنی عن قول الله عز وجل: فَوَکَزَهُ مُوسَی فَقَضَی عَلَیْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّیْطَانِ؟

قـال الرضا علیه السـلام: أن موسـی دخل مـدینه من مـدائن فرعون عَلَی حِینِ غَفْلَـهٍ مِنْ أهلها، وذلک بین المغرب والعشاء، فَوَجَـدَ فِیهَا رَجُلَیْنِ یَقْتَتِلانِ هَـذَا مِنْ شِـیعَتِهِ وَهَـذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْـتَغَاثَهُ الَّذِی مِنْ شِـیعَتِهِ عَلَی الَّذِی مِنْ عَدُوِّهِ، فقضـی موسـی علی العدو، وبحکم الله تعالی ذِکْره فَوَکَزَهُ، فمات! قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّیْطَان، یعنی الإقتتال الذی کان وقع بین الرجلین، لا ما فعله موسـی علیه السلام من قَتْلِهِ. أنه عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِینٌ، یعنی الشیطان.

فقال المأمون: فما معنى قول موسى: رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى؟

قال: يقول: إنى وضعت نفسى غير موضعها بدخولى هذه المدينة، فَاغْفِرْ لِى، أى أسترنى من أعدائك لئلا يظفروا بى فيقتلونى، فَغَفَرَ لَهُ أنه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ، من القوة حتى قتلت رجلًا بوكزة، فَلَنْ أكون ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ، بل أجاهد سبيلك بهذه القوة حتى ترضى.

فَأَصْبَحَ موسى عليه السلام فِى الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ على آخر، قَالَ لَهُ مُوسَى إنك لَغَوِيٌّ مُبِينٌ، قاتلت رجلًا بالأمس وتقاتل هذا اليوم، لأوذينك، وأراد أن يبطش به فَلَمَّا أن أراد أن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا وهو من شيعته قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نفساً بِالأَمْسِ أن تُرِيدُ إلا أن تَكُونَ جَبَّاراً فِى الأرض وَمَا تُرِيدُ أن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ.

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون: فَعَلْتُهَا إذا وأنا مِنَ الضَّالِّينَ؟

قال الرضا عليه السلام: أن فرعون قال: لموسى لما أتاه: وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ، بى! قال موسى: فَعَلْتُهَا إذا وأنا مِنَ الضَّالِّينَ، عن الطريق بوقوعى إلى مدينه من مدائنك، فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْماً وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى، يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس. وَوَجَدَكَ ضَالًا، يعنى عند قومك، فَهَدَى، أى هداهم إلى معرفتك.

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى، يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً.

قال المأمون: بارك الله فيك يا ابن رسول الله، فما معنى قول الله عز وجل: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى، كيف يجوز أن يكون كلم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تبارك وتعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟

قال الرضا عليه السلام: أن كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله تعالى أعزُّ من أن يرى بالأبصار، ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقرَّبه نجياً، رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه، فقالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى نستمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمأة الف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً ثم اختار منهم سبعه آلاف، ثم اختار منهم سبعمائة، ثم اختار منهم سبعين رجلًا لميقات ربهم، فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم فى سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور، وسأل الله تعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وإمام، لأن الله عز وجل أحدثه فى الشجرة، وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ بأن هذا الذى سمعناه كلام الله: حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقه فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا رب ما أقول لبنى إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم، لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله عز وجل إياك، فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك ننظر إليه لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته؟ فقال موسى: يا قوم أن الله تعالى لا يرى بالأبصار ولا كيفيه له وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله، فقال موسى: يا رب إنك قد سمعت مقاله بنى إسرائيل، وأنت أعلم بصلاحهم فأوحى الله جل جلاله: يا موسى سلنى ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فإن اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ وهو يهوى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ بآية من آياته جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أفاق قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ يقول: رجعت إلى معرفتى بك عن جهل قومى وأنا أول الْمُؤْمِنِينَ منهم بأنك لا ترى.

فقال المأمون لله درك يا أبا الحسن فأخبرنى عن قول الله عز وجل: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أن رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ؟

قال الرضا عليه السلام: لقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهَمَّ بها كما همت، لكنه عليه السلام كان معصوماً والمعصوم لا يهمُّ بذنب ولا يأتيه، ولقد حدثنى أبى عن أبيه الصادق عليهما السلام أنه قال: همَّت بأن تفعل، وهمَّ بأن لا يفعل.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن فأخبرنى عن قول الله عز وجل:وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أن لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ؟

فقال الرضا عليه السلام: ذاك يونس بن متى عليه السلام ذهب مغاضباً لقومه فظن بمعنى استيقنأَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ أى لن نضيق رزقه، ومنه قوله عز وجل: وأما إذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، أى ضيق وقتر. فَنَادَى فِى الظُّلُمَاتِ،أى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت أن لاإله إلاأنت سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، بتركى مثل هذه العبادة التى قد فرغتنى لها فى بطن الحوت، فاستجاب الله له وقال عز وجل: فَلَوْلا أنه كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ.لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

فقال المأمون: لله درك أبا الحسن فأخبرنى عن قول الله عز وجل: حَتَّى إذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا؟

قال الرضا عليه السلام يقول الله عز وجل:حَتَّى إذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ من قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كُذِبوا، جاء الرسل نصرنا.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، فأخبرنى قول الله عز وجل: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قال الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركى أهل مكه أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاث مأة وستين صنماً فلما جاءهم صلى الله عليه وآله بالدعوه إلى كلمة الإخلاص كَبُرَ ذلك عليهم وعَظُم وقالوا: أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً واحداً أن هَذَا لَشَئٌ عُجَابٌ. وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أن امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ أن هَذَا لَشَئٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِى الْمِلَّةِ الآخرة أن هَذَا إلا اخْتِلاقٌ. فلما فتح الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله مكه قال له يا محمد: أنا فَتَحْنَا لَكَ> مكة فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، عند مشركى أهل مكه بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم. وَمَا تَأَخَّرَ، لأن مشركى مكه أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ومن بقى منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم ذلك مغفوراً بظهوره عليهم.

فقال المأمون: لله درك أبا الحسن، فأخبرنى عن قول الله عز وجل: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ؟ قال الرضا عليه السلام:هذا مما نزل بإياك أعنى واسمعى يا جارة، خاطب الله عز وجل بذلك نبيه وأراد به أمته وكذلك قوله: تعالى: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وقوله عز وجل: وَلَوْلا أن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شيئاً قليلاً.

قال صدقت يا ابن رسول الله فأخبرنى عن قول الله عز وجل: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أحق أن تَخْشَاهُ؟

قال الرضا عليه السلام>: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثه بن شراحيل الكلبى فى أمر أراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان الذى خلقك، وإنما أراد بذلك تنزيه البارى عز وجل عن قول من زعم أن الملائكة بنات الله، فقال الله عز وجل: أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قولاً عَظِيماً، فقال النبى صلى الله عليه وآله: لما رآها تغتسل: سبحان الذى خلقك أن يتخذ له ولداً يحتاج إلى هذا التطهير والإغتسال، فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجئ رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله لها: سبحان الذى خلقك! فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظن أنه قال ذلك لما أعجبه من حسنها < فجاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وقال له: يارسول الله أن امرأتى فى خلقها سوء وإنى أريد طلاقها فقال النبى صلى الله عليه وآله: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ، وقد كان الله عز وجل عرَّفه عدد أزواجه وإن تلك المرأ صلى الله عليه وآله منهن، فأخفى ذلك فى نفسه، ولم يبده لزيد، وخشئ الناس أن يقولوا أن محمداً يقول لمولاه: أن امرأتك ستكون لى زوجة، يعيبونه بذلك، فأنزل الله عز وجل: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ يعنى بالإسلام، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ يعنى بالعتق أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أحق أن تَخْشَاهُ.

ثم أن زيد بن حارثه طلقها واعتدت منه فزوجها الله عز وجل من نبيه محمد صلى الله عليه وآله وأنزل بذلك قرآناً فقال عز وجل: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لايَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أمر اللهِ مَفْعُولاً. ثم علم الله عز وجل أن المنافقين سيعيبونه بتزويجها فأنزل الله تعالى: مَا كَانَ عَلَى النَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أمر اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً.

فقال المأمون: لقد شفيت صدرى يا ابن رسول الله وأوضحت لى ما كان ملتبساً علىَّ، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً.

قال على بن محمد بن الجهم: فقام المأمون إلى الصلاة وأخذ بيد محمد بن جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله وكان حاضر المجلس وتبعتهما، فقال له المأمون: كيف رأيت ابن أخيك؟ فقال له:عالم ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم!

فقال المأمون: أن ابن أخيك من أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله الذين قال فيهم النبى:

إلاـ أن أبرار عترتى وأطايب أرومتى أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، لايخرجونكم من باب هدى، ولايدخلونكم فى باب ضلالة.

وانصرف الرضا عليه السلام الى منزله، فلما كان من الغد غدوت عليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمد بن جعفر له، فضحك عليه السلام ثم قال: يا ابن الجهم لايغرنك ما سمعته منه فإنه سيغتالنى، والله تعالى ينتقم لى منه!

قال مصنف هذا الكتاب: هذا الحديث غريب من طريق على بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام). انتهى. (ورواه الصدوق أيضاً فى التوحيد/۷۴: و/۱۲۱)

ملاحظة

اعتبر السيد الخوئى قدس سره علىَّ بن الجهم وعلىَّ بن محمد بن الجهم، شخصاً واحداً، قال فى معجم رجال الحديث:۱۲/۳۲۳: (على بن الجهم: عن مروج الذهب أنه بلغ من نصب على بن الجهم أنه كان يلعن أباه فسئل عن ذلك فقال: بتسميتى علياً! قال ابن شهرآشوب: قال أبو العيناء لعلى بن الجهم: إنما تبغض علياً لأنه كان يقتل الفاعل والمفعول، وأنت أحدهما! فقال له: يا مخنث! فقال أبو العيناء: وَضَرَبَ لَنَا مثلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ)!!

وقال فى:۱۳/۱۴۲: (على بن محمد بن الجهم: روى الصدوق بإسناده عنه فى حديث ذكر فى آخره أن المأمون سأل محمد بن جعفر بن محمد وقال: كيف رأيت ابن أخيك (الرضا عليه السلام)؟ فقال: عالم، ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم...الخ. ثم قال السيد الخوئى رحمه الله: أقول: كأن على بن محمد بن الجهم، هو على بن الجهم المتقدم). انتهى.

لكنَّ علىَّ بن محمد بن الجهم إسم لعديد من الرواة، وقد ميزوا بعضهم بالسمرى، وبعضهم بالكاتب، وبعضهم بالسائى، وبعضهم بكنية أبى طالب... (راجع كفاية الخطيب ص ۹۰ قال: أنا أبو طالب على بن محمد بن الجهم الكاتب، قال ثنا صالح بن أحمد بن حنبل...).

وميزه الكلباسى فى سماء المقال:۱/۸: فقال:(على بن الجهم بن بدر السائى: كان أكذب خلق الله، مشهوراً بالنصب كثير الحط على على وأهل البيت عليهم السلام وقيل إنه كان يلعن أباه لم سماه علياً).

أما الحسكانى فى شواهد التنزيل:۱/۴۲، فروى عن أبى الفضل جعفر بن الفضل الوزير بمكة، قال: حدثنا على بن محمد بن الجهم..وروى عنه فضيلة لأمير المؤمنين عليهم السلام)

كما روى الزرندى فى نظم درر السمطين: ص۲۴۲، عن على بن الجهم معجزة الإمام الهادى عليه السلام مع المتوكل.

ولعل الذى روى عنه الصدوق غير الذين ترجموا لهم بهذا الإسم، لاسيما أن رواية أبى الصلت التى نقلناها فى مقدمة الكتاب عن العيون:۲/۱۷۰، تدل على أنه كان من العلماء الذين اختارهم المأمون لمناظرة الإمام الرضا عليه السلام وأنه لم يكن معانداً بل كان مؤدباً مخبتاً مطيعاً للحق، فقد جاء فى آخرها:

(وفى آخرها: فبكى على بن محمد بن الجهم وقال: يا ابن رسول الله،أنا تائب إلى الله عز وجل من أن أنطق فى أنبياءالله عليهم السلام بعد يومى إلا بما ذكرته).

فمن المحتمل أنه اهتدى بعد مناظرته مع الإمام الرضا عليه السلام ولم يطلع الصدوق على ذلك.

لكن الإشكال الأهم من إسم ابن الجهم، متن روايته، ففيها تنزيهٌ للأنبياء عليهم السلام يتفق مع مذهبنا، وفيها ما يخالف عصمتهم التامة

قبل البعثة، ولذا قال صاحب الميزان:۱/۱۴۶: (أقول: قال الصدوق رحمه الله بعد نقل الحديث على طوله: والحديث عجيب من طريق على بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام. انتهى. وما أعجبه منه إلا ما شاهده من اشتماله على تنزيه الأنبياء عليهم السلام من غير أن يمعن النظر فى الأصول المأخوذة فيه، فما نقله من جوابه عليه السلام فى آدم لايوافق مذهب أئمة أهل البيت المستفيض عنهم من عصمة الأنبياءمن الصغاير والكبائر قبل النبوة وبعدها.

على أن الجواب مشتمل على تقدير فى قوله تعالى: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلا أن تَكُونَا...، إلى مثل قولنا: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة وإنما نها كما عن غيرها، وما نهاكما عن غيرها إلا أن تكونا..الخ.). انتهى.

فالرواية مضافاً إلى الجهالة فى سندها، فيها إشكالات تتعلق بالعصمة، وقد وضعنا أهم فقراتها بين قوسين). < > (

لكنها بقرينة الشواهد الأخرى الصحيحة، تدل على أن الإمام الرضا عليه السلام قد أجاب المأمون على تمسك العامة بالمتشابهات وشبهات اليهود على عصمة الأنبياءالتامة عليهم السلام، وشبهات قريش على عصمة نبينا صلى الله عليه وآله، وإن كان الرواى ابن الجهم أو غيره رواها متأثرةً بتصوره، ولم يحفظها بدقة!

استغفار الأنبياء والأوصياء وابتلاؤهم لم يكن بسبب الذنوب

اشاره

فى الخصال للصدوق ص۳۹۹: (حدثنا أبى(رض)قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن على الخزاز، عن فضل الأشعرى، عن الحسين بن المختار، عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ابتلى أيوب عليه السلام سبع سنين بلا ذنب.

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا الحسن بن على السكرى قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهرى قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهم السلام قال: أن أيوب عليه السلام ابتلى من غير ذنب، وإن الأنبياءلايذنبون لأنهم معصومون مطهرون، لايذنبون ولايزيغون ولايرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً.

وقال عليه السلام: إن أيوب عليه السلام مع جميع ما ابتلى به لم ينتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح، ولا استقذره أحد رآه، ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا يدود شئ من جسده، وهكذا يصنع الله عز وجل بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه. وإنما اجتنبه الناس لفقره وضعفه فى ظاهر أمره، لجهلهم بما له عند ربه تعالى ذكره من التأييد والفرج، وقد قال النبى صلى الله عليه وآله: أعظم الناس بلاء الأنبياءثم الأمثل فالأمثل، وإنما ابتلاه الله عزوجل بالبلاء العظيم الذى يهون معه على جميع الناس، لئلا يدَّعوا له الربوبية إذا شاهدوا ما أراد الله أن يوصله إليه من عظائم نعمه متى شاهدوه، ليستدلوا بذلك على أن الثواب من الله تعالى ذكره على ضربين: استحقاق واختصاص، ولئلا يحتقروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره ولأمريضاً لمرضه، وليعلموا أنه يسقم من يشاء ويشفى من يشاء، متى شاء كيف شاء بأى سبب شاء، ويجعل ذلك عبرةً لمن يشاء وشقاوة لمن يشاء وسعادة لمن يشاء، وهو فى جميع ذلك عدل فى قضائه وحكيم فى أفعاله، لايفعل بعباده إلا الأصلح لهم، ولا قوة لهم إلا به).

وفى معانى الأخبار/۳۸۳: (حدثنا أبى رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن على بن رئاب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَمَاأَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ، أرأيت ما أصاب علياً وأهل بيته هو بما كسبت أيديهم، وهم أهل بيته طهارة معصومون؟

فقال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله عزوجل ويستغفره فى كل يوم وليلة مائة مره من غير ذنب. أن الله عز وجل يخص أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب). (ورواه فى الكافى:۲/۴۵۰)

وفی الکافی:۲/۴۵۰: (علی بن إبراهیم، رفعه قال: لما حمل علی بن الحسین إلی یزید بن معاویة فأوقف بین یدیه، قال یزید: وما أصابکم من مصیبة فبما کسبت أیدیکم، فقال علی بن الحسین: لیست هذا الآیة فینا أن فینا قول الله عز وجل: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِیبَةٍ فِی الأرض وَلافِی أَنْفُسِکُمْ إلا فِی کِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أن نَبْرَأَهَا أن ذَلِکَ عَلَی اللهِ یَسِیرٌ).

ملاحظة

إن نفیَ الذنوب عن الأنبیاءوالأوصیاء علیهم السلام والإعتقاد بأنهم مطهرون منها، کما فی الخصال ص۶۰۳ وأمالی الصدوق ص۷۳۸، لاینافیه وجود آیات تنسب الیهم الذنوب علیهم السلام، لأنها ذنوب من مستواهم ولیست من نوع ذنوبنا، فیصح إطلاق الذنوب علیها بلحاظ، ونفی کونها ذنوباً بلحاظ آخر، کما لو دخل شخص مجلساً ولم یسلِّم علی أهله، فقلت له هذا ذنبٌ لایناسب أخلاقک العالیة، ثم قلت له: لکن لابأس فهو لیس ذنباً شرعیاً.

هشام بن الحکم یدافع عن عصمة الأنبیاء والأئمة تحت سیف هارون الرشید

فی کمال الدین للصدوق ص۳۶۲: (حدثنا أحمد بن زیاد الهمدانی، والحسین بن إبراهیم بن ناتانه رضی الله عنهما قالا: حدثنا علی بن إبراهیم بن هاشم، عن أبیه، عن محمد بن أبی عمیر قال: أخبرنی علی الأسواری قال: کان لیحیی بن خالد مجلس فی داره یحضره المتکلمون من کل فرقة وملة یوم الأحد فیتناظرون فی أدیانهم، یحتج بعضهم علی بعض، فبلغ ذلک الرشید، فقال لیحیی بن خالد: یاعباسی ما هذا المجلس الذی بلغنی فی منزلک یحضره المتکلمون؟ قال: یا أمیر المؤمنین ما شئ مما رفعنی به أمیر المؤمنین وبلغ بی من الکرامة والرفعة أحسن موقعاً عندی من هذا المجلس، فإنه یحضره کل قوم مع اختلاف مذاهبهم، فیحتج بعضهم علی بعض ویعرف المحق منهم، ویتبین لنا فساد کل مذهب من مذاهبهم.

فقال له الرشید: أنا أحب أن أحضر هذا المجلس وأسمع کلامهم علی أن لا یعلموا بحضوری فیحتشمونی ولا یظهروا مذاهبهم، قال: ذلک إلی أمیر المؤمنین متی شاء، قال: فضع یدک علی رأسی أن لا تعلمهم بحضوری، ففعل، وبلغ الخبر المعتزلة، فتشاوروا بینهم وعزموا علی أن لا یکلموا هشاماً إلا فی الإمامة لعلمهم بمذهب الرشید وإنکاره علی من قال بالإمامة.

قال: فحضروا وحضر هشام، وحضر عبد الله بن یزید الإباضی وکان من أصدق الناس لهشام بن الحکم، وکان یشارکه فی التجارة، فلما دخل هشام سلم علی عبد الله بن یزید من بینهم، فقال یحیی بن خالد لعبد الله بن یزید: یا عبد الله کلم هشاماً فیما اختلفتم فیه من الإمامة.

فقال هشام: أیها الوزیر لیس لهم علینا جواب ولا مسألة إن هؤلاء قوم کانوا مجتمعین معنا علی إمامة رجل، ثم فارقونا بلا علم ولا معرفة، فلا حین کانوا معنا عرفوا الحق، ولا حین فارقونا علموا علی ما فارقونا، فلیس لهم علینا مسألة ولا جواب.

فقال بیان، وکان من الحروریة: أنا أسألک یا هشام، أخبرنی عن أصحاب علی یوم حکموا الحکمین أکانوا مؤمنین أم کافرین؟

قال هشام: کانوا ثلاثة أصناف: صنف مؤمنون، وصنف مشرکون، و صنف ضُلال، فأما المؤمنون فمن قال مثل قولی إن علیاً علیه السلام إمام من عند الله عز وجل ومعاویة لایصلح لها، فآمنوا بما قال الله عز وجل فی علی علیه السلام وأقروا به. وأما المشرکون فقوم قالوا: علی إمام، ومعاویة یصلح لها، فأشرکوا إذ أدخلوا معاویة مع علی علیه السلام. وأما الضلال: فقوم خرجوا علی الحمیة والعصبیة للقبائل والعشائر لم یعرفوا شیئاً من هذا وهم جهال.

قال: فأصحاب معاویة ما کانوا؟ قال: کانوا ثلاثة أصناف: صنف کافرون، وصنف مشرکون، وصنف ضلال. فأما الکافرون: فالذین قالوا إن معاویة إمام، وعلی لا یصلح لها، فکفروا من جهتین إذ جحدوا إماماً من الله عز وجل، ونصبوا إماماً لیس من الله. وأما المشرکون: فقوم قالوا: معاویة إمام، وعلی یصلح لها، فأشرکوا معاویة مع علی علیه السلام. وأما الضلال: فعلی سبیل أولئک خرجوا للحمیة

والعصبیة للقبائل والعشائر. فانقطع بیان عند ذلک.

فقال ضرار: وأنا أسألک یا هشام فی هذا؟ فقال هشام: أخطأت قال: ولمَ؟ قال: لأنکم کلکم مجتمعون علی دفع إمامة صاحبی، وقد سألنی هذا عن مسألة ولیس لکم أن تثنوا بالمسألة علیَّ حتی أسألک یا ضرار عن مذهبک فی هذا الباب؟

قال ضرار: فسل، قال: أتقول إن الله عز وجل عدل لا یجور؟

قال: نعم هو عدل لا یجور تبارک وتعالی.

قال: فلو کلف الله المقعد المشیء إلی المساجد والجهاد فی سبیل الله، وکلف الأعمی قراءة المصاحف والکتب أتراه کان یکون عادلا أم جائراً؟

قال ضرار: ما کان الله لیفعل ذلک.

قال هشام: قد علمت أن الله لا ـ یفعل ذلک ولکن ذلک علی سبیل الجدل والخصومة أن لو فعل ذلک ألیس کان فی فعله جائراً إذ کلفه تکلیفاً لا یکون له السبیل إلی إقامته وأدائه؟

قال: لو فعل ذلک لکان جائراً.

قال: فأخبرنی عن الله عز وجل کلف العباد دیناً واحداً لا اختلاف فیه لا یقبل منهم إلا أن یأتوا به کما کلفهم؟

قال: بلی. قال: فجعل لهم دلیلًا علی وجود ذلک الدین، أو کلفهم مالا دلیل لهم علی وجوده فیکون بمنزلة من کلف الأعمی قراءة الکتب والمعقد المشیء إلی المساجد والجهاد؟

قال: فسکت ضرار ساعة، ثم قال: لا بدَّ من دلیل ولیس بصاحبک!

قال: فتبسم هشام وقال: تشیع شطرک وصرت إلی الحق ضرورة ولا خلاف بینی وبینک إلا فی التسمیة!

قال ضرار: فإنی أرجع القول علیک فی هذا.

قال: هات.. قال ضرار لهشام: کیف تعقد الإمامة؟

قال هشام: کما عقد الله عز وجل النبوة.

قال: فهو إذاً نبی! قال هشام: لا لأن النبوة یعقدها أهل السماء، والإمامة یعقدها أهل الأرض فعقد النبوة بالملائکة، وعقد الإمامة بالنبی، والعقدان جمیعاً بأمر الله جل جلاله.

قال: فما الدلیل علی ذلک؟ قال هشام: الإضطرار فی هذا.

قال ضرار: وکیف ذلک؟

قال هشام: لا یخلو الکلام فی هذا من أحد ثلاثة وجوه: أما أن یکون الله عز وجل رفع التکلیف عن الخلق بعد الرسول صلی الله علیه وآله، فلم یکلفهم ولم یأمرهم ولم ینههم فصاروا بمنزلة السباع والبهائم التی لا تکلیف علیها، أفتقول هذا یا ضرار إن التکلیف عن الناس مرفوع بعد الرسول صلی الله علیه وآله؟

قال: لا أقول هذا.

قال هشام: فالوجه الثانی ینبغی أن یکون الناس المکلفون قد استحالوا بعد الرسول صلی الله علیه وآله علماء فی مثل حد الرسول فی العلم حتی لا ـ یحتاج أحد إلی أحد، فیکونوا کلهم قد استغنوا بأنفسهم، وأصابوا الحق الذی لا اختلاف فیه! أفتقول هذا إن الناس استحالوا علماء حتی صاروا فی مثل حد الرسول فی العلم بالدین حتی لا یحتاج أحد إلی أحد، مستغنین بأنفسهم عن غیرهم فی إصابة الحق؟

قال: لا أقول هذا، ولکنهم یحتاجون إلی غیرهم.

قال: فبقی الوجه الثالث وهو أنه لا ـ بدَّ لهم من عالم یقیمه الرسول لهم لا یسهو ولا یغلط ولا یحیف، معصوم من الذنوب، مبرؤ من

الخطايا، يحتاج الناس إليه ولا يحتاج إلى أحد.

قال: فما الدليل عليه؟ قال هشام: ثمان دلالات أربع فى نعت نسبه، وأربع فى نعت نفسه. فأما الأربع التى فى نعت نسبه: فإنه يكون معروف الجنس، معروف القبيلة، معروف البيت، وإن يكون من صالب الملة والدعوة إليه إشارة، فلم ير جنس من هذا الخلق أشهر من جنس العرب الذين منهم صاحب الملة والدعوة الذى ينادى باسمه فى كل يوم خمس مرات على الصوامع " أشهد أن لا إله إلا الله، وإن محمداً رسول الله " فتصل دعوته إلى كل بر وفاجر وعالم وجاهل، مقر ومنكر، فى شرق الأرض وغربها، ولو جاز أن تكون الحجة من الله على هذا الخلق فى غير هذا الجنس لأتى على الطالب المرتاد دهر من عصره لا يجده، ولجاز أن يطلبه فى أجناس من هذا الخلق من العجم وغيرهم، ولكان من حيث أراد الله عز وجل أن يكون صلاح يكون فساد، ولا ـ يجوز هذا فى حكمة الله جل وجلاله وعدله أن يفرض على الناس فريضة لا توجد. فلما لم يجز ذلك لم يجز أن يكون إلا فى هذا الجنس لا تصاليه بصاحب الملة والدعوة، فلم يجز أن يكون من هذا الجنس إلا فى هذه القبيلة لقرب نسبها من صاحب الملة وهى قريش، ولما لم يجز أن يكون من هذا الجنس إلا فى هذه القبيلة لم يجز أن يكون من هذه القبيلة إلا فى هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملة و الدعوة، ولما كثر أهل هذا البيت وتشاجروا فى الإمامة لعلوها وشرفها، ادعاها كل واحد منهم فلم يجز إلا أن يكون من صاحب الملة والدعوة إشارة إليه بعينه واسمه ونسبه كيلا يطمع فيها غيره.

وأما الأربع التى فى نعت نفسه: فإن يكون أعلم الناس كلهم بفرائض الله وسننه وأحكامه حتى لا يخفى عليه منها دقيق ولا جليل، وإن يكون معصوماً من الذنوب كلها، وإن يكون أشجع الناس، وإن يكون أسخى الناس.

فقال عبد الله بن يزيد الإباضى: من أين قلت: أنه أعلم الناس؟

قال: لأنه أن لم يكن عالماً بجميع حدود الله وأحكامه وشرائعه وسننه لم يؤمن عليه أن يقلب الحدود، فمن وجب عليه القطع حده، ومن وجب عليه الحد قطعه، فلا يقيم لله عز وجل حدا على ما أمر به فيكون من حيث أراد الله صلاحاً يقع فساداً.

قال: فمن أين قلت: أنه معصوم من الذنوب؟ قال: لأنه إن لم يكن معصوماً من الذنوب دخل فى الخطأ، فلا يؤمن أن يكتم على نفسه ويكتم على حميمه وقريبه، ولا يحتج الله بمثل هذا على خلقه.

قال: فمن أين قلت: إنه أشجع الناس؟

قال: لأنه فئة للمسلمين الذى يرجعون إليه فى الحروب، وقال الله عز وجل: وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلا مُتَحرفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللِه، فإن لم يكن شجاعاً فرَّ فيبوء بغضب من الله، ولا يجوز أن يكون من يبوء بغضب من الله عز وجل حجة الله على خلقه.

قال: فمن أين قلت أنه أسخى الناس؟

قال: لأنه خازن المسلمين فإن لم يكن سخياً تاقت نفسه إلى أموالهم فأخذها فكان خائناً، و لا يجوز أن يحتج الله على خلقه بخائن.

فعند ذلك قال ضرار: فمن هذا بهذه الصفة فى هذا الوقت؟

فقال: صاحب القصر أمير المؤمنين! وكان هارون الرشيد قد سمع الكلام كله، فقال عند ذلك: أعطانا والله من جراب النورة، ويحك يا جعفر، وكان جعفر بن يحيى جالساً معه فى الستر، مَنْ يعنى بهذا؟

فقال: يا أمير المؤمنين يعنى به موسى بن جعفر، قال: ما عنى بها غير أهلها، ثم عضَّ على شفتيه وقال: مثل هذا حيٌّ ويبقى لى ملكى ساعة واحدة! فو الله للسان هذا أبلغ فى قلوب الناس من مائة ألف سيف!!

وعلم يحيى أن هشاماً قد أُتِىَ، فدخل الستر فقال: يا عباسى ويحك من هذا الرجال؟ فقال: يا أمير المؤمنين حسبك، تكفى تكفى! ثم خرج إلى هشام فغمزه، فعلم هشام أنه قد أتىَ فقام يريهم أنه يبول أو يقضى حاجة، فلبس نعليه وانسل، ومر ببيته وأمرهم بالتوارى، وهرب ومر من فوره نحو الكوفة، فوافى الكوفة ونزل على بشير النبال- وكان من حملة الحديث من أصحاب أبى عبد الله عليه السلام

- فأخبره الخبر، ثم اعتل علة شديدة فقال له البشير: آتيك بطبيب؟ قال: لا أنا ميت، فلما حضره الموت قال لبشير: إذا فرغت من جهازى فاحملنى فى جوف الليل وضعنى بالكناسة واكتب رقعة وقل: هذا هشام بن الحكم الذى يطلبه أمير المؤمنين، مات حتف أنفه. وكان هارون قد بعث إلى إخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به، فلما أصبح أهل الكوفة رأوه، وحضر القاضى وصاحب المعونة والعامل و المعدلون بالكوفة، وكتب إلى الرشيد بذلك، فقال: الحمد لله الذى كفانا أمره فخلى عمن كان أخذ به)!!. انتهى. (وعنه فى البحار بتفاوت يسير: ۴۸/۱۹۷)

وفى هذا النص دلالات هامة تاريخية وعقيدية، وهو يكشف الحكمة من نهى الإمام الكاظم عليه السلام لهشام رحمه الله نهياً مشدداً عن المشاركة فى ذلك مجلس المناظرات البرمكى!

وإن كان زمن هذه القصة بعد وفاة الإمام الكاظم عليه السلام بكثير حيث توفى الإمام الكاظم عليه السلام سنة ۱۸۳، وهشام قريب المئتين.

مرجع الشيعة الشيخ المفيد رحمه الله يدافع عن عصمة نبينا

فى مصنفات الشيخ المفيد:۱/۳۰: (فصل: ومن كلام الشيخ أدام الله عزه أيضاً: حضر فى دار الشريف أبى عبدالله محمد بن محمد بن طاهر رحمه الله، وحضر رجل من المتفقهة يعرف بالورثانى وهو من فقهائهم، فقال له الورثانى: أليس من مذهبك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان معصوماً من الخطأ، مبرأ من الزلل مأموناً عليه من السهو والغلط، كاملًا بنفسه غنياً عن رعيته؟

فقال له الشيخ أيده الله: بلى كذلك كان صلى الله عليه وآله.

قال له: فما تصنع فى قول الله جل جلاله: وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ، أليس قد أمره الله بالإستعانة بهم فى الرأى وأفقره إليهم، فكيف يصح لك ماادعيت مع ظاهر القرآن وما فعله النبى صلى الله عليه وآله؟

فقال له الشيخ أدام الله عزه: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يشاور أصحابه لفقر منه إلى آرائهم ولحاجة دعته إلى مشورتهم من حيث ظننت وتوهمت، بل لأمر آخر أنا أذكره لك بعد الإيضاح عما أخبرتك به، وذلك أنا قد علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان معصوماً من الكبائر والصغائر، وإن خالفت أنت فى عصمته من الصغائر. وكان أكمل الخلق باتفاق أهل الملة وأحسنهم رأياً وأوفرهم عقلًا وأكملهم تدبيراً، وكانت المواد بينه وبين الله سبحانه متصلة والملائكة تتواتر عليه بالتوفيق من الله عز وجل والتهذيب، والإنباء له عن المصالح، وإذا كان بهذه الصفات لم يصح أن يدعوه داع إلى اقتباس الرأى من رعيته، لأنه ليس أحد منهم إلا وهو دونه فى سائر ما عددناه، وإنما يستشير الحكيم غيره على طريق الإستفادة والإستعانة برأيه إذا تيقن أنه أحسن رأياً منه وأجود تدبيراً وأكمل عقلًا أو ظن ذلك فأما إذا أحاط علماً بأنه دونه فيما وصفناه، لم يكن للإستعانة فى تدبيره برأيه معنى، لأن الكامل لايفتقر إلى الناقص فيما يحتاج فيه إلى الكمال، كما لايفتقر العالم إلى الجاهل فيما يحتاج فيه إلى العلم. والآية بينةٌ يدل متضمنها على ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ، فعلق وقوع الفعل بعزمه دون رأيهم ومشورتهم).

مرجع الشيعة السيد المرتضى قدس سره يؤلف كتابا فى تنزيه الأنبياء

ألف السيد المرتضى وهو من أكابر علمائنا رحمه الله توفى سنة۴۳۶، كتاباً خاصاً سماه" تنزيه الأنبياء، "ليساعد الشيعة فى وقوفهم إمام ثقافة اليهود التى نشرها الحكام فى الأمة، وقد ردَّ فيه افتراءهم على الأنبياء عليهم السلام وما تمسكوا به من متشابهات القرآن.

وقد تتبعت المؤلفات فى هذا الموضوع، وأقدم ما رأيته منها كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام لجعفر بن مبشر الكاتب المعتزلى، ذكره كتابه ابن النديم فى الفهرست ص۲۰۸، وقال الذهبى فى ميزان الإعتدال:۱/۴۱۴: (جعفر بن مبشر الثقفى، من رؤوس المعتزلة، له تصانيف فى الكلام، وهو أخو الفقيه حبيش بن مبشر.... مات سنة أربع وثلاثين ومائتين). انتهى.

وأخوه حبیش هذا من رواة الشیعة وفقهائهم المشهورین فی بغداد.

کما وجدت إسم کتاب عصمة الأنبیاءلأحمد بن سهل أبی زید البلخی المعتزلی أیضاً، توفی۳۲۲، ذکره ابن الندیم فی الفهرست ص۱۵۳، وابن حجر فی لسان المیزان:۱/۱۸۳.

وهذا یدل علی أن المدافعین عن عصمة الأنبیاء علیهم السلام کانوا الشیعة وبعض المعتزلة فقط، وإن أتباع الفرق الموالیة للحکم القرشیّ کانوا یقبلون الإسرائیلیات فیهم التی تطعن فی عصمتهم قبل النبوة وبعدها!

أما فی القرون المتأخرة فنجد مؤلفات کثیرة فی تنزیه الأنبیاء علیهم السلام أکثرها لعلماء شیعة، وأقل منها لمعتزلة وقلیل منها لصوفیة وعلماء سنیین، وأشهرها علی الإطلاق کتاب عصمة الأنبیاءللفخر الرازی المتوفی۶۰۶ هجریة، (کشف الظنون:۱/۳۳۳) وهو سنی متأثر بالمعتزلة، وسوف نورد فقرات من کتابه.

مقتطفات من کتاب تنزیه الأنبیاء

رأینا أن نورد فی هذا الکتاب مقتطفات منه أو فهرساً علمیاً موسعاً لأهم مسائله، ونضع لها العناوین المناسبة، ونلفت إلی أن العناوین المطبوعة بما فیها المسألة والجواب، لیست من کلام المؤلف، ولا فی النسخة الأصلیة.

قال رحمه الله فی ص۱۵: (سألت أحسن الله توفیقک، إملاء کتاب فی تنزیه الأنبیاءوالأئمة علیهم السلام عن الذنوب والقبائح کلها، ما سمی منها کبیرة أو صغیرة والرد علی من خالف فی ذلک، علی اختلافهم وضروب مذاهبهم.

وأنا أجیب إلی ما سألت علی ضیق الوقت، وتشعب الفکر، وأبتدئ بذکر الخلاف فی هذا الباب، ثم بالدلالة علی مذهب الصحیح من جملة ما اذکره من المذاهب، ثم بتأویل ما تعلق به المخالف من الآیات والأخبار، التی اشتبه علیه وجهها، وظن أنها تقتضی وقوع کبیرة أو صغیرة من الأنبیاءوالأئمة علیهم السلام، ومن الله تعالی استمد المعونة والتوفیق، وایاه اسأل التأیید والتسدید.

بیان الخلاف فی نزاهة الأنبیاء عن الذنوب

اختلف الناس فی الأنبیاء علیهم السلام، فقالت الشیعة الإمامیة، لایجوز علیهم شئ من المعاصی والذنوب کبیراً کان أو صغیراً، لاقبل النبوة ولا بعدها، ویقولون فی الأئمة مثل ذلک.

وجوَّزَ أصحاب الحدیث والحشویة علی الأنبیاءالکبائر قبل النبوة، ومنهم من جوزها فی حال النبوة سوی الکذب فیما یتعلق بأداء الشریعة، ومنهم من جوزها کذلک فی حال النبوة بشرط الإستسرار دون الإعلان، ومنهم من جوزها علی الأحوال کلها.

ومنعت المعتزلة من وقوع الکبائر والصغائر المستخفة من الأنبیاء علیهم السلام قبل النبوة وفی حالها، وجوزت فی الحالین وقوع ما لا یستخف من الصغایر، ثم اختلفوا فمنهم من جوز علی النبی علیه السلام الإقدام علی المعصیة الصغیرة علی سبیل العمد، ومنهم من منع من ذلک وقال إنهم لایقدمون علی الذنوب التی یعلمونها ذنوباً، بل علی سبیل التأویل.

وحکی عن النظام، وجعفر بن مبشر، وجماعة ممن تبعهما، أن ذنوبهم لا تکون إلا علی سبیل السهو والغفلة، وأنهم مؤاخذون بذلک وإن کان موضوعاً عن أممهم لقوة معرفتهم وعلو مرتبتهم.

وجوزوا کلهم ومن قدمنا ذکره من الحشویة وأصحاب الحدیث علی الأئمة الکبائر والصغائر، إلا أنهم یقولون أن وقوع الکبیرة من الإمام تفسد إمامته ویجب عزله والإستبدال به.....

واعلم أن جمیع ما ننزه الأنبیاء علیهم السلام عنه ونمنع من وقوعه منهم، یستند إلی دلالة العلم المعجز أما بنفسه أو بواسطة. وتفسیر هذه الجملة، أن العلم المعجز إذا کان واقعاً موقع التصدیق لمدعی النبوة والرسالة، وجاریاً مجری قوله تعالی له: صدقت فی إنک رسولی ومؤدٍّ عنی، فلابد من أن یکون هذا المعجز مانعاً من کذبه علی الله سبحانه فیما یؤدیه عنه، لأنه تعالی لایجوز أن یصدق

الكذاب، لأن تصديق الكذاب قبيح.....

فإن قيل: لم يبق إلا أن تدلوا على أن تجويز الكبائر يقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول والإمتثال.

قلنا: لاشبهة فى أن من نجوز عليه كبائر المعاصى ولا نأمن منه الإقدام على الذنوب، لاتكون أنفسنا ساكنة إلى قبول قوله أو استماع وعظه كسكونها إلى من لانجوز عليه شيئاً من ذلك، وهذا هو معنى قولنا أن وقوع الكبائر منفر عن القبول....

فإن قيل: أو ليس قد جوز كثير من الناس على الأنبياء عليهم السلام الكبائر مع أنهم لم ينفروا عن قبول أقوالهم والعمل بما شرعوه من الشرايع، وهذا ينقض قولكم أن الكبائر منفرة!

قلنا: هذا سؤال من لا يفهم ما أوردناه، لأنا لم نرد بالتنفير ارتفاع التصديق وإن لايقع امتثال الأمر جملة، وإنما أردنا ما فسرناه من أن سكون النفس إلى قبول قول من يجوز ذلك عليه لايكون على حد سكونها إلى من لا يجوز ذلك عليه، وأنا مع تجويز الكبائر نكون أبعد من قبول القول.....

ومما يدل أيضاً على أن الكبائر لاتجوز عليهم، أن قولهم قد ثبت أنه حجة فى الشرع....

فأما ما حكيناه عن النظام وجعفر بن مبشر ومن وافقهما، من أن ذنوب الأنبياء عليهم السلام تقع منهم على سبيل السهو والغفلة، وأنهم مع ذلك مؤاخذون بها فليس بشىء، لأن السهو يزيل التكليف ويخرج الفعل من أن يكون ذنباً مؤاخذاً به، ولهذا لايصح مؤاخذة المجنون والنائم.

وحصول السهو فى أنه مؤثر فى ارتفاع التكليف بمنزلة فقد القدرة والآلات والأدلة، فلو جاز أن يخالف حال الأنبياءفى صحة تكليفهم مع السهو، جاز أن يخالف حالهم لحال أممهم فى جواز التكليف مع فقد سائر ما ذكرناه، وهذا واضح.

فأما الطريق الذى به يعلم أن الأئمة عليهم السلام لايجوز عليهم الكبائر فى حال الإمامة، فهو أن الإمام إنما احتيج إليه لجهة معلومة، وهى أن يكون المكلفون عند وجوده أبعد من فعل القبيح وأقرب من فعل الواجب على ما دللنا عليه فى غير موضع، فلو جازت عليه الكبائر لكانت علة الحاجة إليه ثابتة فيه وموجبة وجود إمام يكون إماماً له، والكلام فى إمامته كالكلام فيه، وهذا يؤدى إلى وجود ما لا نهاية له من الأئمة وهو باطل، أو الإنتهاء إلى إمام معصوم وهو المطلوب.....

تنزيه آدم عن الغواية

فمما تعلقوا به قوله تعالى فى قصة آدم عليه السلام: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (طه:١٢١) قالوا وهذا تصريح بوقوع المعصية التى لا تكون إلا قبيحة، وأكده بقوله فغوى، وهذا تصريح بوقوع المعصية، والغيُّ ضد الرشد.

يقال لهم: أما المعصية فهى مخالفة الأمر، والأمر من الحكيم تعالى قد يكون بالواجب وبالمندوب معاً، فلا يمتنع على هذا أن يكون آدم عليه السلام مندوباً إلى ترك التناول من الشجرة، ويكون بمواقعتها تاركاً نفلاً وفضلاً وغير فاعل قبيحاً، وليس يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصياً كما يسمى بذلك تارك الواجب، فإن تسمية من خالف ما أمر به سواء كان واجباً أو نفلاً بأنه عاص ظاهرة، ولهذا يقولون أمرت فلاناً بكذا وكذا من الخير فعصانى وخالفنى، وإن لم يكن ما أمره به واجباً.

وأما قوله فغوى فمعناه أنه خاب، لأنا نعلم أنه لو فعل ما ندب إليه من ترك التناول من الشجرة لاستحق الثواب العظيم.....

فإن قال قائل: فما قولكم فى قوله تعالى:(هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صالحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صالحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (لأعراف:١٨٩-١٩٠)، أوَليس ظاهر هذه الآية يقتضى وقوع المعصية من آدم عليه السلام لأنه لم يتقدم من يجوز صرف هذه الكناية فى جميع الكلام إليه، إلا ذكر آدم عليه السلام وزوجته....

يقال له: قد علمنا أن الدلالة العقلية التى قدمناها فى باب أن الأنبياء عليهم السلام لايجوز عليهم الكفر والشرك، والمعاصى غير

محتملة، ولا يصح دخول المجاز فيها، والكلام فى الجملة يصح فيه الإحتمال وضروب المجاز، فلابد من بناء المحتمل على ما لايحتمل، فلو لم نعلم تأويل هذه الآية على سبيل التفصيل لكنا نعلم فى الجملة أن تأويلها مطابق لدلالة العقل. وقد قيل فى تأويل هذه الآية ما يطابق دليل العقل، ومما يشهد له اللغة وجوه.

منها، أن الكناية فى قوله سبحانه: جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، غير راجعة إلى آدم عليه السلام وحواء، بل إلى الذكور والإناث من أولادهما....

فأما مايدعى فى هذا الباب من الحديث فلا يلتفت إليه، لأن الأخبار يجب أن تبنى على أدلة العقول، ولاتقبل فى خلال ما تقتضيه أدلة العقول. ولهذا لاتقبل أخبار الجبر والتشبيه، ونردها أو نتأولها أن كان لها مخرج سهل. وكل هذا لو لم يكن الخبر الوارد مطعوناً على سنده مقدوحاً فى طريقه، فإن هذا الخبر يرويه قتادة عن الحسن عن سمرة وهو منقطع، لأن الحسن لم يسمع من سمرة شيئاً فى قول البغداديين.

وقد يدخل الوهن على هذا الحديث من وجه آخر، لأن الحسن نفسه يقول بخلاف هذه الرواية فيما رواه خلف بن سالم، عن إسحاق بن يوسف عن عوف، عن الحسن فى قوله تعالى: فَلَمَّا آتَاهُمَا صالحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، قال: هم المشركون، وبإزاء هذا الحديث ما روى عن سعيد بن جبير وعكرمة والحسن وغيرهم، من أن الشرك غير منسوب إلى آدم وزوجته عليهما السلام وإن المراد به غيرهما، وهذه جملة واضحة.

تنزيه نوح عما لا يليق به

فإن سأل سائل: عن قوله تعالى:(وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ أن ابْنِى مِنْ أَهْلِى وإن وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِين. قَالَ يَا نُوحُ أنه لَيْسَ مِنْ أهلك أنه عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ). (هود:۴۵-۴۶) فقال: ظاهر قوله تعالى أنه ليس من أهلك، فيه تكذيب لقوله عليه السلام أن ابْنِى مِنْ أَهْلِى، وإذا كان النبى لايجوز عليه الكذب، فما الوجه فى ذلك؟

قيل له: فى هذه الآية وجوه، كل واحد منها صحيح مطابق لأدلة العقل:

أولها، أن نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول فيه نفى النسب، وإنما نفى أن يكون من أهله الذين وعده الله تعالى بنجاتهم....الخ.

تنزيه إبراهيم عن الكفر والعصيان

فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام:فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أحب الآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ.(الأنعام:۷۶-۷۸) أوَليس ظاهر هذه الآية يقتضى أنه عليه السلام كان يعتقد فى وقت من الأوقات الإلهية للكواكب، وهذا مما قلتم أنه لايجوز على الأنبياء عليهم السلام.....

قلنا: عن هذا جوابان، أحدهما: أنه لم يقل ذلك مخبراً، وإنما قال فارضاً ومقدراً على سبيل الفكر والتأمل، إلا ترى أنه قد يحسن من أحدنا إذا كان ناظراً فى شئ ومتأملاً بين كونه على إحدى صفتيه أن يفرضه على إحداهما لينظر فيما يؤدى ذلك الفرض إليه من صحة أو فساد، ولا يكون بذلك مخبراً فى الحقيقة....

تنزيه إبراهيم عن الشك فى الله تعالى

فإن قيل فما معنى قوله تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ) (الصافات:۸۹)

تنزيه إبراهيم عن الإستغفار للكفار

فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إبراهيم لأَبِيهِ إلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ)، (التوبة:۱۱۴) وكيف يجوز أن يستغفر لكافر، أو أن يعده بالإستغفار؟ قلنا:.... فكيف يجوز أن يجعل ذلك ذنباً لإبراهيم عليه السلام وقد عذره الله تعالى فى أن استغفاره إنما كان لأجل موعده، وبأنه تبرأ منه لما تبين له منه المقام على عداوة الله تعالى.....

تنزيه يعقوب عن إيقاع التحاسد بين بنيه

فإن قيل: فما معنى تفضيل يعقوب ليوسف عليهما السلام على إخوته فى البر والتقريب والمحبة، حتى أوقع ذلك التحاسد بينهم وبينه، وأفضى إلى الحال المكروهة التى نطق بها القرآن....
فإن قيل: فلم أرسل يعقوب يوسف عليهما السلام مع إخوته....

تنزيه يعقوب عن الحزن المكروه

فإن قيل: فلم أسرف يعقوب عليه السلام فى الحزن والتهالك وترك التماسك حتى ابيضت عيناه من البكاء والحزن....

تنزيه يوسف عن الصبر على الإستعباد

فإن قيل: كيف صبر يوسف عليه السلام، ولم لم ينكرها ويبرأ من الرق، وكيف يجوز على النبى الصبر على أن يستعبد ويسترق....

تنزيه يوسف عن الهم بالمعصية

فإن قيل: فما تأويل قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام وامرأة العزيز: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أن رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ أنه مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف:۲۴).... قلنا: يجوز أن يكون لما هم بدفعها وضربها، أراه الله تعالى برهاناً على أنه أن أقدم على من همَّ به أهلكه أهلها وقتلوه، أو أنها تدعى عليه المراودة على القبيح، وتقذفه بأنه دعاها إليه وضربها لامتناعها منه، فأخبر الله تعالى أنه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء، اللذين هما القتل والمكروه...
فأما ما يدل من القرآن، على أنه عليه السلام ما هم بالفاحشة ولا عزم عليها فمواضع كثيرة منها قوله تعالى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ).......
تنزيه يوسف عليه السلام عن إلحاق الأذى بأبيه. تنزيه يوسف عليه السلام عن الكذب وتهمة إخوته. تنزيه يوسف عليه السلام عن الرضا بالسجود له. تنزيه يوسف عليه السلام عن طاعة الشيطان

فى أن أيوب ابتلى امتحانا لا عقابا

فإن قيل: فما قولكم فى الأمراض والمحن التى لحقت أيوب عليه السلام أو ليس قد نطق القرآن بأنها كانت جزاء على ذنب فى قوله: أَنِّى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ.(صّ:۴۱)والعذاب لايكون إلا جزاءً كالعقاب. والآلام الواقعة على سبيل الإمتحان لا تسمى عذاباً ولا عقاباً، أو ليس قد روى جميع المفسرين أن الله تعالى إنما عاقبه بذلك البلاء لتركه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقصته مشهورة يطول شرحها؟
قلنا: أما ظاهر القرآن فليس يدل على أن أيوب عليه السلام عوقب بما نزل به من المضار، وليس فى ظاهره شئ مما ظنه السائل.....

فأما ما روى فى هذا الباب من جهلة المفسرين فمما لا يلتفت إلى مثله، لأن هؤلاء لايزالون يضيفون إلى ربهم تعالى والى رسله عليهم السلام كل قبيح ومنكر، ويقذفونهم بكل عظيم! وفى روايتهم هذه السخيفة ما إذا تأمله المتأمل علم أنه موضوع الباطل مصنوع، لأنهم رووا أن الله تعالى سلط إبليس على مال أيوب عليهم السلام وغنمه وأهله، فلما أهلكهم ودمر عليهم ورأى من صبره عليه السلام وتماسكه، قال إبليس لربه يا رب أن أيوب قد علم إنك ستخلف عليه ماله وولده فسلطنى على جسده، فقال تعالى قد سلطتك على جسده كله إلا قلبه وبصره، قال فأتاه فنفخه من لدن قرنه على قدمه فصار قرحة واحدة، فقذف على كناسة لبنى إسرائيل سبع سنين وأشهراً تختلف الدواب على جسده.. إلى شرح طويل نصون كتابنا عن ذكر تفصيله! فمن يقبل عقله هذا الجهل والكفر كيف يوثق بروايته، ومن لا ـ يعلم أن الله تعالى لا ـ يسلط إبليس على خلقه، وإن إبليس لا ـ يقدر على أن يقرح الأجساد ولا يفعل الأمراض كيف تعتمد روايته؟!

تنزيه موسى عن العصيان بالقتل

فإن قيل: فما الوجه فى قتل موسى عليه السلام للقبطى وليس يخلو من أن يكون مستحقاً للقتل أو غير مستحق، فإن كان مستحقاً فلا معنى لندمه عليه السلام وقوله: (هَـذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) وقوله: (رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى)، وإن كان غير مستحق فهو عاص فى قتله...

قلنا: مما يجاب به عن هذا السؤال أن موسى عليه السلام لم يعتمد القتل ولا أراده، وإنما اجتاز فاستغاث به رجل من شيعته على رجل من عدوه بغى عليه وظلمه وقصد إلى قتله، فأراد موسى عليه السلام أن يخلصه من يده ويدفع عنه مكروهه، فأدى ذلك إلى القتل من غير قصد إليه، فكل ألم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير أن يكون مقصوداً فهو حسن غير قبيح ولا يستحق عليه العوض به، ولا فرق بين أن تكون المدافعة من الإنسان عن نفسه، وبين أن يكون عن غيره....

ومن العجب، أن أبا على الجبائى ذكر هذا الوجه فى تفسيره، ثم نسب مع ذلك موسى عليه السلام إلى أنه فعل معصية صغيرة، ونسب معصيته إلى الشيطان!!

تنزيه موسى عليه السلام عن الضلالة والاستعفاء من الرسالة. وتنزيهه عن الأمر بالسحر، وعن الخوف الحرام، وعن نسبة الإضلال لله تعالى، وعن سؤال الرؤية لنفسه، وبيان الوجه فى أخذ موسى برأس أخيه عليهما السلام يجره، وتنزيهه عن المعصية فى مرافقته للخضر عليهما السلام، وتنزيهه عما رموه به من أخذ الحجر لثيابه وركضه عارياً.....

تنزيه داود عليه السلام عن المعصية، وتفسير قوله تعالى: وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. وتنزيه سليمان عليه السلام عن المعصية، وعن الإفتتان. وعن الشح وعدم القناعة فى طلبه ملكاً لاينبغى لأحد من بعده.

تنزيه يونس عن الظلم والمعصية بمغاضبته قومه

تنزيه عيسى عليه السلام عن ادعائه الألوهية، وتفسير قوله تعالى: إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلا أعلم مَا فِى نَفْسِكَ إنك أنت عَلامُ الْغُيُوبِ.

تنزيه نبينا صلى الله عليه وآله عن الضلال، وتفسير قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

وقوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا.

وقوله تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ. لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ.

وقوله تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى.

وقوله تعالى: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أحق أَنْ تَخْشَاهُ. وقوله تعالى: مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الأرض تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخرة وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

وقوله تعالى: لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أخذتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ. وقوله تعالى: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ.

وقوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً.

وقوله تعالى: وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ، الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ.

وقوله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى.

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

وقوله تعالى: وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وكيف يوجه هذا الخطاب إلى من لايجوز عليه الشرك ولا شئ من المعاصى؟

قد قيل فى هذه الآية أن الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله والمراد به أمته، فقد روى عن ابن عباس أنه قال: نزل القرآن بإياك أعنى واسمعى يا جارة.... وليس يمتنع أن يتوعد الله تعالى على العموم. وعلى سبيل الخصوص من يعلم أنه لا يقع منه ما تناوله الوعيد، لكنه لابد من أن يكون مقدوراً له وجائزا بمعنى الصحة لا ـ بمعنى الشك، ولهذا يجعل جميع وعيد القرآن عاماً لمن يقع منه ما تناوله الوعيد، ولمن علم الله تعالى أنه لا يقع منه....

والشيعة لها فى هذه الآية جواب تنفرد به وهو أن النبى صلى الله عليه وآله لما نص على أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بالإمامة فى ابتداء الأمر جاءه قوم من قريش فقالوا له: يا رسول الله إن الناس قريبوا عهد بالإسلام لا يرضون أن تكون النبوة فيك والإمامة فى ابن عمك على بن أبى طالب! فلو عدلت به إلى غيره لكان أولى. فقال لهم النبى صلى الله عليه وآله: ما فعلت ذلك برأيى فأتخير فيه، لكن الله تعالى أمرنى به....الى آخر ما أورده الشريف المرتضى رحمه الله.

وقد تعرض المؤلف رحمه الله الى عدة مسائل فى تنزيه الله تعالى عن التجسيم والتشبيه وبحث عدداً من أحاديثهم المروية عن النبى صلى الله عليه وآله مثل: إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن.. إن الله خلق آدم على صورته.. إن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل، فعليكم من الأعمال بما تطيقون فإن الله لا ـ يمل حتى تملوا.. سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون فى رؤيته!

وقال تعليقاً على الإخير: قلنا: أما هذا الخبر فمطعون عليه مقدوح فى راويه، فإن راويه قيس بن أبى حازم، وقد كان خولط فى عقله فى آخر عمره، مع استمراره على رواية الأخبار! وهذا قدح لاشبهة فيه، لأن كل خبر مروى عنه لايعلم تاريخه يجب أن يكون مردوداً، لأنه لا ـ يؤمن أن يكون مما سمع منه فى حال الإختلال. وهذه طريقة فى قبول الأخبار وردها ينبغى أن يكون أصلاً ومعتبراً فيمن علم منه الخروج ولم يعلم تاريخ ما نقل عنه.

على أن قيساً لو سَلِمَ من هذا القدح، كان مطعوناً فيه من وجه آخر، وهو أن قيس بن أبى حازم كان مشهوراً بالنصب والمعاداة لأمير المؤمنين صلاة الله وسلامه عليه والإنحراف عنه، وهو الذى قال: رأيت على بن أبى طالب على منبر الكوفة يقول: إنفروا إلى بقية الأحزاب، فأبغضته حتى اليوم فى قلبى! إلى غير ذلك من تصريحه بالمناصبة والمعاداة. وهذا قادح لاشك فى عدالته.

وختم المؤلف رحمه الله كتابه بالإجابة على مايشكله بعضهم على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وعصمته، من قبيل إشكالهم وسؤالهم لماذا لم ينازع أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام الذين غصبوا خلافته؟ قال رحمه الله:

إن قال قائل: إذا كان من مذهبكم يا معشر القائلين بالنص أن النبى صلى الله عليه وآله نص على على بن أبى طالب أمير المؤمنين عليه

السلام بالخلافة بعده، وفوض إليه أمر أمته، فما باله لم ينازع المتآمرين بعد النبى صلى الله عليه وآله فى الأمر الذى وكل إليه وعول فى تدبيره عليه، أوَ ليس هذا منه إغفالاً لواجب لايسوغ إغفاله؟

فإن قلتم إنه لم يتمكن من ذلك فهلا أعذر وأبلى واجتهد، فإنه إذا لم يصل إلى مراده بعد الإعذار والإجتهاد كان معذوراً.

أو ليس هو عليه السلام الذى حارب أهل البصرة وفيهم زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، وطلحة والزبير، ومكانهما من الصحبة والإختصاص والتقدم مكانهما، ولم يحشمه ظواهر هذه الأحوال من كشف القناع فى حربهم حتى أتى على نفوس أكثر أهل العسكر؟ وهو المحارب لأهل صفين مرة بعد أخرى مع تخاذل أصحابه وتواكل أنصاره، وإنه كان فى أكثر مقاماته تلك وموقفه لايغلب فى ظنه الظفر ولا يرجو لضعف من معه النصر، وكان مع ذلك كله مصمماً ماضياً قدماً...

قلنا: أما الكلام على ما تضمنه هذا السؤال فهو مما يخص الكلام فى الإمامة وقد استقصيناه فى كتابنا المعروف بالشافى فى الإمامة، وبسطنا القول فيه فى هذه الأبواب ونظائرها بسطاً يزيل الشبهة ويوضح الحجة، لكنا لا نخلى هذا الكتاب من حيث تعلق غرضه بهذه المواضع من إشارة إلى طريقة الكلام فيها، فنقول: قد بينا فى صدر هذا الكتاب أن الأئمة عليهم السلام معصومون من كبائر الذنوب وصغائرها، واعتمدنا فى ذلك على دليل عقلى لايدخله احتمال ولا تأويل بشىء، فمتى ورد عن أحدهم عليهم السلام فعل له ظاهر الذنب، وجب أن نصرفه عن ظاهره ونحمله على ما يطابق موجب الدليل العقلى فيهم، كما فعلنا مثل ذلك فى متشابه القرآن المقتضى ظاهره ما لا يجوز على الله تعالى، وما لا يجوز على نبى من أنبيائه عليهم السلام.

فإذا ثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام إمام فقد ثبت بالدليل العقلى أنه معصومٌ عن الخطأ والزلل، فلا بدَّ من حمل جميع أفعاله على جهات الحسن، ونفى القبيح عن كل واحد منها. وما كان له منها ظاهر يقتضى الذنب علمنا فى الجملة أنه على غير ظاهره، فإن عرفنا وجهه على التفصيل ذكرناه، وإلا كفانا فى تكليفنا أن نعلم أن الظاهر معدولٌ عنه، وأنه لابدَّ من وجه فيه يطابق ما تقتضيه الأدلة.

وهذه الجملة كافية فى جميع المشتبهة من أفعال الأئمة عليهم السلام وأقوالهم، ونحن نزيد عليها فنقول: إن الله تعالى لم يكلف إنكار المنكر سواءً اختص بالمنكر أو تعداه إلى غيره، إلا بشروط معروفة، أقواها التمكن، وإن لا يغلب فى ظن المنكر أن إنكارة يؤدى إلى وقوع ضرر به لايحتمل مثله، وإن لايخاف فى إنكاره من وقوع ما هو أفحش منه وأقبح من المنكر.

وهذه شروط قد دلت الأدلة عليها، ووافقنا المخالفون لنا فى الإمامة فيها. وإذا كان ما ذكرناه مراعىً فى وجوب إنكار المنكر، فمن أين أن أمير المؤمنين عليه السلام كان متمكناً من المنازعة فى حقه والمجادلة، وما المنكر من أن يكون عليه السلام خائفاً متى نازع وحارب، من ضرر عظيم يلحقه فى نفسه وولده وشيعته؟! ثم ما المنكر من أن يكون خاف من الاإكار من ارتداد القوم عن الدين وخروجهم عن الإسلام ونبذهم شعار الشريعة، فرأى أن الإغضاء أصلح فى الدين، من حيث كان يجر الإنكار ضرراً فيه لايتلافى...

ثم قد ذكرنا فى كتابنا فى الإمامة من أسباب الخوف وأمارات الضرر التى تناصرت بها الروايات، ووردت من الجهات المختلفة ما فيه مقنع للمتأمل، وأنه عليه السلام غولط فى الأمر وسوبق إليه وانتهزت غرته، واغتنمت الحال التى كان فيها متشاغلاً بتجهيز النبى صلى الله عليه وآله، وسعى القوم إلى سقيفة بنى ساعدة، وجرى لهم فيها مع الأنصار ما جرى...

وأما حضور مجالسهم، فما كان عليه الصلاة والسلام ممن يتعمدها ويقصدها، وإنما كان يكثر الجلوس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فيقع الإجتماع مع القوم هنا، وذلك ليس بمجلس لهم مخصوص. وبعد، فلو تعمد حضور مجالسهم لينهى عن بعض ما يجرى فيها من منكر، فإن القوم قد كانوا يرجعون إليه فى كثير من الأمور، لجاز، ولكان للحضور وجه صحيح له بالدين علقة قوية.

فأما الدخول فى آرائهم، فلم يكن عليه السلام ممن يدخل فيها إلا مرشداً لهم، ومنبهاً على بعض ما شذ عنهم، والدخول بهذا الشرط واجب....

فأما الدخول فى الشورى، فقد بينا فى كتابنا المقدم ذكره الكلام فيه مستقصى، ومن جملته أنه عليه السلام لولا الشورى لم يكن ليتمكن من الإحتجاج على القوم بفضائله ومناقبه، والأخبار الدالة على النص بالإمامة عليه...ومن كان يصغى لولا الشورى إلى كلامه

المستوفى فى هذا المعنى؟...

فإن قيل: فما الوجه فى تحكيمه عليه السلام أبا موسى الأشعرى وعمرو بن العاص، وما العذر فى أن حكم فى الدين الرجال.....؟

قلنا: كل أمر ثبت بدليل قاطع غير محتمل فليس يجوز أن نرجع عنه ونتشكك فيه لأجل أمر محتمل، وقد ثبت إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وعصمته وطهارته من الخطأ، وبراءته من الذنوب والعيوب، بأدله عقلية وسمعية، فليس يجوز أن نرجع عن ذلك أجمع، ولا عن شئ منه، لما وقع من التحكيم للصواب بظاهره، وقبل النظر فيه كاحتماله للخطأ، ولو كان ظاهره أقرب إلى الخطأ وأدنى إلى مخالفة الصواب.

بل الواجب فى ذلك القطع على مطابقة ما ظهر من المحتمل لما ثبت بالدليل، أو صرف ماله ظاهر عن ظاهره، والعدول به إلى موافقة مدلول الدلالة التى لا يختلف مدلولها ولا يتطرق عليها التأويل.

وهذا فعلنا فيما ورد من أى القرآن التى تخالف بظاهرها الأدلة العقلية مما يتعلق به الملحدون أو المجبرة أو المشبهة.

وهذه جملة قد كررنا ذكرها فى كتابنا هذا لجلالة موقعها من الحجة، ولو اقتصرنا فى حل هذه الشبهة عليها لكانت مغنية كافية...). انتهى.

معركة تنزيه الأنبياء بين الشيعة و مخالفيهم

موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التى يبدو منها...

موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التى يبدو منها معصية الأنبياء، ورد الأحاديث التى تزعم ذلك

اتضح بما تقدم أن أئمة أهل البيت عليهم السلام رسموا خطاً فى تنزيه الأنبياء عليهم السلام والدفاع عنهم، وأن علماء المذهب رضوان الله عليهم اتبعوهم فأجادوا الإتباع والشرح والإستدلال، وكان موقفهم ثابتاً فى أن الآيات التى يبدو منها وقوع المعصية من الأنبياء عليهم السلام وأنها ليست على ظاهرها بل يجب اتباع الراسخين فى العلم فى تأويلها.

واتضح أن الأحاديث الصريحة فى ارتكاب الأنبياء عليهم السلام للمعاصى مكذوبة، وأنها من موضوعات رواة السلطة القرشية لتبرير معاصى الخلفاء أو من الإسرائيليات التى ابتليت بها مصادر السنة عندهم، وكلها روايات باطلة يجب التوقف فيها أو تكذيبها، حتى لو تسرب بعضها إلى مصادرنا!

وتشمل هذه القاعدة نفى وقوع المعصية من الأنبياء عليهم السلام وكلِّ سلوكٍ أو وضعٍ ينفِّر الناس منهم، كما تشمل نفى السهو والنسيان عنهم عليهم السلام.

قال العلامة الحلى فى منتهى المطلب:۱/۳۳۵: (احتج المخالف بأن النبى صلى الله عليه وآله صلى بأصحابه فلما أحرم بالصلاة ذكر أنه جنب، فقال لأصحابه: كما أنتم، ومضى ورجع ورأسه يقطر ماء ولم يستخلف، فدل على عدم الجواز.

والجواب: أن هذا عندنا باطل، والخبرُ كذبٌ إذ الأنبياء عليهم السلام معصومون عن وقوع الذنب عمداً وسهواً). انتهى.

ومن هذا القبيل رد علماء الشيعة لخبر اتهام نبى داود عليه السلام مع أنه ورد فى تفسير القمى:۲/۲۲۹: وجاء فيه: (فلما كان اليوم الذى وعده الله عز وجل اشتدت عبادته وخلا فى محرابه وحجب الناس عن نفسه وهو فى محرابه يصلى، فإذا طائر قد وقع بين يديه جناحاه من زبرجد أخضر ورجلاه من ياقوت أحمر ورأسه ومنقاره من لؤلؤ وزبرجد، فأعجبه جداً ونسى ما كان فيه، فقام ليأخذه فطار الطائر فوقع على الحائط بين داود وبين أوريا بن حنان، وكان داود قد بعث أوريا فى بعث فصعد داود عليه السلام الحائط ليأخذ الطير، وإذا امرأة أوريا جالسة تغتسل، فلما رأت ظل داود نشرت شعرها وغطت به بدنها، فنظر إليها داود فافتتن بها ورجع إلى محرابه ونسى ما كان فيه، وكتب إلى صاحبه فى ذلك البعث لما أن يصيروا إلى موضع كيت وكيت يوضع التابوت بينهم وبين عدوهم، وكان التابوت

فى بنى إسـرائيل كما قال الله عز وجل:فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌمِمَّاتَرَكَ آلُ مُوسَىوَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ (البقرة:۲۴۸) وقد كان رفع بعد موسى عليه السلام إلى السماء لما عملت بنو إسرائيل بالمعاصى، فلما غلبهم جالوت وسألوا النبى أن يبعث إليهم ملكاً يقاتل فى سبيل الله بعث إليهم طالوت وأنزل عليهم التابوت، وكان التابوت إذا وضع بين بنى إسرائيل وبين أعدائهم ورجع عن التابوت إنسان كفر وقتل، ولا يرجع أحد عنه إلا ويقتل. فكتب داود إلى صاحبه الذى بعثه أن ضع التابوت بينك وبين عدوك وقدم أوريا بن حنان بين يدى التابوت، فقدمه وقتل، فلما قتل أوريا دخل عليه الملكان وقعدوا ولم يكن تزوج امرأة أوريا، وكانت فى عدتها وداود فى محرابه يوم عبادته، فدخلا عليه الملكان من سقف البيت وقعدا بين يديه ففزع داود منهما فقالا: لاتَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إلى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. (ص:۲۲) ولداود حينئذ تسع وتسعون امرأة ما بين مهيرة إلى جارية، فقال أحدهما لداود:إِنَّ هَذَا أخى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ. أى ظلمنى وقهرنى، فقال داود كما حكى الله عز وجل:قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلى نِعَاجِهِ وإن كثيراًمِنَ الْخُلَطَاءِلَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىبَعْضٍ إلاالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَاهُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ إنما فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ) (ص:۲۳-۲۴) قال: فضحك المستعدى عليه من الملائكة وقال: وقد حكم الرجل على نفسه فقال داود: أتضحك وقد عصيت لقد هممت أن أهشم فاك، قال: فعرجا، وقال الملك المستعدى عليه: لو علم داود أنه أحق بهشم فيه منى.

ففهم داود الأمر وذكر الخطيئة فبقى أربعين يوماً ساجداً يبكى ليله ونهاره ولايقوم إلا وقت الصلاة، حتى انخرق جبينه وسال الدم من عينيه....)!! إلى آخر القصة الواردة فى مصادر أهل الكتاب ومصادر السنيين! وقد ردها علماء الشيعة، وحملها بعضهم على التقية لموافقتها مذهب العامة ورواياتهم التى تجوِّز المعاصى على الأنبياء عليهم السلام.

وقد تقدم استنكارها فى مقدمة الكتاب فى حديث الإمام الرضا عليه السلام.

لا عصمة للأنبياء عند السنيين لكن الصحابة عندهم معصومون

المعروف عن المذاهب السنية أنها تعتقد بعصمة الأنبياء عليهم السلام، لكن واقعها العملى عدم الإعتقاد بعصمتهم، لاعن الصغائر ولا الكبائر ولا ماينفِّر الناس منهم، لاقبل البعثة ولا بعدها، لا فى الأمور الشخصية ولا فى تبليغ الرسالة!

فأئمة المذاهب وعلماؤها يقولون نظرياً بعصمة الأنبياء عليهم السلام عصمة غير تامة على اختلافٍ بينهم فيها، لكنهم عندما يصلون إلى الإسرائيليات، أو إلى القرشيات، يقعون فى اتهام الأنبياء عليهم السلام، ويتمسكون بالآيات المتشابهة التى يبدو منها وقوع المعصية منهم عليهم السلام فينفون عنهم العصمة التى أثبتوها لهم آنفاً! بل ينسبون اليهم المنكرات والعظائم، حتى إلى خاتمهم وأفضلهم صلى الله عليه وآله!

من جهة أخرى.. يقول علماء المذاهب السنية إنهم لايعتقدون بعصمة الصحابة بل بعدالتهم، وقد يفسرون عدالتهم بتصديق روايتهم عن النبى صلى الله عليه وآله.

لكن كلامهم هذا نظرى، لأنهم إذا وصلوا إلى أى مسألة تتعلق بأبى بكر وعمر وعثمان، تراهم يدافعون عنهم حتى لو كانت المسألة مقابل النبى صلى الله عليه وآله!

ومعناه أنهم يقولون بعصمة هؤلاء الثلاثة، وبعضهم يقول بعصمة عائشة وحفصة ومعاوية معهم، فهم يبررون أخطاءهم، وقد يكفِّرون من ينتقدهم!

أما إذا اختلف الصحابة فى رأى أو فتوى أو نقل حديث، فهم مجمعون على أن العصمة والحق دائماً مع عمر، وفيما وافق عمر!

وقد ناقشنا بعض المتحمسين لعمر وابن تيمية، فقال إنكم تتهموننا زوراً بأنا نعتقد بعصمة عمر وابن تيمية، فنحن لم نقل ذلك؟

فقلنا له إنكم لاتقولون ذلك بل تفعلونه، فإن كنت صادقاً فأعطنا خطأ واحداً تراه لابن تيمية أو لعمر! فغضب وولى!

وهذه مفارقة عجيبة أنهم يقولون بعصمة الأنبياء عليهم السلام نظرياً ثم ينقضونها عملياً! ويقولون بعدم عصمة الصحابة نظرياً، ثم يصرون عليها عملياً!

قال العلامة الحلى قدس سره فى نهج الحق وكشف الصدق ص۱۴۲:

(ذهبت الإمامية كافة إلى أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الصغائر والكبائر، ومنزهون عن المعاصى، قبل النبوة وبعدها، على سبيل العمد والنسيان، وعن كل رذيلة ومنقصة، وما يدل على الخسة والضعة.

وخالفت الأشاعرة فى ذلك وجوَّزوا عليهم المعاصى، وبعضهم جوَّزوا الكفر عليهم قبل النبوة وبعدها! وجوزوا عليهم السهو والغلط! ونسبوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله الى السهو فى القرآن بما يوجب الكفر! فقالوا إنه صلى يوماً وقرأ فى سورة (النجم) عند قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الإخرَى: تلك الغرانيق العلى، منها الشفاعة ترتجى!!

وهذا اعترافٌ منه صلى الله عليه وآله بأن تلك الأصنام ترتجى الشفاعة منها! نعوذ بالله من هذه المقالة التى نسبوا النبىَّ صلى الله عليه وآله إليها، وهى توجب الشرك! فما عذرهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قَتَلَ جماعةً كثيرةً من أهله وأقاربه على عبادة الأصنام، ولم تأخذه فى الله لومة لائم، و(هم) ينسبون إليه هذا القول الموجب للكفر والشرك!!...

ورووا عنه صلى الله عليه وآله أنه صلى الظهر ركعتين، فقال له ذو اليد: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟! فقال: أصدق ذو اليد؟ فقال الناس: نعم، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فصلى اثنتين أخريين، ثم سلَّم.. الحديث!!

ورووا فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وآله صلى بالناس صلاة العصر ركعتين، ودخل حجرته، ثم خرج لبعض حوائجه، فذكَّره بعضٌ فأتمَّها!

وأى نسبة أنقص من هذا وأبلغ فى الدناءة! فإنها تدل على إعراض النبى صلى الله عليه وآله عن عبادة ربه وإهمالها والإشتغال عنها بغيرها، والتكلم فى الصلاة، وعدم تدارك السهو من نفسه لو كان! نعوذ بالله من هذه الآراء الفاسدة!

ونسبوا إلى النبى صلى الله عليه وآله كثيراً من النقص! روى الحميدى فى الجمع بين الصحيحين عن عائشة قالت: كنت ألعبُ بالبنات عند النبى(ص) وكانت لى صواحبُ يلعبنَ معى وكان رسول الله إذا دخل تقبَّعْنَ منه، فيشير إليهن فيلعبن معى!

مع أنهم رووا فى صحاح الأحاديث: أن الملائكة لاتدخل بيتاً فيه صور مجسمة، أو تماثيل! وتواتر النقل عنه بإنكار عمل الصور والتماثيل، فكيف يجوز لهم نسبة هذا إلى النبى صلى الله عليه وآله وإلى زوجته من عمل الصور فى بيته، الذى أسس للعبادة، وهو محل هبوط الملائكة والروح الأمين فى كل وقت! ولما رأى النبى صلى الله عليه وآله الصور فى الكعبة لم يدخلها حتى محيت، مع أن الكعبة بيت الله تعالى، فإذا امتنع من دخوله مع شرفه وعلو مرتبته، فكيف يتخذ فى بيته، وهو أدون من الكعبة صوراً ويجعله محلاً لها.

وروى الحميدى فى الجمع بين الصحيحين: قالت عائشة: رأيت النبى يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر! وروى الحميدى عن عائشة قالت: دخل علىَّ رسول الله وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال: مزمارة الشيطان عند النبى؟! فأقبل عليه رسول الله وقال: دعها فلما غفل غمزتهما فخرجتا! وكيف يجوز للنبى صلى الله عليه وآله الصبر على هذا، مع أنه نصَّ على تحريم اللعب واللهو والقرآن مملوءٌ به، وبالخصوص مع زوجته؟! وهلا دخلته الحمية والغيرة مع أنه صلى الله عليه وآله أغْيَرُ الناس؟!

وكيف أنكر أبو بكر وعمر ومنعهما؟ فهل كانا أفضل منه؟!

وقد رووا عنه صلى الله عليه وآله أنه لما قدم المدينة من سفر، خرجت إليه نساء المدينة يلعبن بالدف فرحاً بقدومه، وهو يرقص بأكمامه!! وهل يصدر مثل هذا عن رئيس، أو من له أدنى وقار، نعوذ بالله من هذه السقطات!

مع أنه لو نُسِبَ أحدهم إلى مثل هذا، قابله بالسب والشتم وتبرأ منه، فكيف يجوز نسبة النبى صلى الله عليه وآله إلى مثل هذه الأشياء التى يُتبرأ منها؟!

وفی الصحیحین أن ملک الموت لما جاء لقبض روح موسی علیهما السلام لطمه موسی ففقأ عینه! فکیف یجوز لعاقل أن ینسب موسی علیه السلام مع عظمته وشرف منزلته وقربه من الله تعالی والفوز بمجاورة عالم القدس، إلی هذه الکراهة؟! وکیف یجوز منه أن یوقع بملک الموت ذلک وهو مأمور من قبل الله تعالی؟!

وفی الجمع بین الصحیحین: أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال فی صفة الخلق یوم القیامة: وإنهم یأتون آدم ویسألونه الشفاعة فیعتذر إلیهم، فیأتون نوحاً فیعتذر إلیهم، فیأتون إبراهیم فیقولون: یا إبراهیم أنت نبی الله وخلیله، إشفع لنا إلی ربک أما تری ما نحن فیه؟! فیقول لهم: إن ربی قد غضب غضباً لم یغضب قبله مثله ولم یغضب بعده مثله! وإنی قد کذبت ثلاث کذبات. نفسی، نفسی، إذهبوا إلی غیری! وفی الجمع بین الصحیحین: أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال: لم یکذب إبراهیم النبی إلا ثلاث کذبات!!

کیف یحلُّ لهؤلاء نسبة الکذب إلی الأنبیاء علیهم السلام؟! وکیف الوثوق بشریعتهم، مع الإعتراف بتعمد کذبهم؟!

وفی الجمع بین الصحیحین أن النبی صلی الله علیه وآله قال: نحن أحق بالشک من إبراهیم إذ قال رَبِّ أَرِنِی کَیْفَ تُحْیِی الْمَوْتَی قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَی وَلَکِنْ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِی. ویرحم الله لوطاً لقد کان یأوی إلی رکن شدید! ولو لبثت فی السجن طول لبث یوسف لأجبت الداعی!

کیف یجوز لهؤلاء الإجتراء علی النبی صلی الله علیه وآله بالشک فی العقیدة؟

وفی الصحیحین قال: بینما الحبشة یلعبون عند النبی صلی الله علیه وآله بحرابهم دخل عمر فأهوی إلی الحصباء فحصبهم بها فقال له رسول الله صلی الله علیه وآله:دعهم یا عمر.

وروی الغزالی فی إحیاء علوم الدین أن النبی صلی الله علیه وآله کان جالساً وعنده جوارٍ یغنین فجاء عمر فاستأذن فقال النبی صلی الله علیه وآله للجواری: أسکتنَ فسکتن، فدخل عمر وقضی حاجته ثم خرج، فقال لهن عُدْنَ، فعدن إلی الغناء!

فقلن: یارسول الله، مَن هذا الذی کلما دخل قلت أسکتنَ، وکلما خرج قلت: عدنَ إلی الغناء؟ قال هذا رجلٌ لا یؤثرُ سماع الباطل.

کیف یحلُّ لهؤلاء القوم روایة مثل ذلک عن النبی صلی الله علیه وآله؟ أتری عمر أشرف من النبی صلی الله علیه وآله؟ حیث لا یؤثر سماع الباطل، والنبی صلی الله علیه وآله یؤثره؟!

وفی الجمع بین الصحیحین: عن أبی هریرة قال: أقیمت الصلاة، وعدلت الصفوف قیاماً قبل أن یخرج إلینا رسول الله صلی الله علیه وآله، فخرج إلینا رسول الله صلی الله علیه وآله فلما قام فی مصلاه ذکر أنه جنبٌ فقال لنا: مکانکم. فلبثنا علی هیئتنا قیاماً، فاغتسل، ثم خرج إلینا، ورأسه یقطر، فکبَّر وصلینا.

فلینظر العاقل: هل یحسن منه وصف أدنی الناس بأنه یحضر الصلاة ویقوم فی الصف وهو جنب! وهل هذا الأمن التقصیر فی عبادة ربه وعدم المسارعة إلیها وقد قال تعالی:وَسَارِعُوا إِلَی مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّکُم... فَاسْتَبِقُوا الْخَیْرَاتِ، فأی مکلف أجدر بقبول هذا الأمر من النبی صلی الله علیه وآله؟!

وفی الجمع بین الصحیحین عن أبی هریرة قال: صلی النبی صلی الله علیه وآله إحدی صلاتی العشیء، قال وأکثر ظنی العصر رکعتین ثم سلم، ثم قال إلی خشبة فی مقام المسجد فوضع یده علیها، وفیهم أبو بکر وعمر فهاباه أن یکلماه، وخرج سرعان الناس فقالوا: أقصرت الصلاة؟ ورجلٌ یدعوه النبی صلی الله علیه وآله ذو الیدین فقال: لم أنسَ ولم أقَصِّر، قال: بل قد نسیت! فصلی رکعتین ثم سلم!

فلینظر العاقل هل یجوز نسبة هذا الفعل إلی رسول الله صلی الله علیه وآله؟ وکیف یجوز منه أن یقول: ما نسیت؟ فإن هذا سهوٌ فی سهو، ومن یعلم أن أبا بکر وعمر حفظا ما نسی رسول الله صلی الله علیه وآله مع إنهما لم یذکرا ذلک للنبی صلی الله علیه وآله؟

وفی الصحیحین عن عبد الله بن عمر أنه کان یحدث عن رسول الله صلی الله علیه وآله: أنه دعا زید بن عمرو بن نفیل وذلک قبل أن ینزل الوحی علی رسول الله صلی الله علیه وآله، فقدم إلیه رسول الله صلی الله علیه وآله سفرةً فیها لحم فأبی أن یأکل منها ثم قال: إنی

لا آكل ما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل مما لم يذكر إسم الله عليه!!

فلينظر العاقل هل يجوز له أن ينسب نبيه إلى عبادة الأصنام، والذبح على الأنصاب ويأكل منه! وإن زيدَ بن عمرو بن نفيل كان أعرف بالله منه، وأتمَّ حفظاً ورعايةً لجانب الله تعالى؟! نعوذ بالله من هذه الإعتقادات الفاسدة!

وفى الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال:كنت مع النبى صلى الله عليه وآله فانتهى إلى سباطة قوم فبال قائماً، فتنحيت فقال: أدنه، فدنوتُ حتى قمت عند عقبيه، فتوضأ فمسح على خفيه! فكيف يجوز: أن ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله البول قائماً، مع أن أرذل الناس لو نُسب هذا إليه تبرأ منه؟! ثم المسح على الخفين والله تعالى يقول: وأرجلكم!

فانظروا إلى هؤلاء القوم: كيف يجوِّزون الخطأ والغلط على الأنبياء عليهم السلام، وإن النبى يجوز أن يسرق درهماً، ويكذب فى أخس الأشياء وأحقرها!

وقد لزمهم من ذلك محالات:

منها: جواز الطعن على الشرائع وعدم الوثوق بها، فإن المبلِّغ إذا جوَّزوا عليه الكذب وسائر المعاصى جاز أن يكذب عمداً أو نسياناً، أو يترك شيئاً مما أوحىَ إليه، أو يأمر من عنده، فكيف يبقى اعتمادٌ على أقواله؟!

ومنها: أنه إذا فعل المعصية، فإما أن يجب علينا اتباعه فيها، فيكون قد وجب علينا فعل ما وجب تركه، واجتمع الضدان! وإن لم يجب، انتفت فائدة البعثة.

ومنها: أنه لو جاز أن يعصى لوجب إيذاؤه والتبرى منه، لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لكن الله تعالى قد نص على تحريم إيذاء النبى صلى الله عليه وآله فقال:إنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخرة وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً , (الأحزاب:٥٧) ومنها: سقوط محله ورتبته عند العوام، فلاينقادون إلى طاعته، فتنتفى فائدة البعثة.

ومنها: أنه يلزم أن يكونوا أدون حالاً من آحاد الأمة، لأن درجات الأنبياء عليهم السلام فى غاية الشرف، وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه أفحش، كما قال تعالى: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يأت مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، (الأحزاب:٣٠) والمحصن يرجم وغيره يحد، وحد العبد نصف حد الحر. والأصل فيه: أن علمهم بالله تعالى أكثر وأتمُّ، وهم مهبط وحيه، ومنازل ملائكته، ومن المعلوم أن كمال العلم يستلزم كثرة معرفته والخضوع والخشوع، فينافى صدور الذنب، لكن الإجماع دل على أن النبى صلى الله عليه وآله لايجوز أن يكون أقل حالاً من آحاد الأمة.

ومنها: أنه يلزم أن يكون مردود الشهادة، لقوله تعالى: إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا، فكيف تقبل شهادته فى الوحى ويلزم أن يكون أدنى حالاً من عدول الأمة، وهو باطل بالإجماع.

ومنها: أنه لو صدر عنه الذنب لوجب الإقتداء به لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوااللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ..لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... فَاتَّبِعُونِى... والتالى باطل بالإجماع، وإلا اجتمع الوجوب والحرمة). انتهى.

وقال رحمه الله فى نهج الحق وكشف الصدق/١٥٩:

(ذهبت الإمامية إلى أن النبى صلى الله عليه وآله يجب أن يكون منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات، بريئاً من الرذائل والأفعال الدالة على الخسة، كالإستهزاء به والسخرية والضحك عليه، لأن ذلك يسقط محله من القلوب، وينفِّر الناس عن الإنقياد إليه، فإنه من المعلوم بالضرورة الذى لايقبل الشك والإرتياب.

وخالفت السنة فيه: أما الأشاعرة فباعتبار نفى الحسن والقبح، فلزمهم أن يذهبوا إلى جواز بعثة ولد الزنا المعلوم لكل أحد! وإن ب فاعلاً لجميع أنواع الفواحش وأبلغ أصناف الشرك! وهو ممن يُسخر به ويُضحك عليه ويُصفع فى الأسواق ويُستهزأ به، ويكون قد ليط به دائماً لأبنة فيه، قواداً، وتكون أمه فى غاية الزنا والقيادة والإفتضاح بذلك، لا تردُّ يدَ لامس! ويكون هو فى غاية الدناءة والسفالة، ممن قد ليط به طول عمره، حال النبوة وقبلها، ويصفع فى الأسواق، ويعتمد المناكير، ويكون قواداً بصاصاً. فهؤلاء يلزمهم القول بذلك

حیث نفوا التحسین والتقبیح العقلیین، وإن ذلک ممکنٌ فیجوز من الله وقوعه، ولیس هذا بأبلغ من تعذیب الله من لایستحق العذاب، بل یستحق الثواب طول الأبد!

وأما المعتزلـة، فلأنهم جوَّزوا صـدور الذنب عنهم علیهم السـلام، لزمهم القول بجواز ذلک أیضاً، واتفقوا علی وقوع الکبائر منهم، کما فی قصة إخوة یوسف!

فلینظر العاقل بعین الإنصاف: هل یجوز المصـیر إلی هـذه الأقاویل الفاسـدة، والآراء الردیـة؟ وهل یبقی مکلف ینقاد إلی قبول قول من کان یفعل به الفاحشة طول عمره إلی وقت نبوته؟ وأنه یصفع ویستهزأ به حال النبوة؟! وهل یثبت بقول هذا حجة علی الخلق؟!

واعلم أن البحث مع الأشاعرة فی هـذا الباب ساقط، وأنهم إن بحثوا فی ذلک اسـتعملوا الفضول، لأنهم یجوزون تعذیب المکلف علی أنه لم یفعل ما أمره الله تعالی به من غیر أن یعلم ما أمره به، ولا أرسل إلیه رسولاً البتـة! بل وعلی امتثال أمره به، وإن جمیع القبائـح من عنـده تعـالی، وإن کـل ما وقع فی الوجود فإنه فعله تعالی وهو حسن، لأن الحسن هو الواقع والقبیـح هو الـذی لم یقع. فهـذه الصـفات الخسیسة فی النبی وأبویه تکون حسنة، لوقوعها من الله تعالی، فأی مانع حینئذ من البعثة باعتبارها؟!

فکیف یمکن للأشاعرة منع کفر النبی علیه السـلام وهو من الله وکل ما یفعله تعالی فهو حسن! وکـذا أنواع المعاصـی! وکیف یمکنهم مع هذا المذهب التنزیه للأنبیاء علیهم السـلام؟! نعوذ بالله من مذهب یؤدی إلی تحسین الکفر وتقبیح الإیمان، وجواز بعثة من اجتمعت فیه کل الرذائل والسقطات.

وقد عرفت من هذا أن الأشاعرة فی هذا الباب، قد أنکروا الضروریات!

وقال فی منهاج الکرامـة ص۳۱، وهو الکتاب الـذی حاول ابن تیمیـة أن یرد علیه فی منهاج سـنته، قال العلامـة: (الفصل الأول: فی نقل المذاهب فی هذه المسألة:

ذهبت الإمامیـة إلی أن الله تعـالی عـدلٌ حکیمٌ لایفعل قبیحاً ولایخلُّ بواجب وإن أفعاله إنما تقع لغرض صـحیح وحکمـة، وأنه لایفعل الظلم ولاـ العبث، وأنه رؤوفٌ بالعبـاد، یفعـل بهم مـا هو الأصـلح لهم والأـنفع، وأنه تعـالی کلفهم تخییراً لاـ إجباراً، ووعـدهم بالثواب وتوعـدهم بالعقـاب علی لسـان أنبیـائه ورسـله المعصومین، بحیث لاـیجوز علیهم الخطأ ولا النسـیان ولا المعاصـی، وإلا لم یبق وثوقٌ بأقوالهم، فتنتفی فائدة البعثة.

ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول بالأمة، فنصب أولیاء معصومین علیهم السلام، لیأمن الناس من غلطهم وسهوهم وخطئهم، فینقادون إلی أوامرهم، لئلاـ یخلی الله تعـالی العـالم من لطفه ورحمته. وأنه تعـالی لمـا بعث رسوله محمـداً صـلی الله علیه وآله قام بنقل الرسالة ونصَّ علی أن الخلیفـة بعـده علیُّ بن أبی طالب، ثم من بعـده ولدُه الحسن الزکی، ثم علی الحسـین الشـهید، ثم علی علی بن الحسـین زیـن العابـدین، ثم علی محمـد بن علی البـاقر، ثم علی جعفر بن محمـد الصـادق، ثم علی موسـی بن جعفر الکـاظم، ثم علی علی بن موسـی الرضـا، ثـم علی محمـد بن علی الجـواد، ثم علی علی بن محمـد الهـادی، ثم علی الحسن بن علی العسـکری، ثم علی الخلف الحجة محمد بن الحسن علیهم السلام، وإن النبی صلی الله علیه وآله لم یمت إلا عن وصیة بالإمامة.

وذهب أهل السنة إلی خلاف ذلک کله، فلم یثبتوا العدل والحکمة فی أفعاله تعالی، وجوَّزوا علیه فعل القبیح والإخلال بالواجب، وأنه تعالی لایفعل لغرض بل کل أفعاله لا لغرض من الأغراض ولا لحکمة البتة!

وأنه تعالی یفعل الظلم والعبث، وأنه لایفعل ما هو الأصلح للعباد، بل ما هو الفساد فی الحقیقة، لأن فعل المعاصی وأنواع الکفر والظلم وجمیع أنواع الفسـاد الواقعـة فی العـالم مسـتندة إلیه! تعالی الله عن ذلک، وإن المطیع لایسـتحق ثواباً والعاصـی لایسـتحق عقاباً، بل قد یعـذب المطیع طول عمره، المبـالغ فی امتثـال أوامره تعـالی کـالنبی علیه السـلام ویـثیب العاصـی طول عمره بـأنواع المعاصـی وأبلغها کإبلیس وفرعون! وإن الأنبیاء علیهم السلام غیر معصومین بل قد یقع منهم الخطأ والزلل والفسوق والکذب والسهو، وغیر ذلک.

وإن النبی صـلی الله علیه وآله لم ینص علی إمام بینهم، وأنه مات عن غیر وصـیة، وإن الإمام بعد رسول الله صلی الله علیه وآله أبو بکر

بن أبی قحافة لمبایعة عمر بن الخطاب له برضا أربعة: أبی عبیدة، وسالم مولی حذیفة، وأسید بن حضیر، وبشر بن سعید، ثم من بعده عمر بن الخطاب بنص أبی بکر علیه، ثم عثمان بن عفان بنص عمر علی ستة هو أحدهم، فاختاره بعضهم، ثم علی بن أبی طالب علیه السلام لمبایعة الخلق له.

ثم اختلفوا، فقال بعضهم إن الإمام بعده ابنه الحسن علیه السلام، وبعضهم قال: إنه معاویة بن أبی سفیان، ثم ساقوا الإمامة فی بنی أمیة إلی أن ظهر السفاح من بنی العباس، فساقوا الإمامة إلیه، ثم انتقلت الإمامة منه إلی أخیه المنصور ثم ساقوا الإمامة فی بنی العباس إلی المعتصم، إلی أربعین).!

وقال الکراجکی رحمه الله فی کتابه: التعجب من أغلاط العامة ص۶۴:

(الفصل السابع فی أغلاطهم فی العصمة: فمن عجیب أمرهم: أنهم ینکرون عصمة الأنبیاءوالأئمة علیهم السلام عن سائر الأنام، ویقولون إن هذه العصمة إن کانت منهم جاز أن تقع فی غیرهم فیساویهم فی منزلتهم، وإن کانت من الله سبحانه فقد جبرهم واضطرهم ولم یستحقوا ثواباً علی عصمتهم!

وهم مع ذلک معترفون بأن النبی صلی الله علیه وآله معصومٌ فی التأدیة والتبلیغ، ومعصومٌ عما سوی ذلک من جمیع کبائر الذنوب فی حال نبوته وقبلها، وأنها عصمة اختیار یستحق علیها الجزاء، ولایساویه أحد من أمته فیها!

ومن عجیب أمرهم: إنکارهم لعصمة الأئمة وقولهم أنها لاتقتضی الإختیار!

ومن العجب قولهم: إن العصمة ثابتة لجمیع الأمة منتفیة عن کل واحد منها، مع علمهم بأن آحادَهم جماعتُها، وأنها إذا کانت مؤمنة بأجمعها کان الإیمان حاصلاً لآحادها، ولو کفر جمیعها لکان الکفر حاصلاً مع کل واحد منها.

وقد قال أحد المعتزلة یوماً وقد سمع هذا الکلام: فرقٌ بین العصمة وما ذکرت من الکفر والإیمان، وذلک أن ما ثبت لکل واحد منها فهو ثابتٌ لجماعتها، ولیس کلما ثبت لجماعتها ثابتاً لکل واحد منها، فلذلک إذا آمن آحادها کان جمیعها مؤمنین، وإذا کفر آحادها کان جمیعها کافرین، ولیس إذا ثبت العصمة لجماعتها یکون آحادها معصومین.

فقلت له: ما رأیت أعجب من أمرک وانصرافک عن مقتضی قضیتک، إذا کان ما ثبت لکل واحد من الأمة ثابتاً لجمیعها فقد ثبت عندی وعندک الحکم علی کل واحد منها بجواز الخطأ والنسیان وتعمد الغلط فی الأفعال والأقوال، فاحکم بثبوت ذلک لجمیعها، وأسقط ما ادعیت من عصمتها! فلم یدر ما یقول بعد هذا!

ومن عجیب أمرهم وطریف رأیهم قولهم: إن الأمة معصومة وقولها حجة، وهی مفتقرةٌ مع ذلک إلی إمام، وإمامها غیر معصوم ولا قوله حجة، ولیس هو مفتقراً إلی إمام، وهذا من أعجب الأقوال! ومن عجیب المناقضة أن یکون لها إمام ولا یکون ارتفاع العصمة عن الإمام موجباً أن یکون له إمام، ولا یکون أیضاً غنایة عن الإمام یقتضی تمیزه بالعصمة عن الأنام.

إنهم جعلوا حجتهم فی عصمة الأمة وفی أن إجماعها صواب وحجة خبراً نسبوه إلی رسول الله صلی الله علیه وآله وهو أنه: لاتجتمع أمتی علی ضلالة، وهذا الخبر لایمکنهم علی أصلهم أن یدعوا فیه التواتر، إذا کان غیر موجب لسامعیه علی الضرورة بصحته، فهو لامحالة من أخبار الآحاد، فهم إذاً قد جعلوا دلیل الدعوی بأن الأمة لاتجتمع علی ضلال قول بعضها، والحجة علی عصمتها شهادة واحد منها، ولم یعلموا أن الخلاف فی قول جمیعها یتضمن الخلاف فی قول بعضها، والتخطئة لسائرها یدخل فی التخطئة لواحدها!

وهل هم فی ذلک إلا کمن ادعی الحجة بإجماع عشرة من الناس علی قول أو فعل، وجعل دلیله علی ذلک قول واحد من العشرة، ولم یعلم أن المخالف له فی الحجة بإجماع العشرة لم یصر إلی ذلک إلا بعد المخالفة له فیمن دون العشرة! إذ لو سلَّم الخصم قول بعضها لم یصح خلافه له فی قول جمیعها!

ولما رأوا أن خبرهم لایصح کونه فی قسم المتواتر علی أصلهم، ولا ینصرف عن إضافته إلی أخبار الآحاد التی لاتثبت بها حجة لدعواهم، اشتد غلطهم وعظم زللهم، فأدَّاهم إلی القول بأنهم علموا صحته بالإجماع! وهذا من أعجب الأقوال! وهو فی المناقضة لاحقٌ

فى الهذيان، لأن أصل الخلاف إنما هو فى الإجماع وهل هو حجة أم لا، فكيف يكون الإجماع دليلًا لنفسه، وبرهاناً على ما يدعى من صوابه؟! ولو جاز هذا لكانت الدعوى نفسها برهاناً والفتوى بعينها دليلًا، وهذا ما لايخفى فساده على العقلاء.

ومما يوضح غلطهم فيه أن الدليل على الشئ يعرف قبل معرفة الشئ، فإذا كانوا لم يعلموا أن الإجماع حجة، وإن الأمة فيما تخبر به معصومة إلا بالخبر فقد وجب أن يكونوا عالمين بصحته قبل علمهم بأن الإجماع حجة، وإن الأمة فيما تخبر به معصومة، وإذا كانوا لم يعلموا أن الخبر صحيح إلا بالإجماع، فقد وجب أن يكونوا عالمين بأن الإجماع حجة قبل علمهم بصحة الخبر، فكيف يتقدم المؤخر ويتأخر المقدم، وهل رؤى قط أعجب من هذا الأمر؟!).

أقول: ما أوردناه من كلام العلامة الحلى والكراجكى رحمهما الله، يكفى لبيان أن مخالفينا ينقضون عملياً عصمة الأنبياء عليهم السلام التى قرروها نظرياً!

نماذج من آراء علمائهم فى عصمة الأنبياء

هذه آراء بعض كبار علمائهم فى عصمة الأنبياء عليهم السلام، وهى صريحة فى سلب قسم من العصمة عنهم عليهم السلام، ثم تراهم يسلبون ما أقروا به منها عندما يصلون إلى الإسرائيليات التى تطعن فى عصمتهم وعدالتهم عليهم السلام، والقرشيات التى تطعن فى عصمة نبينا وعدالته صلى الله عليه وآله، ويؤيدونها بمتشابه الآيات!

وقد بسطنا الكلام فى رأى الفخر الرازى لأنه إمام معترف به عند الأشعرية. وكذا فى رأى ابن تيمية لأنه هاجم الشيعة بسبب قولهم بالعصمة التامة للأنبياء عليهم السلام وادعى إجماع السنيين على ارتكاب الأنبياء عليهم السلام للمعاصى الصغيرة والكبيرة حتى فى تبليغ الرسالة، غاية الأمر أن الله تعالى ينبههم أو يؤنبهم ويتوب عليهم!!

ولأنه انفرد بالكشف عن السبب الحقيقى لرفضهم عصمة الأنبياء عليهم السلام وهو أنها تستوجب الطعن فى أبى بكر وعمر، وذلك لأن الإرتكاز الذهنى يوجب التجانس بين النبى صلى الله عليه وآله وخليفته، وأبو بكر وعمر قد عبدا الأصنام مدة طويلة، فلو قبلوا أن النبى صلى الله عليه وآله معصوم لما ناسب أن يكونا خليفتيه، وسترى كلامه!

رأى الغزالى

قال فى المستصفى ص٢٧٤: (الفصل الأول فى دلالة الفعل ونقدم عليه مقدمة فى عصمة الأنبياء، فنقول: لما ثبت ببرهان العقل صدق الأنبياءوتصديق الله تعالى إياهم بالمعجزات، فكل ماناقض مدلول المعجزة فهو محال عليهم بدليل العقل، ويناقض مدلول المعجزة جواز الكفر والجهل بالله تعالى وكتمان رسالة الله والكذب والخطأ والغلط فيما يبلغ، والتقصير فى التبليغ والجهل بتفاصيل الشرع الذى أمر بالدعوة إليه.

أما ما يرجع إلى مقارفة الذنب فيما يخصه ولايتعلق بالرسالة فلا يدل على عصمتهم عنه، عندنا دليل العقل، بل دليل التوقيف والإجماع قد دل على عصمتهم عن الكبائر، وعصمتهم أيضاً عما يصغر أقدارهم من القاذورات، كالزنا والسرقة واللواط.

أما الصغائر فقد أنكرها جماعة وقالوا: الذنوب كلها كبائر فأوجبوا عصمتهم عنها، والصحيح أن من الذنوب صغائر وهى التى تكفرها الصلوات الخمس، واجتناب الكبائر كما ورد فى الخبر، وكما قررنا حقيقته فى كتاب التوبة من كتاب إحياء علوم الدين.

فإن قيل: لِمَ لمْ تثبت عصمتهم بدليل العقل، لأنهم لو لم يعصموا لَنَفَرَت قلوب الخلق عنهم؟!

قلنا: لايجب عندنا عصمتهم من جميع ما ينفِّر، فقد كانت الحرب سجالاً بينه وبين الكفار، وكان ذلك ينفِّر قلوب قوم عن الإيمان ولم يعصم عنه وإن ارتاب المبطلون، مع أنه حفظ عن الخط والكتابة كى لايرتاب المبطلون. وقد ارتاب جماعة بسبب النسخ، كما قال تعالى: وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أعلم بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إنما أنت مُفْتَر. (النحل:١٠١) وجماعة بسبب المتشابهات فقالوا: كان يقدر

على كشف الغطاء لو كان نبياً لخلَّص الخلق من كلمات الجهل والخلاف كما قال تعالى:فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ (آل عمران:۷) وهذا لأن نفى المنفرات ليس بشرط دلالة المعجزة.

هذا حكم الذنوب، أما النسيان والسهو فلاخلاف فى عصمتهم بما يتعلق بتبليغ الشرع والرسالة، فإنهم كلفوا تصديقه جزماً، ولايمكن التصديق مع تجويز الغلط، وقد قال قوم: يجوز عليه الغلط فيما شرعه بالإجتهاد، لكن لايقرُّ عليه، وهذا على مذهب من يقول المصيب واحد من المجتهدين، أما من قال: كل مجتهد مصيب فلايتصور الخطأ عنده فى اجتهاد غيره فكيف فى اجتهاده).

وقال فى المنخول ص۳۰۹: (وقد تقرر بمسلك النقل كونهم معصومين عن الكبائر، وأما الصغائر ففيه تردد العلماء، والغالب على الظن وقوعه، وإليه تشير بعض الآيات والحكايات.

هذا كلام فى وقوعه، أما جوازه فقد أطبقت المعتزلة على وجوب عصمة النبى عليه السلام عقلاً عن الكبائر تعويلاً على أنه يورث التنفير وهو مناقض لغرض النبوة، وهذا يبطل بكون الحرب سجالاً بينه وبين الكفار وبه اعتصم بعض اليهود فى تكذيبه. والمختار ما ذكره القاضى وهو أنه لايجب عقلاً عصمتهم إذ لايستبان استحالة وقوعه بضرورة العقل ولا بنظر العقل، وليس هو مناقضاً لمدلول المعجزة فإن مدلولها صدق اللهجة فيما يخبر عن الله تعالى، فلاجَرَمَ لايجوز وقوع الكذب فيما يخبر به عن الرب تعالى لاعمداً ولاسهواً، ومعنى التنفير باطل، فإنا نُجَوِّز أن ينبِّئ الله تعالى كافراً ويؤيده بالمعجزة! والمعتزلة يأبون ذلك أيضاً.

والذين أوجبوا عصمته عن الكبيرة اختلفوا، فمنهم من قال كل مخالفة كبيرة بالنسبة إلى عظمته، فلا صغيرة أصلاً وكل مخالفة كبيرة. وهذا كما أن رفع الصوت فوق صوت من يماثل الإنسان، قد يعدُّ صغيرةً وهو بعينه فى مجلس الملوك كبيرة دونه تُحَزُّ الرقاب، فللنسبة بعد تأثير فى تعظيم أثر المخالفة.

والذين أثبتوا الصغيرة اضطربوا، ومثار الإضطراب فى أنه هل يورث التنفير.

أما النسيان فلايجب كونه عندنا معصوماً عنه فى أفعاله وأقواله، إلا فيما يخبر عن الله تعالى، لأن تجويزه مناقض مدلول المعجزة). انتهى.

أقول: لك أن تلاحظ فظاعة مذهب أتباع الخلافة فى قول الغزالى: (ومعنى التنفير باطل، فإنا نُجَوِّز أن ينبِّئَ الله تعالى كافراً ويؤيده بالمعجزة)!! ومعناه أن المهم عندهم فى العقائد والقيم والشرائع التى يدعو إلى الرسول، هو إبلاغها للناس ليطبقوها، وليس أن يطبقها هو!

والمهم فى شخصية الأنبياءوالرسل عليهم السلام ليس إيمانهم بما جاؤوا به ولا تطبيقهم له، بل نقلهم البريدى له! حتيلو كانوا فسقة فجرة كفرة، وضربوا بماأوحى اليهم عرض الجدار، فنفر الناس منهم لتناقضهم وفقدانهم المصداقية!

وهذا يضع يدنا على تأثر علماء السلطة القرشية بتصور اليهود عن أفعال الله تعالى وفقدانها للحكمة! وتصورهم عن أنبياءالله عليهم السلام، وأن النبوة منصب دنيوى كمنصب قضاة بنى إسرائيل، ومنصب الخلافة الأموية والعباسية!

رأى الآمدى

قال فى الأحكام فى أصول الأحكام:۱/۱۶۹:

(المقدمة الأولى:فى عصمة الأنبياء عليهم السلام وشرح الإختلاف فى ذلك، وما وقع الإتفاق من أهل الشرائع على عصمتهم عنه من المعاصى وما فيه الإختلاف.

أما قبل النبوة فقد ذهب القاضى أبو بكر وأكثر أصحابنا وكثير من المعتزلة إلى أنه لايمتنع عليهم المعصية كبيرة كانت أو صغيرة، بل ولا يمتنع عقلاً إرسال من أسلم وآمن بعد كفره.

وذهبت الروافض إلى امتناع ذلك كله منهم قبل النبوة، لأن ذلك مما يوجب هضمهم فى النفوس واحتقارهم والنفرة عن اتباعهم،

وهو خلاف مقتضی الحکمهٔ من بعثهٔ الرسل، ووافقهم علی ذلک أکثر المعتزلهٔ، إلا فی الصغائر.

والحق ما ذکره القاضی لأنه لاسمع قبل البعثهٔ یدل علی عصمتهم عن ذلک والعقل دلالته مبنیهٔ علی التحسین والتقبیح العقلی، ووجوب رعایهٔ الحکمهٔ فی أفعال الله تعالی، وذلک کله مما أبطلناه فی کتبنا الکلامیهٔ.

وأما بعد النبوهٔ فالإتفاق من أهل الشرائع قاطبهٔ علی عصمتهم عن تعمد کل ما یخل بصدقهم فیما دلت المعجزهٔ القاطعهٔ علی صدقهم فیه، من دعوی الرسالهٔ والتبلیغ عن الله تعالی.

واختلفوا فی جواز ذلک علیهم بطریق الغلط والنسیان، فمنع منه الأستاذ أبو إسحاق وکثیر من الأئمهٔ، لما فیه من مناقضهٔ دلالهٔ المعجزهٔ القاطعهٔ. وجوَّزه القاضی أبو بکر، مصیراً منه إلی أن ما کان من النسیان وفلتات اللسان غیر داخل تحت التصدیق المقصود بالمعجزهٔ، وهو الأشبه.

وأما ما کان من المعاصی القولیهٔ والفعلیهٔ التی لادلالهٔ للمعجزهٔ علی عصمتهم عنها، فما کان منها کفراً فلا نعرف خلافاً بین أرباب الشرائع فی عصمتهم عنه، إلا ـ ما نقل عن الأزارقهٔ من الخوارج أنهم قالوا بجواز بعثهٔ نبی علم الله أنه یکفر بعد نبوته، وما نقل عن الفضلیهٔ من الخوارج أنهم قضوا بأن کل ذنب یوجد فهو کفر، مع تجویزهم صدور الذنوب عن الأنبیاءفکانت کفراً.

وأما ما لیس بکفر، فإما أن یکون من الکبائر أو لیس منها. فإن کان من الکبائر فقد اتفقت الأمهٔ سوی الحشویهٔ ومن جوز الکفر علی الأنبیاء، علی عصمتهم عن تعمده من غیر نسیان ولا تأویل، وإن اختلفوا فی أن مدرک العصمهٔ السمع، کما ذهب إلیه القاضی أبو بکر والمحققون من أصحابنا، أو العقل، کما ذهب إلیه المعتزلهٔ.

وأما أن کان فعل الکبیرهٔ عن نسیان أو تأویل خطأ، فقد اتفق الکل علی جوازه سوی الرافضهٔ.

وأما ما لیس بکبیرهٔ، فإما أن یکون من قبیل ما یوجب الحکم علی فاعله بالخسهٔ ودناءهٔ الهمهٔ وسقوط المروءهٔ، کسرقهٔ خبزهٔ أو کسرهٔ، فالحکم فیه کالحکم فی الکبیرهٔ. وأما ما لایکون من هذا القبیل کنظرهٔ أو کلمهٔ سفه نادرهٔ فی حالهٔ غضب، فقد اتفق أکثر أصحابنا وأکثر المعتزلهٔ علی جوازه عمداً وسهواً خلافاً للشیعهٔ مطلقاً، وخلافاً للجبائی والنظّام وجعفر بن مبشر فی العمد). انتهی.

وتلاحظ فی رأی الآمدی تصدیق قول العلامهٔ الحلی قدس سره فی نهج الحق ص۱۵۹:

(واعلم أن البحث مع الأشاعرهٔ فی هذا الباب ساقط، وأنهم إن بحثوا فی ذلک استعملوا الفضول، لأنهم یجوزون تعذیب المکلف علی أنه لم یفعل ما أمره الله تعالی به من غیر أن یعلم ما أمره به، ولا أرسل إلیه رسولاً البتهٔ!....

فکیف یمکن للأشاعرهٔ منع کفر النبی علیه السلام وهو من الله وکل ما یفعله تعالی فهو حسن! وکذا أنواع المعاصی! وکیف یمکنهم مع هذا المذهب التنزیه للأنبیاء علیهم السلام؟! نعوذ بالله من مذهب یؤدی إلی تحسین الکفر وتقبیح الإیمان، وجواز بعثهٔ من اجتمعت فیه کل الرذائل والسقطات. وقد عرفت من هذا أن الأشاعرهٔ فی هذا الباب، قد أنکروا الضروریات). انتهی.

رأی القاضی عیاض

قال فی کتابه (الشفا بتعریف حقوق المصطفی):۲/۱۷۲:

(فصل: قد استبان لک أیها الناظر مما قررناه ماهو الحق من عصمته(ص) عن الجهل بالله وصفاته، أو کونه علی حالهٔ تنافی العلم شئ من ذلک کله جملهٔ، بعد النبوهٔ عقلاً وإجماعاً، وقبلها سماعاً ونقلاً، ولا بشئ مما قررناه من أمور الشرع، وأداه عن ربه من الوحی، قطعاً وعقلاً وشرعاً.

وعصمته عن الکذب وخلف القول، منذ نبأه الله وأرسله، قصداً أو غیر قصد، واستحالهٔ ذلک علیه شرعاً وإجماعاً ونظراً وبرهاناً، وتنزیهه عنه قبل النبوهٔ قطعاً، وتنزیهه عن الکبائر إجماعاً، وعن الصغائر تحقیقاً، وعن استدامهٔ السهو والغفلهٔ واستمرار الغلط والنسیان علیه فیما شرعه للأمهٔ، وعصمته فی کل حالاته من رضاً وغضب، وجد ومزح). انتهی.

أقول: بـذل القاضـى عيـاض جهـده فى كتابه لإظهار النبى صـلى الله عليه وآله بمظهر لائق وتنزيهه عما نسـبوه اليه من أخطاء ومعاص، لكنه اصـطدم دائماً بالقرشـيات التى ملأت الصـحاح، فحاول معالجتها وتأويلها بما يحفظ رواياتها، ويحفظ مكانـة النبى صـلى الله عليه وآله فلم يحالفه التوفيق، كما سترى فى قضة الغرانيق!

رأى الفخر الرازى

قال فى المحصول:۳/۲۲۵: (اختلفت الأمة فى عصـمة الأنبياء عليهم السـلام على قولين: أحدهما، قول من ذهب إلى أنه لايجوز أن يقع منهم ذنب صغيراً كان أو كبيراً، لاعمداً ولاسهواً ولا من جهة التأويل، وهو قول الشيعة.

والإـخر: قول من ذهب إلى جوازه عليهم، ثم اختلفوا فيمـا يجوز من ذلـك ومـا لاـيجوز. والإختلاـف فى هـذا البـاب يرجع إلى أقسام أربعة:

أحدها، ما يقع فى باب الإعتقاد وقد اتفقوا على أنه لايجوز أن يقع منهم الكفر، وقالت الفضيلية من الخوارج أنه قد وقعت منهم ذنوب وكل ذنب عندهم كفر وشرك. وأجازت الشيعة إظهار الكفر على سبيل التقية.

فأما الإعتقاد الخطأ الـذى لايبلغ الكفر، مثل أن يعتقـد مثلاً أن الأعراض باقيـة ولايكون كذلك، فمنهم من أباه لكونه منفراً، ومنهم من جوزه.

وثانيها، باب التبليغ، واتفقوا على أنه لايجوز عليهم التغيير، وإلا لزال الوثوق بقولهم. وقال قوم يجوز ذلك من جهة السهو.

وثالثها، ما يتعلق بالفتوى، واتفقوا أيضاً على أنه لايجوز عليهم الخطأ فيه، وجوزه قوم على سبيل السهو.

ورابعها، مايتعلق بأفعالهم، واختلفت الأمة فيه على أربعة أقوال:

أحـدها: قول من جوَّز عليهم الكبائر عمـداً. وهؤلاء منهم من قال بوقوع هذا الجائز وهم الحشوية، وقال القاضـى أبو بكر: هذا وإن جاز عقلاً ولكن السمع منع من وقوعه.

وثانيها: أنه لايجوز أن يرتكبوا كبيرة ولاصغيرة عمداً، لكن يجوز أن يأتوا بها على جهة التأويل، وهو قول الجبائى.

وثالثها: أنه لايجوز ذلك لا عمـداً ولامن جهـة التأويل لكن على سبيل السـهو، وهم مؤاخذون بما يقع منهم على هذه الجهة، وإن كان موضوعاً عن أمتهم، لأن معرفتهم أقوى فيقدرون على التحفظ عما لا يتأتّى لغيرهم.

ورابعها: أنه لا يجوز أن يرتكبوا كبيرة، وأنه قـد وقعت منهم صـغائر على جهـة العمـد والخطأ والتأويل إلا ما ينفر كالكذب والتطفيف، وهو قول أكثر المعتزلة.

والذى نقول به أنه لم يقع منهم ذنب على سبيل القصد لاصـغيراً ولاكبيراً، أما السـهو فقد يقع منهم لكن بشـرط أن يتذكروه فى الحال وينبهوا غيرهم على أن ذلك كان سـهواً، وقد سيقت هذه المسألة فى علم الكلام، ومن أراد الإستقصاء فعليه بكتابنا فى عصمة الأنبياء، والله أعلم). انتهى.

وقال فى عصمة الأنبياءص۸:

[الرابع] ما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم، وقد اختلفوا فيه على خمسة مذاهب:

الأول: الحشوية وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر.

الثانى: أنه لايجوز منهم تعمد الكبيرة البتة، وأما تعمد الصـغيرة فهو جائز بشـرط أن لا تكون منفراً، وأما أن كانت منفراً فذلك لايجوز عليهم، مثل التطفيف بما دون الحبة، وهو قول أكثر المعتزلة.

الثـالث: أنه لاـيجوز عليهم تعمـد الكبيرة والصـغيرة، ولكن يجوز صـدور الـذنب منهم على سبيل الخطأ فى التأويل، وهو قول أبى على الجبائى.

الرابع: أنه لایجوز علیهم الکبیرة ولاالصغیرة، لا بالعمد ولا بالتأویل والخطأ. أما السهو والنسیان فجائز، ثم إنهم یعاتبون علی ذلک السهو والنسیان لِمَا أن علومهم أکمل، فکان الواجب علیهم المبالغة فی التیقظ، وهو قول أبی إسحاق إبراهیم بن سیار النظام.

الخامس: أنه لا یجوز علیهم الکبیرة ولا الصغیرة، لا بالعمد ولا بالتأویل، ولا بالسهو والنسیان. وهذا مذهب الشیعة.

واختلفوا أیضاً فی وقت وجوب هذه العصمة، فقال بعضهم: أنها من أول الولادة إلی آخر العمر، وقال الأکثرون هذه العصمة إنما تجب فی زمان النبوة فأما قبلها فهی غیر واجبة. وهو قول أکثر أصحابنا رحمهم الله تعالی

والذی نقول: أن الأنبیاء علیهم السلام معصومون فی زمان النبوة عن الکبائر والصغائر بالعمد، أما علی سبیل السهو فهو جائز.

ویدل علی وجوب العصمة وجوه خمسة عشرة:

الحجة الأولی، لو صدر الذنب عنهم لکان حالهم فی استحقاق الذم عاجلًا والعقاب آجلًا أشد من حال عصاة الأمة، وهذا باطل....

الحجة الثانیة، لو صدر الذنب عنهم لما کانوا مقبولی الشهادة لقوله تعالی: یَاأَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ جَاءَکُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَیَّنُوا....

الحجة الثالثة، لو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم، لأن الدلائل دالة علی وجوب الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، لکن زجر الأنبیاءعلیهم الصلاة والسلام غیر جائز، لقوله تعالی: إِنَّ الَّذِینَ یُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِی الدُّنْیَا وَالآخرة، فکان صدور الذنب عنهم ممتنعاً...

الحجة الرابعة، لو صدر الفسق عن محمد علیه الصلاة والسلام لکنا إما أن نکون مأمورین بالإقتداء به وهذا لایجوز، أولأنکون مأمورین بالإقتداء به وهذا أیضاً باطل لقوله تعالی: قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللهُ....

الحجة الخامسة، لو صدرت المعصیة عن الأنبیاء علیهم السلام لوجب أن یکونوا موعودین بعذاب الله بعذاب جهنم، لقوله تعالی: وَمَنْ یَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَیَتَعَدَّ حُدُودَهُ یُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِیهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِینٌ، ولکانوا ملعونین لقوله تعالی: إلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَی الظَّالِمِینَ...

الحجة السادسة، إنهم کانوا یأمرون بالطاعات وترک المعاصی، ولو ترکوا الطاعة وفعلوا المعصیة لدخلوا تحت قوله تعالی: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ.کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاتَفْعَلُونَ. وتحت قوله تعالی: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَکُمْ...

الحجة السابعة، قال الله تعالی فی صفة إبراهیم وإسحاق ویعقوب: إِنَّهُمْ کَانُوا یُسَارِعُونَ فِی الْخَیْرَاتِ، والألف واللام فی صیغة الجمع تفید العموم فدخل تحت لفظ الخیرات فعل کل ما ینبغی وترک کل ما لاینبغی، وذلک یدل علی أنهم کانوا فاعلین لکل الطاعات وتارکین لکل المعاصی.

الحجة الثامنة، قوله تعالی: إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَیْنَ الإخیَار.... فدلت هذه الآیة علی أنهم کانوا من المصطفین الإخیار فی کل الأمور...

الحجة التاسعة، قوله تعالی حکایة عن إبلیس: قَالَ فَبِعِزَّتِکَ لأُغْوِیَنَّهُمْ أجمعین، إلاعِبَادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ. استثنی المخلصین من إغوائه وإضلاله. ثم إنه تعالی شهدعلی إبراهیم وإسحاق ویعقوب علیهم السلام أنهم من المخلصین، حیث قال: أنا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِکْرَی الدَّارِ.وقال فی حق یوسف علیه السلام:إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِینَ فلما أقر إبلیس أنه لایغوی المخلصین، وشهد الله بأن هؤلاء من المخلصین، ثبت أن إغواء إبلیس ووسوسته ما وصلت إلیهم...

الحجة العاشرة، قال الله تعالی: وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَیْهِمْ إبلیس ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إلافَرِیقاً مِنَ الْمُؤْمِنِینَ، فهؤلاء الذین لم یتبعوا إبلیس إما أن یقال إنهم الأنبیاءأو غیرهم فإن کانوا غیرهم لزم أن یکونوا أفضل منهم....

الحجة الحادیة عشرة، أنه تعالی قسم المکلفین إلی قسمین: حزب الشیطان کما قال تعالی:أُولَئِکَ حِزْبُ الشَّیْطَانِ إلا إِنَّ حِزْبَ الشَّیْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وحزب الله کما قال تعالی: أُولَئِکَ حِزْبُ اللهِ إلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. ولاشک أن حزب الشیطان هو الذی یفعل مایرید الشیطان ویأمره به، فلو صدرت الذنوب عن الأنبیاءلصدق علیهم أنهم من حزب الشیطان، ولصدق علیهم قوله تعالی: إلا إِنَّ حِزْبَ الشَّیْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ، ولصدق علی الزهاد من آحاد الأمة قوله تعالی: إلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وحینئذ یلزم أن یکون

واحد من آحاد الأمة أفضل بكثير من الأنبياء، ولا شك فى بطلانه..

الحجة الثانية عشرة، إن أصحابنا بينوا أن الأنبياءأفضل من الملائكة، وثابت بالدلالة أن الملائكة ما أقدموا على شئ من الذنوب، فلو صدرت الذنوب عن الأنبياءلامتنع أن يكونوا زائدين فى الفضل على الملائكة...

الحجة الثالثة عشرة، قال الله تعالى فى حق إبراهيم عليه السلام:إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً، والإمام هو الذى يقتدى به، فلو صدر الذنب عن إبراهيم لكان اقتداء الخلق به فى ذلك الذنب واجباً. وإنه باطل.

الحجة الرابعة عشرة، قوله تعالى: لايَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ، فكل من أقدم على الذنب كان ظالماً لنفسه لقوله تعالى: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ. إذا عرفت هذا فنقول: ذلك العهد الذى حكم الله تعالى بأنه لايصل إلى الظالمين إما أن يكون هو عهد النبوة أو عهد الإمامة، فإن كان الأول فهو المقصود، وإن كان الثانى فالمقصود أظهر، لأن عهد الإمامة أقل درجة من عهد النبوة، فإذا لم يصل عهد الإمامة إلى المذنب العاصى، فبأن لايصل عهد النبوة إليه أولى.

الحجة الخامسة عشرة، روى أن خزيمة بن ثابت الأنصارى(رض)شهد على وفق دعوى النبى(ص)مع أنه ماكان عالماً بتلك الواقعة فقال خزيمة: إنى أصدقك فيما تخبر عنه من أحوال السماء، أفلا أصدقك فى هذا القدر؟! فلما ذكر ذلك صدقه النبى(ص)فيه ولقبه بذى الشهادتين، ولو كان الذنب جائزاً على الأنبياءلكانت شهادة خزيمة غير جائزة....

ثم قال الرازى:(واعلم أن شبهات المخالفين فى هذه المسألة كثيرة، ونحن نذكرها على سبيل الإختصار...). انتهى.

ملاحظات على كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازى

الملاحظة ۱.

أنه تأثر كثيراً بمنهج السيد المرتضى فى كتابه تنزيه الأنبياء عليهم السلام الذى ألفه قبله بأكثر من قرن ونصف، بل يمكن القول إن كتاب عصمة الأنبياء عليهم السلام للرازى هو نفس كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام للسيد المرتضى، مصوغاً بقلم سنى!

الملاحظة ۲.

أن الرازى كغيره من علماء الأشعرية، يجيدون الدفاع عن الأنبياء عليهم السلام عندما يعتمدون العقل والفطرة الإنسانية، فيجئ دفاعهم قوياً متماسكاً، لكنهم عندما يصطدمون بعشرات الأحاديث الصحيحة عندهم فى البخارى ومسلم وغيرهما، ينخنث كلامهم ويضطرب! فترى بعضهم يغمض بصره عن تلك الأحاديث، أو يشير اليها إشارة ويردها، وأحياناً أخرى يدافع عنها، فيقع فى التناقض!

فالمشكلة الأساسية التى تواجه الباحث منهم ليست الآيات المتشابهة التى يفهم من ظاهرها معصية الأنبياء عليهم السلام وتحتاج إلى تفسير أو تأويل، بل الإسرائيليات التى تثقل كاهل الصحاح فى ذم الأنبياء عليهم السلام، ولا يمكن تأويلها!

نعم إن العقبة الكأداء هى القرشيات التى روتها مصادرهم فى ذم نبينا صلى الله عليه وآله وربطتها بالآيات المتشابهة وفسرتها بها، أو جعلتها سبباً لنزولها كذباً وزوراً!

وقلما تجد من علمائهم صاحب شجاعة، يتقرب إلى الله تعالى ويتخطى هذه الموانع دفاعاً عن نبينا صلى الله عليه وآله وأنبياءالله عليهم السلام!

لاحظ ما قاله الرازى فى ص۷۲، فى قصة نبى الله داود عليه السلام:(فاعلم أن الذى أقطع به عدم دلالة هذه الآية على صدور الكبيرة من داود عليه السلام. وبيانه من وجوه:

الأول، أن الذى حكاه المفسرون عن داود وهو أنه عشق امرأة أوريا فاحتال حتى قتل زوجها فتزوجها، لايليق بالأنبياء، بل لو وصف به

أفسق الملوک لکان منکراً.

الثانی، أن الدخول فی دم أوریا أعظم من التزوج بامرأته، فکیف ترک الله الذنب الأعظم واقتصر علی ذکر الإخف؟!

الثالث، أن السورة من أولها إلی آخرها فی محاجة منکری النبوة، فکیف یلائمها القدح فی بعض أکابر الأنبیاءبهذا الفسق القبیح؟!

الرابع، أن الله تعالی وصف داود علیه السلام فی ابتداء القصة بأوصاف حمیدة، وذلک ینافی ما ذکروه فی الحکایة.....!

فإن قلت: إن کثیراً من المحدثین روی هذه الحکایة!

قلت: هذه الدلائل الباهرة لما أبطلت قولهم وجب القطع بفسادها، فالعجب اتفاق الناس علی أن خبر الواحد لایفید إلا الظن، والظن إنما ینتفع به فی العملیات وهذه المسألة لیست من العملیات، فصارت روایتهم ساقطة العبرة من کل الوجوه....وعن سعید بن المسیب والحارث الأعور أن علیاً(رض)قال:من حدثکم بحدیث داود علیه السلام علی ما یرویه القُصّاص جلدته مأتین وستین وهو حد الفریة علی الأنبیاء علیهم السلام. وروی أن واحداً ذکر ذلک الخبر عند عمر بن عبد العزیز وعنده رجل من أهل الحق، فکذب المحدث به وقال: إن کانت القصة علی ما فی کتاب الله تعالی فما ینبغی أن نلتمس خلافها، وإن کان علی ما ذکرت وکفَّ الله عنها ستراً علی نبیه فیما ینبغی إظهار ما علیه. فقال عمر: سماعی هذا الکلام أحب إلی مما طلعت الشمس علیه). انتهی.

فأنت تری أن الرازی أجاد، لأنه جری فی کلامه علی مقتضی العقل والفطرة، وردَّ إسرائیلیات رواة السلطة، لأنها تنافی عصمة نبی الله داود علیه السلام.

لکنه لایملک هذه الشجاعة إذا وصل إلی القرشیات التی یستوجب ردها أن یضرب بروایة البخاری عرض الجدار، مع أن البخاری دخل فی الرواة الذین هاجمهم! حیث تبنی اتهام رواة الإسرائیلیات لداود علیه السلام! قال فی:۴/۱۳۴: (وَهَلْ أَتَاکَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ.....إِنَّ هَذَا أخی لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً..... یقال للمرأة نعجة، ویقال لها أیضاً شاة...الخ.)! انتهی.

ومعنی هذا أن البخاری تبنی کل إسرائیلیات السلطة، لأنها کلها مبنیة علی أن المقصود بتسع وتسعین نعجة: تسعٌ وتسعون امرأة!!

ومن تأثیر قداسة البخاری علی الرازی أنه قال بتنزیه الأنبیاء علیهم السلام وساق حججه التی رأیت بعضها، لکنه غض بصره عن أحادیث البخاری وغیره التی تنسبهم إلی المعاصی، ولم یؤولها ولم یردها!

لقد أطال فی ص۲۸ وما بعدها فی الدفاع عن نبی الله إبراهیم علیه السلام، فقال عن الآیات التی تمسکوا بها فی اتهامه بالکفر والکذب: (تمسکوا بها من وجوه تسعة: الأولی: قوله تعالی حاکیاً عن إبراهیم علیه السلام:قَالَ هَذَا رَبِّی، فلا یخلو إما أن یقال إنه قال هذا الکلام فی النظر والإستدلال أو قبل البلوغ أو بعده....

والأصح من هذه الأقوال أن ذلک علی وجه الإعتبار والإستدلال لا علی وجه الأخبار، ولذلک فإن الله تعالی لم یذم إبراهیم علیه السلام علی ذلک، بل ذکره بالمدح والتعظیم، وأنه أراه ذلک کی یکون من الموقنین، هذا هو البحث المشهور فی الآیة، وفیها أبحاث أخر من حیث أن بعض الملاحدة قال إن إبراهیم استدل علی الشئ بما لایدل علیه وذکر أشیاء لا تصح، فکان الطعن متوجهاً، ونحن نذکر کل واحد من تلک الأسئلة الأربعة عشرة مع جوابه....). انتهی.

وقد تقدم قول الرازی: (الحجة الثالثة عشرة: قال الله تعالی فی حق إبراهیم علیه السلام: إِنِّی جَاعِلُکَ لِلنَّاسِ إماماً، والإمام هو الذی یقتدی به، فلو صدر الذنب عن إبراهیم لکان اقتداء الخلق به فی ذلک الذنب واجباً. وإنه باطل). انتهی.

فهل فاته أنه بذلک یطعن فیما رواه البخاری عن الأنبیاء علیهم السلام؟!

رأی ابن تیمیة و مشبهة الحنابلة فی عصمة الأنبیاء

ابن تیمیة یهاجم الشیعة لقولهم بعصمة الأنبیاء

قال فی منهاج سنته:۱/۴۷۳: (وأما الرافضة فأشبهوا النصاری، فإن الله تعالی أمر الناس بطاعة الرسل فیما أمروا به، وتصدیقهم فیما أخبروا به، ونهی الخلق عن الغلو والإشراک بالله تعالی، فبدلت النصاری دین الله تعالی فغلوا فی المسیح فأشرکوا به وبدلوا دینه.....

وکذلک الرافضة غَلَوْا فی الرسل بل فی الأئمة حتی اتخذوهم أرباباً من دون الله، فترکوا عبادة الله وحده لاشریک له التی أمرهم بها الرسل، وکذبوا الرسل فیما أخبروا به من توبة الأنبیاءواستغفارهم)! انتهی.

یقصد بذلک أن الشیعة کذبوا الرسل فی أن الأنبیاء علیهم السلام قد ارتکبوا المعاصی وتابوا، وذلک لأن الشیعة یکذبون الإسرائیلیات فی مصادر الخلافة القرشیة التی تنسب إلی الأنبیاء علیهم السلام المعاصی، فتکذیبها عنده یعتبر تکذیباً للرسل وکفراً!!

السبب الغریب لهجوم ابن تیمیة علی العصمة

کشف ابن تیمیة عن سبب حملته علی الشیعة لتنزیههم الأنبیاء علیهم السلام!

فقد تخیل أن غرضهم من ذلک الطعن بأبی بکر وعمر، لأن عقیدة العصمة التامة تجعل المعاصی فضیلة وارتکابها منقصة، وأبو بکر وعمر کانا کافرین قبل الإسلام یرتکبان المعاصی، فیکون ذلک منقصة فیهما، فلا یستحقان مقام الخلافة عن النبی المعصوم عصمة تامة!.

لذا رأی ابن تیمیة أنه یجب الدفاع عن أبی بکر وعمر، وذلک برفض عقیدة العصمة التامة للأنبیاء علیهم السلام، والقول بأنهم کانوا قبل النبوة مثل أبی بکر وعمر کفاراً یرتکبون المعاصی ثم تابوا، ثم بجعل الکافر ومرتکب المعصیة التائب أفضل من غیر مرتکبها!!

قال فی منهاج سنته: ۲/۴۲۹: (وأما ما تقوله الرافضة من أن النبی قبل النبوة وبعدها لایقع منه خطأ، ولاذنب صغیر وکذلک الأئمة، فهذا مما انفردوا به عن فرق الأمة کلها، وهو مخالف للکتاب والسنة وإجماع السلف، ومن مقصودهم بذلک القدح فی إمامة أبی بکر وعمر رضی الله عنهما لکونهما أسلما بعد الکفر، ویدعون أن علیاً(رض)لم یزل مؤمناً، وأنه لم یخطئ قط ولم یذنب قط، وکذلک تمام الإثنی عشر. وهذا مما یظهر کذبهم وضلالهم فیه لکل ذی عقل یعرف أحوالهم! ولهذا کانوا هم أغلی الطوائف فی ذلک وأبعدهم عن العقل والسمع....

ونکتة أمرهم أنهم ظنوا وقوع ذلک من الأنبیاءوالأئمة نقصاً، وإن ذلک یجب تنزیههم عنه، وهم مخطئون إما فی هذه المقدمة وإما فی هذه المقدمة.

أما المقدمة الأولی فلیس من تاب إلی الله تعالی وأناب إلیه بحیث صار بعد التوبة أعلی درجة مما کان قبلها، منقوصاً ولا مغضوضاً منه، بل هذا مفضَّلٌ عظیمٌ مکرمٌ، وبهذا ینحل جمیع ما یوردونه من الشبه). انتهی!!

ثم أفاض ابن تیمیة بذکر فضائل من یعصی ویتوب، فقال فی منهاجه ۲/۴۳۰:

(وفی الصحیحین عن النبی(ص)من غیر وجه أنه قال: لله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دویِّة مهلکة، علیها طعامه وشرابه، فقال (من القیلولة) تحت شجرة ینتظر الموت، فلما استیقظ إذا بدابته علیها طعامه وشرابه! فکیف تجدون فرحه بها؟ قالوا: عظیماً یا رسول الله. قال: لله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته..... فمن یجعل التائب الذی اجتباه الله وهداه منقوصاً بما کان من الذنب الذی تاب منه، وقد صار بعد التوبة خیراً مما کان قبل التوبة، فهو جاهل بدین الله تعالی وما بعث الله به رسوله)!!.

ثم تنازل ابن تیمیة قلیلاً، فقال: (ولسنا نقول إن کل من أذنب وتاب فهو أفضل ممن لم یذنب ذلک الذنب، بل هذا یختلف باختلاف أحوال الناس! فمن الناس من یکون بعد التوبة أفضل، ومنهم من یعود إلی ما کان ومنهم من لا یعود إلی مثل حاله. والأصناف الثلاثة فیهم من هو أفضل ممن لم یذنب ویتب، وفیهم من هو مثله، وفیهم من هو دونه). انتهی.

ومعنی کلامه أن الکافر مرتکب المعصیة إذا تاب، قد یکون أحیاناً خیراً ممن لم یکفر ولم یرتکب المعصیة!

ثم قال: (بل أقوال هؤلاء الذین غلوا بجهل من الأقوال المبتدعة فی الإسلام (بقولهم بالعصمة التامة) وهم قصدوا تعظیم الأنبیاءبجهل،

كما قصدت النصارى تعظيم المسيح وأحبارهم ورهبانهم بجهل، فأشركوا بهم واتخذوهم أرباباً من دون الله)!

ثم ارتكب ابن تيمية مصادرة واضحة فاستدل على معاصى الأنبياء عليهم السلام بما رووه من الإسرائيليات، وبظواهر بعض الآيات المتقدمة! قال فى منهاجه ۲/۴۳۵:

(بل كتب التفسير والحديث والآثار والزهد وأخبار السلف مشحونةٌ عن الصحابة والتابعين بمثل ما دل عليه القرآن (أى ارتكاب الأنبياءللمعاصى!) وليس فيهم من حرَّف الآيات كتحريف هؤلاء، ولا من كذب بما فى الأحاديث كتكذيب هؤلاء، ولا من قال هذا يمنع الوثوق أو يوجب التنفير ونحو ذلك، كما قال هؤلاء)!

وقال: (وأما المسائل المتقدمة فقد شرك غير الإمامية فيها بعض الطوائف إلا غلوهم فى عصمة الأنبياءفلم يوافقهم عليه أحد أيضاً، حيث ادعوا أن النبى (ص)لايسهو، فإن هذا لايوافقهم عليه أحد فيما علمت، اللهم إلا أن يكون من غلاة جهال النساك، فإن بينهم وبين الرافضة قدراً مشتركاً فى الغلو وفى الجهل والإنقياد لما لا يعلم صحته، والطائفتان تشبهان النصارى فى ذلك)!

وقال فى:۲/۳۹۳: (فصل: وأما قوله وإن الأنبياءمعصومون من الخطأ والسهو والمعصية صغيرها وكبيرها من أول العمر إلى آخره، وإلا لم يبق وثوق بما يبلغونه فانتفت فائدة البعثة ولزم التنفير عنهم.

فيقال: أولاً، إن الإمامية متنازعون فى عصمة الأنبياء.... ثم يقال ثانياً قد اتفق المسلمون عليأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله فلايجوز أن يقرَّهم على الخطأ فى شئ مما يبلغونه عنه، وبهذا يحصل المقصود من البعثة، وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبياً لايخطئ أو لايذنب، فليس فى النبوة ما يستلزم هذا).

لاحظ قوله: (لايجوز أن يقرَّهم على الخطأ فى شئ مما يبلغونه عنه) فهو صريح فى أن الأنبياءقد يخطئون حتى بعد البعثة فى التبليغ عن الله تعالى! غاية الأمر أن الله لايقرهم على الخطأ بل يوبخهم ويصحح لهم، وذلك لتبرير زعم قريش أن النبى صلى الله عليه وآله زاد فى القرآن وكفر، ومدح الأصنام فى سورةالنجم بأنهن الغرانيق العلى، وشفاعتهن ترتجى، فنزل جبرئيل ووبخه وصحح له!

ثم قال فى:۲/۳۹۷ (والله تعالى قد أخبر أنه يبدل السيئات بالحسنات للتائب، كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح، ومعلوم أن الصحابة رضى الله عنهم من عهد الرسول(ص)وقبل أن يصدر منهم مايدعونه من الأحداث، كانوا من خيار الخلق، وكانوا أفضل من أولادهم الذين ولدوا بعد الإسلام). انتهى.

وبذلك كشف ابن تيمية عن هدفه وغرضه، وهو أن يثبت أن كفر أبى بكر وعمر ومعاصيهما قبل الإسلام، وكذا معاصى بعض الصحابة بعد الإسلام، لاتنقص من درجتهم، ولا تجعل درجة علىٍّ عليه السلام والنبى صلى الله عليه وآله لعصمتهما التى يدعيها الشيعة، وعدم عبادتهما للأصنام، أرفع من درجة الصحابة!

ثم تمادى ابن تيمية فاعتبر أن القول بعصمة الأنبياءالتامة هو حرمان للأنبياء عليهم السلام من الوقوع فى المعاصى والفوز بالتوبة وثوابها العظيم!! قال فى نفس الموضع:

(وأيضاً: فوجوب كون النبى لايتوب إلى الله فينال محبة الله وفرحه بتوبته وترتفع درجته بذلك، ويكون بعد التوبة التى يحبه الله منه خيراً مما كان قبلها، فهذا مع ما فيه من التكذيب للكتاب والسنة، غض من مناصب الأنبياءوسلبهم هذه الدرجة، ومنع إحسان الله إليهم وتفضله عليهم بالرحمة والمغفرة.

ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره وتاب بعد ذنبه، فهو مخالف ماعلم بالإضطرار من دين الإسلام! فإنه من المعلوم أن الصحابة الذين آمنوا برسول الله(ص)بعد كفرهم وهداهم الله به بعد ضلالهم، وتابوا إلى الله بعد ذنوبهم أفضل من أولادهم الذين ولدوا على الإسلام!

وهل يُشَبَّهُ بنى الأنصار بالأنصار، أو بنى المهاجرين بالمهاجرين إلا من لا علم له!!....... وقد قال عمر بن الخطاب(رض)إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية)!! انتهى.

فالنبى عند ابن تيمية إذا ذاق طعم الكفر والجرائم والمعاصى مثل أبى بكر وعمر، يكون أقرب إلى الله تعالى! والذين يقولون بعصمة النبى عليه السلام وعدم صدور المعاصى منه فقد نقصوه حقه وحرموه من النعمة العظيمة التى لاتتحقق إلا بالكفر أو بالمعاصى وهى فرحة الله بتوبته، والتى فاز بها أبو بكر وعمر!

وهكذا يظهر لك أن مكانة أبى بكر وعمر عنده هى حجر الزاوية فى هندسة عقائده(الإسلامية)! وأنه لايخجل فى سلب العصمة عن جميع الأنبياء عليهم السلام ورميهم بالكفر والمعاصى حتى بعد النبوة، من أجل مساواتهم بأبى بكر وعمر! والتفضل عليهم بدرجة التوبة العظيمة التى نالها أبو بكر وعمر بتوبتهما من كفرهما ومعاصيهما!

وقد واصل ابن تيمية خطبة الجمعة فى مقام التائبين من جرائمهم، وكيف أن الله تعالى يمحوها بل يبدلها حسنات، ثم قال فى:۲/۴۰۰:(وكذلك من اتفق أن شرب السم فسقى ترياقاً فاروقاً يمنع نفوذ سائر السموم فيه، كان بدنه أصح من بدن من لم يشرب ذلك الترياق. والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها. فهذا وأمثاله من خيار تأويلات المانعين لما دل عليه القرآن من توبة الأنبياءمن ذنوبهم واستغفارهم، وزعمهم أنه لم يكن هناك مايوجب توبة ولااستغفار ولاتفضل الله عليه بمحبته وفرحه بتوبتهم ومغفرته ورحمته لهم. فكيف بسائر تأويلاتهم التى فيها من تحريف القرآن وقول الباطل على الله، ما ليس هذا موضع بسطه!

وقال: (والمقصود هنا أن الذين ادعوا العصمة مما يتاب منه، عمدتهم أنه لو صدر منهم الذنب لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة، لأن درجتهم أعلى فالذنب منهم أقبح، وأنه يجب أن يكون فاسقاً فلا تقبل شهادته، وأنه حينئذ يستحق العقوبة فلا يكون إيذاؤه محرماً وأذى الرسول محرم بالنص، وأنه يجب الإقتداء بهم ولايجوز الإقتداء بأحد فى ذنب. ومعلوم أن العقوبة ونقص الدرجة إنما يكون مع عدم التوبة، وهم معصومون من الإصرار).

ثم ذكر عدداً من أدعية النبى صلى الله عليه وآله مستدلاً بها على أنها دليل على صدور الذنوب الصغيرة والكبيرة منه صلى الله عليه وآله والعياذ بال له، وإن ذلك لم يكن ينفر المسلمين منه!

ثم ختم كلامه بقوله:۲/۴۰۸: (وهذا عمر بن الخطاب(رض)قد علم تعظيم رعيته له وطاعتهم، مع كونه دائماً كان يعترف بما يرجع عنه من خطأ، وكان إذا اعترف بذلك وعاد إلى الصواب زاد فى أعينهم وازدادوا له محبة وتعظيماً.... فعلم أن التوبة والإستغفار (من المعاصى) لاتوجب تنفيرأولاًتزيل وثوقاً)!!

دفاع ابن تيمية عن اليهود و عن أسطورة الغرانيق

قال فى منهاج سنته::۲/۴۰۹: (وما أعلم أن بنى إسرائيل قدحوا فى نبى من الأنبياءبتوبته فى أمر من الأمور! وإنما كانوا يقدحون فيهم بالإفتراء عليهم كما كانوا يؤذن موسى عليه السلام، وإلا فموسى قد قتل القبطى قبل النبوة، وتاب من سؤال الرؤية، وغير ذلك بعد النبوة، وما أعلم أحداً من بنى إسرائيل قدح فيه بمثل هذا. وما جرى فى سورة النجم من قوله:(تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى) على المشهور عند السلف والخلف من أن ذلك جرى على لسانه ثم نسخه الله وأبطله، هو من أعظم (الردود)على قول هؤلاء...

والعصمة المتفق عليها أنه لا يُقَرُّ على خطأ فى التبليغ بالإجماع، ومن هذا فلم يعلم أحد من المشركين نفر برجوعه عن هذا، وقوله إن هذا مما ألقاه الشيطان. ولكن روى أنهم نفروا لما رجع إلى ذم آلهتهم بعد ظنهم أنه مدحها، فكان رجوعهم لدوامه على ذمها، لا لأنه قال شيئاً ثم قال إن الشيطان ألقاه. وإذا كان هذا لم ينفر، فغيره أولى أن لا ينفر)!!

ابن تيمية يجوز أن يكون النبى كافرا فاسقا شريرا

وأخيراً صرح ابن تيمية بمذهبه وإن لفه بلفافة! فقال بعدم عصمة الأنبياءمطلقاً وأن الله تعالى يمكن أن يبعث نبياً كافراً أو فاسقاً قبل

النبوة، أو یصیر کافراً فاسقاً بعدها. وهو بذلک یجری مع رواسب أشعریته فی إنکار الحسن والقبح العقلیین، وإنکار لزوم الحکمة فی أفعال الله تعالی! قال فی منهاجه:۲/۴۱۳:

(ومما یبین الکلام فی مسألة العصمة أن تعرف النبوة ولوازمها وشروطها، فإن الناس تکلموا فی ذلک بحسب أصولهم فی أفعال الله تعالی، إذْ کان جعل الشخص نبیاً رسولاً من أفعال الله تعالی، فمن نفی الحِکَم والأسباب فی أفعاله وجعلها معلقةً بمحض المشیئة، وجوَّز علیه فعل کل ممکن، ولم ینزهه عن فعل من الأفعال، کما هو قول الجهم بن صفوان وکثیر من الناس کالأشعری ومن وافقه من أهل الکلام من أتباع مالک والشافعی وأحمد وغیرهم من مثبتة القدر، فهؤلاء یجوِّزون بعثة کل مکلف! والنبوة عندهم مجرد إعلامه بما أوحاه إلیه! والرسالة مجرد أمره بتبلیغ ما أوحاه إلیه! والنبوة عندهم صفة ثبوتیة ولامستلزمة لصفة یختص بها، بل هی من الصفات الإضافیة کما یقولون، مثل ذلک فی الأحکام الشرعیة. وهذا قول طوائف من أهل الکلام کالجهم بن صفوان والأشعری وأتباعهما، ولهذا من یقول بها کالقاضی أبی بکر وأبی المعالی وغیرهما یقول إن العقل لایوجب عصمة النبی إلا فی التبلیغ خاصة، فإن هذا هو مدلول المعجزة! وما سوی ذلک إن دل السمع علیه، وإلا لم تجب عصمته منه.

وقال محققوا هؤلاء کأبی المعالی وغیره إنه لیس فی السمع قاطع یوجب العصمة، والظواهر تدل علی وقوع الذنوب منهم! وکذلک کالقاضی أبی بکر إنما یثبت مایثبته من العصمة فی غیر التبلیغ إذا کان من موارد الإجماع، لأن الإجماع حجة، وما سوی ذلک فیقول لم یدل علیه عقل ولا سمع.

وإذا احتج المعتزلة وموافقوهم من الشیعة علیهم بأن هذا یوجب التنفیر ونحو ذلک فیجب من حکمة الله منعهم منه، قالوا هذا مبنی علی مسألة التحسین والتقبیح العقلیین ونحن نقول لایجب علی الله شئ ویحسن منه کل شئ! وإنما ننفی ما ننفیه بالخبر السمعی، ونوجب وقوع ما یقع بالخبر السمعی أیضاً، کما أوجبنا ثواب المطیعین وعقوبة الکافرین لإخباره أنه یفعل ذلک، ونفینا أن یغفر لمشرک لإخباره أنه لایفعل ذلک، ونحو ذلک. وکثیر من القدریة المعتزلة والشیعة وغیرهم ممن یقول بأصله فی التعدیل والتجویر، وأن الله لایفضل شخصاً علی شخص إلا بعمله، یقول إن النبوة أو الرسالة جزاءٌ علی عمل متقدم فالنبی فَعَل من الأعمال الصالحة ما استحق به أن یجزیه الله بالنبوة، وهؤلاء القدریة فی شق، وأؤلئک الجهمیة الجبریة فی شق). انتهی.

إن اعتراف ابن تیمیة هذا، لایقف عند تجویزه أن یکون النبی کافراً فاسقاً شریراً! بل یصل إلی نفی الحکمة عن الله تعالی فی أفعاله وأقواله!

وهذا هو نفس معبود التوراة الذی قال التلمود فی وصفه: (سمع الله یئن کما تئن الحمامة ویبکی وهو یقول: الویل الویل لمن أخرب بیته....وَیْلِی علی ما أخربت من بیتی! ویْلی علی ما فرقت من بنیَّ وبناتی)! (الفصل لابن حزم:۱/۱/۲۲۲)

البخاری ینقض عصمة الأنبیاء و یفتری علیهم

صحیح البخاری مشحون بالإسرائیلیات التی تطعن فی الأنبیاء و أسوأ منها القرشیات التی تطعن فی نبینا

نبی الله إبراهیم یکذب

مضافاً إلی ما تقدم، نورد هنا عدداً من افتراءات البخاری علی الأنبیاء علیهم السلام!

فقد نسب إلی نبی الله إبراهیم علیه السلام فی:۴/۱۱۲و۱۱۳، وکرر ذلک فی:۶/۱۲۱، أنه کذب ثلاث کذبات، اثنتان لله، وواحدة لغیر الله! قال: (لم یکذب ابراهیم علیه السلام إلا ثلاث کذبات ثنتین منهن فی ذات الله عز وجل، قوله: إِنِّی سَقِیمٌ، وقوله: بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هَذَا! وقال بینا هو ذات یوم وسارة إذ أتی علی جبار من الجبابرة فقیل له إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إلیه فسأله عنها فقال من هذه؟ قال: أختی)!

وروى في:۵/۲۲۶: أن ابراهيم عليه السلام يستحى من ربه يوم القيامه أن يشفع للناس بسبب كذباته الثلاث! وكرر ذلك في:۵/۲۲۵و:۷/۲۰۳و:۸/۱۷۲و۱۸۳،و۱۹۲،و۲۰۱!!

نبى الله موسى غضوب بطاش

وفي:۲/۹۲، روى ما يقوله اليهود حرفياً في نبى الله موسى عليه السلام ووضعه على لسان نبينا صلى الله عليه وآله، مثل أن موسى كان قوى الشخصية والبدن وقد غضب على ملك الموت ولطمه ففقأ عينه وأرسله إلى السماء أعور باكياً شاكياً! فعالجه الله تعالى وأعاده ليقبض روح موسى عليه السلام! واحتاج عزرئيل إلى استعمال الحيلة مع موسى فأعطاه تفاحة مسمومة، فشمها موسى فمات!!

قال البخاري: (باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة... أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه! فرجع إلى ربه فقال: أرسلتنى إلى عبد لايريد الموت! فرد الله عز وجل عليه عينه وقال: إرجع فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة، قال: أى رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالأن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال قال رسول الله (ص) فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر)! وكرر البخاري هذا الحديث المزعوم في:۴/۱۳۰، فقال: (باب وفاة موسى وذكره بعد...(كذا)! وحذف منه جملة (ففقأ عينه)، التي أثبتها مسلم:۷/۹۹!!

قال ابن حجر في فتح الباري:۶/۳۱۵: (صكه: أى ضربه على عينه، وفي رواية همام عن أبى هريرة عند أحمد ومسلم: جاء ملك الموت إلى موسى فقال أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها!

وفي رواية عمار بن أبى عمار عن أبى هريرة عند أحمد والطبرى:كان ملك الموت يأتى الناس عياناً فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه.....وفي رواية عمار: فقال يا رب عبدك موسى فقأ عينى، ولولا كرامته عليك لشققت عليه)!!

نبى الله موسى يركض عاريا وراء ثيابه

روى البخارى قصة (ثوبى حجر) التي يزعم فيها اليهود أن نبى الله موسى عليه السلام كان يغتسل ووضع ثيابه على حجر، فركض الحجر هارباً بثيابه، وركض موسى وراءه عارياً، ورآه بنو إسرائيل! فغضب موسى على الحجر وأخذ ثيابه منه وضربه بعصاه!

وزعموا أن ذلك كان بتدبير الله تعالى لكى يبرئ موسى عليه السلام من اتهام بنى إسرائيل له بأن له أُدْرَة! وكأن تبرئة الله تعالى لنبيه عليه السلام لاتتم إلا بإهانته!

قال البخارى:۴/۱۲۹: (فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول ثوبى حجر! ثوبى حجر! حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه! فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً). انتهى.

وكرره البخارى هذا الحديث على عادته بمثله أو بنحوه في:۶/۲۸ و:۱/۷۳!

نبى الله سليمان مفرط في الجنس، معرض عن ذكر الله

وروى البخارى في:۳/۲۰۹ عن سليمان عليه السلام: (قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتى بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله! فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل! والذى نفس محمد بيده لوقال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون)! وكرره البخارى بنحوه:۴/۱۳۶و:۶/۱۶۰!

البخاری یروی تفضیل نبینا علی الرسل والبشر

قال فی:٥/٢٢٥: (قال: أنا سید الناس یوم القیامة، وهل تدرون ممَّ ذلک؟ یجمع الناس الأولین والإخرین فی صعید واحد یسمعهم الداعی وینفذهم البصر وتدنو الشمس فیبلغ الناس من الغم والکرب ما لایطیقون ولا یحتملون فیقول الناس ألا ترون ما قد بلغکم، ألا تنظرون من یشفع لکم إلی ربکم؟ فیقول بعض الناس لبعض علیکم بآدم فیأتون آدم علیه السلام فیقولون له: أنت أبو البشر، خلقک الله بیده ونفخ فیک من روحه، وأمر الملائکة فسجدوا لک، إشفع لنا إلی ربک، ألا تری إلی ما نحن فیه، ألا تری إلی ما قد بلغنا؟

فیقول آدم: إن ربی قد غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله مثله! ولن یغضب بعده مثله! وإنه نهانی عن الشجرة فعصیته، نفسی نفسی نفسی، إذهبوا إلی غیری إذهبوا إلی نوح!!

فیأتون نوحاً فیقولون یا نوح إنک أنت أول الرسل إلی أهل الأرض وقد سماک الله عبداً شکوراً، إشفع لنا إلی ربک، ألا تری إلی ما نحن فیه؟

فیقول: إن ربی عز وجل قد غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله مثله، ولن یغضب بعده مثله، وإنه قد کانت لی دعوة دعوتها علی قومی. نفسی نفسی نفسی! إذهبوا إلی غیری، إذهبوا إلی إبراهیم!!

فیأتون إبراهیم فیقولون یا إبراهیم أنت نبی الله وخلیله من أهل الأرض اشفع لنا إلی ربک، ألا تری إلی ما نحن فیه؟ فیقول لهم: إن ربی قد غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله مثله، ولن یغضب بعده مثله! وإنی قد کنت کذبت ثلاث کذبات، فذکرهن أبو حیان فی الحدیث، نفسی نفسی نفسی! إذهبوا إلی غیری إذهبوا إلی موسی!! فیأتون موسی فیقولون یاموسی أنت رسول الله، فضلک الله برسالته وبکلامه علی الناس، إشفع لنا إلی ربک، ألا- تری إلی ما نحن فیه؟ فیقول: إن ربی قد غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله مثله ولن یغضب بعده مثله، وإنی قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسی نفسی نفسی! إذهبوا إلی غیری، إذهبوا إلی عیسی! فیأتون عیسی فیقولون یاعیسی أنت رسول الله وکلمته، ألقاها إلی مریم وروح منه وکلمت الناس فی المهد صبیاً، إشفع لنا إلی ربک، ألا تری إلی ما نحن فیه؟ فیقول عیسی: إن ربی قد غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله مثله ولن یغضب بعده مثله!! ولم یذکر ذنباً، نفسی نفسی نفسی! إذهبوا إلی غیری إذهبوا إلی محمد!!

فیأتون محمداً فیقولون: یا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبیاءوقد غفر الله لک ما تقدم من ذنبک وما تأخر، إشفع لنا إلی ربک، ألا تری إلی ما نحن فیه؟ فأنطلق فآتی تحت العرش فأقع لربی عز وجل، ثم یفتح الله علی من محامده وحسن الثناء علیه شیئاً لم یفتحه علی أحد قبلی، ثم یقال یا محمد إرفع رأسک سل تعطه، واشفع تشفَّع، فأرفع رأسی فأقول أمتی یا رب أمتی یا رب، فیقال یا محمد أدخل من أمتک من لاحساب علیهم من الباب الأیمن من أبواب الجنة وهم شرکاء الناس فیما سوی ذلک، من الأبواب ثم قال: والذی نفسی بیده إن ما بین المصراعین من مصاریع الجنة کما بین مکة وحمیر، أو کما بین مکة وبصری). انتهی.

ونحن نعتقد بتفضیل نبینا وآله صلی الله علیه وآله علی الخلق کلهم، لکنا لانقبل حدیث أبی هریرة المذکور، لأنه مصوغٌ من جو الإسرائیلیات والمسیحیات عن غضب الله تعالی، وعن اعترافات أنبیائه بمعاصیهم إلا عیسی علیهم السلام!

ونطمئنُّ بأن البخاری أورده لا لکی یمدح النبی صلی الله علیه وآله فهو لایتردد فی تفضیل بقیة الأنبیاءعلیه صلی الله علیه وآله حتی یونس علیه السلام! بل لیثبت فضیلة لأمته التی فی طلیعتها طلقاء قریش! وحیثما وجدنا مدحاً لأمة النبی صلی الله علیه وآله فینبغی لنا أن نفحصه حتی لایکون موضوعاً، أو یکون کلمة حق أرید بها باطل!

ثم یتراجع البخاری و یفضل نبی الله موسی علی نبینا لکنه یفضل قریشا علی الیهود

روی صحیحه:٨/٤٨: روی أن نبی الله موسی رغم عیوبه یبقی أفضل من نبینا صلی الله علیه وآله، لأنه یفیق قبله من نفخة الصور یوم

القیامة، أو یستثنی منها أصلاً، لأنه أصیب بالصعقة فی طور سیناء فکفته عن صعقة الصور!

قال البخاری: (قال (ص): لاتخیرونی من بین الأنبیاء، فإن الناس یصعقون یوم القیامة فأکون أول من یفیق، فإذا أنا بموسی أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدری أفاق قبلی، أم جزی بصعقة الطور)!! انتهی. وکرر ذلک فی:۳/۸۸، و:۴/ ۱۲۶و۱۳۱و۱۳۳، و:۵/۱۹۶، و:۶/۳۴، و:۷/۱۹۳، و:۸/۱۷۷!

کما روی سبباً آخر لتفضیل موسی علی نبینا صلی الله علیه وآله هو أن موسی علیه السلام کان أوسع صدراً، فقد تحمل من بنی إسرائیل أکثر مما تحمل نبینا صلی الله علیه وآله من قریش! قال فی:۴/۱۳۰: (قسم النبی(ص) قسماً فقال رجل: إن هذه القسمة ما أرید بها وجه الله، فأتیت النبی(ص)فأخبرته، فغضب حتی رأیت الغضب فی وجهه، ثم قال: یرحم الله موسی قد أوذی بأکثر من هذا، فصبر)! وکرره فی:۵/۱۰۶و:۷/۸۷ و۹۶و۱۴۳و۱۵۳!

وبهذا تکون قریش أفضل من الیهود لأنها لم تؤذ نبیها صلی الله علیه وآله کما آذت الیهود موسی علیه السلام! ولهذا یبکی موسی علیه السلام یوم القیامة لتفضیل أمة محمد علی أمته!

قال البخاری:۴/۲۴۹ عن لسان النبی صلی الله علیه وآله یصف معراجه: (فلما خلصت فإذا موسی قال هذا موسی فسلِّمْ علیه فسلمتُ علیه فردَّ ثم قال: مرحباً بالإخ الصالح والنبی الصالح، فلما تجاوزت بکی! قیل له: ما یبکیک؟ قال أبکی لأن غلاماً بعث بعدی یدخل الجنة من أمته أکثر من یدخلها من أمتی)!

وینبغی أن تعرف أن تعبیر(غلاماً) عن النبی صلی الله علیه وآله تعبیر یهودی فهم یزعمون أن الله تعالی جعل إسماعیل وذریته عبیداً لأبناء إسحاق!!

وهکذا یحرص البخاری علی إرضاء ولی نعمته المتوکل العباسی فی تبرئة القرشیین وتفضیلهم، حتی لو استوجب ذلک تنقیص مقام النبی صلی الله علیه وآله!

و یفضل عیسی علی نبینا

رواه البخاری مرة واحدة لأن روایته مسیحیة ولیست إسرائیلیة! قال فی:۴/۹۴: (قال النبی(ص): کل بنی آدم یطعن الشیطان فی جنبیه بإصبعه حین یولد، غیر عیسی بن مریم ذهب یطعن فطعن فی الحجاب)!! انتهی.

ومعنی هذا الحدیث المزعوم غریب قد یعرفه البخاری والقساوسة، فما معنی أن الشیطان یطعن فی جنب المولود، وهل یتسلط علیه بهذه الطعنة بإصبعه؟ وما معنی أنه أراد أن یطعن فی جنبیَّ عیسی علیه السلام فذهبت طعنة إصبعه فی الحجاب، ولم تصل إلی أحد جنبیه؟ وما هو ذلک الحجاب، ولماذا خص الله به عیسی من دون الرسل والبشر، حتی نبینا صلی الله علیه وآله؟!

و یروی النهی عن تفضیل الأنبیاء علی بعضهم

قال الله تعالی:(تِلْکَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَی بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ کَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَیْنَا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّنَاتِ وَأَیَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِینَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَیِّنَاتُ وَلَکِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ کَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَکِنَّ اللهَ یَفْعَلُ مَا یُرِیدُ). (البقرة:۲۵۳)

(وَإِذْ أخذ اللهُ مِیثَاقَ النَّبِیِّینَ لَمَا آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتَابٍ وَحِکْمَةٍ ثُمَّ جَاءَکُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَی ذَلِکُمْ إِصْرِی قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَکُمْ مِنَ الشَّاهِدِینَ). (آل عمران:۸۱) فقد نصَّت الآیات الکریمة علی تفاضل الرسل علیهم السلام، وأجمع المسلمون علی تفضیل نبینا صلی الله علیه وآله علی الجمیع، ورواه البخاری کما رأیت.

لکن البخاری نقض ما رواه من تفضیل نبینا صلی الله علیه وآله من جهة!

ثم خالف القرآن فروى قاعدة تحريم تفضيل الأنبياء عليهم السلام على بعضهم!

ثم نقض هذه القاعدة فروى تفضيل موسى على نبينا صلى الله عليه وآله كما رأيت!!

قال البخارى:۴/۱۳۲: (عن أبى هريرة قال: بينما يهودى يعرض سلعته، أعطى بها شيئاً كرهه فقال: لا والذى اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه وقال: تقول والذى اصطفى موسى على البشر، والنبى بين أظهرنا؟! فذهب إليه فقال أبا القاسم إن لى ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهى؟! فقال: لم لطمتَ وجهه؟ فذكره، فغضب النبى(ص)حتى رؤى فى وجهه! ثم قال: لاتفضلوا بين أنبياءالله فإنه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى أخذ بالعرش، فلا أدرى أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلى! ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى!). انتهى.

فهذا الحديث المزعوم صريح فى أن النبى صلى الله عليه وآله وقف إلى جانب اليهودى الذى زعم أن الله تعالى اصطفى موسى على البشر، وأنه صلى الله عليه وآله خَطَّأ المسلم الذى زعم أن الله اصطفى النبى صلى الله عليه وآله على البشر!!

بل زاد فى آخره النهى عن تفضيله صلى الله عليه وآله على نبى الله يونس! وروى بعده مباشرة: (عن النبى(ص)قال: لاينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى)!

وكرر حديث النهى عن تفضيل أحد على يونس بصيغ مختلفة فى أكثر من عشرة مواضع فى:۴/۱۲۵و۱۳۲بروايتين، و:۵/۱۹۳و:۶/۳۰ و:۸/۲۱۳، و:۵/۱۸۵و:۶/۳۱ وفى الإخيرتين: من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب! والمقصود به أن لايفضل أحد نبينا صلى الله عليه وآله على يونس عليه السلام!

أما السبب فهو تعريض القرشيين بنبينا صلى الله عليه وآله وأنه كيونس لم يصبر على قومه بل ذهب مغاضباً منهم، وهاجر إلى المدينة واستعان عليهم بالأنصار!

وإلا فلا معنى لروايته أصلاً، أو روايته فى سياق تفضيل موسى على نبينا صلى الله عليه وآله!!

الانبياء عند البخارى عصبيون كما فى التوراة

روى البخارى أن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين عن الغضب المفرط انتقاماً لأنفسهم! فى حديثين فى نبى قرصته نملة، فغضب وأحرق قرية النمل بالنار، قال فى:۴/۲۲: (قرصت نملة نبياً من الأنبياءفأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه إن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله)!! وكرره فى:۴/۱۰۰!!

قرشيات البخارى فى الطعن بنبينا أسوأ من إسرائيلياته

عندما يصل البخارى إلى نبينا صلى الله عليه وآله تنضم قرشياته إلى إسرائيلياته، وتتعاونان فى طعن قريش المبطن فى عصمة نبينا صلى الله عليه وآله وشخصيته!!

تزعم هذه الفِرَى القرشية أن النبى صلى الله عليه وآله من الأساس لم يكن على يقين من بعثته، بل كان فى شك وحيرة! ثم لما أطمأن بنبوته وتأخر عليه الوحى، قرر أن ينتحر!!

وهو ثانياً، غير معصوم حتى فى تبليغ رسالة ربه، فقد غلبه الشيطان فخان الرسالة وغيَّر القرآن واستبدل ذم أصنام قريش اللات والعزى ومناة بمدحها، وسجد لها هو والمشركون، فعبد الأصنام وكفر برب العالمين!

وهو ثالثاً، ليس أفضل من أنبياءبنى إسرائيل، فموسى على عيوبه ومعاصيه أفضل منه، ويونس على تركه لقومه ومغاضبته خير منه، وعيسى خير منه!!

وهو رابعاً، عصبی المزاج سیئ الإخلاق مع المسلمین، غیر مسدد فی منطقه، ولذا ینطق عن الهوی ویسب ویشتم ویلعن بغیر حق، وهو غیر مسدد فی عمله فقد یؤذی ویجلد الناس ظلماً وعدواناً!

وهو خامساً، ساذج ضعیف الشخصیة والتدبیر، یقع فی أخطاء فظیعة، فیصححها له عمر وینزل الوحی موبخاً له مؤیداً لعمر!

وهو سادساً، ظلم قریشاً فی بدر وأخذ منهم أسری بغیر حق، وأخذ من الأسری فدیة حتی أطلقهم، فعاقبه الله بهزیمته وکسر رباعیته فی أحد!

وهو سابعاً، غیر مسدد فی حکمه وقضائه بین المسلمین، فقد یقضی لشخص بالباطل لأنه حاذق فی کلامه!

وهو ثامناً، ینهی عن الأمر ویرتکبه، فقد نهی المسلمین عن التمنی وقول (لو) لکنه تمنی وقالها مرات!

وهو تاسعاً، صاحب ذهن عادی، ینسی کثیراً، فقد نسی أنه جُنُب لم یغتسل وبدأ فی صلاته! وقد نسی عدد رکعات الصلاة ونقَّص منها! وقد أخطأ فی قراءة القرآن فی صلاته فصححها له بدوی!

وهو عاشراً، غلب علیه المرض فی آخر حیاته فأخذ یهذی وطلب من المسلمین أن یأتوه بدواة وقرطاس لیکتب لهم کتاباً یؤمِّنهم من الإختلاف والضلال إلی یوم القیامة، فرفض ذلک عمر وقال نبیکم غلب علیه الوجع، وأیده أکثر الحاضرین، ومنعوه من کتابة ذلک العهد!

کما کان یغمی علیه فی مرضه ویفیق، فأحس بأنهم یریدون أن یسقوه دواء إذا أغمی علیه (یَلِدُّوه)، فنهاهم عن ذلک فلم تسمع کلامه عائشة وحفصة کلامه ولدَّتاه، فلما أفاق غضب علیهم وأمرهم أن یشربوا من ذلک الدواء کلهم، إلا بنی هاشم!

وأخیراً تقول عائشة إنه سُحِرَ ففقد ذاکرته، وبقی لستة أشهر مسحوراً یخیَّلُ إلیه أنه فعل الشئ وهو لم یفعله، وأنه أتی زوجته ولم یأتها!

روایات البخاری المشینة فی سلوک نبینا

أما إذا وَصَلَ الحدیث إلی سلوک النبی الشخصی صلی الله علیه وآله، فتری فی البخاری الأعاجیب! فهو مفرط فی الجنس، یأتی نساءه التسعة فی لیلة واحدة، ویباشر زوجته وهی حائض، ویتبذَّل تبذلاً لایناسب وجیهاً اجتماعیاً عادیاً، فیبول وهو واقف، ویستقبل ضیوفه وهو مضطجع، ویستمع الغناء، ویشرب النبیذ!

أما عمر بن الخطاب فکان محافظاً أکثر منه، حیث قال له أحجب نساءک فلم یفعل، فأنزل الله آیة الحجاب، وأمره بما أمره به عمر!

وتجد فی البخاری أنه صلی الله علیه وآله کان مغرماً بزوجة له اسمها عائشة، یفضلها علی کل زوجاته، فکان یستمع معها الغناء من جاریتین تغنیان لهما، ویحملها علی کتفه ویضع خده علی خدها لتشاهد من شباک الغرفة رقص الأحباش، ویأخذها معه فی غزواته، وربما ترک جیشه وسابقها، وقد سبقها مرة وسبقته مرة، فتعادلا!

وقد روت عنه عائشة مئات الأحادیث، فیها قصص حیاتهما الشخصیة، مما لایناسب زوجین مسلمین محافظین!!

إلی غیر ذلک من مطاعن البخاری فی نبینا صلی الله علیه وآله التی لو أفضنا فیها لخرجنا عن قصد هذا الکتاب، فنکتفی بالتعداد، وتفصیل بعضها!

البخاری یفتتح صحیحه بالطعن فی نبوة نبینا

صدَّر البخاری صحیحه بحدیث بدء الوحی وکرره فی أجزاء کتابه مرات، فروی عن عائشة أن النبی صلی الله علیه وآله لم یبعث نبیاً فی جوٍّ واضح، ولا رأی جبرئل بالأفق المبین کما قال تعالی:وَاللَّیْلِ إِذَا عَسْعَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیم. ذی قُوَةٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکِینٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ. وَمَا صَاحِبُکُمْ بِمَجْنُونٍ.وَلَقَدْ رَآهُ بِالآُفُقِ الْمُبِینِ. وَمَا هُوَعَلَی الْغَیْبِ بِضَنِینٍ. وَمَا هُو بِقَوْلِ شَیْطَانٍ رَجِیم. فَأَیْنَ تَذْهَبُونَ. إِنْ هُوَإِلاَ ذِکْرٌ لِلْعَالَمِینَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْکُمْ أَنْ یَسْتَقِیمَ.وَمَا تَشَاءُونَ إلا أَنْ یَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِینَ). (التکویر:۱۷-۲۹)

يقول البخارى كلا! فقد كان الأفق غائماً وكانت النبوة مشكوكة! والذى جاء للنبى صلى الله عليه وآله أشبه بكابوس منه بملَك، وكان تعامله معه وحشياً! فقد أمره أن يقرأ، ولم يقبل عذره بأنه لايعرف القراءة، فغطه غطاً عنيفاً ثلاث مرات!! أى أمسكه، وخبزه بالأرض، وعجنه!!

والأهم من ذلك أن النبى صلى الله عليه وآله لم يعرف جبرئيل، ولا فهم كلامه ولا ما يريده منه! وعاد إلى منزله فى مكة مرعوباً فشكى إلى زوجته خديجة عليها السلام فطمأنته، لكنها بقيت هى فى شك! فأخذت زوجها إلى ورقة بن نوفل، وهو قسيس عجوز من قبيلتها بنى زهرة، وعرضت عليه مشكلة زوجها، فسأله ورقة وأجابه، فطمأنه بأن الذى جاءه هو جبرئيل، وأنه فعلاً قد بعث نبياً!!

لكن النبى صلى الله عليه وآله لم يطمئن، خاصة بعد أن انقطع عنه الوحى! فقرر أن يلقى بنفسه من رأس جبل شاهق وينتحر! وذهب مراراً إلى رؤوس الجبال، لكنه كلما ذهب إلى رأس جبل لينتحر، كان جبرئيل يأتيه ويمنعه من ذلك!!

قال بخارى فى صحيحه:۸/۶۷: (باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله(ص)من الوحى.. عن عائشة أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتى حِرَاء فيتحنَّث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: إقرأ، فقال له النبى(ص): ما أنا بقارئ، قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجَهد! ثم أرسلنى فقال:إقرأ! فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد! ثم أرسلنى فقال: إقرأ! فقلت:ما أنا بقارئ فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد! ثم أرسلنى فقال: إقرأ باسم ربك! ثم أرسلنى فقال: إقرأ بإسم ربك الذى خلق، حتى بلغ ما لم يعلم.

فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زمِّلونى زمِّلونى، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع! فقال يا خديجة مالى؟! وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت على نفسى! فقالت له: كلا، أبشر فوالله لايخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى، وهو ابن عم خديجة أخو أبيها، وكان امرأً تنصَّر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرى فيكتب بالعربية من الإنجيل ماشاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: أى ابن عم إسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: ابنَ أخى ماذا ترى؟ فأخبره النبى(ص)ما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذى أنزل على موسى، يا ليتنى فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك؟ فقال رسول الله: أو مُخرجىَّ هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقه أن توفى!

وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى(ص) فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كى يتردى من رؤس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى منه نفسه تبدى له جبريل فقال يامحمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك! فإذا أوفى بذروة جبل تبدَّى له جبريل فقال له مثل ذلك)!!

نعم لقد افتتح البخارى بهذه الخرافة:۱/۲ وكررها فى:۴/۱۲۴، و۶/۸۸!!

غرانيق قريش و محاولات التغطية على البخارى

الغرانيق جمع غرنوق، وهو طائر أبيض من طيور الماء يشبه الكركى، يعلو فى طيرانه. وقد شبهت به قريش أصنامها الخاصة بها: اللات والعزى ومُناة، ووصفتها بالغرانيق العلى، لأن مقامها عند الله بزعمهم مقامٌ عال كطائر الغرنوق! (النهاية:۳/۳۶۴، والعين:۴/۴۵۸، ولسان العرب:۱۰/۲۸۷).

قال الرازى فى تفسيره:۲۴/۱۲:(والغرانيق تصعد فى الجو جداً عند الطيران، فإن حجب بعضها عن بعض ضباب أو سحاب، أحدثت عن أجنحتها حفيفاً مسموعاً يلزم به بعضها بعضاً، فإذا نامت على جبل فإنها تضع رؤوسها تحت أجنحتها، إلا القائد فإنه ينام مكشوف

الرأس، فيسرع انتباهه وإذا سمع جرساً صاح). انتهى.

وقد كان موقف النبى صلى الله عليه وآله من الأصنام من أول بعثته موقفاً صريحاً حاسماً لامساومة فيه، رافضاً لها كلها، داعياً إلى عبادة رب العالمين وحده لاشريك له، وكانت سور القرآن تتوالى مهاجمةً الأصنام وعُبَّادها، مسفهةً أحلامهم، حتى قال القرشيون: إن محمداً قد سب آلهتنا وسفه أحلامنا!

فى ذلك الجو نزلت سورة النجم بعد أكثر من عشرين سورة من القرآن، كلها صريحة فى رفض الأصنام، ومنها سورة الكافرون، وقل هو الله أحد! لكن سورة النجم تميزت بأنها ذمَّت أصنام قريش الثلاثة بأسمائها، فقال الله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الإخرَى.أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنثى. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى. إنْ هِيَ إلاأَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاالظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى. (۱۹-۲۳) فكان ذلك إعلاناً بتسفيه أصنام قريش (اللات والعزى ومناة) وإسقاطها إلى الأبد!

ومن الطبيعى أن يكون تأثير ذلك على قريش كبيراً، وأن يثير كبرياءها وردة فعلها العنيف، وهذا ما حدث بالفعل حتى وصلت إلى قرار قتل النبى صلى الله عليه وآله، فأنجاه الله بالهجرة.

فى هذا السياق القطعى من السيرة لايمكننا أن نفسير قصة الغرانى إلا بأنها ردة فعل قرشية، وأن أصلها أن أحد المشركين القرشيين أجاب على ذم أصنام قريش فى سورة النجم: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنثى، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى، إنْ هِيَ إلاأَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاالظَّنَّ وَمَاتَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى. فقام بتحريفها إلى مدح للأصنام وقال:أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترجى! فأعْجَبَ ذلك القرشيين وتمنوا لو أن القرآن قال هذا المديح فى آلهتهم، بدل ذمها وذمهم!

ومن المؤكد أن قصة الغرانيق وضعها رواة قريش بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله، ولم يكن لها عين ولا أثر فى سيرته صلى الله عليه وآله فى مكة، وإلا لرفعها المشركون علماً، وطبَّل بها اليهود وزمَّروا!

لكن السؤال ما هو غرض طلقاء قريش من ترويج هذه القصة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله ونسبتها اليه مع أن أصنامهم انتهت وهدمت، وتبرؤوا منها ودخلوا فى الإسلام تحت السيف ثم رضوا به؟!

الجواب: أن الغرض منها إثبات أن النبى صلى الله عليه وآله لم يكن معصوماً عصمة مطلقة حتى تكون كل تصرفاته وأقواله حجة، بل كان يخطئ حتى فى تبليغ الوحى! وبذلك يمكن تبريرمخالفة الخلفاء والسلطة لأوامره صلى الله عليه وآله!

فالمهم عندهم تبرير مخالفةالنبى صلى الله عليه وآله وليكن ثمن ذلك قصة الغرانيق التى تزعم أنه صلى الله عليه وآله ارتكب خيانة فى نص القرآن والعياذ بالله، وكفَر ومدَح أصنام قريش لكى ترضى عنه، وسجد لها وسجد معه مشايخ قريش وكل من كان فى المسجد، وزاد البخارى أن كل الإنس والجن سجدوا يومها!!

وزادت الرواية المزعومة أن زعماء قريش طاروا فرحاً بخيانة النبى صلى الله عليه وآله فى نص القرآن، وطبيعى أن يطير المستشرقون فرحاً بهذه القصة!!

وأخيراً المرتد سلمان رشدى والحكومات الغربية!!

البخارى يروى فرية الغرانيق فى ست مواضع

روى البخارى:۲/۳۲: (عن عبدالله(رض)قال قرأ النبى(ص)النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه، غير شيخ أخذ كفاً من حصى أو تراب ورفعه إلى جبهته وقال يكفينى هذا، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً...

وعن عبد الله(رض)أن النبى(ص)قرأ سورة النجم فسجد بها، فما بقى أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفاً من حصى أو

تراب فرفعه إلى وجهه وقال يكفينى هذا، فلقد رأيته بعد قتل كافراً...

وعن ابن عباس(رض)أن النبى(ص)سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون، والجن والإنس! ورواه ابن طهمان عن أيوب).

وفى:٤/٢٣٩: (عن عبد الله(رض)قال: قرأ النبى(ص)النجم فسجد، فما بقى أحد إلاسجد إلا رجل رأيته أخذ كفاً من حصى فرفعه فسجد عليه وقال: هذا يكفينى، فلقد رأيته بعد قتل كافراً بالله). وفى:٥/٧: بنحوه.

وفى:٦/٥٢: (قال فسجد رسول الله(ص)وسجد من خلفه إلا رجلًا رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف). انتهى. فهذه ست روايات رواها البخارى على الأقل.

ورواه مسلم بنحوه فى:٢/٨٨، ورواه فى:٦/٥٢، وسمى الذى سجد بأنه أمية بن خلف).

وقال الحاكم فى المستدرك:١/٢٢١: (عن عبد الله قال: أول سورة قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس الحج، حتى إذا قرأها سجد فسجد الناس، إلا رجل أخذ التراب فسجد عليه فرأيته قتل كافراً. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بالإسنادين جميعاً، ولم يخرجاه إنما اتفقا على حديث شعبة عن أبى إسحاق عن الأسود عن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وآله قرأ والنجم، فذكره بنحوه، وليس يعلل أحد الحديثين الإخيرين، فإنى لاأعلم أحداً تابع شعبة على ذكره النجم، غير قيس بن الربيع. والذى يؤدى إليه الإجتهاد صحة الحديثين، والله أعلم).

ومعنى كلام الحاكم: أنه كان الأولى بالبخارى ومسلم أن يرويا السجود فى سورة الحج لأنها أصح، ولكنهما تركاها ورويا السجود فى سورة النجم!!

وقال البيهقى فى سننه:٢/٣١٤:(عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى(ص) سجد فيها يعنى والنجم، وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس. رواه البخارى فى الصحيح عن أبى معمر وغيره عن عبد الوارث.

وصححه فى مجمع الزوائد:٧/١١٥، قال: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى...عن ابن عباس فيما يحسب سعيد بن جبير، أن النبى(ص)كان بمكة، فقرأ سورة والنجم حتى انتهى إلى: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى،فجرى على لسانه: تلك الغرانيق العلى الشفاعة منهم ترتجى. قال: فسمع بذلك مشركو أهل مكة فسرُّوا بذلك فاشتدَّ على رسول الله(ص)فأنزل الله تبارك وتعالى:وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِيٍّ إلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ. رواه البزار والطبرانى... ورجالهما رجال الصحيح، إلا أن الطبرانى قال: لا أعلمه إلا عن ابن عباس عن النبى(ص)وقد تقدم حديثٌ مرسل فى سورة الحج أطول من هذا، ولكنه ضعيف الإسناد).

ويقصد بالحديث المرسل الحديث الذى يضعفه بابن لهيعة وقد وثقه عدد من علمائهم، وله شواهد صحيحة تجعله حسناً، وهو فى مجمع الزوائد: ٧/٧٠، وفيه:

(حين أنزل الله السورة التى يذكر فيها والنجم إذا هوى، فقال المشركون: لوكان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه، فإنه لا يذكر أحداً ممن خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذى يذكر به آلهتنا من الشتم والشر. فلما أنزل الله السورة التى يذكر فيها والنجم وقرأ: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى، ألقى الشيطان فيها عند ذلك ذكر الطواغيت، فقال: وإنهم من الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى، وذلك من سجع الشيطان وفتنته فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك، وذلقت بها ألسنتهم واستبشروا بها، وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه، فلما بلغ رسول الله (ص)آخر السورة التى فيها النجم سجد وسجد معه كل من حضره من مسلم ومشرك، غير أن الوليد بن المغيرة كان كبيراً فرفع ملء كفه تراب فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم فى السجود لسجود رسول الله(ص)، فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين من غير إيمان ولا يقين، ولم يكن المسلمون سمعوا الذى ألقى الشيطان على ألسنة المشركين. وأما المشركون فاطمأنت أنفسهم إلى النبى(ص)وحدثهم الشيطان أن النبى (ص)قد قرأها فى السجدة فسجدوا لتعظيم آلهتهم، ففشت تلك الكلمة فى الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت الحبشة! فلما سمع عثمان بن

مظعون وعبدالله بن مسعود ومن کان معهم من أهل مکة أن الناس أسلموا وصاروا مع رسول الله(ص)، وبلغهم سجود الولید بن المغیرة علی التراب علی کفه، أقبلوا سراعاً! فکبُر ذلک علی رسول الله(ص)فلما أمسی أتاه جبریل علیه السلام فشکا إلیه، فأمره فقرأ له، فلما بلغها تبرأ منها جبریل! وقال: معاذ الله من هاتین ما أنزلهما ربی ولا أمرنی بهما ربک! فلما رأی ذلک رسول الله(ص)شق علیه وقال: أطعتُ الشیطان وتکلمتُ بکلامه وشرَّکنی فی أمر الله! فنسخ الله ما یلقی الشیطان وأنزل علیه:وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِیٍّ إلا إذا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللهُ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللهُ آیَاتِهِ وَاللهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ. لِیَجْعَلَ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِیَةِ قُلُوبُهُمْ وإن الظَّالِمِینَ لَفِی شِقَاقٍ بَعِیدٍ). الحج:۵۲-۵۳ فلما برأه الله عز وجل من سجع الشیطان وفتنته، انقلب المشرکون بضلالهم وعداوتهم. فذکر الحدیث وقد تقدم فی الهجرة إلی الحبشة. رواه الطبرانی مرسلاً وفیه ابن لهیعة، ولا یحتمل هذا من ابن لهیعة).

وقد أورد السیوطی قصة الغرانیق بعدة طرق بعضها صحیح فی الدر المنثور:۴/۱۹۴وقال فی ص۳۶۶: (وأخرج البزار، والطبرانی، وابن مردویه، والضیاء فی المختارة بسند رجاله ثقات، من طریق سعید بن جبیر عن ابن عباس، قال: إن رسول الله(ص)قرأ: أفرأیتم اللات والعزی ومنات الثالثة الأخری تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترتجی! ففرح المشرکون بذلک وقالوا: قد ذکر آلهتنا. فجاء جبریل فقال: إقرأ علی ما جئتک به، فقرأ: أفرأیتم اللات والعزی ومناة الثالثة الأخری تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترتجی! فقال: ما أتیتک بهذا! هذا من الشیطان فأنزل الله:وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِیٍّ إلا إذا تَمَنَّی..إلی آخر الآیة. وأخرج ابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم وابن مردویه، بسند صحیح عن سعید بن جبیر...!!). انتهی.

بهذا یتبین لک أن حدیث الغرانیق أو الآیات الشیطانیة رواها البخاری ومسلم وغیرهما بأسانید صحیحة، فکل هؤلاء یتحملون وزرها!

ویتبین لک بطلأن دعوی من قال إن الواقدی تفرَّد بها وأن الصحاح لم تروِها!!

ویتبین لک مصیبة أن بعض الحفاظ یکذبون لیغطوا علی البخاری!!

قال ابن کثیر فی تفسیره: قد ذکر کثیر من المفسرین هنا قصة الغرانیق وما کان من رجوع کثیر من مهاجرة الحبشة ظناً منهم أن مشرکی قریش قد أسلموا، ولکنها من طرق کلها مرسلة، ولم أرها من وجه صحیح.

وقال القسطلانی فی شرح البخاری: وقد طعن فی هذه القصة وسندها غیر واحد من الأئمة حتی قال ابن إسحاق وقد سئل عنها: هی من وضع الزنادقة. وقال القاضی عیاض: إن هذا حدیث لم یخرجه أحد من أهل الصحة ولارواه أحد بسند متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بکل غریب المتلقفون عن الصحف کل صحیح وسقیم)!

ونقل عن أبی بکر بن العربی الإمام المالکی: إن جمیع ما ورد فی هذه القصة لا أصل له)!! (هامش عصمة الأنبیاءللرازی ص۹۴).

وذکر عبد الله النعیم فی کتابه الإستشراق فی السیرة النبویة- نشرالمعهد العالمی للفکر الإسلامی۱۴۱۷، أن المصادرَ التی روت حدیث الغرانیق هی: طبقات ابن سعد:۱/۲۰۵، وتاریخ الطبری:۲/۲۲۶، وتاریخ ابن الأثیر:۲/۷۷، وسیرة ابن سید الناس:۱/۱۵۷. وقال فی ص۹۷: (یعتبر الواقدی أول من روج لهذه الفریة، ثم أخذها عنه ابن سعد والطبری وغیرهم).

ونقل فی ص۹۳ نقد القرضاوی فی کتابه کیف نتعامل مع السنة النبویة، وجاء فیه: (ومعنی هذا أن تفهم السنة فی ضوء القرآن، ولهذا کان حدیث الغرانیق مردوداً بلا ریب، لأنه منافٍ للقرآن). انتهی.

وقال فی ص۹۸: (ولم یروِ ابن إسحاق وابن هشام هذه الواقعة إطلاقاً. ومهما یکن من أمر فالواقدی هو أصلها. إن ما یدعو للتساؤل هو: کیف أمکن تمریر هذه الواقعة مع علم أصحابها بعصمة الرسل؟!). انتهی.

ثم نقل نقد القاضی عیاض فی کتابه الشفا لحدیث الغرانیق سنداً ومتناً.

وکلامهم یشبه بعضه فی تبرئة البخاری من الغرانیق!! ولکن عدداً منهم یعرفون أن البخاری روی فریة الغرانیق بأکثر من روایة، وروتها صحاحهم بطرق متعددة، یکثر فیها الإسناد الصحیح!

غایة الأمر أن البخاری ومن شاکله حذفوا منها إسم الغرانیق وأبقوا سجود النبی صلی الله علیه وآله المزعزم بعد مدحه لأصنام قریش وسجود المشرکین معه، وقد سموا من زعماء المشرکین الذین سجدوا أمیة بن خلف، وأبا أحیحة وهو سعید بن العاص! وهم یعرفون أن سجود المشرکین بعد سماع القرآن لم ینقله مصدر علی الإطلاق، فی أی قصة علی الإطلاق، إلا قصة الغرانیق!

لذلک من حقنا أن نشک فی أمانة النافین لروایة البخاری والصحاح لها، کالذین تقدم کلامهم، وکالفخر الرازی عندما قال فی تفسیره: ۲۳/۴۹:

(وأیضاً فقد روی البخاری فی صحیحه أن النبی(ص)قرأ سورة النجم وسجد فیها المسلمون والمشرکون والإنس والجن، ولیس فیه حدیث الغرانیق! وروی هذا الحدیث من طرق کثیرة ولیس فیها البتة حدیث الغرانیق)!!

تناقض الفخر الرازی فی حدیث الغرانیق

وقد بحث الفخر الرازی هذه الفریة فی کتابه عصمة الأنبیاء علیهم السلام وفی تفسیره: ۲۳/۴۹، فدافع عن النبی صلی الله علیه وآله ونفاها عنه، ودافع عن البخاری وغیره من صحاحهم! ثم عاد فی أواخر تفسیره واتهم بها النبی صلی الله علیه وآله!!

قال فی عصمة الأنبیاء علیهم السلام ص۹۳:

(الشبهة الثانیة: تمسکوا بقوله تعالی: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِیٍّ إِلاإِذَا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللهُ مَایُلْقِی الشَّیْطَانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللهُ آیَاتِهِ وَاللهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ. قالوا إن ظاهر الآیة یدل علی أن الشیطان ملقٍ فی قراءة الأنبیاء علیه السلام ما یؤدی إلی الشبهة، فإذا جوَّزنا ذلک ارتفع الوثوق!

روی أنه(ص)شقَّ علیه ما رأی من مباعدتهم عما جاءهم به، فتمنی فی نفسه أن یأتیه من الله تعالی ما یقارب بینه وبین قومه، وذلک لحرصه علی إیمانهم، فجلس ذات یوم فی ناد من أندیة قریش کثیر أهله، وأحب یومئذ أن لا یأتیه شئ من الله فینفروا عنه، وتمنی ذلک فأنزل الله تعالی: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَی، فقرأ رسول الله(ص): أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخری، ألقی الشیطان علی لسانه ما کان یحدث به نفسه ویتمناه: تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترتجی! فلما سمعت قریش ذلک فرحوا ومضی رسول الله(ص)فی قراءته فقرأ السورة کلها وسجد فی آخرها، فسجد المسلمون وسجد جمیع من فی المسجد من المشرکین، فلم یبق فی المسجد مؤمن ولاکافر إلا سجد، إلا الولید بن المغیرة، وأبو أحیحة سعید بن العاص، فإنهما أخذا حفنةً من البطحاء ورفعاها إلی جبهتهما وسجدا علیها، لأنهما کانا شیخین کبیرین فلم یستطیعا السجود!

وتفرقت قریش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا: قد ذکر محمد آلهتنا بأحسن الذکر! فلما أمسی رسول الله(ص)أتاه جبریل علیه السلام وقال: ما ذا صنعت؟ تلوت علی الناس ما لم آتک به عن الله، وقلت ما لم أقل لک؟! فحزن رسول الله (ص)حزناً شدیداً وخاف من الله خوفاً کثیراً، فأنزل الله هذه الآیة)!!

الجواب الذی یدل علی أنه علیه السلام ما غیر ومابدل وجوه خمسة:

الأول: قوله تعالی: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنَا بَعْضَ الأَقَاوِیلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْیَمِینِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِینَ. الثانی: وَ إِذَا تُتْلَی عَلَیْهِمْ آیَاتُنَا بَیِّنَاتٍ قَالَ الَّذِینَ لایَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَیْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا یَکُونُ لی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِی إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا یُوحَی إِلَیَّ. الثالث: وَإِنْ کَادُوا لَیَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ لِتَفْتَرِیَ عَلَیْنَا غَیْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوکَ خَلِیلا. وَ لَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شیئاً قلیلاً. الرابع: کَذَلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَکَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِیلا. الخامس: قوله: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسَی.

وإذا ثبت ما ذکرناه فلنشرع فی الجواب عن الشبهة فنقول:

التمنی، جاء فی اللغة لأمرین: أحدهما تمنی القلب، والثانی التلاوة، قال الله تعالی: وَمِنْهُمْ أُمِّیُّونَ لایَعْلَمُونَ الْکِتَابَ إِلاأَمَانِیَّ، أی إلا قراءة...

إذا عرف ذلک فنقول: من المفسرین من حمل الآیة علی تمنی القلب، والمعنی أن النبی متی تمنی بقلبه بعض ما یتمناه من الأمور یوسوس الشیطان إلیه بالباطل ویدعوه إلی ما لاینبغی، ثم إن الله تعالی ینسخ ذلک ویبطله، ویأتیه بما یرشده إلی ترک الإلتفات إلی وسوسته.

وهذا ضعیف، لأنه لوکان کذلک لم یکن مایخطر بباله فتنة للکفار، وذلک یبطله قوله تعالی: لِيَجْعَلَ مَايُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ.. الآیة: فثبت أن المراد بالتمنی القراءة، ثم اختلف الذاهبون إلی هذا التأویل علی وجوه....

فإن قلت: لعله قد ذکر ذلک استفهاماً علی سبیل الإنکار؟

قلت: هب أنه کذلک لکن قراءته فی أثناء قراءة القرآن مع کونه علی ذلک الوزن توهم کونه منه، فیعود المحذور المذکور.

أما السهو فغیر جائز أیضاً، لأنه لو جاز وقوع السهو هاهنا لجاز فی غیره وحینئذ ترتفع الثقة بالشرع! ولأن الساهی لایجوز أن یقع منه مثل هذه الألفاظ مطابقة لوزن هذه السورة وطریقتها ومعناها، فإنا نعلم بالضرورة أن واحداً لو أنشد قصیدة لما جاز أن یسهو حتی یتفق فیه بیت شعر فی وزنها ومعناها وطریقتها.

الثالث، أن یکون الشیطان أجبر النبی(ص)علی التکلم، وهذا أیضاً فاسدٌ لوجوه ثلاثة......

الخامس، أن المتکلم بذلک بعض الکفرة، فإنه علیه الصلاة والسلام لما انتهی من قراءة هذه السورة إلی هذا الموضع وذکر أسماء آلهتهم وقد علموا من عادته أنه یعیبها، فقال بعض من حضر من الکفار:تلک الغرانیق العلا، فاشتبه علی القوم، لأنهم کانوا یلغطون عند قراءته ویکثرون من الکلام طلباً لتغلیطه وإخفاء قراءته. وممکن أن یکون أیضاً فی الصلاة لأنهم کانوا یقربون منه فی حال الصلاة ویسمعون قراءته ویلغون فیها، وقیل: إنه علیه الصلاة والسلام کان إذا تلا القرآن علی قریش توقف فی فصول الآیات، فألقی بعض الحاضرین ذلک الکلام فی تلک الواقعات فتوهم القوم أنه من قراءته علیه الصلاة والسلام، ثم أضاف الله ذلک إلی الشیطان لأنه بوسوسته حصل، أو لأنه جعل ذلک المتکلم شیطاناً.....

ولقائل أن یقول: إذا جوزتم أن یتکلم الشیطان فی أثناء کلام الرسول علیه الصلاة والسلام بما یشتبه علی کل السامعین حتی یظنوه کلاماً لرسول الله (ص) بقی هذا الإحتمال فی کل ما یتکلم به الرسول(ص)فتفضی إلی ارتفاع الوثوق عن کل الشرع!

الجواب: أن ذلک الإحتمال قائم، ولکنه لو وقع لوجب فی حکمة الله تعالی أن یشرح الحال فیه کما فی هذه الواقعة إزالة للتلبیس.....

السادس، أن المراد بالغرانیق الملائکة، وقد کان ذلک قرآنا منزلاً فی وصف الملائکة، فلما توهم المشرکون أنه یرید آلهتهم نسخ الله تلاوته)!!. انتهی.

والتهافت فی دفاع االرازی واضح، فقد نفی أولاًأن یکون النبی صلی الله علیه وآله غیَّر أو بدَّل فی قراءته فقال:(الجواب الذی یدل علی أنه علیه السلام ماغیَّر ومابدَّل...)، لکنه عاد وفسر آیة:أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ، بذلک! وضعَّف الإحتمالات التی تنزه النبی صلی الله علیه وآله أو سکت عنها، کالوجه الخامس الذی استفاده من الشریف المرتضی!

أما فی تفسیره الکبیر، فقد بدأ قویاً فی استدلاله، لکنه ضعف فی ختام کلامه، وعاد إلی تبنی اتهام قومه القرشیین للنبی صلی الله علیه وآله، وینبغی أن تعرف أن الفخر الرازی قرشیٌ تیمی، من عشیرة أبی بکر وقیل من ذریته!

قال فی الجزء ۲۳/۴۹: (المسألة الثانیة: ذکر المفسرون فی سبب نزول هذه الآیة أن الرسول(ص)لما رأی إعراض قومه عنه وشق علیه ما رأی من مباعدتهم عما جاءهم به تمنی....الی آخر ما ذکره فی کتاب العصمة، ثم قال:

هذا روایة عامة المفسرین الظاهریین، أما أهل التحقیق فقد قالوا هذه الروایة باطلة موضوعة واحتجوا علیه بالقرآن والسنة والمعقول.

أما القرآن فوجوه...وأورد الآیات المتقدمة وغیرها، ثم قال:

وأما السنة فهی ما روی عن محمد بن إسحاق بن خزیمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا وضع من الزنادقة، وصنف فیه کتاباً.

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعون فيهم.

وأيضاً فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبى(ص)قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق. وروى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق. وأما المعقول فمن وجوه:

أحدها: أن من جوز على الرسول(ص)تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان فى نفى الأوثان.

وثانيها: أنه عليه السلام ما كان يمكنه فى أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً أذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه وإنما كان يصلى إذا لم يحضروها ليلاً أو فى أوقات خلوة وذلك يبطل قولهم

وثالثها: أن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم.

ورابعها: قوله: فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ، وذلك لأن إحكام الآيات بإزالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التى تبقى الشبهة معها، فإذا أراد الله إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآناً، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلاً، أولى.

وخامسها: وهو أقوى الوجوه أنا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا فى كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، فإنه لا فرق فى العقل بين النقصان عن الوحى وبين الزيادة فيه. فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة. أكثر ما فى الباب أن جمعاً من المفسرين ذكروها، لكنهم ما بلغوا حد التواتر، وخبر الواحد لايعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة...). انتهى.

أقول: إلى هنا يبدو الرازى منسجماً، فقد وافق محمد بن إسحاق صاحب السيرة على أن القصة فريةٌ من وضع الزنادقة القرشيين على النبى صلى الله عليه وآله بأنه مدحَ أصنامهم وسجد لها، وسجد معه القرشيون، وكل من فى المسجد!

لكن الرازى دخل مدخلاً صعباً فى الدفاع عن البخارى وبقية مصادرهم التى روتها بطرق متعددة وصححتها! وادعى أن البخارى لم يرو حديث الغرانيق، مع أنه رواه وحذف منها إسم الغرانيق، كما رأيت!

ثم دخل الرازى مدخلاً أصعب فى تفسير قوله تعالى:(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، لأنه اقتفى أثر مفسرى السلطة القرشية وحبس نفسه بتفسير أُمْنِيَّتِهِ بذهن النبى صلى الله عليه وآله وقراءته للقرآن!

بينما التمنى أمر ذهنى، لكن الأمنيَّة قد تكون ذهنية، وقد تكون خارجية، وهى فى الآية خارجية، وإلقاء الشيطان إنما هو فى الأمنيَّة الخارجية، وليس فى ذهن النبى صلى الله عليه وآله:

ونلاحظ أن كلام الرازى الطويل بلا طائل، فقد قال:

(ولنشرع الآن فى التفصيل فنقول التمنى جاء فى اللغة لأمرين: أحدهما: تمنى القلب والثانى: القراءة)...

ثم أخذ فى تعداد الإحتمالات على تفسير الأمنية بالقراءة، وردها جميعاً فقال: (فهذه الوجوه المذكورة فى قوله تلك الغرانيق العلا قد ظهر على القطع كذبها، فهذا كله إذا فسرنا التمنى بالتلاوة. وأما إذا فسرناها بالخاطر وتمنى القلب فالمعنى أن النبى(ص)متى تمنى بعض ما يتمناه من الأمور يوسوس الشيطان إليه بالباطل ويدعوه إلى ما لا ينبغى، ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه إلى ترك الإلتفات إلى وسوسته، ثم اختلفوا فى كيفية تلك الوسوسة على وجوه.... واختار منها الرابع، وختم بقوله:

(ورابعها: معنى الآية إذا تمنى إذا أراد فعلاً ـ مقرباً إلى الله تعالى ألقى الشيطان فى فكره ما يخالفه فيرجع إلى الله تعالى فى ذلك وهو كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. وكقوله: وأما يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ

بِاللهِ.

ومن الناس من قال لایجوز حمل الأمنیة علی تمنی القلب لأنه لو کان کذلک لم یکن ما یخطر ببال رسول الله(ص)فتنة للکفار وذلک یبطله قوله تعالی: لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ. والجواب: لایبعد أنه إذا قوی التمنی اشتغل الخاطر به فحصل السهو فی الأفعال الظاهرة بسببه فیصیر ذلک فتنة للکفار. فهذا آخر القول فی هذه المسألة). انتهی.

وبذلک ختم الرازی بتبنی الفریة علی النبی صلی الله علیه وآله بأنه یتمنی فیلقی الشیطان فی ذهنه فینشغل به خاطره، فیحصل له السهو فی أفعاله، فیکون ذلک فتنة!!

فأین صار استنکاره لفریة الغرانیق، وأنها من وضع الزندقة؟!

بل صرح فی تفسیره:٣٢/١٤١، بنسبة الکفر إلی النبی صلی الله علیه وآله وهو یعدد الفوائد لکلمة"قل "فی(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) قال: (الحادی والثلاثون: کأنه تعالی یقول: یا محمد ألست أنت الذی قلت: من کان یؤمن بالله وبالیوم الآخر فلا یوقفن مواقف التهم، وحتی أن بعض المشایخ قال لمریده الذی یرید أن یفارقه: لاتخاف السلطان قال: ولم؟ قال: لأنه یوقع الناس فی أحد الخطأین، وأما أن یعتقدوا أن السلطان متدین، لأنه یخالطه العالم الزاهد، أو یعتقدوا أنک فاسق مثله، وکلاهما خطأ، فإذا ثبت أنه یجب البراءة عن موقف التهم فسکوتک یا محمد عن هذا الکلام یجر إلیک تهمة الرضا بذلک، لاسیما وقد سبق أن الشیطان ألقی فیما بین قراءتک:تلک الغرانیق العلی منها الشفاعة ترتجی، فأزل عن نفسک هذه التهمة و: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاأَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)! انتهی.

فأین حملة الفخر الرازی علی الزنادقة واضعی فریة الغرانیق، ونصه علی أن النبی صلی الله علیه وآله لم یغیِّر فی سورة النجم ولم یبدِّل؟!!

نعوذ بالله من هذه الفریة علی سید الموحدین صلی الله علیه وآله، التی بلغ من تأکید مصادرهم علیها أنها أوقعت الفخر الرازی وهو العالم المتبحر والفیلسوف المتضلع فی هذا التهافت المشین، فنقض ما کتبه بیمینه فی الجزء الثالث والعشرین، وعمی عن أن سورة الکافرون نزلت بالإتفاق قبل سورة النجم!

قال الزرکشئ فی البرهان:١/١٩٣:(أول مانزل من القرآن بمکة إقرأ بإسم ربک، ثم والقلم، ثم یاأیها المزمل، ثم المدثر، ثم تبت یدا أبی لهب، ثم إذا الشمس کورت، ثم سبح اسم ربک الأعلی، ثم واللیل إذا یغشی، ثم والفجر، ثم والضحی، ثم ألم نشرح، ثم والعصر، ثم والعادیات، ثم إنا أعطیناک الکوثر، ثم ألهاکم التکاثر، ثم أرأیت الذی، ثم قل یأیها الکافرون، ثم سورة الفیل، ثم الفلق، ثم الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنجم إذا هوی، ثم عبس وتولی...). انتهی.(راجع فهرست ابن الندیم/٢٨، وتفسیر المیزان للطباطبائی:١٣/٢٣٣)

هذا، وسوف نلقی مزیداً من الضوء عل تفسیر آیة: أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ، فی فصل العصمة فی القرآن، إن شاء الله تعالی.

القاضی عیاض أکثر علماء السنة اعتدالا فی عصمة نبینا

قال فی الشفا بتعریف حقوق المصطفی:٢/١٢٣:

(فصل:وأما أقواله(ص)فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة علی صدقه وأجمعت الأمة فیما کان طریقه البلاغ أنه معصوم فیها من الأخبار عن شئ منها بخلاف ما هو به. لا قصداً ولا عمداً، ولا سهواً ولا غلطاً.

أما تعمد الخلف فی ذلک فمنتف بدلیل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فیما قال، اتفاقاً، وبإطباق أهل الملة إجماعاً.

وأما وقوعه علی جهة الغلط فی ذلک، فبهذه السبیل عند الأستاذ أبی إسحاق الإسفرائینی ومن قال بقوله.

ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلک وعصمة النبی لامن مقتضی المعجزة نفسها عند القاضی أبی بکر الباقلانی ومن وافقه، لاختلاف بینهم فی مقتضی دلیل المعجزة، لا نطول بذکره فنخرج عن غرض الکتاب.

فلنعتمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لايجوز عليه خلف فى القول إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر به عن ربه وما أوحاه إليه من وحيه، لا على وجه العمد ولا على غير عمد، ولا فى حالى الرضا والسخط والصحة والمرض، وفى حديث عبد الله بن عمرو قلت: يا رسول الله أأكتب كل ما أسمع منك؟ قال: نعم، قلت: فى الرضى والغضب؟ قال: نعم فإنى لا أقول فى ذلك كله إلا حقاً.

ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بياناً: فنقول إذا قامت المعجزة على صدقه وأنه لا يقول إلا حقاً ولا يبلغ عن الله إلا صدقاً وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عنى، وهو يقول إنى رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم، وأبين لكم ما نزل عليكم: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى.إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى. وقَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ. وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا. فلا يصح أن يوجد منه فى هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أى وجه كان، فلو جوزنا عليه الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل!

فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص، فتبرئة النبى(ص)عن ذلك كله واجب، برهاناً وإجماعاً، كما قاله أبو اسحاق.

فصل: وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات:

منها ما روى من أن النبى(ص)لما قرأ سورة والنجم: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى، قال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتها لترتجى. ويروى ترتضى، وفى رواية إن شفاعتها لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلى. وفى أخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى، فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لمَّا سمعوه أثنى على آلهتهم!

وما وقع فى بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه وأن النبى(ص) كان يتمنى أن لو نزل عليه شئ يقارب بينه وبين قومه. وفى رواية أخرى أن لاينزل عليه شئ ينفرهم عنه، وذكر هذه القصة، وأن جبريل عليه السلام جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له: ماجئتك بهاتين! فحزن لذلك النبى(ص)فأنزل الله تعالى تسلية له: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ..الآية وقوله: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ..الآية.

فاعلم أكرمك الله أن لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين: أحدهما فى توهين أصله، والثانى على تسليمه.

أما المأخذ الأول، فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل! وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم، وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكى حيث قال: لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته، فقائل يقول إنه فى الصلاة، وآخر يقول قالها فى نادى قومه حين أنزلت عليه السورة، وآخر يقول قالها وقد أصابته سِنة، وآخر يقول بل حدَّث نفسه فيها، وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبى(ص)لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك، وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبى(ص)قرأها، فلما بلغ النبى(ص)ذلك قال: والله ما هكذا نزلت.. إلى غير ذلك من اختلاف الرواة.

ومن حُكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب! وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية، والمرفوع فيه حديث شعبة، عن أبى بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: فيما أحسب الشك فى الحديث أن النبى(ص)كان بمكة وذكر القصة.

قال أبو بكر البزار: هذا الحديث لانعلمه يروى عن النبى(ص)باسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس. فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لايعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا، وفيه من الضعف ما نبه عليه، مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه، الذى لايوثق به ولاحقيقة معه.

وأما حديث الكلبى فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره، لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله.

والذی منه فی الصحیح أن النبی(ص)قرأ والنجم وهو بمکهْ، فسجد معه المسلمون والمشرکون والجن والإنس). انتهی.

وینبغی أن نحسن الظن بالقاضی عیاض بأنه لم یطلع علی الطرق والأسانید الکثیرهْ لحدیث الغرانیق، لکن العجب أنه أورد ما رواه البخاری فی الصحیح، وهرب منه ولم یعلق علیه بشیئ! فهل غاب علیه أن ما رواه البخاری هو حدیث الغرانیق بعینه وذاته، وأنه لم یُرْوَ سجود المشرکین مع المسلمین فی غیره أبداً؟!

ثم تابع القاضی عیاض توهین حدیث الغرانیق من جههْ دلالته فقال:

(هذا توهینه من طریق النقل، فأما من جههْ المعنی فقد قامت الحجهْ وأجمعت الأمهْ علی عصمته(ص)ونزاهته عن مثل هذه الرذیلهْ، إما من تمنیه أن ینزل علیه مثل هذا من مدح آلههٍْ غیر الله، وهو کفر! أو أن یتسور علیه الشیطان ویشبِّه علیه القرآن حتی یجعل فیه ما لیس منه ویعتقد النبی(ص)أن من القرآن ما لیس منه حتی ینبهه جبریل علیه السلام وذلک کله ممتنع فی حقه(ص)! أو یقول ذلک النبی(ص)من قبل نفسه عمداً وذلک کفر! أو سهواً وهو معصوم من هذا کله! وقد قررنا بالبراهین والإجماع عصمته (ص)من جریان الکفر علی قلبه أولسانه لاعمداً ولا سهواً، أو أن یتشبه علیه ما یلقیه الملک مما یلقی الشیطان، أو یکون للشیطان علیه سبیل أو أن یتقول علی الله لاعمداً ولاسهواً ما لم ینزل علیه، وقد قال الله تعالی:وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِیل، الآیهْ. وقال تعالی: إِذاً لأَذَقْنَاکَ ضِعْفَ الْحَیَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ. الآیهْ.

ووجه ثان، وهو استحالهْ هذه القصهْ نظراً وعرفاً، وذلک أن هذا الکلام لو کان کما روی لکان بعید الإلتئام متناقض الأقسام، ممتزج المُدح بالضم، متخاذل التألیف والنظم، ولما کان النبی(ص)ولا من بحضرته من المسلمین وصنادید المشرکین ممن یخفی علیه ذلک! وهذا لا یخفی علی أدنی متأمل، فکیف بمن رجح حلمه، واتسع فی باب البیان فصیح الکلام علمه.

ووجه ثالث، أنه قد علم من عادهْ المنافقین ومعاندی المشرکین وضَعَفَهْ القلوب والجَهَلهْ من المسلمین نفورهم لأول وهلهْ، وتخلیط العدو علی النبی(ص) لأقل فتنهْ، وتعییرهم المسلمین والشماتهْ بهم الفیْنَهْ بعد الفینهْ، وارتداد من فی قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنی شبههْ، ولم یَحْکِ أحدٌ فی هذه القصهْ شیئاً سوی هذه الروایهْ الضعیفهْ الأصل، ولو کان ذلک لوجَدَت قریش بها علی المسلمین الصولهْ، ولأقامت بها الیهود علیهم الحجهْ کما فعلوا مکابرهًْ فی قصهْ الإسراء، حتی کانت فی ذلک لبعض الضعفاء ردهْ، وکذلک ما روی فی قصهْ القضیهْ(صلح الحدیبیهْ)،ولافتنهْ أعظم من هذه البلیهْ لو وجدت، ولاتشغیب للمعادی حینئذ أشد من هذه الحادثهْ لو أمکنت.

فما روی عن معاند فیها کلمهْ، ولا عن مسلم بسببها بنت شفهْ، فدل علی بطلها واجتثاث أصلها، ولاشک فی إدخال بعض شیاطین الإنس أو الجن هذا الحدیث علی بعض مغفلی المحدثین لیلبس به علی ضعفاء المسلمین!

ووجه رابع، ذکر الرواهْ لهذه القضیهْ أن فیها نزلت: وَإِنْ کَادُوا لَیَفْتِنُونَکَ.. الآیتین وهاتان الآیتان تردان الخبر الذی رووه، لأن الله تعالی ذکر أنهم کادوا یفتنونه حتی یفتری، وأنه لولا أن ثبته لکاد یرکن إلیهم، فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالی عصمه من أن یفتری وثبته حتی لم یرکن إلیهم قلیلاً فکیف کثیراً! وهم یروون فی أخبارهم الواهیهْ أنه زاد علی الرکون والإفتراء بمدح آلهتهم وأنه قال(ص):(افتریت علی الله وقلتُ ما لم یُقل) وهذا ضد مفهوم الآیهْ، وهی تضعف الحدیث لو صح، فکیف ولا صحهْ له؟!). انتهی.

ثم ذکر عیاض الوجوه التی ذکرها علماؤهم لتوجیه حدیث الغرانیق، وضعَّف أکثرها، وبذلک تنزَّل وفتح الباب لاحتمال صحته، وهو أضعف الإیمان!

غرانیق قریش یتصیدها بروکلمان و مونتغمری

انتقد الباحث السودانی عبدالله النعیم فی کتابه: الإستشراق فی السیرهْ النبویهْ- (نشرالمعهد العالمی للفکر الإسلامی١٤١٧) استغلالَ المستشرقین لروایهْ الغرانیق، ونقل فی ص٥١ افتراءَ المستشرق بروکلمان وقوله عن النبی صلی الله علیه وآله: (ولکنه علی ما یظهر

اعترف فى السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتى كان مواطنوه يعتبرونهن بنات الله، وقد أشار إليهن فى إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترجى... ثم ما لبث أن أنكر ذلك وتبرأ منه فى اليوم التالى)!!

ونقل فى ص۹۶ عن المستشرق مونتغمرى وات قوله: (تلا محمد الآيات الشيطانية باعتبارها جزءً من القرآن، إذ ليس من المتصور أن تكون القصة من تأليف المسلمين أو غير المسلمين، وإن انزعاج محمد حينما علم بأن الآيات الشيطانية ليست جزءً من القرآن، يدل على أنه تلاها، وأن عبادة محمد بمكة لاتختلف عن عبادة العرب فى نخلة والطائف (محلتان لأصنام قريش) ولقد كان توحيد محمد غامضاً، ولاشك أنه يعد اللات والعزى ومناة كائنات سماوية أقل من الله). انتهى.

ومع أن المستشرقين لايحتاجون إلى الروايات الموضوعة ليتمسكوا بها، فهم يكذبون على نبينا صلى الله عليه وآله وعلى مصادرنا جهاراً نهاراً، لكن المؤسف أن تحفل مصادر السنيين وفى طليعتها البخارى بالإفتراءات على النبى صلى الله عليه وآله كقصة الغرانيق، وقصة ورقة بن نوفل، وغيرهما من القرشيات المخالفة للعقل، فتقدِّم للمستشرقين مادةً ومستمسكاً للطعن فى النبى صلى الله عليه وآله والقرآن والإسلام!

ملاحظات على قصة الغرانيق

۱- لعل فرية الغرانيق أعظم فرية تضمنتها مصادر الحديث السنية على رسول الله صلى الله عليه وآله من بين أكثر من ثلاثين فرية عليه بأنه شك فى نبوته، وأنه خالف أوامر ربه، وتحيز لأقربائه، وأنه كان يهتم بالأغنياء ويعبس فى وجه الفقراء، أو اتهمته بسلوك مشين! وقد تعرضنا لأكثرها فى المجلد الرابع من كتاب الإنتصار.

۲- من المفارقات الواضحة فى رواياتهم أن سورة النجم التى اتهموا النبى صلى الله عليه وآله بأنه تعمد فى قراءتها الكفر ومدح الأصنام وسجد لها، أو أن الشيطان قالها على لسانه، أو أنه نسى وأثَّر عليه الشيطان ففعل ذلك! هى السورة التى نص الله تعالى فى مطلعها على عصمة نبيه صلى الله عليه وآله عصمة مطلقة بمستوى لم يبلغه نبى ولا رسول آخر عليهم السلام! قال تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَايَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى.إِنْ هُوَإِلا وَحْىٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى.

فكأنهم تعمدوا وضع فرية الغرانيق فى سورة نصت على العصمة الشاملة للنبى صلى الله عليه وآله تكذيباً صريحاً للقرآن ليقولوا: بل نطق عن الهوى وكفر، وسجد للأصنام تقرباً لقريش! فوبخه الله وتسامح معه وتاب عليه!!

۳- لا بد على زعمهم أن يكون جبرئيل قد تأخر فى توبيخ النبى صلى الله عليه وآله أياماً عديدة حتى انتشر خبر كفر النبى صلى الله عليه وآله وسجوده للأصنام فى مكة، ووصل الخبر إلى الحبشة ففرح المسلمون المهاجرون بالحل السلمى مع قريش! وعاد قسم منهم إلى مكة، فوجدوا نبيهم صلى الله عليه وآله عاد إلى التوحيد وكفَر بالأصنام بعد أن وبخه جبرئيل عليه السلام، وأن قريشاً عادت إلى عدائها له، فرجعوا أدراجهم إلى الحبشة!

وقد تندر الأخ الباحث السيد جعفر مرتضى على ذلك فقال فى الصحيح من السيرة:۳/۱۴۶: (وقولهم إن هذه القضية قد كانت بعد شهرين من الهجرة إلى الحبشة نقول فيه: إنهم يقولون إن عودة مهاجرى الحبشة قد كانت بعد شهرين أيضاً، فهل وصل إليهم الخبر بالتلكس، أو بالتلفون، وهل جاؤوا بالطائرة، أم بالصواريخ؟! إلا أن يكون المراد أنهم بدأوا بالتوجه نحو مكة بعد شهرين من هجرتهم، وإن كان هذا بعيداً عن ظاهر اللفظ.

وكذا قولهم إنه لما عرض صلى الله عليه وآله السورة على جبرئيل وقرأ الفقرتين أنكرهما جبرئيل فقال صلى الله عليه وآله: قلت على الله ما لم يقل! فأنزل الله: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ، نقول فيه إن الخطاب فى الآية للنبى صلى الله عليه وآله أن الناس كادوا يفتنونه مع أن الرواية تنص على أن الشيطان هو الذى كاد أن يفتنه.. إلى غير ذلك من موارد الضعف والوهن والتناقض التى يمكن تلمسها فى هذا المجال). انتهى.

۴- لیت الفخر الرازی وعیاضاً وابن کثیر والقرضاوی، وغیرهم من الذین ردوا حدیث الغرانیق لمخالفته للقرآن والعقل، یتمسکون بهذا الدلیل لرد غیره من المکذوبات المخالفة للقرآن مما وضعه منافقوا قریش وروجته الخلافة القرشیة ورواتها، ولم یعدوها من الأحادیث الصحیحة أو الموثقة!!

قال الطباطبائی فی تفسیر المیزان:۱۴/۳۹۶، عن روایة الغرانیق:

(الروایة مرویة بطرق عدیدة عن ابن عباس وجمع من التابعین، وقد صححها جماعة منهم الحافظ ابن حجر، لکن الأدلة القطعیة علی عصمته صلی الله علیه وآله تکذب متنها وإن فرضت صحة سندها فمن الواجب تنزیه ساحته المقدسة عن مثل هذه الخطیئة، مضافاً إلی أن الروایة تنسب إلیه صلی الله علیه وآله أشنع الجهل وأقبحه فقد تلی: تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترتجی، وجهل أنه لیس من کلام الله ولا نزل به جبریل، وجهل أنه کفر صریح یوجب الإرتداد وداوم علی جهله حتی سجد وسجدوا فی آخر السورة، ولم یتنبه ثم داوم علی جهله حتی نزل علیه جبریل وأمره أن یعرض علیه السورة فقرأها علیه وأعاد الجملتین، وهو مصر علی جهله حتی أنکره علیه جبریل، ثم أنزل علیه آیة تثبت نظیر هذا الجهل الشنیع والخطیئة الفضیحة لجمیع الأنبیاءوالمرسلین علیهم السلام وهی قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِیٍّ إلا إذا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ، وبذلک یظهر بطلان ما ربما یعتذر دفاعاً عن الحدیث بأن ذلک کان سبقاً من لسان دفعةً بتصرف من الشیطان سهواً منه وغلطاً من غیر تفطن! فلا متن الحدیث علی ما فیه من تفصیل الواقعة ینطبق علی هذه المعذرة، ولا دلیل العصمة یجوز مثل هذا السهو والغلط.

علی أنه لو جاز مثل هذا التصرف من الشیطان فی لسانه صلی الله علیه وآله بإلقاء آیة أو آیتین فی القرآن الکریم، لارتفع الأمن عن الکلام الإلهی فکان من الجائز حینئذ أن یکون بعض الآیات القرآنیة من إلقاء الشیطان، ثم یلقی نفس هذه الآیة وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِیٍّ، الآیة، فیضعه فی لسان النبی وذکره فیحسبها من کلام الله الذی نزل به جبریل کما حسب حدیث الغرانیق کذلک، فیکشف بهذا عن بعض ما ألقاه وهو حدیث الغرانیق ستراً علی سائر ما ألقاه. أو یکون حدیث الغرانیق من کلام الله وآیة وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِیٍّ، الخ، وجمیع ما ینافی الوثنیة من کلام الشیطان، ویستر بما ألقاه من الآیة وأبطل من حدیث الغرانیق علی کثیر من إلقاءاته فی خلال الآیات القرآنیة، وبذلک یرتفع الاعتماد والوثوق بکتاب الله من کل جهة، وتلغو الرسالة والدعوة النبویة بالکلیة، جلت ساحة الحق من ذلک). انتهی.

۵- من الحیل اللفظیة التی استعملها رواة قریش، أنهم حاولوا تغطیة طعنهم بالنبی صلی الله علیه وآله، فقالوا إنه صلی الله علیه وآله سجد بعد أن أکمل قراءة سورة النجم، وکأنه سجد لله وللأصنام معاً!! وهذه بعض نصوصهم:

(فقال: وإنهن لهن الغرانیق العلی، وإن شفاعتهن لهی التی ترتجی، فکان ذلک من سجع الشیطان وفتنته، فوقعت هاتان الکلمتان فی قلب کل مشرک بمکة وذلقت بها ألسنتهم وتباشروا بها. وقالوا: إن محمداً قد رجع إلی دینه الأول ودین قومه. فلما بلغ رسول الله(ص)آخر النجم، سجد وسجد کل من حضر من مسلم ومشرک، ففشت تلک الکلمة فی الناس، وأظهرها الشیطان حتی بلغت أرض الحبشة، فأنزل الله: وما أرسلنا من قبلک...).

وفی بعضها: (ألقی الشیطان علی لسانه: وهی الغرانیق العلی، شفاعتهن ترتجی، فلما فرغ من السورة سجد، وسجد المسلمون والمشرکون إلا أبا أحیحة سعید بن العاص، فإنه أخذ کفاً من تراب فسجد علیه، وقال: قد آن لابن أبی کبشة أن یذکر آلهتنا بخیر، فبلغ ذلک المسلمین الذین کانوا بالحبشة أن قریشاً قد أسلمت فأرادوا أن یقبلوا، واشتد علی رسول الله(ص)وعلی أصحابه ما ألقی الشیطان علی لسانه، فأنزل الله: وما أرسلنا من قبلک من رسول ولا نبی.. الآیة). انتهی. (راجع أیضاً مجمع الزوائد: ۶/۳۲ و: ۷/۷۰).

لکن غاب عنهم أن المشرکین کانوا یرفضون السجود لله تعالی کما قال عنهم: وَإِذَا قِیلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَاالرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَاتَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً. فلا بد أن یکون سجودهم علی أثر مدحه لآلهتهم، وهو فی الثلث الأول للسورة بعد الآیة العشرین منها. وبما أن السورة اثنتان وستون آیة، وسیاقها متتابع، فلا یمکن أن نجمع بین سجود النبی صلی الله علیه وآله والمشرکین معاً، وبین قولهم إنه

صبر حتى أكمل السورة فسجد لله تعالى وحده، أو لله وللأصنام معاً!!

۶- بناءً على قصتهم المزعومة، لابد أن يكون النبى صلى الله عليه وآله ترك آيات ذم اللات والعزى ومناة فى سورة النجم ولم يقرأها يومئذ، وهى قبل آيات الغرانيق المزعومة وبعدها، فكانت جريمته حذف آيات كثيرة واستبدالها بآيات الغرانيق الشيطانية! فلا يعقل أنَّ يكون زعماء قريش فرحوا وسجدوا عند مدح أصنامهم، ثم سمعوه يقرأ بقية السورة، وكلها هجوم كاسح عليهم؟!

۷- ينبغى الإلفات هنا إلى أن اللات والعزى ومناة أسماء مؤنثة، زعمت قريش أنها ملائكة وأن الملائكة إناث! وقد ردهم الله تعالى فى نفس الآيات:

(أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الإخرَى. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنثى. تِلْكَ إذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى. إنْ هِىَ إلاأَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى. أَمْ لِلإنْسَانِ مَا تَمَنَّى. فَلِلَّهِ الآخرة وَالأولى. وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَوَاتِ لاتُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شيئاً إلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى. إنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخرة لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأنثى. وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَإنَّ الظَّنَّ لايُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إلا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا.ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إنَّ رَبَّكَ هُوَأَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَأَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) (النجم:۱۹-۲۹)

أما مكان هذه الأصنام الثلاثة، فقد جاء فى لسان العرب:۲/۱۱۲: (تقول العرب: اللات والعزى وأشباهها من الآلهة المؤنثة)، وفى:۵/۳۷۸: (اللات صنم كان لثقيف، والعزى صنم كان لقريش وبنى كنانة).

وفى مجمع البحرين:۴/۱۵۱:(اللات والعزى ومناة، إسم أصنام من حجارة، كانت فى جوف الكعبة يعبدونها، فاللات لثقيف وقيل لقريش، والعزى لغطفان ومناة لهذيل وخزاعة).

وفى التبيان:۹/۴۲۷: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى، أسماءأصنام كانت العرب تعبدها، والعزى كانت تعبدها غطفان، وهى شجرة سمرة عظيمة، واللات صنم كانت ثقيف تعبدها، ومنات كانت صخرة عظيمة لهذيل وخزاعة كانو يعبدونها). انتهى.

ويظهر أن هذه الثلاثة كانت مفضلة عند قريش ومعها غيرها من قبائل العرب، وأن بعض هذه الأصنام كان خارج مكة، لكن لها ثلاثة تماثيل عند الكعبة أو داخلها، وروى أن الأصنام حول الكعبة وعلى سطحها كانت أكثر من ثلاث مئة، وكانت قريش اكثر تمسكاً بالعزى من بينها! ففى أمالى الطوسى:۱/۳۱۶، عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قتلى بدر فقال:جزاكم الله من عصابة شراً! لقد كذَّبتمونى صادقاً، وخوَّنتمونى أميناً. ثم التفت إلى أبى جهل بن هشام فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وَحَّدَ الله، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى)!! (ومثله فى مجمع الزوائد:۶/۹۱).

وفى مجمع الزوائد:۶/۲۱: (وعن رجل من بنى مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله(ص)بسوق ذى المجاز يتخللها يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، قال وأبو جهل يحثى عليه التراب ويقول: لايغوينكم هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى، وما يلتفت إليه رسول الله! قلت: إنعت لنا رسول الله (ص)، قال: بين بردين أحمرين، مربوع، كثير اللحم، حسن الوجه شديد سواد الشعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشعر. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح). انتهى.

۸- نزلت سورة الإسراء فى مكة، ودلت على أن النبى صلى الله عليه وآله كان يتعرض لضغط المشركين، وأن الله تعالى ثبته وعصمه من الوقوع تحت تأثيرهم، ولم تشر إلى أنه كان يتعرض لضغط الشيطان وتأثيره، قال تعالى: (وَإنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا. وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شيئاً قَلِيلًا. إذًا لاذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاتَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا). (الإسراء:۷۳-۷۵)

كما أنها تضمنت تهديداً للنبى صلى الله عليه وآله إن هو غيَّر فى القرآن وتقوَّل على ربه.

وفى المقابل، تقول قصة الغرانيق إن الله لم يثبت نبيه صلى الله عليه وآله وإنه خضع لضغوط قريش ولتأثير الشيطان، فكفر بعد إيمانه، ومدح الأصنام، وافترى على ربه! فالسؤال: لماذا لم يعاقبه ربه، ولا أذاقه ضعف الحياة وضعف الممات؟! وهل هذا إلا نقضٌ لمصداقية

القرآن واتهامٌ لله تعالى بأنه تراجع عن تهديده؟!

۹- نزلت سورة الحاقة فی المدینة المنورة، وفیها قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم. وَمَا هُوَبِقَوْلِ شَاعِرٍ قليلًا مَا تُؤْمِنُونَ. وَلابِقَوْلِ كَاهِنٍ قليلاً مَا تَذَكَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَوْ تَقَوَلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ. لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ.فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أحد عَنْهُ حَاجِزِينَ). (الحاقّة:۴۰-۴۷)

فمن حق المسلم فی المدینة أن یسأل أین مصداقیة هذا الکلام وقد کفر النبی صلى الله علیه وآله وتقوَّل على ربه وافترى علیه أعظم فریة، وغیَّر فی القرآن ومدح الأصنام، فلم یأخذ منه بالیمین ولاقطع منه الوتین، بل اکتفى بتوبیخه وسامحه وتاب علیه! بل أعطاه الأجر العظیم الذی یستحقه الأنبیاء علیهم السلام لتوبتهم من کفرهم ومعاصیهم کما یزعم ابن تیمیة!!

وهکذا تستوجب قصة الغرانیق مضافاً إلى طعنها بالنبی صلى الله علیه وآله الطعن بالله تعالى وتکذیب العدید من الآیات، ولیس ما ذکرناه إلا نموذجین منها.

۱۰- فی السیرة والتاریخ عدة مفردات حول اللات والعزى تضیء لنا خلفیة الفریة القرشیة على النبی صلى الله علیه وآله، وتکشف أن قبائل قریش تبنَّتْ عبادة اللات والعزى فی مقابل خط الأحناف من بنی إسماعیل، وحتى فی مقابل الکعبة! وأن عبد المطلب جد النبی صلى الله علیه وآله کان متشدداً فی رفض أصنامهم والتمسک بحنیفیة إبراهیم علیه السلام. ففی معجم البلدان:۳/۲۲۶: (وقال أبو المنذر: وکانت قریش قد حمت للعزى شعباً من وادی حراض یقال له سُقام یضاهون به حرم الکعبة)!!

وفی:۴/۱۸۵: (وقیل: الغَبْغَب: هو الموضع الذی کان یُنحر فیه للات والعزى بالطائف، وخزانة ما یهدى إلیهما بها.... قال أبو المنذر: وکان للعزى منحر ینحرون فیه هدایاهم، یقال له الغبغب).

وفی تاریخ دمشق:۱۶/۲۳۲: من حدیث خالد بن سعید بن العاص، عن أبیه الذی هو من کبار زعماء قریش، قالت روایة الغرانیق إنه أخذ کفاً من حصى وسجد علیه، قال خالد للنبی صلى الله علیه وآله: (أیْ رسول الله، الحمد لله الذی أکرمنا بک وأنقذنا من الهلکة، ولقد کنت أرى أبی یأتی إلى العزى بحَتْرةٍ مائة من الإبل والغنم فیذبحها للعزى، ویقیم عندها ثلاثاً ثم ینصرف إلینا مسروراً! فنظرت إلى ما مات علیه أبی، وذلک الرأی الذی کان یعاش فی فضله کیف خدع حتى صار یذبح لحجر لایسمع ولایبصر ولایضر ولاینفع! فقال رسول الله(ص):إن هذا الأمر إلى الله، فمن یسَّرَهُ للهدى تیسر، ومن یُسِّر للضلالة کان فیها).

وذکر الدکتور شوقی ضیف فی تاریخ الأدب العربی ص۴۱ (دارالمعارف المصریة) أن المنذر بن ماء السماء ملک المناذرة المعاصر لعبد المطلب، وهو أعظم ملک وثنی فی العرب، أَسَرَ ابن الحارث بن شمر ملک الغساسنة النصرانی فی حرب ضروس بین المناذرة والغساسنة، فذبحه قرباناً للعزى!!

وهو یعطینا ضوءاً على نذر عبد المطلب(رض)إن رزقه الله عشرة أولاد أن یذبح أحدهم قرباناً للکعبة، أی لرب الکعبة عز وجل، تعزیزاً لدین جده إبراهیم صلى الله علیه وآله، ورداً على قریش وعلى عمل المنذر فی تعزیزهم مکانة صنم العزى!

ومما یدل على مکانة اللات والعزى عند القرشیین غیر بنی هاشم، أن شعارهم فی الحرب، وتعاقدهم، وقسمهم الرسمی، کان باسمها: ففی طبقات ابن سعد:۲/۴۲: (ونادى المشرکون بشعارهم یا للعزى یا لهبل! وأوجعوا فی المسلمین قتلًا ذریعاً، وولى من ولى منهم یومئذ وثبت رسول الله (ص)ما یزول، یرمی عن قوسه حتى صارت شظایا). انتهى.

کما تعاقدت قریش على قتل النبی صلى الله علیه وآله بإسم اللات والعزى، ففی مستدرک الحاکم:۱: ۱۶۳، وصححه: (عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله علیه وآله وهی تبکی فقال: یابنیة ما یبکیک قالت: یا أبت مالی لا أبکی وهؤلاء الملأ من قریش فی الحجر یتعاقدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، لو قد رأوک لقاموا إلیک فیقتلونک، ولیس منهم رجل إلا وقد عرف نصیبه من دمک...الخ.). (ورواه أحمد وصححه الهیثمی فی الزوائد:۸ /۲۲۸)

وقد بقیت عادة القسم باللات والعزى على ألسنة القرشیین حتى بعد إسلامهم! فقد روى ابن ماجه:۱/۶۷۸،أن سعد بن أبی وقاص قال

للنبى صلى الله عليه وآله:حلفت باللات والعزى فقال رسول الله (ص) قل: لا ـ إله إلا ـ الله وحده لا شريك له، ثم انفث عن يسارك ثلاثاً، وتعوَّذ ولا تَعُد). انتهى.(ورواه أبو داود فى:۲/۹۰، والترمذى:۳/ ۴۶ وص۵۱، والنسائى: ۷/۷، وأحمد:۱/ ۱۸۳ و۱۸۶ و:۲/ ۳۰۹، والبيهقى:۱/ ۱۴۹ و:۱۰/۳۰، ومالك فى الدونة: ۲/۱۰۸ونحوه البخارى:۶/۵۱ و: ۷/۹۷ وص۱۴۴ وص۲۲۲و۲۲۳ ومسلم:۵/۸۱ وص۸۲).

وبهذا نفهم كُرْهَ النبى صلى الله عليه وآله للات والعزى بأنه مضافاً إلى كونه عصمة إلهية، فهو موروثٌ من أسرته الحنيفية، وقد انفردت مصادرنا برواية بغض النبى صلى الله عليه وآله لأصنام قريش، دون مصادرهم! ففى كمال الدين وتمام النعمة:۱/۱۸۴، فى خبر بحيرى الراهب: (قال بحيرى: ياغلام أسألك عن ثلاث خصال بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنيها. فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذكر اللات والعزى وقال: لاتسألنى بهما فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضهما، وإنما هما صنمان من حجارة لقومى!

فقال بحيرى: هذه واحدة، ثم قال: فبالله إلا ما أخبرتنى، فقال: سل عما بدا لك فإنك قد سألتنى بإلهى وإلهك الذى ليس كمثله شئ، فقال: أسألك عن نومك ويقظتك، فأخبره عن نومه ويقظته وأموره وجميع شأنه، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته التى عنده، فانكب عليه بحيرى فقبل رجليه وقال: يا بنى ما أطيبك وأطيب ريحك، يا أكثر النبيين أتباعاً...). انتهى.

عمر عندهم معصوم و أفضل من جميع الأنبياء

النبى معصوم نظريا، و أبوبكر و عمر معصومان عمليا

يقول أتباع المذاهب السنية إن النبى صلى الله عليه وآله معصوم فى تبليغ الرسالة فقط، دون بقية سلوكه العام، وسلوكه الشخصى! لكن هذا الكلام نظرى فقط! لأن مصادرهم الصحيحة تزعم أن النبى صلى الله عليه وآله ارتكب أخطاء عديدة فى سلوكه الشخصى والعام، وحتى فى تبليغ الرسالة! وأن بعض أخطائه كان يصححها له جبرئيل عليه السلام، وبعضها كان يصححها له عمر بن الخطاب فيؤيده الوحى!

أما أهل بيت النبى وعترته صلى الله عليه وآله، علىٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فهم لا يروْن عصمتهم، ويقولون إن لهم فضائل كما لهم أخطاء، ولا ـ يعترفون بأنهم معيَّنون من الله تعالى أوصياء للنبى صلى الله عليه وآله وأئمة للأمة، بل يؤوِّلون الآيات والأحاديث التى تدل على عصمتهم وإمامتهم عليهم السلام، ويجعلون درجة على عليه السلام رابع الصحابة، لأنه كان الخليفة الرابع! وأكثرهم يفضل عليه أبا بكر وعمر وعثمان، وقد يفضلون عائشة على فاطمة الزهراء عليها السلام...الخ.

فالصحابة عندهم هم الأصل بعد النبى صلى الله عليه وآله والأفضل من جميع أجيال الأمة، وعنهم يتلقَّوْن دينهم، ولايهتمون بالرأى المخالف لهم، بل يعتبرونه خطأً أو انحرافاً عن الإسلام، حتى لو كان صادراً من أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله!

وقد وصل بهم الأمر إلى أنهم يقرنون الصحابة بالنبى فى الصلاة عليه صلى الله عليه وآله، وقد يحذفون منها الصلاة على آل النبى صلى الله عليه وآله، مع أنهم رووا فى أصح صحاحهم أن النبى صلى الله عليه وآله علَّمَهم الصلاة عليه، وأمرهم أن يقرنوا به آله عليهم السلام فقط!

مقولة عدالة الصحابة سياج لعصمة أبى بكر وعمر

وعندما تراهم أو تسمعهم يقولون(الصحابة)، فلا تتصور أنهم يقصدون المئة ألف شخص وأكثر، الذين رأوا النبى صلى الله عليه وآله وأطلقوا عليهم إسم (الصحابة)!

بل عليك أن تعرف باطن كلامهم وأنهم لايقصدون إلا أربعة رجال منهم فقط: أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية، ومَن وافقهم، ومعهم امرأتان: عائشة وحفصة، ومن وافقهما! ولايُدخلون معهم حتى أهل بيت النبوة علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، مع أنهم

أهل بيت وصحابة!

فباقي الصحابة إنما يقبلونهم بشرط أن يوافقوا هؤلاء الستة، ولا عبرة بقولهم جميعاً إن خالفوا الستة، بل لا عبرة بقولهم جميعاً إن خالفوا عمر وحده!

ولا يقول السنيون نظرياً بعصمة هؤلاء الصحابة الستة. لكن ما قيمة الكلام النظرى وهم عملياً يقولون بعصمتهم كمجموع، بل بعصمة عمر وأبى بكر خاصة، والدليل البسيط على ذلك أنهم لايقبلون أن يوجه اليهما أى نقد! ويصححون أفعالهما وأقوالهما بكل وسيلة حتى فى مقابل النبى صلى الله عليه وآله!

بل يغالون فيحكمون بضلال من ينتقدهما، أو بكفره!

يشعر أتباع الخلافة القرشية بأنهم مجبورون على القول بعصمة الشيخين! لأن عدالة الصحابة لاتكفيهم لإثبات قداستهما، لأنها سيف ذو حدين!

كما أن حديث(أصحابى كالنجوم) الذى يحتج به علماؤهم فى علومهم المختلفة، رغم تضعيفهم له، سيفٌ ذو حدين! إذ يكفى بموجبه أن يقتدى المسلم بأى صحابى ويأخذ منه دينه وخطه السياسى، لأنه نجمٌ ربانى جعله الله دليلًا لعباده! فيحق للمسلم أن يرفض خلافة قريش وخلفائها، ويقتدى بالذين رفضوا سقيفتها واتهموا أبا بكر وعمر بالخيانة، ولم يبايعوهما إلا مجبرين، كسعد بن عبادة، فهو صحابى وزعيم أنصار الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وأهل بيت النبى صلى الله عليه وآله فهم صحابة وعترة! لكن هذا نقضٌ لغرضهم فى تربية الناس على تقديس الشيخين أبى بكر وعمر!

إنهم لايريدون عدالة الصحابة من أجل ذاتها، ولا من أجل الصحابة، بل من أجل عصمة أبى بكر وعمر بالخصوص، ولا كرامة لمن خالفهما!

فكل ما تراه من تأكيدهم على عدالة الصحابة، إنما هو تمهيد وسياج لعقيدة عصمة عمر وأبى بكر ليس إلا!

اضطرارهم لتضييق سياج الصحابة بأهل بدر و بيعة الرضوان

بعد أن أعطوا كل الصحابة صفة العدالة، وهم أكثر من مئة ألف، وهو أمر غير معقول، قاموا بخطوة فى تحديد السياج الذى أرادوه لأبى بكر وعمر، فضيقوا الدائرة وقالوا إن مقصودنا بالصحابة العدول المشهود لهم بالجنة، وهم أهل بدر وأهل بيعة الشجرة، وعددهم ألفٌ وأربع مئة كما فى البخارى!

قال البخارى فى:٥/٦٢: (عن البراء....كنا مع النبى(ص)أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبى(ص) فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا). انتهى.

وروى فى:٥/٦٣، عن ابن أبى أوفى أنهم ألف وثلاث مئة. وروى فى:٤/١٩، أن النبى صلى الله عليه وآله قال فى قصة حاطب بن بلتعة، الذى خان المسلمين وكتب إلى المشركين بأنهم ينوون غزو مكة: (إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)! وكرره فى:٤/٣٨، و٣٩، وفى: ٥/٨٩ , وفى: ٦/٦٠، و:٧/١٣٤، و: ٨/٥٥.

وروى فى:٥/١٠: (فقال أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم)، ونحوه فى: ٧/٩٧.

وصححوا حديث مسلم:٧/١٦٩، فى قصة حاطب أن النبى صلى الله عليه وآله قال: (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها). وروى مسلم أن حفصة اعترضت فنهرها النبى صلى الله عليه وآله، و(أن عبداً لحاطب جاء رسول الله (ص) يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ليدخلنَّ حاطبٌ النار! فقال رسول الله (ص): كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية). انتهى.

وبهذا ضيقوا دائرة الصحابة إلى نحو ألف وخمس مئة، لأن أهل بدر ضمن أهل الحديبية، ورفعوا علماً لذلك آية: (لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) (الفتح:١٨) وجعلوها شعاراً ودثاراً فى الدفاع عنهم، لكنه دفاع بالمحال، لأن هذه الآية كغيرها من الآيات متحفظة جداً، ولا إطلاق فيها، لا فى الأشخاص، ولا فى الزمان! فلو كان مقصوده عز وجل الإطلاق لما قيدها بقيدين فاستعمل كلمة (المؤمنين) وكلمة (إذ) ولقال: لقد رضى الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة!

فلما لم يقل ذلك وقال: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ..فمعناه وجود غير مؤمنين فيهم، وأن رضاه عن المؤمنين منهم محدود بظرف (إذْ) وهو زمن البيعة!

لكنهم اتخذوا قراراً بالدفاع عن هذا السياج، لأن النيل من أهل بدر والحديبية يعنى انهيار آخر خطوط الدفاع عن أبى بكر وعمر وعثمان!

كما تراهم عندما يحتاج الأمر يوسعون السياج، كما فعلوا فى مواجهة حملة المسلمين على يزيد بن معاوية: قال التفتازانى فى شرح المقاصد:٥/٣١٠:

(فإن قيل: فمن علماء المذهب من لايجوِّز اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد.

قلنا: تحامياً على أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض، على ما يروى فى أدعيتهم، ويجرى فى أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إلجام العوام بالكلية، طريقاً إلى الإقتصاد فى الإعتقاد). انتهى.

فهذا التوسيع قانون من السلطة وعلمائها له قوة الدين! (فرأى المعتنون بأمر الدين إلجام العوام بالكلية)!

عصمة عمر عندهم أعلى من عصمة جميع الأنبياء

قال البخارى فى صحيحه:٤/٩٦: (استأذن عمر على رسول الله(ص)وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله(ص)ورسول الله يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله؟ قال: عجبت من هؤلاء اللاتى كنَّ عندى فلما سمعنَ صوتك ابتدرنَ الحجاب! قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يَهَبْنَ، ثم قال: أىْ عدوات أنفسهن، أتهبننى ولا تهبنَ رسول الله؟ قلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله(ص)! قال رسول الله(ص): والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان قط سالكاً فجّاً إلا سلك فجاً غير فجِّك). (وكرره البخارى فى:٤/١٩٩و:٧/٩٣).

وما دام النبى صلى الله عليه وآله أخبر عن ربه بفرار الشيطان من عمر وعدم تأثيره عليه، فهو معصومٌ من كل أنواع الذنوب! بل هو أفضل من النبى صلى الله عليه وآله! لأنهم رووا أن شيطان النبى صلى الله عليه وآله معه لايهرب منه، وأنه خاض معه صراعاً فأعانه الله عليه!!

قال النووى فى شرح مسلم:١٥/١٦٥: (الفج الطريق الواسع، ويطلق أيضاً على المكان المنخرق بين الجبلين. وهذا الحديث محمولٌ على ظاهره أن الشيطان متى رأى عمر سالكاً فجّاً هرب هيبة من عمر، وفارق ذلك الفج وذهب فى فج آخر لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل فيه شيئاً! قال القاضى: ويحتمل أنه ضرب مثلاً لبعد الشيطان وإغوائه منه، وأن عمر فى جميع أموره سالك طريق السداد، خلاف ما يأمر به الشيطان. والصحيح الأول). (والديباج:٥/٣٨٠).

وقال ابن حجر فى فتح البارى:٧/٣٨: (قوله: إلا سلك فجاً غير فجك. فيه فضيلة عظيمة لعمر، تقتضى أن الشيطان لاسبيل له عليه، لا أن ذلك يقتضى وجود العصمة، إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه فى طريق يسلكها، ولا يمنع ذلك من وسوسته له بحسب ما تصل إليه قدرته.

فإن قيل: عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة، لأنه إذا منع من السلوك فى طريق فأولى أن لايلابسه بحيث يتمكن

من وسوسته له، فیمکن أن یکون حُفِظَ من الشیطان، ولا ـ یلزم من ذلک ثبوت العصمة له، لأنها فی حق النبی واجبة، وفی حق غیره ممکنة.

ووقع فی حدیث حفصة عند الطبرانی فی الأوسط بلفظ أن الشیطان لا یلقی عمر منذ أسلم إلا خرَّ لوجهه، وهذا دل علی صلابته فی الدین، واستمرار حاله علی الجد الصرف والحق المحض). ثم نقل کلام النووی، وفی آخره: (والأول أولی، بدل: والصحیح الأول)! انتهی. وهو تحریف من أجل التخفیف!

لقد رأی ابن حجر أن حدیث البخاری یجعل عمر معصوماً بدرجة فوق درجة عصمة النبی صلی الله علیه وآله! فأراد أن یخفف من وقعه فزعم أن ذلک لایستلزم العصمة، وأن فرار الشیطان منه لایمنع أنه یحاول الوسوسة له من بعید بعید وهو هارب منه!

ثم اعترف بأن فراره منه ینفی إمکانیة وسوسته أصلًا، وقد روی هو وقبله أن الشیطان یخرُّ لوجهه إذا لقی عمر! ومع ذلک تحایل فی التأویل وقال هی عصمة جائزة وعصمة النبی صلی الله علیه وآله واجبة!

ولیس ذلک إلا ـ تلاعباً بالألفاظ من أجل عمر، فالعصمة الجائزة أو المستحبة التی اخترعوها عصمةٌ أکمل وأفضل من عصمة النبی صلی الله علیه وآله لأن الشیطان یفر من صاحبها ویخر لوجهه من رؤیته، بینما لا یفر من النبی صلی الله علیه وآله ولا یخر علی وجهه!!

فهل رأیت کیف عَصَرَ علماء الخلافة القرشیة أدمغتهم من أجل عمر، فجعلوا النبوة قسمین: نبوة واجبة علی الله تعالی للنبی صلی الله علیه وآله، ونبوة ممکنة قررها الله تعالی لعمر فوصل الیه مضمونها، وکادت تصل رسمیاً: (لوکان بعدی نبی لکان عمر)!

وجعلوا العصمة قسمین: عصمة واجبة علی الله للنبی صلی الله علیه وآله، وعصمة ممکنة أو مستحبة لله لعمر، وقالوا إن الله تعالی أتقن عمله المستحب أکثر من عمله الواجب فتدخل لمصلحة عمر وخصَّه بأن الشیطان یهرب منه ویخرُّ لوجهه إذا لقیه، ولم یتدخل لمصلحة خاتم انبیائه وسید رسله صلی الله علیه وآله بل ترکه یغالب شیطان وسلطه علیه حتی فی صلاته!

قال ابن القیم فی زاد المعاد:۱/۲۶۸: (والصحیح عن النبی(ص)أنه کان یشیر فی صلاته، رواه أنس وجابر وغیرهما. وکان(ص)یصلی وعائشة معترضة بینه وبین القبلة فإذا سجد غمزها بیده فقبضت رجلیها وإذا قام بسطتهما.

وکان(ص)یصلی فجاءه الشیطان لیقطع علیه صلاته، فأخذه فخنقه حتی سال لعابه علی یده). انتهی.

وأفتی به سید سابق فی فقه السنة وهو کتاب موجه لأهل المذاهب الأربعة:۱/۲۶۵ وصححه محمد ناصر الألبانی فی تمام المنة ص۳۰۴، فقال: (وقد صح أن الشیطان أراد أن یفسد علی النبی(ص)صلاته، فمکنه الله منه وخنقه، حتی وجد برد لعابه بین إصبعیه، وقال: والله لولا دعوة أخینا سلیمان لأصبح موثقاً یلعب به أهل المدینة. والقصة فی مسلم:۲/۷۳، وعبد الرزاق:۲/۲۴/۲۳۳۸)، وأحمد:۱/۴۱۳ و۳/۸۲ و۵/۱۰۴ و۱۰۵، والطبرانی فی الکبیر:۲/۲۲۴ و۲۲۷ و۲۵۱، عن غیر واحد من الصحابة بألفاظ متقاربة. أنظر صفة الصلاة (۷۴). انتهی.

وفی هذه الأحادیث المزعومة فضیلة لسلیمان علیه السلام وأن الله تعالی جعل الشیطان طلیقاً بدعوته، فمنع نبیه صلی الله علیه وآله من القبض علیه وتحویله إلی لعبة لصبیان المدینة! ولعل هذه الکرامة لسلیمان علیه السلام لأنه نبی الیهود!

ومن محاولاتهم فی تهدئة خواطر المسلمین لتفضیل عمر علی النبی صلی الله علیه وآله، ما نقله الصالحی وارتضاه، قال فی سبل الهدی:۱۱/۲۷۵: (قال الکرمانی: إن قلت: یلزم أن یکون أفضل من أیوب ونحوه، إذ قال: مَسَّنِیَ الشَّیْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ؟ قلت: لا، إذ الترکیب لایدل إلا علی الزمن الماضی، وذلک أیضاً مخصوص بحال الإسلام فلیس علی ظاهره، وأیضاً هو مقید بحال سلوک الطریق، فجاز أن یلقاه علی غیر تلک الحالة. وقال القاضی عیاض: ویحتمل أنه ضرب مثلاً لبعد الشیطان وأعوانه من عمر، وأنه لا سبیل له علیه، أی إنک إذا سلکت فی أمر بمعروف أو نهی عن منکر تنفذ فیه ولا ـ تترکه، فلیس للشیطان أن یوسوس فیه فیترکه، ویسلک غیره، ولیس المراد بالطریق علی الحقیقة، لأنه تعالی قال:إِنَّهُ یَرَاکُمْ هُوَ وَقَبِیلُهُ مِنْ حَیْثُ لا ـ تَرَوْنَهُمْ فلا ـ یخافه إذا لقیه فی فج، لأنه لا یراه). انتهی.

یقصد الکرمانی وعیاض أن حدیث فرار الشیطان من عمر لا ـ یجعله أفضل من نبی الله أیوب علیه السلام الذی مسه الشیطان! لأن

الحديث لا يشـمل مرحلة عبادة عمر للأصنام وهى أكثر من أربعين سنة! ولايشمل عمر إذا لم يسلك طريقاً، ففرار الشيطان منه محدود فى الزمـان وفى الحالـة! ففيه فتحـة لأن يكون أيوب أفضل منه! وهو جواب هزيل كما ترى، لأن عصـمة عمر قبل الإسـلام ليست محل بحث، وحـديثهم المـدعى ليس فيه حصْرُ فرار الشـيطان منه فى حالـة سـلوكه فجـاً، بـل فيه إطلاق لكل حالات عمر، بل هو يخرَّ على وجهه بزعمهم بمجرد رؤيته!

وهذا كله لعب بالألفاظ، فلو قلنا لمن يريد حصـر فرار الشـيطان منهم بسلوك عمر فجاً: هل تقبل بأن الشيطان يمس عمر إذا لم يسلك فجاً؟ لقامت قيامته!

من ناحية أخرى فإن عياضاً أو غيره عندما يقولون إن فرار الشيطان من عمر محصور بما إذا سلك فجاً بأمر بمعروف أو نهى عن منكر، فماذا يبقون من سلوكه لم تشـمله العصـمة؟! بل ماذا يبقون للأنبياء عليهم السـلام من سـلوك يتميزون به على عمر، وجِلُّ سلوكهم أو كلُّه عبارة عن أمر بمعروف ونهى عن منكر، وفى كله لايهرب منهم الشيطان كما يهرب من عمر!

إنها محاولات تهدئـة وتغطيـة، عن عمـد، وأحياناً عن سذاجة وبلادة، حتى لايصـرخ المسـلم: ماذا فعلتم بهذا الحديث؟! لقد طعنتم فى أنبياءالله جميعاً عليهم السلام وصادرتم نبوتهم، ورفعتم درجة عمر فوق درجتهم عليهم السلام!!

المشـكلة أنهم اخترعوا حـديثاً يفضـل عمر على نبينـا صـلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء عليهم السـلام ورأوا أنهم تورطوا فيه! فأخـذوا يتكلفون لغرض تحديده وتقليصه بقدر يريدونه باللعب بالألفاظ، ليجعلوا عمر بعد الأنبياء عليهم السلام مباشرة!

وكيفَ يمكنهم ذلك وقد فسـروا قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَـلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ). (الحج:۵۲) فسروه بالأمنية فى القلب لا فى تحققها فى الخارج كما نفسره نحن؟!

قالوا إن الشـيطان يمس جميع الأنبياء عليهم السـلام ويتسـلط عليهم جزئياً حتى فى تبليغهم لرسالـة ربهم! ولا شك أن الـذى يهرب منه الشيطان ويخرُّ على وجهه إذا شاهده، أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام الذين يمسهم ويلقى فى قلوبهم الكفر والمعصية!

أمـا نحن فنقول حاشا لله أن يسـلط الشـيطان على قلوب أنبيائه وأذهانهم عليهم السـلام، وليس معنى(إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ) أنه يلقى فى قلب النبى وتفكيره، بـل يلقى فى أذهـان النـاس فى الأـمر الـذى تتحقق به أمنيـة النبى عليه السـلام! فالأمنيـة هنـا بمعنـاها الخارجى العملى وليس الذهنى!

النبى عندهم أضعف من عمر أمام شيطانه

روى القرشـيون عن النبى المصـطفى المظلوم صـلى الله عليه وآله أن شـيطانه قوىٌّ لايهرب منه إذا رآه، بل يرافقه دائماً ولا يخاف منه، بل يأتيه بصورة جبرئيل ويؤثر عليه!

وقد رأيت اختراعهم فرية الغرانيق عليه صـلى الله عليه وآله وأن الشـيطان تسلَّطَ عليه حتى كفَرَ معاذ الله، وغيَّرَ نَصَّ القرآن المنزل عليه، ومدح أصنام قريش بأنها الغرانيق العلى أى الطيور المحلِّقة فى السماء، وسجد لها!

قال العلامة مرتضى فى الصحيح من السيرة:۲/۳۰۵:(ومن الطعن فى النبوة أيضاً.... قولهم: إنه قد كان للنبى(ص) عدو من شياطين الجن يسـمى الأبيض، كان يأتيه فى صورة جبرئيل، ولعله هو الشـيطان الذى أعانه الله عليه فأسـلم كما يقولون. (السيرة الحلبية:۱/۲۵۳، راجع: إحيـاء علوم الـدين:۳/۱۷۱ وفى هـامشه عـن مسـلم، والغـدير:۱۱/۹۱ عنـه، والمـواهب اللدنيـة:۱/۲۰۲، ومشـكل الآثـار:۱/۳۰، وحيـاة الصحابة:۲/ ۷۱۲ عن مسلم وعن المشكاة ص ۲۸۰ والمحجة البيضاء:۵ /۳۰۲/۳۰۳).

وشيطانه هذا الذى أسلم، كان يجرى منه مجرى الدم. (مشكل الأثار:۱/۳۰).

وكان يدعو الله بأن يُخْسِئ شيطانه، فلما أسلم ذلك الشيطان ترك ذلك!

ورووا أنه عرض للنبى صـلى الله عليه وآله فى صـلاته قـال: فأخـذتُ بحلقه فخنقته، فـإنى لأجـد بَرْدَ لسانه على ظهر كفى! (مسند أبى

يعلى:۱/۵۰۶ و ۳۶۰ ومسند أبى عوانة:۲/۱۴۳ والسنن الكبرى:۲/۲۶۴ ومسند أحمد:۲/۲۹۸ وأخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه، وثمة مصادر كثيرة أخرى وراجع الغدير:۸/۹۵).

ويروون أيضاً أنه صلى الله عليه وآله قد صلى بهم الفجر فجعل يهوى بيديه قدامه، وهو فى الصلاة، وذلك لأن الشيطان كان يلقى عليه النار ليفتنه عن الصلاة! (المصنف:۲/۲۴، وراجع: البخارى ط. سنة ۱۳۰۹:۱/۱۳۷، و:۲/۱۴۳).

ونقول: ونحن لانشك فى أن هذا كله من وضع أعداء الدين، بهدف فسح المجال أمام التشكيك فى النبوة وفى الدين الحق....

وقد أخذه بعض المسلمين لربما بسلامة نية وحسن طوية، وبلا تدبر أو تأمل، سامحهم الله وعفا عنهم. والغريب فى الأمر أننا نجدهم فى مقابل ذلك يروون عنه صلى الله عليه وآله قوله لعمر: والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك....!). انتهى. وقد تقدم تصحيح ابن القيم والألبانى لذلك!

ومن تخبط علمائهم فى ترقيع تفضيلهم عمر على النبى صلى الله عليه وآله! ما قاله الصالحى فى سبل الهدى والرشاد:۱/۵۰۷:

(المحفوظ: إسم مفعول من الحفظ، وسمى به لأنه محفوظٌ من الشيطان. روى البخارى عن أبى هريرة أن النبى صلى صلاة فقال: إن الشيطان عرض لى فشد علىَّ ليقطع الصلاة علىَّ فأمكننى الله منه. وفيه دليل على حفظه منه.

فإن قيل: لمَ سُلِّطَ عليه الشيطان أولاً، وهلَّا كان إذا سلك طريقاً هربَ الشيطان منه كما وقع لعمر بن الخطاب، فقد روى الشيخان عن سعد بن أبى وقاص أن النبى قال لعمر: مالقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلاسلك فجاً غيره.

الجواب: أنه لما كان رسول الله(ص)معصوماً من الشيطان ومكره، ومحفوظاً من كيده وغدره، آمناً من وسواسه وشره، كان اجتماعه به وهربه منه سيان فى حقه(ص). ولما لم يبلغ عمر هذه الرتبة العليه والمنزلة السنية، كان هرب الشيطان منه أولى فى حقه، وأيقن لزيادة حفظه، وأمكن لدفع شره!

على أنه يجوز أن يحمل الشيطان الذى كان يهرب من عمر غير قرينه، أما قرينه فكان لايهرب منه، بل لايفارقه لأنه وكل به). انتهى.

وقد وصفناه بالتخبط، لأن النبى صلى الله عليه وآله عندهم غير محفوظ من الشيطان، ويكفى أن تقرأ تفسيرهم لقوله تعالى: (إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ) وإصرارهم على أن الأمنية هى قلب النبى صلى الله عليه وآله، وليست ما تحقق فى الخارج كما نفسرها نحن!

ثانياً، إنهم بهذا اللعب بالألفاظ لم يفعلوا شيئاً، فما داموا يقبلون أن الشيطان يهرب من عمر دون النبى صلى الله عليه وآله فلن يستطيعوا أن يرتقوا ما فتقوه! بل هم بذلك ينفون الحكمة والعصمة عن الله تعالى، حيث عصم عمر التابع، بأفضل وأقوى مما عصم به النبى المتبوع صلى الله عليه وآله!

ثالثاً، لعل الصالحى رأى أنه لا يستطيع أن يجعل مقام النبى صلى الله عليه وآله أعلى قليلًا من مقام عمر أو مساوياً له، فطرح احتمال أن يكون الشيطان الذى يهرب من عمر غير الشيطان العام الذى هو القرين! وهو احتمال هوائى كثيراً ما يلجأ اليه علماء الحكومة القرشية فى ورطاتهم، فإن لفظ الشيطان المستعمل فى حديثهم المزعوم، والذى يهرب من عمر، هو نفس لفظه المستعمل فى أنه تسلط على النبى صلى الله عليه وآله، فالمتبادر منهما واحد! ولاـ قرينة ولا دليل على أن الشيطان الذى يهرب منه شيطان فرعى! وأن الأصلى لايهرب منه بل يمسه!

والنتيجة: أنه لاـ طريق لهم إلاـ أن يعترفوا بكذب (حديثهم) المزعوم ويفروا ويفروا منه كفرار الشيطان المزعوم من عمر! ولكنهم لايفعلون لأنه منقبة لعمر، رواها الشيخان، ومن أوجب الواجبات على الأمة أن تعتقد بمناقب عمر العظيمة حتى لو كانت تفضله على أنبياءالله تعالى جميعاً عليهم السلام!

ولك الله يارسول الله! فقد بخلوا عليك حتى بأن يساووك بعمر!

و زعموا أن الله تعالى يتكلم بلسان عمر

ولم يكتفوا بمقولة إن الشيطان يهرب من عمر ويخر لوجهه خوفاً منه!

بل وضعوا حديث إن (الحق) ينطق على لسان عمر، أى إن الله تعالى ينطق على لسانه! وذلك فى مقابل قوله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وآله: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى!

(قال فى فتح البارى:٩/٣٩٧: ولقد كان الحق ينطق على لسان عمر)!

ولما رأو ذلك غلواً واضحاً خففوه فقالوا: إن الله جعل الحق على لسانه! ولكنه بنفس المعنى، لأن قصدهم منه ومن الذى قبله: الإستمرار والشمول!

ومن سوء توفيقهم أنهم عندما يتحدثون عن النبى صلى الله عليه وآله يميِّعون الآية الصريحة فى عصمته صلى الله عليه وآله وهى قوله تعالى:(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى) فيكابرون أمام صراحتها فى عصمة منطقه الشاملة، واستلزامها عصمة فعله الشاملة صلى الله عليه وآله، ويردونها بادعاء عشرات الأخطاء للنبى صلى الله عليه وآله فى سلوكه الشخصى والعام، وحتى فى التبليغ!

فإذا وصل الحديث إلى عمر وضعوا له مقابل آية عصمة النبى صلى الله عليه وآله حديثاً فزعموا أن الحق ينطق على لسانه! وتفاخروا به ولم يثبتوا له أخطاء ومعاصى، بل تراهم يهاجمون من يذكر له أخطاء ومعاصى، وقد يكفرونه!

واعجب إن شئت من حجتهم فى ذلك بأن عمر والصحابة أمناء النبى صلى الله عليه وآله على تبليغ الدين للأجيال، فالطعن فيهم طعن فى الدين! فيجعلون حصانة الوكيل أعظم من حصانة الأصيل صلى الله عليه وآله؟ هذا لو صحت وكالة الصحابة التى زعموها!

ويجعلون القول بخطأ المبلغ الوكيل حراماً وطعناً فى الدين، بينما القول بخطأ الأصيل صلى الله عليه وآله حلالاً وليس طعناً فى الدين؟!

و زعموا أن الملائكة تحدث عمر

كما وضعوا فى مقابل تحديث الملائكة للنبى وآله صلى الله عليه وآله الأطهار، أن الملائكة تحدث عمر! وقد تقدم ذلك فى كلام الغزالى، ورواه البخارى وغيره!

قال السيوطى فى الخصائص:٢/٢١٩: (باب إخباره بأن عمر من المحدثين. أخرج الشيخان عن عائشة قالت قال رسول الله: كان فى الأمم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فعمر. وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله: إنه لم يبعث الله نبياً إلا كان فى أمته محدثون، وإن يكن فى أمتى أحد فهو عمر قالوا: يارسول الله كيف محدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه).

وقال ابن حجر فى شرحه للبخارى:٧/٤٠: (قوله: محدَّثون، بفتح الدال جمع محدَّث، واختلف فى تأويله فقيل: ملهم، قاله الأكثر، قالوا: المحدَّث بالفتح هو الرجل الصادق الظن وهو من ألقى فى روعه شئ من قبل الملأ الأعلى، فيكون كالذى حدثه غيره به، وبهذا جزم أبو أحمد العسكرى.

وقيل: من يجرى الصواب على لسانه من غير قصد. وقيل مكلم أى تكلمه الملائكة بغير نبوة. وهذا ورد من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً ولفظه: قيل يا رسول الله وكيف يحدث قال تتكلم الملائكة على لسانه. رويناه فى فوائد الجوهرى، وحكاه القابسى وآخرون. ويؤيده ما ثبت فى الرواية المعلقة ويحتمل رده إلى المعنى الأول أى تكلمه فى نفسه وإن لم ير مكلماً فى الحقيقة فيرجع إلى الإلهام).

وقال ابن تيمية فى الرد على المنطقيين ص٥١٣: (فأما درجة السابقين الأولين كأبى بكر وعمر فتلك لايبلغها أحد! وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى(ص)أنه قال: قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى فعمر، وفى حديث آخر: إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه. وقال عليٌ: كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر. وفى الترمذى وغيره: لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر، ولو كان بعدى نبى ينتظر لكان عمر).

وقال فى منهاجه:٦/٧٥(وكلام عمر رضى الله عنه من أجمع الكلام وأكمله، فإنه ملهم محدث! كل كلمة من كلامه تجمع علماً كثيراً!)! انتهى.

فقد وصلوا فی کلام عمر إلی درجة کلام النبی صلی الله علیه وآله، وصار عمر لاینطق عن الهوی إن هو إلا حدیث الملائکة! والفرق بینهما أن النبی صلی الله علیه وآله مع ذلک قد یخطئ فیصحح له عمر، أما عمر فلایخطئ!

و الفوا مؤلفات فی الأخطاء النبویة والتصحیحات العمریة

افتروا علی النبی صلی الله علیه وآله أنه کان یخطئ وکان عمر یصحح له أخطاءه ویسدده وأنه کان یختلف مع النبی صلی الله علیه وآله فی الأمر فیوافقه الله تعالی وینزل الوحی طبق رأی عمر! وسموا ذلک موافقات عمر، وقد بحثناها فی المجلد الثانی من کتاب (ألف سؤال وإشکال:۲/مسألة ۱۴۴)، وقلنا هناک ما مضمونه: إن الوضع الطبیعی للعلاقة بین النبی صلی الله علیه وآله وعمر أن تکون علاقة مسلم تابع بنبیٍّ متبوع مُطاع، لکن الثابت أن عمر کان کثیر الإعتراض علی النبی صلی الله علیه وآله! والتفسیر الصحیح لذلک أنه خطأ من عمر، وأن الإعتراض علی رسول الله صلی الله علیه وآله معصیة أو رد علیه وکلاهما أمرٌ کبیر لأنه صلی الله علیه وآله کما قال الله تعالی:وَمَا یَنْطِقُ عَنِ الْهَوَی.إِنْ هُوَ إلا وَحْیٌ یُوحَی... وَمَاآتَاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهَاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعِقَابِ.

لکن عمر ومجبیه خرجوا عن المألوف، وفسروا اعتراضات عمر بأنه کان دائماً مصیباً، بینما کان النبی صلی الله علیه وآله یقع فی الخطأ! وأن الوحی کان ینزل مؤیداً لرأی عمر منتقداً لرأی النبی صلی الله علیه وآله، بل کان أحیاناً یوبِّخ النبی صلی الله علیه وآله، معاذ الله!! فکأن النبی صلی الله علیه وآله عندهم رجلٌ ساذج، یقع فی أخطاء فیصححها له عمر!

وکأن المطلوب أن یثبتوا لعمر فضائل، ولو بالطعن فی شخصیة النبی صلی الله علیه وآله!

وقد ألفوا فی هذا الطعن المغطی به صلی الله علیه وآله کتباً ونظموا أراجیز وسموه (موافقات عمر) ومعناها: موافقات الله تعالی لرأی عمر، ولو بتخطئة رأی النبی صلی الله علیه وآله!!

ففی الأعلام:۲/۶۳: (أبو بکر بن زید بن أبی بکر الحسنی الجراعی الدمشقی... (۸۲۵-۸۸۳) له.... نفائس الدرر فی موافقات عمر).

وفی:۳/۳۰۱: (الجلال السیوطی(۸۴۹—۹۱۱)، وعدَّ من مؤلفاته: قطف الثمر فی موافقات عمر). وکذا فی کشف الظنون:۲/۱۳۵۳.

وفی:۵/۳۰۲: (...ـ۹۳۷هـ) محمد بن إبراهیم بن محمد بن مقبل البلبیسی... صنَّف: شرح نظم الدرر فی موافقات عمر للبدر الغزی).

وفی:۷/۴۴: (محمد بن جمال الدین عبد الله بن أبی حفص سراج الدین عمر، من علماء حلب، ولی قضاءها مرات، واستقضیَ بدمشق والقاهرة. له کتب منها... الموافقات العمریة للقرآن الشریف).

وفی معجم المؤلفین:۲/۲۲: (أحمد بن النقیب(۷۷۱-۸۱۶ ه) أحمد بن علی بن محمد المقدسی... له الموافقات التی وقعت فی القرآن لعمر بن الخطاب).

وفی إیضاح المکنون:۱/۴۴۷:(الدر المستطاب فی موافقات عمر بن الخطاب، لحامد بن علی بن إبراهیم بن عبد الرحیم العمادی، المفتی الدمشقی الحنفی المتوفی سنة ۱۱۷۱).

وفی:۲/۶۵۸: (نظم الدرر فی موافقات عمر، أعنی عمر بن الخطاب رضی الله عنه لبدر الدین محمد بن محمد الغزی).

وفی هدیة العارفین:۱/۴۹۷: (ابن البدر الخطیب عبد الباقی بن عبدا لباقی بن عبد القادر بن عبدا لباقی بن إبراهیم بن عمر البعلی الدمشقی.... ولد سنة ۱۰۰۵ وتوفی فی ذی الحجة من سنة۱۰۷۱. من تصانیفه شرح الجامع الصحیح للبخاری لم یکمل. اقتطاف الثمر فی موافقات عمر).

وفی:۲/۲۳۳: (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان الغزی...توفی سنة۹۳۵.... من تصانیفه... شرح نظم الدرر فی موافقات عمر... نظم الدرر فی موافقات عمر). انتهی.

قال ابن حجر فی فتح الباری:۱/۲۰۰: (وروی البزار باسناد حسن، من حدیث أبی سعید الخدری فی هذه القصة أن النبی(ص)أذن

لمعاذ فى التبشير، فلقيه عمر فقال: لاتعجل، ثم دخل فقال: يا نبى الله أنت أفضل رأياً، إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها! قال: فَرُدَّهُ! وهذا معدودٌ من موافقات عمر، وفيه جواز الإجتهاد بحضرته (ص)!!

وقال فى فتح البارى:٧/٤٢: (عن عمرو بن دينار قال: كان ابن عباس يقرأ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِيٍّ،ولا محدث. والسبب فى تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له فى زمن النبى(ص)من الموافقات التى نزل القرآن مطابقاً لها)!!

وفى تحفة الأحوذى:١٠/١٢٥:(فإن يك فى أمتى أحد)أى من المحدثين (فعمر بن الخطاب) وفى بعض النسخ: يكون عمر بن الخطاب، والسبب فى تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له فى زمن النبى(ص)من الموافقات التى نزل القرآن مطابقاً لها، ووقع له بعد النبى(ص)عدة إصابات). انتهى.

وقال الصالحى فى سبل الهدى والرشاد:٣/١٩٧:(عن عبادة بن الصامت قال: (بايعنا رسول الله(ص)بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض علينا الحرب، على ألانشرك بالله شيئاً، ولانسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف...

وقوله: على بيعة النساء، يعنى على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة، وليس هذا بعجيب، فإن القرآن نزل بموافقات عمر بن الخطاب). انتهى.

وفى تاريخ المدينة لابن شبة:٣/٨٥٩: (موافقاته رضى الله عنه... قال ابن عمر: ما أنزل الله أمراً قط فقالوا فيه وقال فيه عمر، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر)! (ورواه أحمد:٢/٩٥، والترمذى:٥/٢٨٠، وروى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وآله قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)!

ثم ذكر ابن شبَّه عدداً من موافقات الله تعالى لعمر، بعضها واضح الكذب، وبعضها محرَّف، وفى بعضها تخطئة صريحة للنبى صلى الله عليه وآله!

الى آخر إفراطهم وغلوهم فى عمر، الذى هو طعن فى النبى صلى الله عليه وآله لامحالة! فى مأساة حقيقية للإسلام، صنعتها قريش من أجل عمر، وربت عليها الأجيال!

و اخترع الذهبى قاعدة خاصة لعصمة عمر و أبى بكر

شمس الدين الذهبى(محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشركسى) من كبار أئمتهم، معروف بكثرة مؤلفاته، وبتشدده فى النقد الرجالى والحديثى، لكنه لم يملك نفسه فى حب عمر وأبى بكر، فأفتى صراحةً بأن العصمة لا تختص بالأنبياء عليهم السلام بل تشمل معهم نوعين من الناس هما: أبو بكر الصديق لتصديقه بالنبى صلى الله عليه وآله وعمر الفاروق، لأنه حاكم عادل!

شمس الدين الذهبى(محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشركسى) من كبار أئمتهم، معروف بكثرة مؤلفاته، وبتشدده فى النقد الرجالى والحديثى، لكنه لم يملك نفسه فى حب عمر وأبى بكر، فأفتى صراحةً بأن العصمة لا تختص بالأنبياء عليهم السلام بل تشمل معهم نوعين من الناس هما: أبو بكر الصديق لتصديقه بالنبى صلى الله عليه وآله وعمر الفاروق، لأنه حاكم عادل!

قال فى كتابه (الموقظة فى علم مصطلح الحديث) ص٨٤، بعد أن قسم طبقات أئمة الجرح والتعديل إلى: الحاد، والمعتدل، والمتساهل، قال ما نصه: (والعصمة للأنبياء عليهم السلام، والصديقين، وحكام القسط)!! انتهى.

وبذلك أضاف الذهبى من جيبه إلى الأنبياء عليهم السلام نوعين: الأول، الصديقين ليثبت العصمة لأبى بكر. والثانى، حكام القسط ليثبتها لعمر لأنه حاكم عادل!

وإنما قلنا إنه وضع القاعدة من أجلهما خاصة، لأنهم لايقولون بعصمة كل صدِّيق، ولا كل حاكم عادل، وإلا لزم أن يقولوا بعصمة كسرى الذى رووا أن النبى صلى الله عليه وآله قال فيه (ولدت فى زمن الملك العادل)! والذهبى نفسه أعطى وصف الملك العادل

لمجموعة سلاطین تراکمة وشراکسة مع أنه لایثبت لهم العصمة، وفیهم رافضی قوی الرفض علی حد قوله، هو رزیک بن طلائع بن رزیک سلطان مصر! قال فی أعلام النبلاء:١٥/٢٠٨:(وولی مکانه(طلائع) ولده الملک العادل رزیک وکان ملیح النظم، قوی الرفض، جواداً شجاعاً، یناظر علی الإمامة والقدر)!

کما وصف: تُقَاق بن سلجوق الترکمانی بأنه الملک العادل (أعلام النبلاء:١٨/٢٤٣) وکذلک وصف ألب أرسلأن (:١٨/٤١٤)، ونور الدین حاکم الموصل(:٢٠/١٩٠)، وعلی بن السلار الکردی(:٢٠/٢٨١)، وأبا بکر بن أیوب الأیوبی(:٢٣/١٨٤)، وطومبای الأول (تذکرة الحفاظ ص٧)، وغیرهم ممن لایراهم معصومین! فهو إذن یقصد بحکام القسط والعدل عمر وحده!

و غیروا إسم العصمة لإثباتها لعمر و أبی بکر

اخترعوا للعصمة اسم(الحفظ من الذنوب)لیخففوا علی المسلمین تنقیصهم لمقام نبیهم صلی الله علیه وآله ویستعملوها لأبی بکر وعمر، کما رأیت أنهم اخترعوا تقسیمها إلی عصمة واجبة للأنبیاء علیهم السلام وجائزة مستحبة لأبی بکر وعمر!

قال ابن نجیم المصری فی البحر الرائق:١/٨٠: (ثبت عن رسول الله(ص) مرسلًا ومسنداً: بینما رسول الله(ص)یصلی بالناس إذ دخل رجل فتردی فی حفرة وکان فی بصره ضرر، فضحک کثیر من القوم وهو فی الصلاة، فأمر رسول الله(ص)من ضحک أن یعید الوضوء والصلاة. وتمامه فی فتح القدیر. وما قیل بأنه لایظن الضحک بالصحابة خلفه قهقهة، أجیب عنه بأنه کان یصلی خلفه الصحابیون والمنافقون والأعراب الجهال، فالضاحک لعله کان بعض الأحداث أو المنافقین، أو بعض الأعراب لغلبة الجهل علیهم، کما بال أعرابی فی مسجد النبی(ص). وهو نظیر قوله تعالی: (وترکوک قائماً) فإنه لم یترکه کبار الصحابة باللهو. قال فی العنایة: وهذا من باب حسن الظن بهم رضی الله عنهم، وإلا فلیس الضحک کبیرة، وهم لیسوا من الصغائر بمعصومین ولا عن الکبائر، علی تقدیر کونه کبیرة. ا هـ والمنقول فی الأصول أن الصحابة عدول فهم محفوظون من المعاصی)!! انتهی.

وقال ابن حجر فی فتح الباری:١/٢٤٤: (قال ابن بن المنذر...وتمسکوا بحدیث لایصح، وحاشا أصحاب رسول الله (ص)الذین هم خیر القرون أن یضحکوا بین یدی الله تعالی خلف رسول الله (ص)). انتهی.

فاعجب لهم کیف تجاهلوا قوله تعالی: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَیْهَا وَتَرَکُوکَ قائماً قُلْ مَاعِنْدَاللهِ خَیْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَیْرُ الرَّازِقِینَ، وتجاهلوا الأحادیث المستفیضة التی تقول إن الصحابة قطعوا صلاتهم وترکوا الصلاة وأبا الصلاة، ولم یبق مع النبی صلی الله علیه وآله فی المسجد إلا بضع عشرة، أوبضعة نفر!

ومع ذلک تراهم یقولون: حاشا أصحاب رسول الله (ص)خیر القرون أن یضحکوا بین یدی الله تعالی، فهم محفوظون من المعاصی!!

و من لعبهم بالألفاظ و ادعائهم الأدب مع النبی

قولهم فی تحفة الأحوذی فی شرح الترمذی:٢/٤٨١، فی شرح دعاء النبی صلی الله علیه وآله بالسلامة من کل إثم: (قال العراقی: فیه جواز سؤال العصمة من کل الذنوب، وقد أنکر بعضهم جواز ذلک، إذ العصمة إنما هی للأنبیاءوالملائکة علیهم السلام.

قال والجواب: أنها فی حق الأنبیاءوالملائکة واجبة، وفی حق غیرهم جائزة، وسؤال الجائز جائز، إلا أن الأدب سؤال الحفظ فی حقنا لا العصمة، وقد یکون هذا هو المراد هنا). انتهی.

یقصد بذلک أنه ینبغی للمسلم لزوم الأدب مع رسول الله صلی الله علیه وآله وحفظ مقام العصمة الخاص به صلی الله علیه وآله، فلا یدعو لنفسه بالعصمة من الذنوب بل بالحفظ منها.

وظاهره حسن أدب مع النبی صلی الله علیه وآله، لکنهم یتنازلون عنه إذا جاء الحدیث عن عمر ویطلقون لهواهم العنان فی عصمته فیجعلونه معصوماً بدرجة أعلی من عصمة النبی صلی الله علیه وآله! فإذا ناقشتهم قالوا لا بأس بذلک فنحن نراعی الأدب مع النبی

صلى الله عليه وآله ونحفظ حرمته ومقامه، ونقول إن عمر محفوظ من الذنوب والمعاصى، وإن الشيطان كلما رآه صرخ وهرب!!

و منهم أخذ الصوفيون عصمة الأقطاب و حفظ الأولياء

قال الشعرانى فى العهود المحمدية ص۸: (ولـذلك لم يقع الإحتلام إلا من المريـدين والعوام دون الأكابر! فإن الأكابر إما معصومون كالأنبياء، أو محفوظون كالأولياء! ثم إن وقع أن أحـداً من أكابر الأولياء احتلام، فإنما يكون ذلك فى حليلته من زوجـة أو جاريـة لا فيما لايحل لـه، وسببه غفلته عن تـدبير جسـده، لمـا هـو عليه من الإشـتغال بـالله عز وجـل، أو أمر المسـلمين، كمـا بلغنـا أن عمر بن الخطاب(رض)احتلم فى جاريته، وقال: قد ابتلينا بهذا الأمر منذ اشتغلنا بأمر المسلمين)! انتهى.

يقصد الشعرانى بذلك أن الأكابر مثل عمر وأبى بكر والأقطاب، يصح أن نستعمل فيهم لفظ العصمة، لأنهم معصومون كالأنبياء عليهم السلام، أما الأولياء فنقول عنهم إنهم محفوظون من الذنوب، ولا نقول إنهم معصومون.

ويقول الشعرانى إن أكابر الأولياء لايرون أحلاماً جنسيـة لأنهم مستغرقون فى الله تعالى، أو فى التفكير أمر المسـلمين وقضاياهم! وإذا حدث ذلك فإنهم يحتلمون بزوجاتهم، كما حدث لعمر فقد كان كل عمره مستغرقاً فى الله تعالى لايحتلم، ثم استغرق بأمور المسلمين السياسية، فحدث أن احتلم ذات مرة، لكن بجاريته وليس بامرأة أجنبية!

وقـال المقريزى فى فضل آل البيت ص۹۲: (وما تجد فى القرآن عباداً مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة، وجاء اللفظ فى غيرهم بالعباد، فما ظنك بالمعصومين المحفوظين منهم، القائمين بحقوق سيدهم، الواقفين عند مراسمه وحدوده، فشرفهم أعلى، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام).انتهى.

وقـال البيومى فى كتـابه السيدة فاطمـة الزهراء ص۸۲: (وقـد ذهـب البعض إلى أن آل البيت(يقصـد كل ذريـة على وفاطمـة عليهما السلام)محفوظون من الكبائر بعناية الله، فقد فطرهم على حبه وحب طاعته، والناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام.

وذهب قوم إلى أن القطب فى كل عصر، لابد وأن يكون من أهل البيت النبوى الشريف، وإن رأى أبو العباس كما نقل عنه تلميذه ابن عطـاء، أن القطب قـد يكون من غيرهم، ولكن قطب الأقطـاب لاـ يكون إلاـ منهم، لأـنهم أزكى النـاس أصـلاً وأوفرهم فضـلًا، غير أن القطب من شأنه غالبـاً الخفاء وعـدم الظهور، فإذ لم يوجـد فى الظاهر من أهل البيت من يصـلح للإتصاف بالقطبيـة، حمل على أنه قام بذلك رجل منهم فى الباطن، وأما القائم بتجديد الدين فلا بد أن يكون ظاهراً حتى يسير علمه فى الأفاق، وينتشر فى الأقطار). انتهى.

رأى التفتازانى: فى عصمة أبى بكر و عمر و عدالة باقى الصحابة

سعد الدين التفتازانى من كبار العلماء المنظِّرين لمذهب الحكومات القرشية،

جاء فى معجم المطبوعات العربية:۱/۶۳۵: (التفتازانى، سعد الدين(۷۲۲-۷۹۳هجرية) مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازانى الهروى الشافعى الخراسانى التفتازانى، نسبة إلى تفتازان بلـدة بخراسان ولد فيها، كان من محاسن الزمان، لم تر العيون مثله فى الأعلام والأعيان. وهو الأستاذ على الإطلاق، والمشار إليه بالإتفاق. اشتهرت تصانيفه فى الأرض وأتت بالطول والعرض). انتهى.

وكتابه شـرح المقاصـد من أهم كتبهم الكلامية المعتمدة، وقد سـجل فيه رأيه فى الصـحابة فقال فى:۵/۳۱۰: (ما وقع بين الصـحابة من المحاربات والمشاجرات على الوجه المسطور فى كتب التواريـخ، والمذكور على ألسـنة الثقات، يدل بظاهره على أن بعضـهم قد حاد عن طريق الحق، وبلغ حـد الظلم والفسق، وكـان البـاعث عليه الحقـد والعنـاد، والحسـد واللـداد، وطلب الملك والرياسات والميل إلى اللـذات والشـهوات، إذ ليس كـل صـحابى معصومـاً، ولا كل من لقى النبى (ص) بالخير موسوماً. إلاأن العلماء لحسن ظنهم بأصـحاب رسول الله(ص)ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق، صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة فى حق كبار الصحابة، سيما المهاجرين منهم والأنصار، المبشرين بالثواب فى دار القرار.

وأما ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبى(ص)، فمن الظهور بحيث لامجال للإخفاء، ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء، ويكاد تشهد به الجماد والعجماء، ويبكى له من فى الأرض والسماء، وتنهدُّ منه الجبال، وتنشق منه الصخور، ويبقى سوء عمله على كر الشهور ومر الدهور، فلعنة الله على من باشر، أو رضى، أوسعى، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

فإن قيل: فمن علماء المذهب من لايجوِّز اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد.

قلنا: تحامياً على أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض، على ما يروى فى أدعيتهم، ويجرى فى أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إلجام العوام بالكلية، طريقاً إلى الإقتصاد فى الإعتقاد، بحيث لاتزلُّ الأقدام عن السواء، ولا تضل الأفهام بالأهواء!! وإلا فمَن خفىَ عليه الجواز والإستحقاق، وكيف لايقع عليهما الإتفاق؟! وهذا هو السر فيما نقل عن السلف من المبالغة فى مجانبة أهل الضلال، وسد طريق لايؤمن أن يجر إلى الغواية فى المآل، مع علمهم بحقيقة الحال وجلية المقال)!! انتهى.

وفى هامش الإصابة:١/٢٥:(وقال السعد التفتازانى: يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم، وحمل ما يوجب بظاهره الطعن فيهم على محامل وتأويلات، سيما المهاجرين والأنصار، وأهل بيعة الرضوان، ومن شهد بدراً وأحداً والحديبية، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع، وشهد بذلك الآيات الصراح، والأخبار الصحاح. وللروافض سيما الغلاة منهم مبالغات فى بغض البعض من الصحابة رضى الله عنهم والطعن فيهم، بناء على حكايات وافتراءات لم تكن فى القرن الثانى والثالث! فإياك والإصغاء إليها فإنها تضل الأحداث، وتحير الأوساط وإن كانت لاتؤثر فيمن له استقامة على الصراط المستقيم، وكفاك شاهداً على ما ذكرنا أنها لم تكن فى القرون السالفة ولا فيما بين العترة الطاهرة، بل ثناؤهم على عظماء الصحابة وعلماء السنة والجماعة، والمهديين من خلفاء الدين، مشهور فى خطبهم ورسائلهم وأشعارهم). انتهى.

نقد منطق التفتازانى فى العصمة فى مسائل

المسألة ١٠

اعترف التفتازانى بأن بعض الصحابة قد انحرف بعد النبى صلى الله عليه وآله عالماً عامداً وكان دافعه إلى ذلك على حد تعبيره: (الحقد والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملك والرياسات، والميل إلى اللذات والشهوات)! وأن صحبة النبى صلى الله عليه وآله لاتوجب العصمة ولا العدالة، فقد صدرت منهم المعاصى والظلم والفسق!

وما داموا لايعرفون من هم المنحرفون من الصحابة، ولا مقياس عندهم مثلنا حيث نقول بأن العترة هم المقياس لجميع الصحابة، فوجب عليهم أن يجروا فيهم حكم الشبهة المحصورة، ويحرِّموا على المسلمين أن يتلقَّوْا منهم دينهم بعد النبى صلى الله عليه وآله! فقد أفتى فقهاؤهم وفقهاؤنا بأنه إذا اشتبه إناء نجس بآنية طاهرة ولم يتميز، وجب اجتناب الجميع ولا يصح الوضوء بأى منها!

قال العلامة الحلى فى نهاية الأحكام:١/٢٥٣: (فلو اشتبه إناء طاهر بماء الغالب فى مثله النجاسة كان كما لو اشتبه بمتيقن النجاسة، فيحتاج إلى الإجتهاد).انتهى.

فإن قلت: أفتى بعضهم فى هذه الحالة بجواز العمل بما غلب الظن على أنه طاهر فيصح الوضوء به، قال النووى فى المجموع:١/١٨٠:(إذا اشتبه ماءان طاهر ونجس، ففيه ثلاثة أوجه: الصحيح المنصوص الذى قطع به الجمهور وتظاهرت عليه نصوص الشافعى أنه لاتجوز الطهارة بواحد منهما إلا إذا اجتهد وغلب على ظنه طهارته بعلامة تظهر، فإن ظنه بغير علامة تظهر لم تجز الطهارة به... وسواء عندنا كان عدد الطاهر أكثر أو أقل حتى لو اشتبه إناء طاهر بمائة إناء نجسة تحرى فيها، وكذلك الأطعمة والثياب، هذا مذهبنا، ومثله قال بعض أصحاب مالك. كذا قال بمثله أبو حنيفة فى القبلة والطعمة والثياب، وأما الماء فقال لايتحرى إلا بشرط أن يكون عدد الطاهر أكثر من عدد النجس. وقال أحمد وأبو ثور والمزنى: لايجوز التحرى فى المياه بل يتيمم، وهذا هو الصحيح عند

أصحاب مالك). (راجع أيضاً إعانة الطالبين:۱/۴۵).

فالجواب: أولًا، أن الأصل فى الظن عدم الحجية كما قال الله تعالى: وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظناً إِنَّ الظَّنَّ لايُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شيئاً.(يونس:۳۶) فلا حجية للظن إلا بدليل شرعى من كتاب أوسنة، ولو سلمنا أن الله تعالى أجاز الإعتماد على غلبة الظن فى الأوانى والأطعمة المشتبهة كعدد الركعات تسهيلًا على العباد، فلا يدل ذلك على جواز الإعتماد على الظن فى تلقى الدين بعد النبى صلى الله عليه وآله من صحابته، ونحن نعلم كما اعترف التفتازانى بأن فيهم أهل دنيا كذابين!

إن مجرد وجود هؤلاء فيهم مع عدم إمكانية تمييزهم، يرفع الإطمئنان بأن ما رواه هذا الصحابى من الدين فيجب التوقف!

ثم لو سلمنا أن وثاقة الصحابى وعدالته تابعة لغلبة ظن المسلم، فمعناه فتح باب الإجتهاد فيهم، وهذا ما يقفون ضده بشدة.

وثانياً، إن دليلهم على حجية الظن فى الإناء المشتبه هو عمل الصحابة واتفاقهم عليه، فلو أردنا أن نثبت به حجية قول الصحابة، لزم الدور!

قال الغزالى فى المستصفى ص۲۵۳: (لو اشتبه إناء نجس بعشر أوان طاهرة فلا ترجيح للأكثر، بل لا بد من الإجتهاد والدليل، ولا يجوز أن يأخذ واحداً ويقدر حله أو طهارته، لأن جنسه أكثر.

لكنا نقول: الظن عبارة عن أغلب الإحتمالين، ولكن لايجوز اتباعه إلا بدليل، فخبر الواحد لايورث إلا غلبة الظن من حيث أنَّ صدق العدل أكثر وأغلب من كذبه، وصيغة العموم تتبع، لأن إرادة ما يدل عليه الظاهر أغلب وأكثر من وقوع غيره. والفرق بين الفرع والأصل ممكن غير مقطوع ببطلانه فى الأقيسة الظنية، لكن الجمع أغلب على الظن، واتباع الظن فى هذه الأصول لا ـ لكونه ظناً، لكن لعمل الصحابة به واتفاقاتهم عليه). انتهى.

فقد تشدد الغزالى حتى فى الظن الحاصل من خبر الواحد الثقة، وحكم بأنه ليس حجة فى ذاته، بل لعمل الصحابة به واتفاقهم عليه! فهو يرجع بالحقيقة إلى حجية إجماع الصحابة، وستعرف ما فيه.

وثالثاً، إن إجماع الصحابة بدون القول بعصمة بعضهم لايفيد العلم.

ولو سلمنا حجيته نظرياً، فكيف نطبقه عملياً ونحن لا ـ نكاد نجد مسألة عقيدية أو فقهية أو سياسية، إلا وقد روى فيها عنهم الرأى وخلافه!

فبيعة أبى بكر التى يضربونها مثلًا لإجماعهم، يعترفون بأن الإجماع فيها انتقض بمخالفة سعد بن عبادة وفاطمة الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام وعديدين من المهاجرين والأنصار!

المسألة ۰۲

لا ـ يغرُّك أن التفتازانى بدأ كلامه بالإعتراف بأن ما وقع بين الصحابة كان صراعاً على السلطة، حسداً وطمعاً فى الدنيا والرئاسة والشهوات، فقد عاد وبرَّرَ كل ذلك بقوله إنه: (يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق) فظاهر قولهم وفعلهم عنده الظلم والفسق، أما باطنه فهو الحق والعدالة من بعضهم، والعدل والعصمة من كبارهم! وبذلك تعرف كيف أتقن هذا الإيرانى أسلوب المحامين المعاصرين فى صياغة كلامه، للدفاع عن نظرية الصحابة القرشية!

وتعرف أن أتباع الحكومات القرشية يقعون فى التناقض الذى يعيبونه على الإسماعيلية الباطنية، فقد قلنا لبعض أتباع الإسماعيلية إن إمامهم يشرب الخمر علناً، فأجاب إن عمله فى الظاهر شربُ خمر، أما فى الباطن فإنه بمجرد أن يلمس زجاجة الويسكى بيده الشريفة تتحول إلى شراب طهور من الجنة!

فما الفرق بين مقولتهم ومقولة التفتازانى فى ظاهر عمل الصحابة وباطنه؟!

وقد بلغت براعة التفتازانى ذروتها فى قراءته التعزية على ظلم أهل البيت النبوى صلوات الله عليهم، لكنه بَرَّأ الصحابة من ذلك بمن

فيهم معاويـة، وهاجم يزيـد بن معاوية وأدانه بجريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام، ثم تراجع وأثبت له حق الحصانة، حتى لاتصعد الإدانة إلى من فوقه من الصحابة!

فهل رأيت محامياً محترفاً أبرع منه فى الدفاع عن جرائم أئمته؟!

المسألة ۰۳

يظهر أن التفتازانى يقول بعصمة أبى بكر وعمر من بين الصحابة! فقد قال: (إذ ليس كل صحابى معصوماً، ولا ـ كل من لقى النبى(ص)بالخير موسوماً. إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله (ص)ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق، صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة فى حق كبار الصحابة)!

فقوله: (إذ ليس كل صحابى معصوماً) يشعر بأن بعضهم قد يكون معصوماً! وكلامه بعده يدل على أنه ارتضى قول (العلماء) أى علماء مذاهب السلطة القرشية فى تبرير جميع أقوالهما وأفعالهما وإنهما محفوظان من الضلال والمعصية! وهذه هى العصمة بعينها! فهويقول بها لمن سماهم (كبار الصحابة) ويقصد بهم أبا بكر وعمر فقط، وربما قصد معهما عثمان وعلياً عليه السلام

المسألة ۰۴

إن دليل(العلماء) الذى ارتضاه التفتازانى على مقام العصمة لأبى بكر وعمر، ومقام العدالة لبقية الصحابة، مع الإعتراف بجرائم بعضهم، أجمله فى قوله: (إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله(ص)ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق، صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة فى حق كبار الصحابة، سيما المهاجرين منهم والأنصار المبشرين بالثواب فى دار القرار).

وترجمته بالعربية:أن عقيدة المسلمين فيهم يجب أن تحفظ، لأنهم مبشرون بالجنة!

وهو مصادرة واضحة، لأن البحث فيما يجب أن تكون عقيدة المسلمين فيهم، هل هى العدالة أو العصمة، أو أن الأصل عدم أى منهما حتى تثبت قطعياً؟

وكان ينبغى للتفتازانى المنطقى أن يقول: يجب التوقف فى الصحابة، لأن الله مدح بعضهم وبشرهم بالجنة، وذم بعضهم وأخبر أنهم سينقلبون بعد النبى صلى الله عليه وآله فقال:(وَمَا مُحَمَّدٌ إلارَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شيئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ).(آل عمران:۱۴۴). ولأن النبى صلى الله عليه وآله مدح بعضهم ووعدهم الجنة، وذم أكثرهم وأخبر أنهم فى النار كما فى صحيح البخارى:۷/۲۰۹، عن أبى هريرة عن النبى(ص)قال: بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلمَّ! فقلت أين! قال إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلمَّ! قلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت: ما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)!!

وهمل النعم كما فى مقدمة فتح البارى: ص۱۹۷: الإبل بغير راع وكذا غيرها، أى الصحابة الخارجون على السلطة، وهم الشاكرون فى الآية.

كان ينبغى للتفتازانى أن يقول مادامت النتيجة المنطقية تتبع أخس المقدمات، فليس بوسعنا إلا التوقف فى أمر الصحابى حتى تثبت عدالته أو عصمته!

لكنه كرر دليله الواهى بقوله: (يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم، وحمل مايوجب بظاهره الطعن فيهم على محامل وتأويلات، سيما المهاجرين والأنصار وأهل بيعة الرضوان، ومن شهد بدراً وأحداً والحديبية، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع،

وشهد بذلك الآيات الصراح، والأخبار الصحاح).

وكلامه هذا دعوة إلى تعطيل العقل والشرع، وإلغاء ما قرره عامة عقلاء المجتمعات البشرية، وعلماء البيان والفقه والأصول، من حجية ظواهر الكتاب والسنة، وظواهر أقوال الناس وأفعالهم! فإن فتواه بوجوب(حمل ما يوجب بظاهره الطعن فيهم على محامل وتأويلات) دعوةٌ صريحة إلى القول بعصمة الصحابة، وإلغاء الظاهر، واتباع المذهب الباطنى بأسوأ أنواع الباطنية!

أما قوله إن الآيات الصريحة تدل على علو شأنهم فهو كلام تعمد إبهامه، فإنْ قصد أنها تدل على عصمتهم جميعاً، ووجوب تأويل ظاهر معاصيهم وانحرافهم فهو ممنوع. وإن قصد أنها تدل على أن بعضهم من أهل الجنة، فهو صحيح، لكن لمَّا لم يدل دليلٌ عندهم على تمييزهم، كان حكمهم حكم الشبهة المحصورة وهو وجوب اجتناب كل أطرافها حتى يتميز الطاهر فيها من النجس، والحلال من الحرام، والمتهم من البرئ، وأهل الجنة من أهل النار!

وأما دعواه إجماع المسلمين على علو شأنهم، ونسبته إلى أهل البيت عليهم السلام مديحهم، فهو ممنوع، بل الثابت بشهادة علمائهم نقض هذا الإجماع، وطعن أهل البيت عليهم السلام وغيرهم فى أهل السقيفة، ومن ذلك اعتراف عمر بأن علياً والعباس شهدا عليه وعلى أبى بكر بأنهم غادران خائنان آثمان! (صحيح مسلم:٥/١٥٢)

ولو لم يكن إلا خطبة على عليه السلام الشقشقية لكفت، ولا يتسع المجال للإفاضة!

فظهر أن التفتازانى يقول بعصمة الصحابة بعضاً أو كلًا، ويقول بعدالتهم كلًا، لكنه لم يقدم دليلًا واحداً على ذلك، إلا التقليد للسلطة وعلمائها!

ابوبكر و عمر معصومان عند الغزالى، لكن لا يجب تقليدهما

عندما يبحث علماؤهم حجية قول الصحابى، يصرِّحون بعدم عصمة الصحابة، لكنهم عملياً يعصمون الشيخين! قال الغزالى فى المستصفى:ص ١٧٠:

(إن قال قائل: إن لم يجب تقليدهم، فهل يجوز تقليدهم؟

قلنا: أما العامى فيقلدهم، وأما العالم فإنه إن جاز له تقليد العالم جاز له تقليدهم وإن حرمنا تقليد العالم للعالم فقد اختلف قول الشافعى رحمه الله فى تقليد الصحابة، فقال فى القديم: يجوز تقليد الصحابى إذا قال قولاً وانتشر قوله ولم يخالف. وقال فى موضع آخر: يقلد وإن لم ينتشر، ورجع فى الجديد إلى أنه لايقلد العالم صحابياً، كما لايقلد عالماً آخر.

ونقل المزنى عنه ذلك وأن العمل على الأدلة التى بها يجوز للصحابة الفتوى، وهو الصحيح المختار عندنا إذ كل مادل على تحريم تقليد العالم للعالم كما سيأتى فى كتاب الإجتهاد لايفرق فيه بين الصحابى وغيره.

فإن قيل: كيف لايفرق بينهم مع ثناء الله تعالى وثناء رسول الله(ص)قال تعالى: أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأمرمِنْكُمْ...وقال تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ...وقال رسول الله(ص):خير الناس قرنى. وقال(ص):أصحابى كالنجوم إلى غير ذلك؟

قلنا: هذا كله ثناء يوجب حسن الإعتقاد فى علمهم ودينهم ومحلهم عند الله تعالى، ولايوجب تقليدهم لاجوازاً ولاوجوباً، فإنه (ص)أثنى أيضاً على آحاد الصحابة، ولايتميزون عن بقية الصحابة بجواز التقليد أو وجوبه، كقوله (ص): لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين لرجح. وقال (ص): إن الله قد ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه، يقول الحق وإن كان مراً. وقال لعمر: والله ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك. وقال (ص) فى قصة أسارى بدر حيث نزلت الآية على وفق رأى عمر: لو نزل بلاء من السماء ما نجا منه إلا عمر. وقال صلوات الله عليه: إن منكم لمحدثين وإن عمر لمنهم. وكان على(رض)وغيره من الصحابة يقولون: ما كنا نظن إلا أن ملكاً بين عينيه يسدده وأن ملكاً ينطق على لسانه! وقال (ص) فى حق على: اللهم أدر الحق مع على حيث دار، وقال(ص): أقضاكم على، وأفرضكم زيد، وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل). انتهى.

وقد ناقض الغزالی نفسه، فقد شهد بعصمهٔ أبی بکر وعمر وعلی، ثم قال: (ولايتميزون عن بقيهٔ الصحابهٔ بجواز التقليد أو وجوبه)! وقال: (إذ کل ما دل علی تحريم تقليد العالم للعالم...لايفرق فيه بين الصحابی وغيره). انتهی.

فإن الدرجهٔ التی أثبتها لهم هی درجهٔ العصمهٔ، وهی توجب علی الأمهٔ اتباعهم، وهی فوق درجهٔ التقليد ورجوع الجاهل إلی العالم، أو إلی أهل الخبرهٔ.

بل ما دام الغزالی يعتقد بأن النبی صلی الله عليه وآله شهد بأن إيمان أبی بکر يَرْجُح علی إيمان العالمين بمن فيهم الأنبياءأو باستثناء الأنبياء عليهم السلام، فالواجب علی العالمين أن يقتدوا به فی قوله وفعله، وإلا لم يؤمن عليهم الضلال!

ومادام عمر کالنبی صلی الله عليه وآله لاينطق عن الهوی، بل ينطق علی لسانه ملک معصوم، وتحدثه الملائکهٔ، ويهرب منه الشيطان الذی لايهرب من الأنبياء عليهم السلام! فالواجب علی المسلمين أن يقتدوا به فی قوله وفعله، وإلا لم يؤمن عليهم الضلال!

وما دام النبی صلی الله عليه وآله دعا لعلی عليه السلام أن يجعل الله معه الحق أينما دار، ودعاؤه صلی الله عليه وآله مستجاب، فالواجب علی المسلمين أن يقتدوا به فی قوله وفعله، وإلا لم يؤمن عليهم أن يترکوا الحق ويتبعوا الباطل!

لکن لايغرک قول الغزالی وغيره بعدم وجوب إطاعهٔ أبی بکر وعمر وعدم عصمتهما، فإنما يقولونه بألسنتهم، و وستری أنهم عندما يصلون إلی عملهم وسيرتهم، يتبنون عصمتهم بالکامل، ويدافعون عن أفعالهم ليثبتوا أنها کلها صحيحهٔ، وأنهم لم يرتکبوا معصيهٔ أبداً، لاصغيرهٔ ولاـ کبيرهٔ، حتی فيما خالفوا فيه النبی صلی الله عليه وآله! أما إذا وصلوا إلی حکم من يرفض شرعيهٔ خلافتهما، فيحکمون بکفره ويهدرون دمه، ويوجبون قتله! فيثبتون لهما درجهٔ فوق العصمهٔ، ويجعلون ولايتهما رکناً قام عليه الإسلام، إلی صف التوحيد والنبوهٔ أو قبلهما!!

بل يصل بهم الأمر أنهم يجعلون ولايتهما أعظم من ولايهٔ الله تعالی ورسوله صلی الله عليه وآله لأنهم لا يحکمون دائماً بالکفر والقتل علی من عصی الله ورسوله صلی الله عليه وآله!!

ليس من المبالغهٔ أن نقول إن غيرتهم علی أبی بکر وعمر، وشدَّتهم علی من رفضهم، أعظم من غيرتهم علی الله تعالی ورسوله صلی الله عليه وآله! وبعضهم يضيف اليهم عائشهٔ وحفصهٔ وعثمان ومعاويهٔ.

وهذا التاريخ يشهد بأنه لم تضطهد أمهٔ من الأمم من أجل شخصين،کما اضطهد ملايين المسلمين من أجل عمر وأبی بکر، ولم تُرق دماءٌ بذنب رفض ولايهٔ أحد، کما أريقت بذنب رفض ولايهٔ أبی بکر وعمر!

لقد أقاموا کل عقيدتهم وفقههم ودولهم وتاريخهم وتربيهٔ أبنائهم وبناتهم، علی تقديسهما واضطهاد من لايقبلهما، حتی کان أجيال الشيعهٔ فی زمن الأمويين والعباسيين والعثمانيين، يتمنون أن تعاملهم دولهٔ الخلافهٔ القرشيهٔ معاملهٔ المنکرين لله ورسوله صلی الله عليه وآله، ليخف جرمهم، واضطهادهم، وتقتيلهم!!

هل تشيع الغزالی فی آخر عمره؟

للغزالی کتاب اسمه (سر العالَمَيْن وکشف مافی الداريْن)نقل الدکتور الخليلی فی کتابه (السقيفهٔ أم الفتن) ص۱۱۴، عن مخطوطته فی دار الکتب المصريهٔرقم:۱/۳۱۶.

وقد طبع الکتاب فی الهند ومصر والعراق وبيروت وإيران، وهو مرتب علی مقالات، وقد أظهر فيه تشيَّعه بصراحهٔ، ولذا شکک بعضهم فی نسبته اليه!

قال المرحوم الطهرانی فی الذريعهٔ إلی تصانيف الشيعهٔ:۱۲/۱۶۸:

(۱۲۰:سر العالمين) المنسوب إلی الغزالی. کتاب شيعی نسبه إليه فی تذکرهٔ خواص الأمهٔ، وتاج العروس، والإتحاف فی شرح الإحياء. فراجعه).

وتابعه إليان سركيس فى معجم المطبوعات العربيۀ:۲/۱۴۱۲، فقال: (سر العالمين وكشف ما فى الدارين، وهو منسوب للغزالى والصواب أنه لأحد الباطنيۀ- هند ۱۳۱۴ مصر۱۳۲۴). كما وافقه الباحث السيد جعفر مرتضى فشكك بنسبۀ الكتاب إلى الغزالى. (مجلۀ تراثنا:۲/۹۷ و:۴/۱۷۳)

بينما خالفهم عديدون ونسبوا الكتاب إلى الغزالى كالبغدادى فى إيضاح المكنون:۲/۱۱، قال: (سر العالمئن وكشف ما فى الدارئن لأبى حامد الغزالى محمد بن محمد). ونحوه فى هديۀ العارفين:۲/۸۰، وكذا القاضى نورالله التسترى فى كتابه مجالس المؤمنين، والفيض الكاشانى فى الوافى، والطريحى فى مجمع البحرين، والأمينى فى الغدير:۱/۳۹۱، والمرعشئ فى شرح إحقاق الحق:۳۳/۲۴۴، كما نقلوا ذلك عن المحقق الكركى.

وقال الماحوزى فى الأربعين ص۱۵۱: (ذكر مولانا محسن الكاشئ فى المحجۀ البيضاء أن ابن الجوزى الحنبلى ذكر فى بعض تصانيفه أن الغزالى ترفض فى آخر عمره، وأظهر رفضه فى كتاب سر العالمين).

ووافقهم السيد الميلانى فى نفحات الأزهار:۱/۱۰۲و:۹/ ۱۸۴، مؤيداً ما استدلوا به من نسبۀ ابن الجوزى الكتاب إلى الغزالى فى تذكرۀ الخواص ص۶۲، والذهبى فى ميزان الإعتدال:۱/۵۰۰، وفى طبعتنا:۲/۲۱۵، حيث اعتمد عليه فقال: (قال أبو حامد الغزالى فى كتاب (سر العالمئن): شاهدت قصۀ الحسن بن الصباح لما تزهَّد تحت حصن أَلَمُوت فكان أهل الحصن يتمنون صعوده إليهم، ويمتنع ويقول: أما ترون المنكر قد فشا وفسد الناس! فتبعه خلق، ثم خرج أمير الحصن يتصيد فنهض أصحابه وملكوا الحصن!) انتهى.

أقول: وهذا هو الصحيح، والعبارۀ موجودۀ فى سر العالمين، ولا توجد فى غيره. وقد نقل عنه الذهبى أيضاً فى:۱۹/۴۰۳، نفس عبارته فى ميزان الإعتدال وقال قبلها فى ترجمۀ الغزالى:۱۹/۳۲۷: (ومن معجم أبى على الصدفى، تأليف القاضى عياض له، قال: والشيخ أبو حامد، ذو الأنباء الشنيعۀ، والتصانيف العظيمۀ، غلا فى طريقۀ التصوف، وتجرد لنصر مذهبهم وصار داعيۀ فى ذلك، وألف فيه تواليفه المشهورۀ، أخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمۀ! والله أعلم بسره، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها فامتُثل ذلك. مولده سنۀ خمسين وأربع مئۀ.

قلتُ(الذهبى): ما زال العلماء يختلفون ويتكلم العالم فى العالم باجتهاده، وكل منهم معذور مأجور، ومن عاند أو خرق الإجماع فهو مأزور، وإلى الله ترجع الأمور. ولأبى المظفر يوسف سبط ابن الجوزى فى كتاب رياض الأفهام فى مناقب أهل البيت قال: ذكر أبو حامد فى كتابه سر العالمئن وكشف ما فى الدارئن فقال فى حديث: من كنت مولاه فعلى مولاه، إن عمرقال لعلى: بخ بخ أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنۀ. قال أبو حامد: وهذا تسليم ورضى، ثم بعد هذا غلب عليه الهوى، حباً للرياسۀ وعقْد البنود، وأمر الخلافۀ ونهيها، فحملهم على الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون! وسرد كثيراً من هذا الكلام الفسل الذى تزعمه الإماميۀ، وما أدرى ما عذره فى هذا! والظاهر أنه رجع عنه وتبع الحق فإن الرجل من بحور العلم، والله أعلم.

هذا إن لم يكن هذا وضع هذا وما ذاك ببعيد، ففى هذا التأليف بلايا لاتتطبب! وقال فى أوله:إنه قرأه عليه محمد بن تومرت المغربى سراً بالنظاميۀ، قال: وتوسمت فيه الملك). انتهى.

أقول:لم يعين الذهبى من اتهمه باحتمال وضع الكتاب، بقوله (هذا إن لم يكن هذا وضع هذا وما ذاك ببعيد)! فهل يقصد الصدفى، أم القاضى عياضاً! مع أنه ترجم لهما ووصف كلاًـ منهما بالإمام ومدحهما كثيراً، قال فى سير أعلام النبلاء:۲۰/۲۱۲: (القاضى عياض: الإمام العلامۀ الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبى الأندلسى، ثم السبتى المالكى. ولد فى سنۀ ست وسبعين وأربع مئۀ... الخ.).

وقال فى تذكرۀ الحفاظ:۴/۱۲۵۳: (الإمام الحافظ البارع أبو على الحسين بن محمد بن فيرۀ بن حيون الصدفى السرقسطى الأندلسى...الخ.). انتهى.

فتشكيك الذهبى فى الكتاب بدون حجۀ بعد ما اعتمد عليه كبار علمائهم!

أما البلية التى لاتتطبب عند الذهبى فهى قول الغزالى فى سر العالمين ص۲۱:

(المقالة الرابعة فى ترتيب الخلافة والمملكة: اختلف العلماء فى ترتيب الخلافة وتحصيلها لمن آل أمرها إليه، منهم من زعم أنها بالنص ودليلهم قوله تعالى: قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عذاباً أَلِيماً) (الفتح:۱۶) وقد دعاهم أبو بكر إلى الطاعة بعد رسول الله(ص)فأجابوا. وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى: وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حديثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ. (التحريم:۳)، قال فى الحديث: إن أبا بكر هو الخليفة من بعدى يا حميراء، وقالت امرأة: إذا فقدناك فالى من نرجع؟ فأشار إلى أبى بكر، ولأنه أمَّ بالمسلمين على بقاء رسول الله(ص)والإمامة عماد الخلافة. هذه جملة ما يتعلق به القائلون بالنصوص.

ثم تأولوا وقالوا: إذ لو كان عليٌّ أول الخلفاء لانسحب عليهم ذيل الفناء، ولم يأتوا بفتوح ولا مناقب، ولا يقدح فى كونه رابعاً للخلفاء، كما لايقدح فى نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان آخراً.

والذين عدلوا عن هذه الطريقة زعموا أن هذا تعلق فاسد جاء على زعمكم وأهويتكم، وقد وقع الميراث فى الأحكام والخلافة، مثل داود وسليمان وزكريا ويحيى، قالوا: كان لأزواجه ثمن الخلافة فبهذا تعلقوا. وهذا باطل، إذ لو كان ميراثاً لكان العباس أولى.

لكن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته فى يوم غدير خم باتفاق الجميع وهو يقول: من كنت مولاه فعلى مولاه، فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن لقد أصبحت م ولأى ومولى كل مولى، فهذا تسليمٌ ورضاً وتحكيم. ثم بعد هذا غلب الهوى بحب الرئاسة، وحَمْلُ عمود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوى، فى قعقعة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار، سقاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأول، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون.

ولما مات رسول الله صلى الله عليه وآله قال وقت وفاته: إيتونى بدواة وبياض لا زيل عنكم إشكال لأمر، وأذكر لكم من المستحق لها بعدى! قال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر وقيل ليهذر. فإذن بطل تعلقكم بتأويل النصوص، فعدتم إلى الإجماع، وهذا منقوض أيضاً فإن العباس وأولاده وعلياً عليه السلام وزوجته لم يحضروا حلقة البيعة وخالفكم أصحاب السقيفة فى مبايعة الخزرجى....الخ.). انتهى.

والظاهر أن استبصار الغزالى كان فى آخر أيامه فى طوس، ولم يمهله العمر حتى ينشر ذلك، ويبرئ ذمته بإعلان رجوعه عن كتبه ومؤلفاته العديدة، وما غصت به من عدائه لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام وتأصيله لمذاهب مخالفيهم!

وقد رأيت قبره قرب بيته أو مسجده فى بلده طوس، حيث أمضى آخر حياته، وهى فى ضاحية مشهد الإمام الرضا عليه السلام، وقد اهتمت به الحكومة الإيرانية.

النقد الذاتى قليل نادر فى علمائهم

مضافاً إلى كتاب سر العالمين للغزالى، فقد أعجبنى هذا النقد الذاتى للحافظ محمد بن عقيل فى كتابه القيِّم: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية/۱۷۴، قال:

(إننا أهل السنة قد أنكرنا على الشيعة دعواهم العصمة للأئمة الإثنى عشر، وجاهرناهم بصيحات النكير، وسفهنا بذلك أحلامهم، ورددنا أدلتهم بما رددنا، أفبعد ذلك يجمل بنا أن ندعى أن مائة وعشرين ألفاً حاضرهم وباديهم وعللهم وجاهلهم وذكرهم وأنثاهم، كلهم معصومون أو كما نقول محفوظون من الكذب والفسق، ونجزم بعدالتهم أجمعين فنأخذ رواية كل فرد منهم قضيةً مسلمةً نضلل من نازع فى صحتها ونفسقه، ونتصامم عن كل ما ثبت وصح عندنا، بل وما تواتر من ارتكاب بعضهم ما يخرم العدالة وينافيها، من البغى، والكذب، والقتل بغير حق، وشرب الخمر، وغير ذلك مع الإصرار عليه؟!! لا أدرى كيف تحل هذه المعضلة ولا أعرف تفسير هذه المشكلة.

إليك فإنى لستُ ممن إذا اتَّقى عِضاضُ الأفاعى نامَ فوقَ العقارب

أما الأمر بحسن الظن فحسن، ولكنه ليس فى مقام بيان الحق وإبطال الباطل، والكلام على جرح أو تعديل، ولو سوغنا هذا لتعطلت الأحكام، وبطلت الحدود والشهادات، وكُبكب الشرع على أم رأسه، إذ لا وجه لتخصيص أشخاص دون آخرين بحسن الظن بهم فى كل ما يفعلونه، إذا ترتب على فعله حكم شرعى إلا بمخصص شرعى، وأنَّى بذلك.

ولو عممنا القول بذلك لكان حسن الظن حسناً بكل فرد من أفراد المسلمين فى كل ما يفعله كما يقول به بعض الصوفية، فيتأول حينئذ لكل منهم ما ارتكبه من القبائح والبدع المضلة والكبائر، ويحمل كل ذلك على محمل حسن وقصد صالح، ويدخل فى ذلك الخوارج وغلاة الرافضة فيما يرتكبونه من البدع والتفكير والسب، وهلم جراً.

اللهم غفرانك، إنه بهذا يتعطل الشرع وتلتبس الأمور ويختلط الحابل بالنابل، بل الواجب إجراء كل شئ فى مجراه عند إرادة إيضاح الحقائق وبيان المشروعات. وبهذا عمل الصحابة رضى الله عنهم فيما بينهم، وهكذا عمل جهابذة أصحاب الحديث فى الجرح والتعديل، فى رواة الحديث إلا ـ فيمن له صحبة على حسب اصطلاحهم فى تعريف الصاحب، وهى نقطة الإنتقاد عليهم ومحل الإشكال، إذ كيف يمكن طالب الحق أن يعتمد ما قالوه ويجرى على ماجروا عليه من التسوية، صحةً واحتجاجاً، بين روايات الحكم والوليد ومعاوية

وعمرو وأشباههم؟! سبحان الله أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ؟! لا ـ والله، ثم لا والله إن الإذعان للحق شأن المنصفين، وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ).

السلطة القرشية تتبع اليهود حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل

تقليد اليهود.. من مصادرة الخلافة الى.. ترك الصلاة

شهدت عامة المصادر كالبخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وآله حذر المسلمين من الإنحراف بعده، وفى نفس الوقت أخبرهم بأن ذلك سيكون، فقال: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ تبعتموهم! قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!

وفى مناسبة أخرى قال لهم: والذى نفسى بيده لتتبعنَّ سننَ الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً فباعاً، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلتموه! قالوا ومن هم يا رسول الله، أهل الكتاب؟ قال: فمه؟!

وفى مناسبة أخرى قال لهم: لاتقوم الساعة حتى تأخذ أمتى مأخذ الأمم والقرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، قالوا: يا رسول الله كما فعلت فارس والروم؟ قال: وهل الناس إلا أولئك؟!

(روت ذلك عامة المصادر كالبخارى:۹ / ۱۲۶ و:۸/۱۵۱، ومسلم:۴ / ۲۰۵۴ ح۲۶۶۹ عن أبى سعيد الخدرى، ونحوه/۲۰۵۵، وأحمد:۲/۳۲۷و۳۲۵ و ۴۵۰، ونحوه ص۳۳۶ و۳۶۷ و۵۲۷ و: ۳/۸۴ و۸۹ و۹۴ و:۴/۱۲۵، والرويانى: ح۱۰۸۵ عن سهل بن سعد، والبغوى فى المصابيح:۳ /۴۵۸، من صحاحه، عن أبى سعيد، كما فى رواية البخارى الثانية، وجامع الأصول:۱۰/ ۴۰۹ ح۷۴۷۲، و۷۴۷۳، وجمع الجوامع: ۱ / ۹۰۲، والجامع الصغير:۲/۴۰۱ ح۷۲۲۴، ومجمع الزوائد:۷/۲۶۱، وفيض القدير:۵/ ۲۶۱، ومسند ابن الجعد ص۴۹۱، والديباج على مسلم: ۶/۳۳ و۳۴، ومصنف عبد الرزاق:۱۱/۳۶۹، وكنز العمال: ۱۴/ ۲۰۷، والكنى والأسماء:۲/۳۰، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ولتركبن سنن من كان قبلكم شبراً حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب دخلتم، وحتى لو أن أحدهم ضاجع أمه بالطريق لفعلتم. والحاكم:۱/۳۷ و۴/ ۴۵۵ وصححه وفيه":حتى لو أن أحدهم جامع إمرأته بالطريق لفعلتموه. ومصنف ابن أبى شيبة:۸/۶۳۴، وفيه:

(أنتم أشبه الناس سمتاً وهدياً ببنى إسرائيل لتسلكن طريقهم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل).، قال عبد الله: إن من البيان سحراً. وقال فى هامشه: القذة ريش السهم، وللسهم ثلاث قذذ متقاربة الواحدة بجانب الأخرى، ويقال حذو القذة بالقذة للشيئين يستويان ولا يتفاوتان).

وفى شرح مسلم للنووى:١٦/٢١٩: (السَّنَن بفتح السين والنون هو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب كل التمثيل بشدة الموافقة لهم).

وفى فتح البارى:١٣/٢٥٥: (فى رواية الكشميهنى شبراً بشبر وذراعاً بذراع، عكس الذى قبله. قال عياض: الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر، تمثيلٌ للإقتداء بهم فى كل شئ مما نهى الشرع عنه وذمه.....

وقد أخرج الطبرانى من حديث المستورد بن شداد رفعه: لاتترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتيه..... وحيث قيل اليهود والنصارى كان هناك قرينة تتعلق بأمور الديانات أصولها وفروعها.....

عن أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟ قال: إذا ظهرفيكم ما ظهر فى بنى إسرائيل، إذا ظهر الإدهان فى خياركم، والفحش فى شراركم، والملك فى صغاركم، والفقه فى رذالكم). انتهى.

وفى مناسبة أخرى قال النبى صلى الله عليه وآله:(لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، كلما نقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة).

(رواه من مصادرنا: الطوسى وغيره، قال فى الأمالى ص١٨٦: أخبرنا محمد بن محمد قال: أخبرنى أبو محمد الحسن بن محمد العطشئ قال: حدثنا أبو على محمد بن همام الإسكافى قال: حدثنا حمزة بن أبى جمة الجرجرائى الكاتب قال: حدثنا أبو الحارث شريح قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد العزيز بن سليمان، عن سليمان بن حبيب، عن أبى أمامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وآله.

ورواه من مصادرهم: أحمد:٥/٢٥١، والبخارى فى تاريخه: ٨ /٣٣٣ ح ٣٢١٤، وابن حبان: ٨/٢٥٣ ح ٦٦٨٠، عن أبى أمامة. والطبرانى الكبير: ٨/١١٦ ح ٧٤٨٦، والجامع الصغير:٢/٤٠٣ ح ٧٢٣٢، وص٤٧٣، والحاكم: ٤/٩٢، وقال: والإسناد كله صحيح ولم يخرجاه. ومجمع الزوائد:٧/٢٨١، وقال: رواه أحمد، والطبرانى، ورجالهما رجال الصحيح). انتهى.

أمام هذه الأحاديث النبوية تواجهنا عدة أسئلة:

السؤال الأول، معنى هذه الأحاديث أن النبى صلى الله عليه وآله قد نعى الأمة إلى نفسها، وأنها من بعده ستنحرف، فهل هذا حقيقة قطعية؟!

والجواب: نعم إنها حقيقة قطعية وإن كانت مُرَّة، بدليل أن هذه الأحاديث صحيحة مجمع عليها عند كافة الأمة، والمجمع عليه من الأمة لاشك فيه.

والسؤال الثانى، هل المقصود بهذا الكلام النبوى انحراف غالبية الأمة، أو انحراف فئة صغيرة منها؟

والجواب: أن الخطاب فى هذه الأحاديث موجه إلى جميع الأمة، فلا بد أن يشمل الإنحراف غالبيتها حتى يصح نسبة الإنحراف إلى الأمة، فقد قال صلى الله عليه وآله: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً... والذى نفسى بيده لتتبعنَّ سننَ الذين من قبلكم... ولتركبن سنن من كان قبلكم... ولو كان الإنحراف محصوراً بفئة قليلة من الأمة لقال: ليتبعن فئة من أمتى، أو مارقة من أمتى سنن من كان قبلهم.

والسؤال الثالث، هل أن الإنحراف الموعود يشمل العقائد والشرائع والسياسة، كما حدث فى بنى إسرائيل؟!

والجواب: نعم لا بد من القول بشمول الإنحراف لكل معالم الإسلام، بدليل الإطلاقات فى ألفاظ اتباع سنن اليهود والنصارى، وبدليل السعة فى انحراف اليهود بعد أنبيائهم عليهم السلام، حيث شمل انحرافهم أصول عقيدتهم بالله تعالى، وطعنهم بأنبيائهم ومخالفتهم لأوصيائهم عليهم السلام، واتباعهم غيرهم!

وقد نصَّت صيغ الأحاديث على الشمول كقوله صلى الله عليه وآله: لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، كلما نقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة. وسواء أراد بالحكم الخلافة، أو القضاء، فهو يدل على انحراف السلطة الحاكمة.

والسؤال الرابع، ما علاقة هذه الأحاديث النبوية بآية الإنقلاب على الأعقاب؟: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلارَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شيئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران:۱۴۴) والجواب: هذه الأحاديث النبوية المتفق عليها تفسر الإنقلاب المقصود فى الآية، وتدل على أن الله تعالى لم يتحدث فيها وفى أمثالها عن فرضية لن تحدث وأن الشرطية والإستفهام فيها إخبار إلهىٌّ، قبل أن يكون إنذاراً واستنكاراً!

والسؤال الخامس، أين هذا الإنحراف فى الأمة، إن لم يكن ما تقوله الشيعة؟

والجواب: نعم هذه هى الحقيقة، ولذلك يدور أمر الذين ينكرون وقوع الإنحراف فى جمهور الأمة، بين أن يكذِّبوا إخبارات النبى صلى الله عليه وآله عن وقوعه، ويكذِّبوا آية الإنقلاب.. وبين أن يعترفوا بعدم شرعية السلطة القرشية التى بدأت فى السقيفة يوم وفاة النبى صلى الله عليه وآله من غير مشورة المسلمين، ولا استناد على نص من النبى صلى الله عليه وآله، وأجبرت الناس على بيعتها، ثم تواصلت سياسة الإجبار فى بنى أمية وبنى العباس بنفس طريقة الغلبة والجبر، التى أسستها السقيفة!

فلو سألت عالماً سنياً: هل تحقق ما أخبر به النبى صلى الله عليه وآله فاتبعت الأمة سنن اليهود والنصارى أم لا؟! لحاول أن ينفى ذلك، ويثبت لك أن الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله مشت على طريق الهدى، واتبعت خير أصحابه أبا بكر وعمر، وأن الذين انحرفوا فئة قليلة هم أهل الأهواء والبدع، وهم الرافضة الذين رفضوا خلافة أبى بكر وعمر، وزعموا أن النبى صلى الله عليه وآله أوصى الأمة باتباع على والعترة عليهم السلام!

ولو قلت له: لو كانت أغلبية الأمة مهتدية لما صح هذه الإطلاق والتعميم فى كلام النبى صلى الله عليه وآله، ولكان اللازم أن يقول مثلًا: لتتبعن فئة من أمتى أو مارقة من أمتى سنن من كان قبلها.. لما استطاع أن يجيب!

والسؤال السادس، من أين يبدأ هذا الإنحراف الخطير فى الأمة؟

الجواب: صحت الأحاديث أن النبى صلى الله عليه وآله حدد مصدر الإنحراف فى أمته وأساس فتنتها، بالحكام والأئمة القرشيين المضلين!

ففى مجمع الزوائد:۵/۲۳۹: (وعن ثوبان قال قال رسول الله(ص):إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين. رواه أحمد ورجاله ثقات...

وعن سداد بن أوس قال قال رسول الله(ص): إنى لا أخاف على أمتى إلا الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف فى أمتى لايرفع عنهم إلى يوم القيامة. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وعن عمير بن سعد وكان عمر ولاه حمص قال قال عمر لكعب: إنى سائلك عن أمر فلا تكتمنى. قال: والله ما أكتمك شيئاً أعلمه، قال: ما أخوف ما تخاف على أمة محمد(ص)؟ قال: أئمة مضلين، قال عمر: صدقت قد أسرَّ إلىَّ وأعلمنيه رسول الله(ص). رواه أحمد ورجاله ثقات).

وروى أحمد:۵/۱۴۵، عن أبى ذر قال: كنت أمشئ مع رسول الله(ص)فقال: لغير الدجال أخوفنى على أمتى قالها ثلاثاً! قال قلت يارسول الله، ما هذا الذى غير الدجال أخوفك على أمتك قال: أئمة مضلون!! (ورواه أبو يعلى:۱/۳۵۹ ح ۴۶۶، والفردوس:۳/۱۳۱ح ۴۱۶۳ عن على).

وفى سنن الترمذى:۳/۳۴۲: (۲۳۳۰- عن ثوبان قال قال رسول الله (ص): إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين.

قال وقال رسول الله(ص): لاتزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله. هذا حديث صحيح). انتهى.

وفى تحفة الأحوذى:۶/۴۰۱: (باب ما جاء فى الأئمة المضلين: قوله: إنما أخاف على أمتى أئمة مضلين، أى داعين إلى البيع والفسق

والفجور....

قوله (هذا حديث صحيح)، وأخرجه مسلم وابن ماجة بدون ذكر إنما أخاف على أمتى أئمة مضلين. وأخرجه أبو داود مطولاً).

وروى ابن أبى شيبة فى المصنف:۱۵/۱۴۲ ح ۱۹۳۳۲: (عن على قال: كنا عند النبى(ص)جلوساً وهو نائم، فذكرنا الدجال، فاستيقظ محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم عندى من الدجال: أئمة مضلون).

وفى الطبرانى الكبير:۸/۱۷۶عن أبى أمامة يحدث أنه سمع رسول الله(ص) يقول: لست أخاف على أمتى جوعاً يقتلهم ولاـ عدواً يجتاحهم، ولكنى أخاف على أمتى أئمة مضلين، إن أطاعوهم فتنوهم، وإن عصوهم قتلوهم).

أما من طرق أهل البيت عليهم السلام فقد روى الطوسى فى أماليه:۲/۱۲۶: (عن عبد الله بن يحيى الحضرمى قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وآله وهو نائم ورأسه فى حجرى، فتذاكرنا الدجال، فاستيقظ النبى محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم من الدجال، الأئمة المضلون، وسفك دماء عترتى من بعدى، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم). انتهى.

والسؤال السابع: ما دام الإنحراف وقع قطعاً بحكم أن الصادق الأمين صلى الله عليه وآله أخبر به عن ربه، فلا بد أن يكون له ثقافة تحريفية واسعة فى العقائد والتفسير والأحاديث والأحكام والسيرة والمذاهب والمشارب! فأين هذه الآثار الثقافية فى مصادر المسلمين، إن لم تكن ما يقوله الشيعة؟!

والسؤال الثامن: كتبنا فى كتاب تدوين القرآن: الفصل العاشر موقف إخواننا السنة من الثقافة اليهودية، تحت عنوان:

مذهب أهل البيت أبعد المذاهب عن الثقافة اليهودية

إذا كان عند الباحث معرفة بالثقافة اليهودية وحساسية منها، ومشى بهذا النور فى مصادر الإسلام متتبعاً احتمالات التسرب والتأثير، فلن يجد معيناً صافياً لا شائبة فيه إلا الثروة المروية عن أهل البيت عليهم السلام.

ولا يهمنا أن يستكثر الآخرون هذه الدعوى، ولكن يهمنا أن يبحثوا فى مفردات ما أنزل الله تعالى على رسوله برواية أهل بيته صلى الله عليه وآله ثم يقارنوا بينها وبين مثيلاتها من رواية غير أهل البيت، من زاوية القرب والبعد عن الثقافة اليهودية، ومن زاوية احتمال التسرب والتأثر، وزاوية التعبير عن استقلال الشخصية الفكرية للوحى المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله.. ثم يحكموا!!...

حدثنى الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا، وهو من كبار فقهاء السنة فى عصرنا، ومن أبرز عقولهم العلمية المحترمة، عن جلسة من جلسات مؤتمر البحوث الإسلامية فى القاهرة فى أواخر الستينات فقال: تحدث أحد المحاضرين عن مشكلة الإسرائيليات فى مصادر المسلمين فحمل على الشيعة الذين جلبوا على المسلمين هذا البلاء، وأطال فى ذلك. فطلبت الكلام بعده وقلت: لا يصح أن نظلم الشيعة، لأنهم طائفة إسلامية لها عراقتها وأصالتها العلمية، وقد اطلعت على مصادر من فقههم فرأيته فقهاً قوى المنطق والحجة مستنداً إلى القرآن والسنة.. والإسرائيليات بلاء عام ابتليت به مصادرنا كما ابتليت به مصادر الشيعة، فلا يصح أن نقول إنه جاءنا منهم..

إن هذا الموقف شبه المنصف لهذا الفقيه يدل على اطلاعه على مصادر السنة وشئ من مصادر الشيعة.. ولكنى مطمئن بأنه لو اطلع أكثر لقال: إن بلاء الإسرائيليات فى مصادر المسلمين وإن كان مشتركاً بين السنة والشيعة، إلا أن منبعه عند السنة وبعض ترشحاته عند الشيعة، والسبب فى ذلك أن السلطة كانت بيد خلفاء السنة وأئمتهم، وكان علماء اليهود وحملة ثقافتهم يتقربون إليهم فقربوهم وأجازوا لهم بث ثقافتهم فى المسلمين! أما الشيعة فكانوا أقلية محكومين، وكان اليهود يبتعدون عنهم خوفاً من غضب السلطة.

ولو اطلع أكثر لقال: أما على والأئمة من أهل بيت النبى فلم يكونوا بحاجة لأن تكون لهم علاقات ثقافية مع اليهود والنصارى، بل كانوا يأنفون من الإستماع إلى علومهم المحرفة.. ولم يعهد عنهم أنهم مدحوا شخصيات أهل الكتاب أو ثقافتهم بكلمة واحدة، بل كانوا أقوى المناظرين لهم، وكان المسلمون إذا أحرجوا فى مسألة من أهل الكتاب هرعوا إلى أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله ليأخذوا جوابها..

ومن المعروف عن علی علیه السلام أن حاخاماً یهودیاً قال له: سرعان ما اختلفتم فی نبیکم. یقصد فی أمر الخلافة. فأجابه علیه السلام: نحن لم نختلف فی نبینا بل اختلفنا عنه، وأما أنتم فما جفت أقدامکم من البحر حتی قلتم: یا موسی اجعل لنا إلهاً کما لهؤلاء!!

إننا علی یقین بأن الباحثین المنصفین فی سلوک أهل البیت وفقههم والعلوم التی أثرت عنهم، سوف یصلون إلی نتیجة تقول: إن أصفی المذاهب وأبعدها عن التأثر بثقافة أهل الکتاب: هو مذهب أهل البیت علیهم السلام.

اعمال تحریفیة واسعة من أجل ترسیخ عصمة عمر و أبی بکر

بدأ نشاطهم بعد النبی واستمر إلی یومنا هذا

رأی أتباع الخلافة القرشیة أن کل أمرهم یتوقف علی تصحیح عمل السقیفة، فأشاعوا نشر تقدیس شخصیة عمر وأبی بکر، وبقیة زعماء قریش، مقابل قداسة عترة النبی الطاهرین علیهم السلام الذین تعلم المسلمون الآیات والأحادیث فیهم، وشاهدوا فیهم مناقبیة الأوصیاء فی القول والعمل!

ولا۔ نتکلم هنا عن أعمال أتباع الخلافة فی تبریر عزل زعماء قریش لأهل البیت واضطهادهم وتنقیص مقامهم! ولا عن أعمالهم فی آیات القرآن وأحادیث النبی صلی الله علیه وآله فی عترته أهل بیته علیهم السلام. وإنما عن أعمالهم لرفع مقام الصحابة من أجل عمر وأبی بکر، فقد جعلوا لعمر مقام النبی بلا نبوة، ومقام العصمة بدرجة أعلی من عصمة النبی صلی الله علیه وآله، وقد أوردنا عدداً من مسائل هذا الموضوع فی المجلد الثانی من کتاب (ألف سؤال وإشکال علی المخالفین لأهل البیت الطاهرین) فی الفصل ۲۱ و۲۲، ونکتفی هنا ببضعة أعمال یتسع لها هذا الکتاب:

حملوا آیات مدح الصحابة أکثر مما تحتمل

فی القرآن عدد من الآیات فی مدح الصحابة، وأضعافها فی انتقادهم! وهذا طبیعی لأن القرآن تنزل فی ثلاث وعشرین سنة، لیثبِّتَ الله به قلب نبیه صلی الله علیه وآله فی تبلیغه الرسالة وبناء الأمة، قال تعالی: وَقَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً کَذَلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَکَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِیلًا. وَلا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاکَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِیرًا. (الفرقان:۳۲-۳۳).

ولیوجه أمة النبی صلی الله علیه وآله وأصحابه، فیمدحهم عندما یحسنون، ویشجعهم عندما یضعفون، ویؤنبهم عندما یقصرون!

وَاذْکُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَیْکُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَیْکُمْ مِنَ الْکِتَابِ وَالْحِکْمَةِ یَعِظُکُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ. (البقرة:۲۳۱).

وَکَیْفَ تَکْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَی عَلَیْکُمْ آیَاتُ اللهِ وَفِیکُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ یَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِیَ إلی صِرَاطٍ مُسْتَقِیم. (آل عمران:۱).

وقد ضخَّمت السلطة بعد النبی صلی الله علیه وآله آیات مدح الصحابة، وتناست آیات نقدهم وذمهم! وبالغت فی ذلک حتی جعلت صحابتها معصومین عملیاً، لتثبت أنهم الورثة الشرعیون للنبی صلی الله علیه وآله مع أن أهل البیت النبوی علیهم السلام أهل بیت وصحابة!

ومن الحقائق الملفتة أن احتجاج أتباع الخلافة بهذه الآیات، ظهرت فی عهد معاویة ولم یکن لهما وجود فی زمن أبی بکر وعمر وعثمان! فغایة ما تجده عن عمر أنه فضل أهل بدر بالعطاء علی غیرهم، وحکم بأن الخلافة یجب أن تکون فیهم وأنها حرام علی الطلقاء! قال:(هذا الأمر فی أهل بدر ما بقی منهم أحد، ثم فی أهل أحد ما بقی منهم أحد، ثم فی کذا وکذا ولیس فیها لطلیق ولا لولد طلیق ولا لمسلمة الفتح شیء. أخرجه الثلاثة).(أسد الغابة:۴/۳۸۷، وفتح الباری:۱۳/۱۷۸، والطبقات:۳/۳۴۲، وابن عساکر:۵۹/۱۴۵، وکنز العمال:۱۲/۶۸۱).

بل إن شهادتهم لأهل بدر بالجنة، التی رواها بخاری فی:۴ /۱۹، وعدة مواضع أخری، والتی تقول إن النبی صلی الله علیه وآله قال:

(وما یـدریک لعل الله أن یکون قد اطلع علی أهل بدر فقال اعملوا ما شـئتم فقد غفرت لکم). لم یروها أحد عن أبی بکر ولا عمر! مع أنها لو کانت صحیحةً لاحتجَّا بها فیما احتجَّا!

إن هـذا یـدل علی أن أتبـاع الخلافـة اتخـذوا فیمـا بعـد قرارهم بتعظیم الصـحابة بآیات وأحادیث، وإشاعتها فی المسـلمین، فملأوا بها مصادرهم، وربَّوا علیها أولادهم، وأنسوهم آیات توبیخ الصـحابة، وأحادیث دخول اکثرهم النار! وحرموا علی المسـلمین انتقادهم، بل أفتوا بکفر من ارتکب ذلک وقتله!

قال الخطیب البغـدادی الکفایـة فی علم الروایة ص۶۳: (بـاب ما جاء فی تعـدیل الله ورسوله للصـحابة، وأنه لا یحتاج إلی سؤال عنهم، وإنما یجب فیمن دونهم.

کل حـدیث اتصل إسـناده بین من رواه وبین النبی(ص)لم یلزم العمل به إلا بعـد ثبوت عدالـة رجاله، ویجب النظر فی أحوالهم، سوی الصـحابی الذی رفعه إلی رسول الله(ص)لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعدیل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختیاره لهم فی نص القرآن.

فمن ذلک قوله تعالی: کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

وقوله:وَکَـذَلِکَ جَعَلْنَـاکُمْ أُمَّةً وَسَـطاً لِتَکُونُوا شُـهَدَاءَ عَلَی النَّاسِ وَیَکُونَ الرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَـهِیداً وهـذا اللفـظ وإن کـان عاما فالمراد به الخاص وقیل وهو وارد فی الصحابة دون غیرهم.

وقوله: لَقَدْ رَضِیَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِینَ إِذْ یُبَایِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِی قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّکِینَةَ عَلَیْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِیباً

وقوله تعالی: وَالسَّابِقُونَ الأولونَ مِنَ الْمُهَاجِرِینَ وَالأنصار وَالَّذِینَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِیَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

وقوله تعالی: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِکَ الْمُقَرَّبُونَ. فِی جَنَّاتِ النَّعِیمِ.

وقوله: یَا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَسْبُکَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ

وقوله تعـالی:لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَـاجِرِینَ الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیَـارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ یَبْتَغُونَ فَضْـلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَیَنْصُـرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِکَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِینَ تَبَوَّأُوا الـدَّارَ وَالإیمـان مِنْ قَبْلِهِمْ یُحِبُّونَ مَنْ هَـاجَرَ إِلَیْهِمْ وَلا یَجِـدُونَ فِی صُـدُورِهِمْ حَاجَـةً مِمَّا أُوتُوا وَیُؤْثِرُونَ عَلَی أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ کَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فی آیات یکثر ایرادها ویطول تعدادها...). انتهی.

ولو سـألتهم أولاًـ: أین الآیـات الأخری فی الصـحابة، لنقارنها بآیات مـدحهم ونجمع بینها وبینها، کقوله تعالی عن النبی صـلی الله علیه وآله: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذَا لَقِیتُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ. وَمَنْ یُوَلِّهِمْ یَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَیِّزًا إِلی فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِیرُ. (الأنفال:۱۵-۱۶)

لَمَا کان عنـدهم جواب، لأن الصـحابة جمیعاً، ما عـدا بنی هاشم، فروا فی أحد وخیبر وحنین، وغیرها، واسـتحقوا بنص الآیة نار جهنم، إلا من ثبتت توبته!

وثانیاً، لو قلنا لهم: ما هی أقوی آیة عندکم فی مدح الصـحابة؟ لقالوا: إنها قوله تعالی: لَقَدْ رَضِـیَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِینَ إِذْ یُبَایِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِی قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّکِینَةَ عَلَیْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِیباً، فقـد نصت علی رضا الله عن أهل بیعـة الرضوان، وکانوا ألفاً وأربع مئة، ولذا حکمنا بأنهم من أهل الجنة.

نقول لهم: إن أهل بیعـة الرضوان أو الشـجرة، فیهم مؤمنون وفیهم دون ذلک، والرضا ورد فی الآیـة عن المؤمنین فقط، واسـتمراره عن هؤلاء المؤمنین مشروط بأن لایحدثوا ما یغضب الله علیهم ویحبط عملهم!

فلو کـان کل المبایعین مؤمنین والرضا عنهم مطلق، لقال عز وجل: لقـد رضـی اللهُ عن الـذین یُبایعونک، وما قیـده بالمؤمنین، وبظرف (إِذْ یُبَایِعُونَکَ)! فاختیاره لهذین القیدین، تحفظٌ إلهی کبیر، یدل علی أن رضاه محدود فی الأشخاص، وفی الظرف!

وثالثاً، لماذا نسـیتم العقد الذی بایعوا علیه النبی صـلی الله علیه وآله، فکان سـبب رضا الله عنهم، والذی جعلتموه رضاً مسـتمراً وعصمة

شاملة؟ فقد صرحتم بأنهم بايعوه على أن يقاتلوا معه ولا يفروا! قال بخارى:۴/۸: (باب البيعة فى الحرب أن لايفروا، وقال بعضهم على الموت، لقوله تعالى: لَقَدْ رَضِىَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...فسألت نافعاً على أى شئ بايعهم على الموت؟ قال: لا بايعهم على الصبر). انتهى.

فكيف يستمر رضا الله عليهم وقد نكثوا بيعتهم وفروا فى خيبر وحنين، وكانتا بعد بيعة الشجرة؟والله تعالى يقول: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ! (الفتح:١٠).

قال ابن طاوس فى الطرائف ص۵۸: (رواه علماء التاريخ مثل محمد بن يحيى الأزدى، وابن جرير الطبرى [١] والواقدى، ومحمد بن إسحاق، وأبى بكر البيهقى فى دلائل النبوة [٢] وأبى نعيم فى كتاب حلية الأولياء [٣] والأبشهى فى الإعتقاد، عن عبد الله بن عمر، وسهل بن سعد، وسلمة بن الأكوع، وأبى سعيد الخدرى، وجابر بن عبد الله الأنصارى، أن النبى صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر برايته مع المهاجرين وهى راية بيضاء، فعاد يؤنب قومه ويؤنبونه، ثم بعث عمر بعده فرجع يجبّن أصحابه ويجبنونه، حتى ساء ذلك النبى صلى الله عليه وآله فقال: لأعطين الراية غداً رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لايرجع حتى يفتح الله على يديه فأعطاها علياً ففتح على يديه [۴] .

وقال تعالى: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرض بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. (التوبة:٢۵).

وفى صحيح بخارى:۵/۱۰۱: (عن أبى قتادة قال: وانهزم المسلمون يوم حنين وانهزمت معهم فإذا عمر بن الخطاب فى الناس فقلت له: ما شأن الناس؟، قال: أمر الله)!! ونحوه:۴/۵۸.

فكيف يجوز التمسك بآية: لَقَدْ رَضِىَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ، وترك قوله عن الفار: فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، وقوله عن الناكث: فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ؟!

ورابعاً، سواء كان المدح فى الآية لكل من بايع كما تقولون، أو لبعضهم كما نقول، فإن أهل البيت عليهم السلام فى طليعتهم، فهم شركاء للصحابة فيها، مضافاً إلى ما اختصوا به من آيات وأحاديث، فكيف يصح رفع الصحابة إلى مرتبتهم لأنهم شاركوهم فى مديح؟!

وخامساً، ما ذا يعنى عندكم نص القرآن على رضا الله عز وجل عن أناس؟

هل يعنى عصمتهم، وأنهم حجة على المسلمين يجب عليهم الإقتداء بهم؟ فتكون سنتهم وقولهم وفعلهم وتقريرهم حجة شرعية كالنبى صلى الله عليه وآله؟

وإذا اختلفوا واقتتلوا، فهل يكون إجماعهم فقط هو الحجة؟ أم يجوز للمسلم أن يقتدى بأى واحد منهم كما رويتم: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم؟!

فيصح الإقتداء بسعد بن عبادة وأهل البيت عليهم السلام فى رفضهم لخلافة السقيفة؟

وسادساً، كيف تقولون إن الرضا الإلهى شمل كل أهل بيعة الشجرة فكلهم فى الجنة، وفيهم رأس المنافقين ابن سلول، وفيهم ابن عديس البلوى قاتل عثمان، وفيهم أبو الغادية قاتل عمار الذى شهد النبى صلى الله عليه وآله بأنه من أهل النار؟!

هذه مناقشة عابرة فى أهم آية عندهم فى مدح الصحابة، التى حاولوا بها رفعهم إلى صف أهل البيت عليهم السلام. ولايتسع المجال لبسط القول فيها وفى غيرها.

[١] تاريخ الطبرى:٣/٩٣ ط بيروت.

[٢] رواه البيهقى فى السنن الكبرى: ٩/١٠۶، وكذا فى الإعتقاد: ١۵١.

[٣] حلية الأولياء:١/۶٢ و:۴/٣۵۶، والحاكم النيسابورى فى المستدرك: ٣/٣٨.

[۴] محب الدين الطبرى فى ذخائر العقبى:٨٢، وابن حجر فى الصواعق المحرقة:٧٢). انتهى.

غیبوا الآیات الصریحة فی نقد الصحابة و ذمهم

فمنها قوله تعالی: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْکِتَابِ الَّذِی نَزَّلَ عَلَی رَسُولِهِ (النساء:۱۳۶)، وهو خطاب یشمل الصحابة ویأمرهم أن یؤمنوا، ویدل علی أنهم کغیرهم، فیهم کامل الإیمان وناقصه!

وتدل الآیة التالیة علی أنهم کغیرهم من الناس، فأکثرهم موحد فی الظاهر، مشرک فی الواقع: وَمَا أَکْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِینَ...وَمَا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِکُونَ.(یوسف:۱۰۳و۱۰۶).

کما أن منهم من لبس إیمانه بظلم: الَّذِینَ آمَنُوا وَلَمْ یَلْبِسُوا إِیمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِکَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ. الأنعام:۸۲

ومنهم من یؤذی النبی صلی الله علیه وآله: وَمِنْهُمُ الَّذِینَ یُؤْذُونَ النَّبِیَّ وَیَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ! (التوبة:۶۱).

ومنهم یفتری علی النبی صلی الله علیه وآله ویتهم عرضه: إِنَّ الَّذِینَ جَاءُوا بِالإِفْکِ عُصْبَةٌ مِنْکُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَکُمْ بَلْ هُوَ خَیْرٌ لَکُمْ لِکُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اکْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِی تَوَلَّی کِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِیمٌ. (النور:۱۱).

ومنهم منافقون لایعلمهم حتی النبی صلی الله علیه وآله: وَمِنْ أهل الْمَدِینَةِ مَرَدُوا عَلَی النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ. التوبة:۱۰۱

ومنهم من یرید الحیاة الدنیا فیهرب من المعرکة: مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الدُّنْیَا وَمِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الآخرة. آل عمران:۱۵۲

ویتهم الله ورسوله لتغطیة جبنه: وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا. الأحزاب:۱۰ وَإِذْ یَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا. الأحزاب:۱۲

ومنهم من یتسلل هرباً من أمر النبی صلی الله علیه وآله: قَدْ یَعْلَمُ اللهُ الَّذِینَ یَتَسَلَّلُونَ مِنْکُمْ لِوَاذًا فَلْیَحْذَرِ الَّذِینَ یُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِیبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ یُصِیبَهُمْ عَذَابٌ أَلِیمٌ. النور:۶۳

ومنهم من یتثاقل عن الجهاد مع النبی صلی الله علیه وآله: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَا لَکُمْ إِذَا قِیلَ لَکُمُ انْفِرُوا فِی سَبِیلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلی الأرض أَرَضِیتُمْ بِالْحَیَاةِ الدُّنْیَا مِنَ الآخرة! التوبة:۳۸

ومنهم من یثبط المؤمنین عن الجهاد مع النبی صلی الله علیه وآله: وَإِنَّ مِنْکُمْ لَمَنْ لَیُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْکُمْ مُصِیبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَیَّ إِذْ لَمْ أَکُنْ مَعَهُمْ شَهِیدًا. النساء:۷۲

ومنهم بخیلٌ بماله فکیف بدمه: هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِی سَبِیلِ اللهِ فَمِنْکُمْ مَنْ یَبْخَلُ وَمَنْ یَبْخَلْ فَإِنَّمَا یَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِیُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا یَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَیْرَکُمْ ثُمَّ لا یَکُونُوا أَمْثَالَکُمْ. محمّد:۳۸

ومنهم من یخون الله ورسوله: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِکُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. الأنفال:۲۷

ومن یتبع خطوات الشیطان: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّیْطَانِ وَمَنْ یَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّیْطَانِ فَإِنَّهُ یَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْکَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَیْکُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَکَی مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَکِنَّ اللهَ یُزَکِّی مَنْ یَشَاءُ وَاللهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ. النور:۲۱

ومنهم من یسقط فی الفتنة: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِیَ فِی اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ کَعَذَابِ اللهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّکَ لَیَقُولُنَّ إِنَّا کُنَّا مَعَکُمْ أَوَلَیْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِی صُدُورِ الْعَالَمِینَ. العنکبوت:۱۰ وَلَیَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَلَیَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِینَ. العنکبوت:۱۱

ومنهم صاحب أضغان وعقد: أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ یُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ. محمّد:۲۹ وَلَوْ نَشَاءُ لارَیْنَاکَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِیمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِی لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ یَعْلَمُ أَعْمَالَکُمْ. محمّد:۳۰

ومنه فی معرض الردة والکفر: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا کُفْرًا لَمْ یَکُنِ اللهُ لِیَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِیَهْدِیَهُمْ سَبِیلاً. النساء:۱۳۷

ولم ینته امتحانهم بوفاة النبی صلی الله علیه وآله: وَلَنَبْلُوَنَّکُمْ حَتَّی نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِینَ مِنْکُمْ وَالصَّابِرِینَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَکُمْ. محمّد:۳۱

ومنهم من سیرتد وینقلب علی عقبیه بعد النبی صلی الله علیه وآله: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ

انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شيئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ).(آل عمران:١٤٤)

ومنهم الخائن العميل للكافرين: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. التوبة:١٦

ومنهم من هو من اليهود أو النصارى: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. المائدة:٥١ فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَاتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ. المائدة:٥٢

وهم مثل أتباع الأنبياء السابقين منهم الصالح ومنهم الطالح: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخر وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. البقرة:٦٢

ولا نريد بذلك أن ننقص من حق صحابة النبى صلى الله عليه وآله، ففيهم أبرار أخيار ومجاهدون أئمة، نزلت فيهم آيات مديح فريدة، وصدرت بحقهم شهادات نبوية خالدة، لكنها تخص الصالحين منهم، دون المنافقين، ومرضى القلوب وضعفاء العقيدة. فلا بد من ميزان لمعرفتهم.

لابد من ميزان لتقييم الصحابة

كان الميزان رسول الله صلى الله عليه وآله، أما بعده فالميزان عترته الطاهرون عليهم السلام الذين قال فيهم فى حديثه المتواتر عند الجميع: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما.

وقال فى أولهم على عليه السلام:(على باب علمى، ومبيِّنٌ لأمتى ما أرسلت به من بعدى. حبه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رأفة ومودة وعبادة.(فردوس الأخبار:٣/٦٤)

وروى الحاكم: ٣/١٢٩: عن أبى ذر قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلف عن الصلوات، والبغض لعلى بن أبى طالب. هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. (ورواه أحمد فى فضائل الصحابة: ٢/٦٣٩).

وفى صحيح مسلم: ١/٦٠، تحت عنوان: باب حب على من الإيمان: عن زر بن حبيش قال: قال على عليه السلام: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبى(ص)إلىَّ: أن لا يحبنى إلا مؤمن، ولا يبغضنى إلا منافق). (ورواه ابن ماجة:١/٤٢، والنسائى فى سننه: ٨/١١٥ و١١٧ وفى خصائص على: ١٣٧٥، وأحمد:١/٨٤ و٩٥ و١٢٨ وفضائل الصحابة: ٢/٢٦٤، وابن أبى شيبة فى مصنفه:١٢/٥٦، وعبد الرزاق فى مصنفه:١١/٥٥، وابن أبى عاصم فى السنة:٥٨٤٢، وابن حبان فى صحيحه:٩/٤٠، والخطيب فى تاريخ بغداد:٢/٢٥٥ و١٤/٤٢٦، وابن عبد البر فى الإستيعاب: ٣/٣٧، وأبو نعيم فى حلية الأولياء:٨/١٨٥، وابن حجر فى الإصابة:٢/٥٠٣، والحاكم فى المستدرك:٣ /١٣٩، والبيهقى فى سننه:٥/٤٧، وابن حجر فى فتح البارى:٧/٥٧).

وفى فتح البارى: ٧/٧٢: وفى كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه يقول: لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفى هذا على أن يبغضنى ما أبغضنى، ولو صببت الدنيا بجمانها على المنافق على أن يحبنى ما أحبنى! وذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبى الأمى صلى الله عليه و(آله)وسلم أنه قال: يا على لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق). انتهى.

ويطول الكلام لو أردنا استعراض ما دل على أن علياً والعترة الطاهرة عليهم السلام ميزان الإسلام والكفر والإيمان والنفاق، فبهم فقط نستطيع أن نعرف المرضيين وغير المرضيين من الصحابة، من أهل السقيفة وغيرهم.

وضعوا أحاديث فى مدح الصحابة و عصمتهم

ليقابلوا بها أحاديث عصمة العترة

قال الخطيب البغدادى فى الكفاية ص۶۴: (ووصف رسول الله(ص) الصحابة مثل ذلک(مثل الآيات)وأطنب فى تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم. فمن الأخبار المستفيضة عنه فى هذا المعنى: ما أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس...عن عبد الله بن مسعود أن النبى(ص)قال: خير أمتى قرنى ثم الـذين يلونهم ثم الـذين يلونهم ثم يجئ قوم تسبق ايمانهم شـهادتهم ويشـهدون قبل ان يستشهدوا... ثم رواه الخطيب عن أبى هريرة وعمران بن حصين، وروى بعده:

عن أبى سعيد قال قال رسول الله(ص): لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما أدرک مُدَّ أحدهم ولا نصيفه...

عن ابن عباس قال قال رسول الله(ص): مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحدكم فى تركه، فإن لم يكن فى كتاب الله فسنة منى ماضـية، فإن لم تكن سـنة منى ماضـية فما قال أصـحابى، إن أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء فأيها أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابى لكم رحمة...

عن سـعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله(ص): سألت ربى فيما اختلف فيه أصحابى من بعدى، فأوحى الله إلىَّ يا محمـد إن أصـحابک عنـدى بمنزلة النجوم فى السـماء، بعضـها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشـئ مما هم عليه من اختلافهم فهم عندى على هدى....

عن أنس بن مالک قال قال رسول الله(ص): إن الله اختارنى واختار أصـحابى فجعلهم أصهارى وجعلهم أنصارى، وإنه سيجئ فى آخر الزمان قوم ينتقصونهم ألا فلا تناكحوهم، ألا فلا تنكحوا إليهم، ألا فلا تصلوا معهم، ألا فلا تصلوا عليهم، عليهم حلت اللعنة.

وتابع الخطيب: الأخبار فى هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد فى نص القرآن! وجميع ذلک يقتضـى طهارة الصحابة والقطع على تعـديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحـد منهم مع تعـديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم، إلى تعـديل أحد من الخلق له، فهو على هذه الصفة، إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية والخروج من باب التأويل، فيحكم بسقوط العدالة، وقد برأهم الله من ذلک ورفع أقدارهم عنه.

على أنه لو لم يرد من الله عز وجـل ورسوله فيهم شـئ ممـا ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصـرة وبـذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة فى الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم والإعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضـل من جميع المعدلين والمزكين، الذين يجيؤن من بعدهم أبد الآبدين! هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء.

وذهبت طائفـة من أهل البـدع إلى أن حال الصـحابة كانت مرضـية إلى وقت الحروب التى ظهرت بينهم وسـفک بعضـهم دماء بعض، فصار أهل تلک الحروب ساقطى العدالة، ولما اختلطوا بأهل النزاهة، وجب البحث عن أمور الرواة منهم.

وليس فى أهـل الـدين والمتحققيـن بـالعلم من يصـرف إليهم خبر مـا لاـ يحتمـل نوعـاً من التأويـل، وضـرباً من الإجتهـاد، فهم بمثـابة المخالفين من الفقهاء، المجتهدين فى تأويل الأحكام لإشكال الأمر والتباسه.

ويجب ان يكونوا على الأصل الذى قدمناه من حال العدالة والرضا، إذ لم يثبت ما يزيل ذلک عنهم.

أخبرنا أبو منصور محمـد بن عيسـى الهمذانى، ثنا صالح بن أحمد الحافظ قال: سـمعت أبا جعفر أحمد بن عبدل يقول: سـمعت أحمد بن محمـد بن سـليمان التسترى يقول: سـمعت أبـا زرعـة يقول: إذا رأيت الرجـل ينتقص أحـداً من أصـحاب رسول الله(ص)فـاعلم أنه زنديق! وذلک أن الرسول(ص)عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله(ص)، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة). انتهى.

وكلام أبى زرعة الذى رواه الخطيب البغدادى فى سياق الأحاديث كأنه حديث شريف! يدل على تصعيد محاولتهم فى الدفاع عن أبى بكر وعمر وأتباعهما، بحصـر سند الإسلام والقرآن بهم، وجعل التشكيک فيهم تشكيكاً فى سند الإسلام! وكأن كل أمة الإسلام ماتت بعد النبى صلى الله عليه وآله وضاع الإسلام، ولا يوجد سند لإثباته إلا رواية هؤلاء!!

أما الأحاديث التى ذكرها الخطيب فى فضلهم، فكلها ضعيفة أو موضوعة، بدون استثناء، بشهادة النقاد من علمائهم! ولا يتسع المجال لبيان ذلك.

وقال القاضى الجرجانى فى شرح المواقف:۸/۳۷۳، وهو من كبار متكلمى المذاهب السنية: (المقصد السابع: إنه يجب تعظيم الصحابة كلهم، والكف عن القدح فيهم لأن الله سبحانه وتعالى عظمهم وأثنى عليهم، فى غير موضع من كتابه، كقوله: والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. وقوله: يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه، نورهم يسعى بين أيديهم. وقوله: والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً. وقوله: لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة.

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عظم قدرهم وكرامتهم عند الله.

والرسول قد أحبهم وأثنى عليهم فى أحاديث كثيرة، منها قوله عليه السلام:خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. ومنها قوله: لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. ومنها قوله: الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه. إلى غير ذلك من الأحاديث المشهورة فى الكتب الصحاح.

ثم إن من تأمل سيرتهم، ووقف على مآثرهم، وجدهم فى الدين وبذلهم أموالهم وأنفسهم فى نصرة الله ورسوله، لم يتخالجه شك فى عظم شأنهم، وبراءتهم عما ينسب إليهم المبطلون من المطاعن، ومنعه ذلك أى تيقنه بحالهم عن الطعن فيهم، فرأى ذلك مجانباً للإيمان.

ونحن لا نلوث كتابنا بأمثال ذلك، وهى مذكورة فى المطولات مع التفصى عنها، فارجع إليها إن أردت الوقوف عليها.

وأما الفتن والحروب الواقعة بين الصحابة، فالهشامية من المعتزلة أنكروا وقوعها! ولا شك أنه مكابرة للتواتر فى قتل عثمان ووقعة الجمل وصفين.

والمعترفون بوقوعها، منهم من سكت عن الكلام فيها بتخطئة أو تصويب، وهم طائفة من أهل السنة. فإن أرادوا إنه اشتغال بما لا يعنى فلا بأس به، إذ قال الشافعى وغيره من السلف: تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلنطهر عنها ألسنتنا. وإن أرادوا إنا لا نعلم أوقعت أم لا؟ فباطل، لوقوعها قطعاً، وأنت خبير بأن الشق الثانى من الترديد ينافى الإعتراف بوقوعها.

واتفق العمرية أصحاب عمرو بن عبيد، والواصلية أصحاب واصل بن عطاء على رد شهادة الفريقين، قالوا لو شهد الجميع بباقة بقلة لم نقبلها، أما العمرية فلأنهم يرون فسق الجميع من الفريقين.

وأما الواصلية فلأنهم يفسقون أحد الفريقين لا بعينه، فلا يعلم عدالة شئ منهما.

والذى عليه الجمهور من الأمة هو: أن المخطئ قتلة عثمان ومحاربوا على لأنهما إمامان فيحرم القتل والمخالفة قطعاً، إلا أن بعضهم كالقاضى أبى بكر ذهب إلى أن هذه التخطئة لا تبلغ إلى حد التفسيق. ومنهم ذهب إلى التفسيق كالشيعة وكثير من أصحابنا). انتهى.

وقد كشف الجرجانى وجود آراء مختلفة تدين أكثر الصحابة ومنهم أبو بكر وعمر، لكنه مرَّ عليها مروراً وركَّز على بضعة أحاديثهم الموضوعة المتقدمة! ونكتفى هنا بمناقشة واحد منها:

نقد حديث: خير القرون قرنى

روى البخارى:۷/۱۷۳، عن عبدالله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وآله قال:خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجئ من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيمانهم، وأيمانهم شهادتهم. ورواه أيضاً بصيغة: خيركم قرنى، ثم الذين يلونهم- قال عمران فما أدرى قال النبى بعد قوله مرتين أو ثلاثاً- ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولايستشهدون، ويخونون ولايؤتمنون، وينذرون ولايفون، ويظهر فيهم السِّمَن).انتهى. ومعنى السِّمَن: البدنة من الترف وكثرة الأكل. (وكرر روايته فى:۷/۲۲۴، و۲۳۳)

و معناه أن التاريخ الإسلامى يسير إلى الإنحدار، والأمة إلى الزوال

وأصل الحديث هو تصور عمر لمستقبل الإسلام وأمته، وأنه كالبعير سيهرم ويموت! ففى مسند أحمد:۳/۴۶۳: (قال كنت فى مجلس فيه عمر بن الخطاب بالمدينة فقال لرجل من القوم: يا فلان كيف سمعت رسول الله (ص)ينعت الإسلام؟ قال: سمعت رسول الله(ص)يقول: إن الإسلام بدأ جَذعاً ثم ثِنْياً ثم رُباعياً ثم سُديسياً ثم بازلاً! قال فقال عمر بن الخطاب: فما بعد البزول إلا النقصان)!! (ورواه فى:۵/۵۲، وقال فى لسان العرب إن الذى سأله عمر هو العلاء بن الحضرمى).

وقال الزبيدى فى تاج العروس:۹/۲۴۵: (وأدنى الأسنان الإثناء، وهو أن تنبت ثنيتاها، وأقصاها فى الإبل البزول، وفى البقر والغنم السلوغ).

وأصل الفكرة من كعب الأحبار الذى أقنع عمر بأن الإسلام سوف ينتهى، وأن الكعبة سوف تهدم، ومكة ستخرب! فقد عقد البخارى باباً فى:۲/۱۵۹، بعنوان: (باب هدم الكعبة!) روى فيه (عن أبى هريرة عن النبى(ص) قال: يُخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة)! (ورواه مسلم:۸/۱۸۳) ثم روى البخارى حديثين آخرين، أحدهما عن ابن عباس عن النبى(ص)قال:كأنى به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً!

ومن الثابت أن أبا هريرة كان يروى عن كعب ويسنده إلى النبى صلى الله عليه وآله مع أن كعباً لم ير النبى صلى الله عليه وآله! ويبدو أن عمر يفعل ذلك أيضاً لشدة ثقته بكعب!

ففى مسند أحمد:۱/۲۳: عن عمر أنه سمع رسول الله (ص) يقول: سيخرج أهل مكة ثم لايعبر بها أولاًيعبر بها إلا قليل، ثم تمتلئ وتبنى، ثم يخرجون منها فلا يعودون فيها أبداً)! (وقال عنه فى مجمع الزوائد:۳/۲۹۸: رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح).

وفى مسند أحمد:۲/۲۲۰: (عن عبدالله بن عمرو قال سمعت رسول الله (ص) يقول: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها! ولكأنى أنظر إليه أصيلع أُفَيْدِع، يضرب عليها بمسحاته ومعوله)! انتهى.

الخط البيانى للأمة.. نزول ثم صعود

كل من قرأ القرآن يعرف أن الله تعالى وعد أن يظهر دينه على الدين كله: (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ).

وكل من قرأ الحديث يعرف أن النبى صلى الله عليه وآله أخبر أمته عن مستقبلها ومسارها وأنها ستصاب بالإنحراف والضعف، ثم يبعث الله فيها المهدى من عترته عليه السلام فيظهر به دينه على الدين كله، وينزل فيها عيسى عليه السلام من السماء ليساعده.

فهى أحاديث متواترة روتها مصادر السنيين ومصادر أهل البيت عليهم السلام، منها ما رواه الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه، عن آبائه، عن على عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أبشروا ثم أبشروا-ثلاث مرات-إنما مثل أمتى كمثل غيث لايدرى أوله خير أم آخره، إنما مثل أمتى كمثل حديقة أطعم منها فوج عاماً، ثم أطعم منها فوج عاماً، لعل آخرها فوجاً يكون أعرضها بحراً وأعمقها طولاً وفرعاً، وأحسنها جنىً! وكيف تهلك أمة أنا أولها واثنا عشر من بعدى من السعداء وأولى الألباب، والمسيح عيسى بن مريم آخرها؟! ولكن يهلك بين ذلك نتج الهرج، ليسوا منى ولست منهم). (الخصال ص۴۷۵، وكمال الدين ص۲۶۹، وعيون أخبار الرضا عليه السلام:۲/۵۶).

لكنك ترى علماء السلطة القرشية يتعمدون الإعراض عن هذه الأحاديث ويرجحون عليها حديث خير القرون المزعوم، لأنه بتصورهم يُفَضِّل الصحابة الذين يحبونهم، أى أبا بكر وعمر، على كل البشر، وهذا مطلوبهم حتى لو خربت الدنيا، وهدمت الكعبة، وانتهى

الإسلام!!

وقـد تمحلوا فی تأویل الأحادیث الصـریحة الصـحیحة التی تفضل جیلًا أو أشـخاصاً آتین من الأمـة علی جیل الصـحابة، مثل حـدیث: (تأتی أیام للعامل فیهن أجر خمسین، قیل: منهم أو منایارسول الله؟ قال: بل منکم).

فهاجموا کل نوع من هذه الأحادیث تأویلًا وتمییعاً وتضـعیفاً، لتسـلم لهم مقولة أن الصـحابة أفضل من الجمیع! (راجع الفصل السادس عشر من المجلد الأول، لتری تأثیر الیهود فی نشر عقیدة أن الأمة الإسلامیة تسیر فی خط نزول مستمر إلی فنائها! وأن القرآن سیرفع من الأرض، والکعبة ستهدم، ومکة ستخرب فلا تسکن بعدها أبداً).

تخبط الشراح فی حدیث خیر القرون قرنی

قال النووی فی مقدمة شرح مسلم:١/٣: (المُکرَّم بتفضیل أمته زادها الله شرفاً علی الأمم السابقین، وبکون أصحابه خیر القرون الکائنین، وبأنهم کلهم مقطوع بعـدالتهم عنـد من یعتـد به من علماء المسـلمین).وقال فی:١٦/٨٤: (اتفـق العلمـاء علی أن خیر القرون قرنه(ص)، والمراد أصحابه، وقد قدمنا أن الصحیح الذی علیه الجمهور أن کل مسلم رأی النبی(ص)ولو ساعة فهو من أصحابه. وروایة خیر الناس علی عمومها والمراد منه جملـة القرن، ولا یلزم منه تفضـیل الصـحابی علی الأنبیاء(ص)ولا أفراد النساء علی مریم وآسـیة وغیرهما، بل المراد جملة القرن بالنسبة إلی کل قرن بجملته...الخ.). ثم ذکر النووی اختلافهم فی القرن، من عشر سنوات إلی مئة وعشرین سنة!

فـانظر کیف فسـر القرن بـالمجموع الکلی للأصـحاب، وفضـلهم علی المجموع الکلی لأنـاس کل قرن! وهـذا معنی قوله (جملـة القرن بالنسبة إلی کل قرن بجملته) ولکنه یقول لایلزم منه ذلک!

ولو أنصف لقال: یلزم منه أنهم أفضل من المجموع الکلی لأناس القرون الماضیة والآتیة مجتمعین، لأن تفضیلهم جاء مطلقاً!

ویبدو أن البخاری لم یروِ: خیر القرون قرنی، فراراً من التعمیم الذی فیه، ولکنه روی: خیر الناس قرنی، فوقع فیما فرَّ منه!

قـال الشوکانی فی نیل الأوطار:٩/٢٢٨: (وحـدیث أبی هریرة أن خیر القرون قرنـه (ص)، وفی ذلـک دلیـل علی أنهم الخیـار من هـذه الأمـة، وأنه لا أکثر خیراً منهم. وقـد ذهب الجمهور إلی أن ذلک باعتبار کل فرد فرد. وقال ابن عبـد البر: إن التفضـیل إنما هو بالنسـبة إلی مجموع الصـحابة، فإنهم أفضل ممن بعدهم، لا کل فرد منهم. وقد أخرج الترمذی باسناد قوی، من حدیث أنس مرفوعاً: مَثَلُ أمتی مثلُ المطر، لا یدری أوله خیر أم آخره.....

وأخرج ابن أبی شـیبة من حدیث عبد الرحمن بن جبیر بن نفیر باسـناد حسن قال رسول الله (ص): لیدرکن المسیح أقواماً إنهم لمثلکم أو خیر ثلاثاً.....

وأخرج أحمـد، والـدارمی، والطبرانی باسـناد حسن، من حدیث أبی جمعة قال: قال أبو عبیدة: یارسول الله أحد خیر منا، أسـلمنا معک وجاهدنا معک؟ قال: قوم یکونون من بعدکم، یؤمنون بی ولم یرونی. وقد صححه الحاکم.

وأخرج مسلم من حدیث أبی هریرة رفعه: بدأ الإسلام غریباً وسیعود غریباً کما بدأ، فطوبی للغرباء.

وأخرج أبو داود والترمذی من حدیث ثعلبة رفعه: تأتی أیام للعامل فیهن أجر خمسین، قیل: منهم أو منا یا رسول الله؟ قال: بل منکم وجمع الجمهور، بأن الصحابة لها فضیلة ومزیة لایوازیها شئ من الأعمال، فلمن صحب النبی(ص)فضیلة الصحبة وإن قصر فی الأعمال، وفضـیلة من بعد الصـحابة باعتبار کثرة الأعمال المسـتلزمة لکثرة الأجور، فحاصل هذا الجمع أن التنصـیص علی فضیلة الصحابة باعتبار فضیلة الصحبة، وأما باعتبار أعمال الخیر فهم کغیرهم...فتقرر بما ذکرناه عدم صحة ما جمع به الجمهور...

والـذی یسـتفاد من مجموع الأحادیث أن للصـحابة مزیـة لایشارکهم فیها من بعـدهم، وهی صـحبته(ص)ومشاهـدته والجهاد بین یدیه وإنفـاذ أوامره ونواهیه، ولمن بعـدهم مزیـة لایشـارکهم الصـحابة فیها وهی إیمانهم بالغیب فی زمان لا یرون فیه الـذات الشـریفة، التی جمعت من المحاسن ما یقود بزمام کل مشاهد إلی الإیمان، إلامن حقت علیه الشقاوة....). انتهی.

فتكون النتيجة عند الشوكانى قريبة من التساوى!!

ثم تابع الشوكانى:(فإن قلت: ظاهر الحديث المتقدم عن أبى عبيدة قال: يارسول الله أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ فقال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولايرونى، يقتضى تفضيل مجموع قرن هؤلاء على مجموع قرن الصحابة.

قلت: ليس فى هذا الحديث ما يفيد تفضيل المجموع على المجموع، وإن سلم ذلك وجب المصير إلى الترجيح لتعذر الجمع، ولاشك أن حديث خير القرون قرنى أرجح من هذا الحديث بمسافات، لو لم يكن إلا كونه فى الصحيحين وكونه ثابتاً من طرق، وكونه متلقى بالقبول....فلم يبق ههنا إشكال والله أعلم)!

أما ابن حجر فقد بحث فى أول المجلد السابع من فتح البارى حديث خير القرون وأفضلية الصحابة، بحثاً مطولاً كغيره، فقوَّى رأى البخارى فى أن الصحابى من رأى النبى صلى الله عليه وآله! وأفتى بأن من قاتل منهم أو أنفق فهم خير البشر على الإطلاق! ثم قال: (لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد، محل بحث، والى الثانى نحا الجمهور، والأول قول ابن عبد البر. والذى يظهر أن من قاتل مع النبى(ص)أو فى زمانه بأمره، أو أنفق شيئاً من ماله بسببه، لايعدله فى الفضل أحد بعده كائناً من كان! وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث، والأصل فى ذلك قوله تعالى: لايَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا.. الآية

واحتج بن عبد البر بحديث: مثلُ أمتى مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره، وهو حديث حسن، له طرق قد يرتقى بها إلى الصحة.

وقد روى بن أبى شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير أحد التابعين باسناد حسن قال قال رسول الله(ص): ليدركنَّ المسيح أقواماً، إنهم لمثلكم أو خير. ثلاثاً، ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها.

وروى أبو داود والترمذى من حديث أبى ثعلبة رفعه: تأتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين. قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: بل منكم، وهو شاهد لحديث مثل أمتى مثل المطر.

واحتج بن عبد البر أيضاً بحديث عمر رفعه: أفضل الخلق إيماناً قوم فى أصلاب الرجال يؤمنون بى ولم يرونى..الحديث، أخرجه الطيالسى وغيره لكن إسناده ضعيف فلا حجة فيه.

وروى أحمد والدارمى والطبرانى من حديث أبى جمعة قال قال أبو عبيدة: يارسول الله أحدٌ خير منا، أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى، وإسناده حسن وقد صححه الحاكم.

واحتج أيضاً بأن السبب فى كون القرن الأول خير القرون أنهم كانوا غرباء فى إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ، وصبرهم على أذاهم، وتمسكهم بدينهم، قال: فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصى والفتن، كانوا أيضاً عند ذلك غرباء، وزكت أعمالهم فى ذلك الزمان كما زكت أعمال أولئك. ويشهد له ما رواه مسلم عن أبى هريرة رفعه: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء.

وقد تعقب كلام بن عبد البر بأن مقتضى كلامه أن يكون فيمن يأتى بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة، وبذلك صرح القرطبى، لكن كلام بن عبد البر ليس على الإطلاق فى حق جميع الصحابة، فإنه صرح فى كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية، نعم، والذى ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لايعدلها عمل لمشاهدة رسول الله(ص). انتهى.

ثم واصل ابن حجر محاولته لترجيح هذا حديث خير القرون على مايعارضه بكلام طويل، ومما قاله: (وأما حديث أبى جمعة فلم تتفق الرواة على لفظه، فقد رواه بعضهم بلفظ الخيرية كما تقدم، ورواه بعضهم بلفظ: قلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً.. الحديث...). انتهى.

وتلاحظ أنه أسقط حديث أبى جمعة عن الصلاحية لمعارضة حديث القرون لتفاوت ألفاظه، وهو يعرف أن ألفاظ حديث القرون متفاوتة ومتعارضة، وأن صيَغه تزيد على العشرة، وقد تضمن بعضها شتماً لكل أجيال المسلمين الآتية! كالذى فى فيض القدير:۳/۶۳۸:

(خير الناس قرنى الذين أنا فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، والآخرون أراذل)! انتهى. يقصد الذين من بعدهم!!

ثم ختم ابن حجر بقوله: (واستدل بهذا الحديث على تعديل أهل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم فى الفضل، وهذا محمول على الغالب والأكثرية)! انتهى.

وبذلك حصر أمر التفضيل على العالمين فى أبى بكر وعمر ومن تبعهما! وهو بيت قصيدهم، فى هذه المسألة وغيرها!

قال المناوى فى فيض القدير:٢/٢٣٣: (وأما خبر خير الناس قرنى فخاص بقوم منهم، والمراد فى قرنى كالعشرة وأضرابهم، وأما سواهم فيجوز أن يساويهم أفاضل أواخر هذه الأمة). انتهى.

فاتجاههم إلى تضييق المقصود بالحديث، ثابتٌ مستمر، حتى يصل الأمر إلى العشرة المبشرة، ثم يصل منهم إلى عمر وأبى بكر خاصة!

ردهم شهادات النبى فى انحراف الصحابة بعده

يحمد الله الشوكانى على أنه لم يبق إشكال على حديث القرون (خير القرون قرنى) وأنه ثبت به تفضيل أبى بكر وعمر، على أهل القرون!

أما ابن حجر فتخيل أنه عثر على علل فى الأحاديث المعارضة لحديث القرون فى سند بعضها، ونقاط ضعف فى تفاوت ألفاظ بعضها!

ومن العجيب أن هؤلاء الباحثين يرجحون حديث القرون وهو حديث واحد لراوييْن أو ثلاثة، على أحاديث الحوض وهى عشرات الأحاديث الصحيحة الصريحة، المتعددة الطرق والرواة إلى حد التواتر، بل تراهم يذكرونها على مضض كأنهم مجبرون! والسبب أنها نصَّتْ على أن أكثر الصحابة فى النار! وأنه لا ينجو منهم إلا مثل هَمَل النَّعَم، أى القلة الذين لاراعى لهم!

قال البخارى:٧/٢٠٨: (عن أبى هريرة عن النبى(ص)قال: (بيْنَا أنا قائمٌ فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلمَّ، فقلت أين؟ قال إلى النار والله! قلتُ: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلم! قلتُ: أين؟ قال: إلى النار والله! قلتُ: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم)!! انتهى.

وقد قتل شراح البخارى أنفسهم لإبعاد هذه الأحاديث عن الصحابة وإلصاقها بغيرهم، وقالوا إن النبى صلى الله عليه وآله يقصد الذين ارتدوا فى اليمن ونجد!

لكن رواية البخارى التالية صرحت بأن هؤلاء المطرودين عن الحوض الصحابة لا البدو المرتدين! قال فى:٢/٩٧٥: (عن ابن المسيب أن النبى(ص)قال: يَرِدُ علىَّ الحوضَ رجالٌ من أصحابى فيحلؤون عنه، فأقول يارب أصحابى! فيقول: فإنه لاعلم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقرى)!

(وروى شبيهاً به فى: ٨/٨٦ وشبيهاً بالأول فى:٧/١٩٥ و٢٠٧ـ٢١٠ وص٨٤ و٨٧ و:٨/٨٦ و٨٧، ونحوه مسلم:١/١٥٠ و:٧/٦٦ وابن ماجة:٢/١٤٤٠ وأحمد:٢/٢٥ و٤٠٨ و:٣/٢٨ و:٥/٢١ و٢٤ و٥٠ و:٦/١٦، والبيهقى فى سننه:٤/١٤، ونقل رواياته المتعددة فى كنز العمال:١٣/١٥٧و:١٤/٤٨ و:١٥/٦٤٧ وقال رواه(مالك والشافعى حم م ن-عن أبى هريرة. وأورد ابن حجر فى فتح البارى:١١/٣٣٣، قرابة عشرين حديثاً فى الحوض والصحابة المطرودين عنه).

وفى مسلم:١/١٥٠، (عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص): ترد علىَّ أمتى الحوض وأنا أذود الناس عنه، قالوا يا نبى الله أتعرفنا؟ قال: نعم تردون علىَّ غراً محجلين من آثار الوضوء. ولَيُصَدَّ عنى طائفةٌ منكم فلايصلون فأقول يارب هؤلاء من أصحابى! فيجيبنى ملكٌ فيقول: وهل تدرى ما أحدثوا بعدك؟!).

وفى مسلم:٧/٧٠: (عن أبى هريره أن النبى(ص) قال: لأذودن عن حوضى رجالاً كما تذاد الغريبة من الإبل). (ورواه أحمد:٢/٢٩٨، المسند الجامع تحقيق د. عواد:٣/٣٤٣ و:٥/١٣٥ و١٨ /٤٧١، والبيهقى فى البعث والنشور ص١٢٥ ومجمع الزوائد:١٠/٦٦٥).

فهل يعقل من الذى أخبر بوحى رب العالمين عن مستقبل الصحابة الرهيب فى جهنم، أن يقول عنهم إنهم خير القرون، وأفضل من جميع العالمين؟!

وهل يعقل من الذى لم يرض أن يسميهم إخوانى صلى الله عليه وآله، لأنهم سينقلبون من بعده، أن يقول عنهم إنهم خير القرون! ففى صحيح مسلم:١/١٥٠: (وددت أنا قد رأينا إخواننا. قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال أنتم أصحابى، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أن رجلًا له خيل غر محجلة بين ظهرىْ خيل دُهْم بُهْم، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ـ ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال! أناديهم ألا هلمَّ، فيقال إنهم قد بدلوا بعدك! فأقول سحقاً سحقًا!). ورواه أحمد فى مسنده:٢/٣٠٠ وص٤٠٨، والبيهقى فى سننه:١/٨٣ و:٤/٧٨، وابن حبان:٣/٣٢١، ومجمع الزوائد:١٠/٦٦، وغيرهم بدون نقيصة، لكن رواه النسائى فى سننه:١/٩٣، وحذف آخره لأن فيه ذم الصحابة!

وهل يعقل أن يكون الصحابة خير أهل القرون، ثم يكون قطيعهم وأكثريتهم من أهل النار، ولاينجو منهم ولا يدخل الجنة إلا قلة قليلة، يكونون منفردين عن قطيعهم مثل (هَمَل النعم)كالأغنام المنفردة البعيدة عن القطيع!

قال ابن حجر فى مقدمته ص١٩٧: (والخليفة راعى الصحابة بلا ـ شك).انتهى. فمن هم الهمل الناجون، البعيدون عن قطيع الصحابة الذى راعياه أبو بكر وعمر؟!

الامام مالك يعض يديه ندما لروايته أحاديث الحوض

تحالف الحسنيون والعباسيون فى جبهة واحدة للثورة على الأمويين، وكانت القيادة للحسنيين، وما أن اشتعلت الثورة فى خراسان بقيادة أبى مسلم الخراسانى حتى بادر العباسيون فى الكوفة إلى سرقتها وأقنعوه بالبيعة للسفاح فبايعوا له فى الكوفة وأزاحوا الحسنيين، فغضب الحسنيون وسيطروا على اليمن والحجاز والبصرة، وزحفوا فى سبعين ألف مقاتل نحو الكوفة ووصلوا اليها وشارفوا على النصر، وتهيأ أبو جعفر المنصور للهرب، لكن قائدهم إبراهيم بن عبدالله بن الحسن أصابه سهم طائش فقتل وتفرق جنده، فاستتب الأمر للعباسيين.

كان مالك بن أنس أفتى بالثورة مع الحسنيين! فعاقبه العباسيون بعد ذلك بالسجن والجلد، ثم استرضاهم فرضى عنه السفاح والمنصور.

وقد ساء المنصور أن يرى المرجعية الفكرية للأمة متمركزة فى الأئمة من ذرية الحسين عليه السلام فاتخذ قراراته غيظاً من كل أبناء على عليه السلام بتغيير الخط الفكرى لثورة العباسيين، وإعادة الإعتبار للخلفاء القرشيين، بعد أن قامت الثورة الهاشمية على البراءة منهم، ورفعت فى مقابل الأمويين شعار: يالثارات الحسين عليه السلام، وفى مقابل قريش: الدعوة إلى الرضا من آل محمد، فقرر المنصور تأسيس مذهب فى مقابلهم، وأمر مالك بن أنس أن يكتب له كتاباً موطأً ليلزم به المسلمين، وحصر الفتوى بمالك، ومنع أئمة أهل البيت عليهم السلام وفقهاء المدينة أن يفتوا مادام مالك موجوداً فصار قراره مثلًا: (لايفتين أحد ومالك فى المدينة)، وقام باضطهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقتله.

وقد استغرق هذا العمل بضع عشرة سنة، كتب مالك كتابه الموطأ فى أولها،

وتبنته السلطة ونشرته، وبعد نشره أصدر المنصور أمراً للمحدثين والفقهاء والولاة أن لايرووا شيئاً فى فضائل على عليه السلام، ولا طعناً بأبى بكر وعمر، وأن يفضلوهما على على عليه السلام! ثم أمر بمدح أبى بكر وعمر فى خطبة الجمعة وقال: (والله لأرغمن أنفى وأنوفهم، وأرفع عليهم بنى تيم وعدى). (منهاج الكرامة ص٦٩).

لكن الموطأ كان قد انتشر وفيه أحاديث الحوض وما أدراك ما أحاديث الحوض! فكان مالك يعض أصابعه ندماً على وجودها فيه!

قال الحافظ ابن الصديق المغربى فى فتح الملك العلى ص١٥١: (وخرج مالك والبخارى ومسلم حديث الحوض، الذى حكى عن

مالک أنه قال: ما ندمت علی حدیث أدخلته فی الموطأ إلا هذا الحدیث (الموطأ: ۱/۴۰ ط مصر ۱۳۶۹)!

وعن الشافعی أنه قال: ما علمنا فی کتاب مالک حدیثاً فیه إزراء علی الصحابة إلا حدیث الحوض ووددنا انه لم یذکره). انتهی.

هذا واقع الصحابة فی النص الصحیح عندهم! لکن السلطة القرشیة ترید إخفاءه ورفع الصحابة فی مقابل عترة النبی صلی الله علیه وآله وکأنهم لیسوا صحابة! وکأن النبی صلی الله علیه وآله لم یقل فیهم: (إنی تارک فیکم الثقلین کتاب الله وعترتی أهل بیتی)!

علی أنهم لیسوا حریصین علی مدح جمیع الصحابة، بل یریدون مدحاً مجملاً مبهماً للصحابة، یمکنهم تفسیره بأبی بکر وعمر ومن تبعهما فقط، من بین مئة ألف صحابی رأوا النبی صلی الله علیه وآله!

وحدیث: خیر الناس قرنی، برأیهم حدیث جمیل یصلح لهذه الوظیفة!

علی أنا لو سلمنا صحة هذا الحدیث وقلنا إن النبی صلی الله علیه وآله قال عن مسلمی عصره إنهم خیر البشر! فهل ینفع هذا المدح المجمل فی إثبات عدالة أبی بکر وعمر، أوإثبات عصمتهما؟ فقد یکون سبب الخیر وجود العترة النبویة فیهم علیهم السلام کما تقول خیر العصور عصر رسول الله بسبب وجوده الشریف صلی الله علیه وآله ووجود أهل بیته الأطهار علیهم السلام الذین هم معدن الخیر، وبهم کانت الأمة خیر أمة أخرجت للناس!

لکن القوم لا یریدونهم، ولا یریدون عدالة الصحابة، وإنما اتخذوا حدیث خیر القرون جسراً لإثبات عصمة عمر وأبی بکر! فهی بیت قصیدهم!

بل، حتی لو قلنا إن سبب هذه الخیریة والأفضلیة وجود خمس مئة من الصحابة الأبرار، فلا ینفعهم ذلک، إذا لم یوجد نصٌّ یُعینهم، ومقیاسَ یُمیزهم، فتکون القضیة بالنسبة إلی غیر أهل البیت علیهم السلام المخصوصین بالمدح النبوی، من نوع الشبهة المحصورة والأوانی المشتبهة بین الحلال والحرام، أو الطاهر والنجس، وفتوی مذاهبهم فیها وجوب اجتنابها جمیعاً إلا ما ثبتت طهارته!

قرنوا الصحابة بالنبی فی الصلاة علیه من أجل عمر

اتفقت مصادرهم علی أن المسلمین سألوا النبی صلی الله علیه وآله کیف نصلی علیک؟ فأمرهم بالصلاة علیه وآله معاً، وعلمهم صیغتها! وهذا نصها من البخاری:

(قِیلَ یَارَسُولَ اللهِ أَمَّا السَّلامُ عَلَیْکَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ فَکَیْفَ الصَّلاةُ عَلَیْکَ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَی مُحَمَّدٍ وَعَلَی آلِ مُحَمَّدٍ کَمَا صَلَّیْتَ عَلَی آلِ إِبْرَاهِیمَ إِنَّکَ حَمِیدٌ مَجِیدٌ اللَّهُمَّ بَارِکْ عَلَی مُحَمَّدٍ وَعَلَی آلِ مُحَمَّدٍ کَمَا بَارَکْتَ عَلَی آلِ إِبْرَاهِیمَ إِنَّکَ حَمِیدٌ مَجِیدٌ).(راجع أیضاً: الأحادیث: ۳۳۶۹، ۳۳۷۰، ۶۳۵۷، ۶۳۵۸، ۴۷۹۸، ۶۳۶۰).

فهو نصٌّ صریح فی أن الله تعالی لایقبل الصلاة علی نبیه إلا مقرونة بآله صلی الله علیه وآله. وهوصیغة توقیفیة یجب اتباعها فی الصلاة وغیر الصلاة، لأن السؤال مطلق: فَکَیْفَ الصَّلاةُ عَلَیْکَ؟ فعلمهم، ولم یسألوه کیف نصلی علیک فی صلاتنا؟ حتی یتفلسف متفلسف فیقول نحن نتقید بهذه الصیغة فی الصلاة، ونحذف منها ونزید علیها فی غیر الصلاة!

من الذی حذف الصلاة علی آل النبی؟! ومن أین جاء قولهم، أو علیه وآله صحبه و سلم؟

اعترف الحافظ الحنبلی ابن حجر بأن العلماء والرواة ارتکبوا تحریف أحادیث النبی صلی الله علیه وآله وحذفوا منها الصلاة علی آل النبی(تقیةً)من حکام بنی أمیة وجنودهم!

قال فی سبل السلام بشرح الکحلانی:۱/۱۹۲: (ودعوی النووی وغیره الإجماع علی أن الصلاة علی الآل مندوبة، غیر مسلَّمة! بل نقول: الصلاة علیه(ص)لاتتم ولا یکون العبد ممتثلاً بها حتی یأتی بهذا اللفظ النبوی الذی فیه ذکر الآل، لأنه قال السائل: کیف نصلی علیک؟فأجابه بالکیفیة أنها الصلاة علیه وعلی آله، فمن لم یأت بالآل فما صلی علیه بالکیفیة التی أمر بها، فلا یکون ممتثلاً للأمر، فلا

یکون مصلیاً علیه(ص). وکذلک بقیة الحدیث من قوله: کما صلیت إلی آخره، یجب، إذ هو من الکیفیة المأمور بها، ومن فرق بین ألفاظ هذه الکیفیة بإیجاب بعضها وندب بعضها، فلا دلیل له علی ذلک.

وأما استدلال المهدی فی البحر علی أن الصلاة علی الآل سنة، بالقیاس علی الأذان، فإنهم لم یذکروا معه (ص) فیه، فکلامٌ باطل، فإنه کما قیل لا قیاس مع النص، لأنه لا یذکر الآل فی تشهد الأذان لا ندباً ولا وجوباً، ولأنه لیس فی الأذان دعاء له (ص) بل شهادة بأنه رسول الله، والآل لم یأت تعبدٌ بالشهادة بأنهم آله. ومن هنا تعلم أن حذف لفظ الآل من الصلاة کما یقع فی کتب الحدیث، لیس علی ما ینبغی! وکنت سئلت عنه قدیماً فأجبت إنه قد صح عند أهل الحدیث بلا ریب کیفیة الصلاة علی النبی(ص)وهم رواتها، وکأنهم حذفوها خطأ تقیةً لمَّا کان فی الدولة الأمویة من یکره ذکرهم، ثم استمر علیه عمل الناس متابعةً من الآخر للأول فلا وجه له. وبسطت هذا الجواب فی حواشئ شرح العمدة بسطاً شافیاً). انتهی.

ولم یسبق بنی أمیة إلا عبدالله بن الزبیر، الذی کان فی خلافته یصلی الجمعة فلا یذکر النبی صلی الله علیه وآله أصلًا! وإذا ذکره لایصلی علیه صلی الله علیه وآله!فسئل عن ذلک فقال:(إن هذا الحیَّ من بنی هاشم إذا سمعوا ذکره أشرأبَّت أعناقهم، وأبغض الأشیاء إلیه ما یسرهم! لایمنعنی ذکره إلا أن تشمخ رجال بآنافها! وفی روایة أنه قال مرةً: إن له أهیل سوء ینغضون رؤوسهم عند ذکره)!. (راجع الصحیح من السیرة: ۲/۱۵۳، عن العقد الفرید:۴/۴۱۳ ط دار الکتاب العربی، وشرح النهج:۲۰/۱۲۷، وأنساب الأشراف:۴/ ۲۸ وقاموس الرجال: ۵/۴۵۲، ومقاتل الطالبیین ص۴۷۴).

من الذی وضع الصلاة علی الصحابة بدل الآل أو معها؟

الذین حذفوا الآل من الصلاة علی النبی صلی الله علیه وآله هم الذین وضعوا صحابته بدلهم! فهل عندهم حدیث جوَّز لهم قَرْنَ الصحابة بالنبی صلی الله علیه وآله فی الصلاة علیه، سواء فی صلاة الفریضة أو خارجها؟ أم هو استدراکٌ علی النبی صلی الله علیه وآله وبدعة! وکل بدعة ضلالة، وکل ضلالة فی النار؟!

قال الحافظ الصدیق المغربی فی رسالته (القول المقنع فی الرد علی الألبانی المبتدع) طبع طنجة بالمغرب ۱۹۸۶، ص۱۲:(وننبه هنا علی خطأ وقع من جماهیر المسلمین، قلد فیه بعضهم بعضاً ولم یتفطن له إلا الشیعة، ذلک أن الناس حین یصلون علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم یذکرون معه أصحابه مع أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم حین سأله الصحابة فقالوا: کیف نصلی علیک؟ أجابهم بقوله: قولوا اللهم صل علی محمد وآل محمد. وفی روایة: اللهم صل علی محمد وأزواجه وذریته، ولم یأت فی شئ من طرق الحدیث ذکر أصحابه مع کثرة الطرق وبلوغها حد التواتر.

فذکرُ الصحابة فی الصلاة علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم زیادةٌ علی ما علمه الشارع، واستدراکٌ علیه، وهو لا یجوز.

وأیضاً فإن الصلاة حقٌّ للنبی ولآله صلی الله علیه وآله وسلم، ولا دخلَ للصحابة فیها، لکن یترضی عنهم). انتهی. وهو کلام قویٌّ من عالم سنی منصف.

وقد رد الألبانی علیه فی مقدمة کتابه: سلسلة الأحادیث الضعیفة:۳/ ۸ رداً مطولاً جداً، ومما قاله: (قلت: لیس فی هذا الکلام من الحق إلا قولک الأخیر: إنه لاتجوز الزیادة علی ما علمه الشارع..إلخ، فهذا حق نقول به ونلتزمه ما استطعنا إلی ذلک سبیلا. ولکن ما بالک أنت وأخوک خالفتم ذلک، واستحببتم زیادة کلمة (سیدنا) فی الصلاة علیه صلی الله علیه وآله وسلم، ولم ترد فی شئ من طرق الحدیث؟! ألیس فی ذلک استدراک صریح علیه صلی الله علیه وآله وسلم، یامن یدعی تعظیمه بالتقدم بین یدیه؟! أما سائر کلامک فباطل لوجوه:

الأول: أنک أثنیت علی الشیعة بالفطنة ونزهتهم عن البدعة، وهم فیها من الغارقین الهالکین. واتهمت أهل السنة بها وبالبلادة والغباوة، وهم والحمد لله مبرؤون منها، فحسبک قوله (ص)فی أمثالک: إذا قال الرجل هلک الناس فهو أهلکهم. رواه مسلم.....

وتابع الألبانی قائلاً: (هذا العموم المزعوم، أنت أول مخالف له! لأنه یستلزم الصلاة علیه(ص)بهذه الصلوات الابراهیمیة کلما ذکر علیه الصلاة والسلام، وما رأیتک فعلت ذلک ولو مرة واحدة فی خطبة کتاب أو فی حدیث ذکر فیه النبی(ص)! ولا علمنا أحداً من السلف فعل ذلک والخیر کله فی الإتباع (!).

والسر فی ذلک أن هذا العموم المدعی إنما هو خاص بالتشهد فی الصلاة کما أفادته بعض الأحادیث الصحیحة، ونبه علیه الإمام البیهقی فیما ذکره الحافظ فی فتح الباری:۱۱/۱۵۴، الطبعة السلفیة فلیراجعه من شاء، والإمام الشافعی فی رسالته علی ما ذکره الحافظ السخاوی فی القول البدیع، والرافعی، والشیرازی، والنووی، وابن تیمیة، وابن القیم، وابن حجر، وغیرهم کثیر وکثیر جداً، لا یمکن حصرهم، ما زال کل واحد منهم یصلی علی النبی(ص)فی خطبة کتبه ویصلی علی أصحابه معه، کما أفعل أنا أحیاناً اقتداءً بهم، وبخاصة أن الحافظ ابن کثیر نقل فی تفسیره الإجماع علی جوازه (!)، ومع ذلک کله رمیتنی بسبب ذلک بدائک وبَدَّعتنی! أفهؤلاء الأئمة مبتدعةٌ عندک ویحک! أم أنت تزن بمیزانین وتکیل بکیلین؟!).

ثم قال الألبانی: (وهو یعلم أن النبی(ص)کان یصلی علی أصحابه بمناسبات مختلفة، ومن ذلک حدیث: کان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل علیهم فأتاه أبو أوفی بصدقته فقال: اللهم صل علی آل أبی أوفی. رواه الشیخان وغیرهما، وهو مخرج فی الإرواء،۸۵۳، وغیره.....ولا دلیل علی أن ذلک من خصوصیاته (ص) بل قد صح عن ابن عمر أنه کان یقول فی الجنازة: اللهم بارک فیه وصل علیه واغفر له وأورده حوض رسولک. رواه ابن أبی شیبة فی المصنف:۱۰/۴۱۴، وسنده صحیح علی شرط الشیخین. وبعد هذا کله فإنی أرجو أن یکون ظهر للقراء جمیعاً من هو المبتدع!). انتهی.

هذا لبُّ ماذکره الألبانی من کلامه الطویل الذی لم یأت فیه بدلیل علی جواز قرن الصحابة بالنبی فی الصلاة علیه صلی الله علیه وآله، وغایة ما ذکره ثلاثة أدلة:

الأول: قوله:(والسر فی ذلک أن هذا العموم المدعی إنما هو خاص بالتشهد فی الصلاة، کما أفادته بعض الأحادیث الصحیحة، ونبه علیه الإمام البیهقی، فیما ذکره الحافظ فی فتح الباری..الخ). انتهی.

وقصده أنه لاعموم لصیغة الصلاة التی علمها النبی صلی الله علیه وآله للمسلمین للصلاة علیه فی کل حال، بل هو تعلیم نبوی خاص بتشهد الصلاة، ففی غیر الصلاة یجوز لک أن تحذف الصلاة علی الآل، وتضع مکانهم الصحابة، ولا حرج!

لکن ما هو دلیل الألبانی علی تخصیصها بتشهد الصلاة، وحدیثها فی البخاری وغیره عامٌّ مطلقٌ لیس فیه حصرٌ فی التشهد، قالوا: (فَکَیْفَ الصَّلاةُ عَلَیْکَ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَی مُحَمَّدٍ وَعَلَی آلِ مُحَمَّدٍ...)؟!

یقول الألبانی أن دلیله علی تخصیصها: (أفادته بعض الأحادیث الصحیحة، ونبه علیه الإمام البیهقی فیما ذکره الحافظ فی فتح الباری). انتهی.

فقد ادعی وجود أحادیث صحیحة تحصر صیغة الصلاة النبویة التعلیمیة للمسلمین فی تشهد الصلاة، فأین هی هذه الأحادیث الصحیحة؟!

الجواب: لاتوجد أحادیث لاصحیحة ولاضعیفة! وإلا لأتی بها الألبانی فی رده الطویل الذی أخذ أکثر من عشر صفحات، وهو متخصص فی الحدیث! لکنه

کما یبدو یستحل الکذب للدفاع عن الصحابة!

ثم قال الألبانی:(ونبه علیه الإمام البیهقی فیما ذکره الحافظ فی فتح الباری...)

یقصد أن هؤلاء العلماء الذین لیس فیهم واحد قبل القرن السادس! نبهوا علی تخصیص صیغة الصلاة التعلیمیة النبویة بالتشهد دون غیره!

ویبدو أنها کذبة أخری! ولو صدقناه لقلنا لهؤلاء: ما هو دلیلکم علی التخصیص؟ وهل هو الأحادیث الصحیحة التی وعد بها الألبانی!!

الدليل الثانى: قال الألبانى: (وهو يعلم أن النبى(ص)كان يصلى على أصحابه بمناسبات مختلفة، ومن ذلك حديث: كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صلِّ عليهم، فأتاه أبو أوفى بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبى أوفى. رواه الشيخان وغيرهما، وهو مخرج فى الإرواء،۸۵۳، وغيره....). انتهى.

والجواب: إن هذا تدليس فى الإستدلال مع الأسف! لأن موضوعنا كيف يجب أن نصلى نحن على النبى صلى الله عليه وآله؟فكيف يستدل عليه بصلاة النبى صلى الله عليه وآله على المسلمين؟! فالنبى صلى الله عليه وآله يعرف تكليفه كيف يصلى علينا وعلى غيرنا، وقد بين لنا تكليفنا نحن كيف نصلى عليه، وحدده بصيغة تعليمية توقيفية صحيحة.

فهل يجوز لنا أن نقول له: كلا، نريد أن نصلى عليك كما نحب، ونضم فى الصلاة عليك من نحب، ونحذف منها لا نحب! لأنك أنت تفعل ذلك؟!

الدليل الثالث: قال الألبانى: (ولا دليل على أن ذلك من خصوصياته(ص) بل قد صح عن ابن عمر أنه كان يقول فى الجنازة: اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له وأورده حوض رسولك. رواه ابن أبى شيبة فى المصنف:۱۰/۴۱۴، وسنده صحيح على شرط الشيخين). انتهى.

يقول الألبانى بذلك لقد ثبت بأثر صحيح عن ابن عمر أنه قال لميت (اللهم بارك فيه وصل عليه) فالصلاة على المسلمين ليست من مختصات النبى صلى الله عليه وآله، بل يجوز لأى مسلم أن يقول لمسلم آخر (اللهم صل عليه)، ونحن نقول: اللهم صل على الصحابة، فما المانع؟

والجواب: أن الألبانى يعرف أن المسألة ليست جواز الصلاة على مسلم بقولنا: (اللهم صل عليه)، بل هى قَرْنُ الصحابةبالنبى صلى الله عليه وآله، وهل يجوز أن نتعدى تعليمه بالصلاة عليه، ونحذف آله من صلاتنا عليه، ونضع بدلهم الصحابة؟!

فانظر كيف غيَّر الموضوع أيضاً، وشطَّ عنه بعيداً، وكذلك يفعلون!

قرنهم الصحابة بالنبى صلى الله عليه وآله معضلة لاحل لها!

إن حذف أتباع الخلافة لآل النبى من الصلاة عليه صلى الله عليه وآله، ووضعهم الصحابة بدلهم أو معهم وقرنهم بالنبى صلى الله عليه وآله، معضلةٌ لم ولن يستطيعوا حلها! بل هى ست معضلات فقهية كاملة:

۱- هل يجوز الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وآله، ومن أمر النبى بالصلاة عليه؟

۲- هل يوجد دليل يخصص صيغة الصلاة النبوية بتشهد الصلاة؟

۳- هل يجوز حذف آل النبى صلى الله عليه وآله من الصلاة عليه؟

۴- هل يجوز وضع الصحابة مكانهم وقرنهم بالنبى صلى الله عليه وآله؟

۵- هل يجوز أن ننوى بصلاتنا على آل النبى صلى الله عليه وآله جميع ذريته من فاطمة وعلى عليهما السلام وكل ذرية بنى هاشم إلى يوم القيامة، ونقرنهم بالنبى صلى الله عليه وآله وفيهم من ثبت أنهم أعداء لله ورسوله، وفيهم اليوم نصارى وملحدون وقتلة وأشرار؟!

فهل يمكن أن يأمرنا الله تعالى أن نصلى على هؤلاء الكفار والفجار ونقرنهم بسيد المرسلين صلى الله عليه وآله؟! وهل يجب عليهم أن يقولوا (وآله المؤمنين)؟!

۶- إذا حلينا أصل مشكلة ضم الصحابة وقرنهم بالصلاة مع النبى صلى الله عليه وآله فهل يجوز لنا أن نعمم الصلاة عليهم جميعاً بدون تخصيص أو تقييد، لأنا بقولنا (وعلى أصحابه أجمعين)نقرن أكثر من مئة ألف شخص بالنبى صلى الله عليه وآله وهؤلاء فيهم من شاركوا فى محاولة اغتيال النبى صلى الله عليه وآله ليلة العقبة، وفيهم من ثبت نفاقهم بنص القرآن ونص النبى صلى الله عليه وآله، وفيهم جماعة شهد النبى صلى الله عليه وآله بأنهم لن يروه بعد وفاته، وأنهم سوف ينقلبون من بعده، ويمنعون من ورود حوضه يوم القيامة ويؤمر بهم إلى النار! فهل يجب التخلص من هذا الإشكال بأن نقول: (عليه وعلى أصحابه المؤمنين، أو المرضيين)؟!

لقد أوقعوا أنفسهم فی کل هذه المشکلات، لأنهم استدرکوا علی النبی صلی الله علیه وآله ولم یتَّبعوا! أما نحن فلا مشکلة عندنا، لأنا لانستحل أن نقرن بنبینا فی الصلاة علیه صلی الله علیه وآله إلا آله وأهل بیته الطاهرین علیهم السلام الذین أمرنا بقرنهم به، وهم عندنا مصطلح نبوی خاص حدده النبی صلی الله علیه وآله بعلی، وفاطمة، والحسن، والحسین، وتسعة من ذریة الحسین، آخرهم المهدی، صلوات الله علیهم.

عصموا البخاری من أجل عصمة عمر

صحیح البخاری کتابٌ فی الحدیث، ألفه محمد بن إسماعیل بن برد زبه، المعروف بالبخاری الخرتنکی، نسبة إلی بلده بخاری فی شرق إیران، وخرتنک قریة قرب بخاری فیها مولده وقبره، وقد ولد سنة۱۹۶وتوفی سنة۲۵۶.

وکانت کتب الحدیث قبله بالمئات، وبعده بالألوف، لکن المتوکل العباسی تنبی کتابه بتوثیق أحمد بن حنبل، وأعرض عن کتاب الموطأ الذی ألفه مالک بن أنس لجد جده المنصور! فقد ولد مالک سنة۹۳ وتوفی سنة۱۷۹. (مقدمة کتاب الموطأ والأعلام:۵/۲۵۷).

قال ابن فرحون فی الدیباج المذهب ص۲۵: (باب فی ذکر الموطأ وتألیفه إیاه: روی أبو مصعب أن أبا جعفر المنصور قال لمالک: ضع للناس کتابا أحملهم علیه فکلمه مالک فی ذلک فقال: ضعه فما أحد الیوم أعلم منک، فوضع الموطأ فلم یفرغ منه حتی مات أبو جعفر، وفی روایة أن المنصور قال له: یا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودون کتابا وجنب فیه شدائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشواذ ابن مسعود، واقصد أواسط الأمور وما أجمع علیه الصحابة والأئمة وفی روایة أنه قال له: إجعل هذا العلم علما واحد، فقال له: إن أصحاب رسول الله(ص)تفرقوا فی البلاد فأفتی کل فی مصره بما رأی فلأهل المدینة قول، ولأهل العراق قول تعدوا فیه طورهم. فقال: أما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفا ولا عدلا، وانما العلم علم أهل المدینة فضع للناس العلم.

وفی روایة عن مالک فقلت له: إن أهل العراق لا ـ یرضون علمنا، فقال أبو جعفر: نضرب علیه عامتهم بالسیف ونقطع علیه ظهورهم بالسیاط!

وروی أن المهدی قال له: ضع کتابا أحمل الأمة علیه، فقال له مالک: أما هذا الصقع فقد کفیته یعنی المغرب، وأما الشام ففیه الأوزاعی، وأما أهل العراق ففیهم أهل العراق، قال عتیق الزبیدی: وضع مالک الموطأ علی نحو من عشرة آلالف حدیث، فلم یزل ینظر فیه کل سنة ویسقط منه حتی بقی هذا، ولو بقی قلیلا لأسقطه کله). انتهی.

وبقی الموطأ المرجع الرسمی للدولة وعلمائها، وکان أئمة المذاهب یمدحونه بأنه أصح کتاب بعد کتاب الله تعالی، حتی ترکه المتوکل واستعاض عنه بمسودة کتاب البخاری فصار أصح کتاب بعد کتاب الله تعالی!

قال ابن عبد البر فی التمهید:۱/۷۹: (سمعت الشافعی یقول: ما رأیت کتاباً الف فی العلم أکثر صواباً من موطأ مالک).

وقال الذهبی سیر أعلام النبلاء:۹/۲۰۵: (قال بندار: سمعت عبد الرحمن یقول: ما نعرف کتابا فی الإسلام بعد کتاب الله أصح من موطأ مالک).

وقال السید المیلانی فی الأحادیث المقلوبة فی مناقب الصحابة ص۳۸:

(ولما أراد الرشید الشخوص إلی العراق قال لمالک: ینبغی أن تخرج معی فإنی عزمت أن أحمل الناس علی الموطأ کما حمل عثمان الناس علی القرآن! (مفتاح السعادة: ۲ /۶۸۷). ثم أراد هارون أن یعلق الموطأ علی الکعبة! (۷ کشف الظنون: ۲/۱۹۰۸). ونادی منادی الحکومة: ألا لا یفتی الناس إلا مالک بن أنس) (وفیات الأعیان ۳/۲۸۴، مفتاح السعادة:۲/۸۷، مرآة الجنان:۱/۳۷۵.)

أما المتوکل الذی فقد کان صاحب مشروع جدید فی التجسیم والنصب، یختلف عن مشروع أجداده، فقد أسس میلیشا (أصحاب الحدیث) واختار لهم إماماً هو أحمد بن حنبل، ودعاه إلی سامراء وأکرمه وعقد له مجالس، وکان لایعین قاضی القضاة إلا بموافقته، ففی تاریخ بغداد ۳/۱۴۷: (أمر المتوکل بمسائلة أحمد بن حنبل عمن یتقلد القضاء).

وفى تاريخ بغداد:۲/۴۲۶: (بعث المتوكل إلى أحمد بن حنبل يسأله عن ابن الثلجى ويحيى بن أكثم فى ولاية القضاء، فقال أما ابن الثلجى فلا). انتهى.

وكان البخارى على صلة دائمة بأحمد، وقد ألف كتابه بتوجيهه، وعرضه عليه فارتضاه، ففى مقدمة فتح البارى ص۴۹۱: (لما صنف البخارى كتاب الصحيح عرض مسودته على ابن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث. قال العقيلى: والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة). انتهى.

وطلب ابن حنبل من البخارى أن يسكن فى بغداد فاعتذر له، لكنه ندم بعد ذلك! ففى تاريخ بغداد:۲/۲۲: (سمعت محمد بن إسماعيل البخارى يقول: دخلت بغداد آخر ثمان مرات، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال لى فى آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان؟! قال أبو عبد الله: فأنا الآن أذكر قوله). انتهى.

مات البخارى قبل أن يكمل كتابه، فأكمله جماعة المتوكل

وقد اعترف بذلك ابن حجر فى مقدمة الفتح ص۶، قال: (حدثنا الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملى قال: انتسخت كتاب البخارى من أصله الذى كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفربرى، فرأيت فيه أشياء لم تتم، وأشياء مبيضة منها تراجم(عناوين)لم يثبت بعدها شيئاً، ومنها أحاديث(أى عناوين أحاديث) لم يترجم لها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض!

قال أبو الوليد الباجى: ومما يدل على صحة هذا القول أن رواية أبى إسحاق المستملى ورواية أبى محمد السرخسى ورواية أبى الهيثم الكشمهينى ورواية أبى زيد المروزى، مختلفة بالتقديم والتأخير، مع أنهم انتسخوا من أصل واحد! وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان فى طرة أو رقعة مضافة، أنه من موضع ما، فأضافه إليه! ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين(عنوانين)وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث). انتهى.

ومع ذلك فقد تبنته السلطة وألزمت به الطلبة والناس، وأنستهم موطأ مالك!

السر فى تبنيهم كتاب البخارى

كتاب البخارى واحدٌ من مئات الكتب المشابهة التى ألفت قبله، وألوف الكتب التى ألفت بعده، وليس فيه سر سوى أنه مفصل على مزاج المتوكل! فمن أراد أن يعرف البخارى فليعرف المتوكل، فى نصبه لأهل البيت عليهم السلام كلهم وكرهه لعلى عليه السلام خاصة، وقتله أئمة أهل البيت عليهم السلام واضطهاده لشيعتهم، ومنعه الناس من زيارة قبر الحسين عليه السلام ثم هدمه القبر الشريف! (راجع كتابنا: جواهر التاريخ).

يوازى ذلك تقديسه لأبى بكر وعمر إلى حد العصمة! وقد رأيت أن أهم أحاديث عصمة عمر رواها البخارى، ومنها: (والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان قط سالكاً فجّاً إلا سلك فجاً غير فجّك). (البخارى:۴/۹۶, و۱۹۹ و:۷/۹۳)!

هل أن تبنى البخارى عمل علمى أم ضد العلم؟

يسأل بعضهم: لماذا لا يقوم مجموعة من العلماء المشهورين بجمع الأحاديث الصحيحة فى مدرسة أهل البيت ويصححونها، وتخرج فى كتب ونقول للعامة هذا صحيحنا وبه حاجونا؟

وقد أجبنا عليه: بأن هذا سؤال يسأله أهل البساطة العلمية، فإن من مشاكل المذاهب السنية أنها أقفلت على نفسها باب الإجتهاد فى الحديث، واعتمدت على اجتهاد البخارى قبل ألف ومئتى سنة، وفرضته على الناس فى كل العصور!

أما نحن، فمنهجنا علمى منطقى، نعتبر كل ما روى عن النبى وآله صلوات الله عليهم، مواديجب أن تخضع للبحث العلمى، والإجتهاد

فيها مفتوح في كل العصور، والذي يصحح ويضعف هو المرجع بالنسبة إلى مقلديه وأهل الإختصاص الموثوق بهم. فأي النهجين أصح؟

وهل إذا قام عالم في عصرنا فألف كتاباً جمع فيه الصحيح برأيه، يجب عليك وعلى كل الناس تقليده، وعلى الأجيال الآتية؟!

كلا، فتصحيحه حجةٌ على نفسه وعلى من يقلده فقط، ولا بد أن يكون في المسلمين في كل عصر مجتهدون وخبراء، يبحثون كل الثروة العلمية التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، ويجتهدون في التصحيح والتضعيف، ويفتون المسلمين بنتيجة آرائهم فيقلدهم المسلمون بصفتهم أهل خبرة في الشريعة وأحاديث السنة الشريفة.

وبذلك فقط نضمن براءة ذمة المسلمين، وعدم جمودهم على تصحيح عالم من مئات السنين، لم يطلع على ما اطلع عليه العلماء المتأخرون.

نظرية إلجام العوام بيد السلطة و رجال الدين

قال التفتازاني في شرح المقاصد: ۵/۳۱۰: (فإن قيل: فمن علماء المذهب من لايجوِّز اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد. قلنا: تحامياً على أن يرتقي إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض، على ما يروى في أدعيتهم، ويجري في أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إلجام العوام بالكلية، طريقاً إلى الإقتصاد في الإعتقاد). انتهى.

فقد ألجموهم على حد تعبير التفتازاني عن الكلام على يزيد! لكنهم لم يقفوا في شد لجامهم عند قصور بني أمية فقط، بل عن أمور كثيرة، نذكر منها هنا:

الجام العوام عن قبول شهادة الصحابة بحق أنفسهم

فقد شهد أهل بدر وبيعة الرضوان بأن رضا الله تعالى عنهم ليس مطلقاً، بل هو مشروطٌ بشروط، منها أن لا يحدثوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وينحرفوا! فقد روى البخاري: ۵/۶۶، عن المسيب أنه قال للبراء بن عازب: (طوبى لك، صحبت النبي(ص)وبايعته تحت الشجرة. فقال: يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده)!

لكنهم لم يقبلوا هذه الشهادة، وقالوا لهم: كلا، إن رضا الله عنكم مطلق وشامل، وأنتم من أهل الجنة، فاعملوا ماشئتم!!

الجام العوام عن قبول إقرار بعض الصحابة بالمعصية

ففي مسند أبي يعلى: ۹/۱۷۶: (عن عبدالله بن مسعود أنه تعمد الكذب من أجل أن يأخذ ناقة! قال: ماكذبت مذ أسلمت إلا كذبة! كنت أرحل رسول الله(ص) فأتى رجل من الطائف فقال: أي راحلة أعجب إلى رسول الله(ص)فقلت الطائفية المنكبة، قال ورسول الله (ص)يكرهها! قال: فلما رحَّلها فأتى بها قال: من رحَّل لنا هذه؟ قالوا رحَّل لك الذي أتيت به من الطائف، قال: ردوا الراحلة إلى ابن مسعود). (ورواه ابن أبي الدنيا في آداب اللسان/۲۵۳، والطبراني في المعجم الكبير: ۱۰/۱۷۴، وأبو نعيم الأصفهاني في مسند أبي حنيفة/۲۳۵و ۲۵۸، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ۲۴/۳۱۱)

الجام العوام عن قبول شهادة النبي لقاتل عمار بالنار

فقد رووا بأسانيد صحيحة أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية، وقال: قاتل عمار وسالبه في النار! وقد قتله في صفين(الصحابي)أبو الغادية يسار بن سبع، وهو ممن بايع بيعة الشجرة أوالرضوان! ففي مجمع الزوائد: ۹/۲۹۷: عن النبي صلى الله عليه وآله (قاتل عمار وسالبه في النار. رواه الطبراني...ورجاله رجال الصحيح).

وفی مستدرک الحاکم:۳/۳۸۷: (أن رجلین أتیا عمرو بن العاص یختصمان فی دم عمار بن یاسر وسلبه، فقال عمرو خلِّیا عنه، فإنی سمعت رسول الله(ص)یقول: اللهم أولعت قریش بعمار، إن قاتل عمار وسالبه فی النار). انتهی.

وفی طبقات ابن سعد:۳/۲۶۰، عن کلثوم بن جبر قال:(کنت بواسط القصب، عند عبد الأعلی بن عبدالله بن عامر، فقلت الإذنَ هذا أبو غادیة الجهنی، فقال عبد الأعلی: أدخلوه، فدخل علیه مقطعات له، فإذا رجل طوال ضرب من الرجال کأنه لیس من هذه الأمة، فلما أن قعد قال بایعت رسول الله (ص)یوم العقبة فقال:یا أیها الناس ألا إن دماءکم وأموالکم حرام علیکم إلی أن تلقوا ربکم، کحرمة یومکم هذا فی شهرکم هذا فی بلدکم هذا، ألا هل بلغت؟ فقلنا: نعم، فقال: اللهم اشهد، ثم قال ألا لا ترجعوا بعدی کفاراً یضرب بعضکم رقاب بعض!

قال: ثم أتبع ذا فقال: إنا کنا نعد عمار بن یاسر فینا حناناً، فبینا أنا فی مسجد قباء إذ هو یقول ألا إن نعثلاً هذا لعثمان، فألتفتُّ فلو أجد علیه أعواناً لوطأته حتی أقتله، قال: قلت اللهم إنک إن تشأ تمکنی من عمار، فلما کان یوم صفین أقبل یستن أول الکتیبة رجلاً، حتی إذا کان بین الصفین فأبصر رجل عورة فطعنه فی رکبته بالرمح، فعثر فانکشف المغفر عنه فضربته، فإذا رأس عمار ندر!

قال: فلم أر رجلاً أبین ضلالةً عندی منه! إنه سمع من النبی علیه السلام ما سمع ثم قتل عماراً!!

قال: واستسقی أبو غادیة فأتی بماء فی زجاج فأبی أن یشرب فیها، فأتی بماء فی قدح فشرب، فقال رجل علی رأس الأمیر قائم بالنبطیة: أوی ید کفتا! یتورع عن الشراب فی زجاج(إناء مفضض)، ولم یتورع عن قتل عمار)!! (قال عنه فی مجمع الزوائد:۷/۲۴۳، رجاله رجال الصحیح).

وفی تاریخ دمشق:۴۳/۴۷۶: (وقال علیٌّ حین قتل عمار:إن امرءاً من المسلمین لم یَعْظُمْ علیه قتل ابن یاسر ویدخلْ علیه المصیبة الموجعة، لغیر رشید! رحم الله عماراً یوم أسلم، ورحم الله عماراً یوم قتل، ورحم الله عماراً یوم یبعث حیاً، لقد رأیت عماراً وما یذکر من أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله أربعة إلا کان رابعاً، ولا خمسة إلا کان خامساً، وما کان أحد من قدماء أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله یشک أن عماراً قد وجبت له الجنة فی غیر موطن، ولا اثنین، فهنیئاً لعمار بالجنة). انتهی.

ابن حنبل یقول: صحابی فی النار

تقدم حدیث(قاتل عمار وسالبه فی النار)، وأن رجاله رجال الصحیح، وفی مقابله تجد فی مسند أحمد:۴/۷۶ عنواناً: (بقیه حدیث أبی الغادیة رضی الله تعالی عنه)!!

لکن أحمد احتاط فرجح أن یروی عنه ولا یسمی! (العلل لأحمد:۲/۶۰۲)

أما ابن حبان فعدَّه فی الثقات! (۳/۳۸۱ ونحوه فی:۳/۴۴۸). لکن الذهبی تعجب فی میزان الإعتدال:۱/۴۸۸، فقال: (عن أبی الغادیة: سمعت رسول الله(ص)یقول: قاتل عمار فی النار. وهذا شئ عجیب، فإن عماراً قتله أبو الغادیة)! انتهی.

ونحوه فی لسان المیزان لابن حجر:۲/۲۰۴.

ونقل عنه فی تعجیل المنفعةص۵۰۹ أنه کان یتبجح بقتله عماراً، قال: (کان إذا استأذن علی معاویة وغیره یقول قاتل عمار بالباب، یتبجح)!!

أما ابن تیمیة فحاول أن یشکک فی قتله لعمار، قال فی منهاجه:۷/۵۶: (وذکر ابن حزم أن عمار بن یاسر قتله أبو الغادیة، وأن أبا الغادیة هذا من السابقین ممن بایع تحت الشجرة، وأولئک جمیعهم قد ثبت فی الصحیحین أنه لا یدخل النار منهم أحد! ففی صحیح مسلم وغیره عن جابر عن النبی(ص)أنه قال: لایدخل النار أحد بایع تحت الشجرة)!!

لکنه شهد فی نفس منهاجه:۶/۲۰۴، بأنه قاتل عمار، لکن شکک فی أنه من أهل بیعة الرضوان! قال: (بل نشهد أن العشرة فی الجنة، وأن أهل بیعة الرضوان فی الجنة، وأن أهل بدر فی الجنة، کما ثبت الخبر بذلک عن الصادق المصدوق الذی لا ینطق عن الهوی إن

هو إلا وحى يوحى. وقد دخل فى الفتنة خلق من هؤلاء المشهود لهم بالجنة، والذى قتل عمار بن ياسر هو أبو الغادية وقد قيل إنه من أهل بيعة الرضوان ذكر ذلك ابن حزم، فنحن نشهد لعمار بالجنة، ولقاتله إن كان من أهل بيعة الرضوان بالجنة)!! راجع أيضاً:٦/٣٣٤! ثم عاد فى كتابه رأس الحسين عليه السلام ص٢٠٤ وشكك فى قتله لعثمان، قال: ولهذا كان الكلام فى السابقين الأولين ومن شُهد له بالجنة، كعثمان وعلى وطلحة والزبير ونحوهم: له حكم آخر، بل ومن هو دون هؤلاء، مثل أكابر أهل الحديبية الذين بايعوا تحت الشجرة. وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، وقد ثبت فى الصحيح عن النبى(ص) أنه قال: (لايدخل النار أحد بايع تحت الشجرة). فهؤلاء ونحوهم فيما شجر بينهم: إما أن يكون عمل أحدهم سعياً مشكوراً، أو ذنباً مغفوراً، أو اجتهاداً قد عفى لصاحبه عن الخطأ فيه، فلهذا كان من أصول أهل العلم أنه لايمكّن أحدٌ من الكلام فى هؤلاء بكلام يقدح فى عدالتهم وديانتهم، بل يُعلم أنهم عدول مرضيون، رضى الله عنهم وأرضاهم، لا سيما والمنقول عنهم من العظائم كذبٌ مفترى). انتهى.

ولا بد أن يكون من هذه العظائم المفتراة أن أبا لغادية قتل عماراً!

أما عبد الرحمن بن عديس البلوى الذى قتل عثمان، وهو من أهل بيعة الشجرة، فالأمر فيه يختلف! وهم يتمنون أن يحكموا عليه بأنه من أهل النار، لكن بشرط أن لاينكسر سياج أهل الشجرة لأبى بكر وعمر! فهل من طريق؟!

الجام العوام عن قبول شهادة ثقة و أمين أسراره

إذا اختلف شخصان فيما بينهما، أو اختلفنا فى قبول شهادتهما، ترانا نبحث عن شخص متفق عليه من الطرفين أو من الأطراف، يرضى به الجميع ويشهدون بصدقه ووثاقته، فنعتبره حكماً عادلاً، ونقبل شهادته أوحكمه.

والصحابة فيهم مجمع عليه وفيهم مختلف فيه. ومن المجمع عليهم حذيفة بن اليمان ثقة رسول الله صلى الله عليه وآله وموضع سره. فلماذا لايقبلون شهاداته القاصعة التى رواها البخارى؟! ولماذا لايقارنونها بحديثهم (خير الناس قرنى)؟!

قال حذيفة،كما فى البخارى:٨/١٠٠: (إن المنافقين اليوم شرٌّ منهم على عهد النبى (ص)! كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون! إنما كان النفاق على عهد النبى(ص) فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان!!). انتهى.

فمَن هم الذين كانوا يجهرون بالنفاق فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان، إلا طلقاء قريش؟ وما هو النفاق الذى كانوا يجهرون به إلا التشكيك برسول الله صلى الله عليه وآله والكذب عليه والطعن بعترته؟ ومن كان يحميهم إلا السلطة؟!

قال الذهبى فى السير:٢/٣٦١: (حذيفة بن اليمان. من نجباء أصحاب محمد (ص)، وهو صاحب السر... حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين...

ولىَ حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقى عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفى بعد عثمان بأربعين ليلة....وحذيفة هو الذى ندبه رسول الله(ص)ليلة الأحزاب ليجس له خبر العدو، وعلى يده فتح الدينور عنوة. ومناقبه تطول، رضى الله عنه... خالد عن أبى قلابة عن حذيفة قال: إنى لأشترى دينى بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله..... ما أدرك هذا الأمر أحد من الصحابة إلا قد اشترى بعض دينه ببعض. قالوا: وأنت؟ قال: وأنا والله!). انتهى.

فمن الذى كان يستعمل سياسة الإرهاب والقمع والإضطهاد مع المسلمين إلا السلطة القرشية المعادية لأهل بيت النبى صلى الله عليه وآله؟

ومن كان يحمى المنافقين المجاهرين بنفاقهم ضد الإسلام ونبيه إلا السلطة ومسلحوها، وجمهورها من طلقاء قريش، الذين ملؤوا المدينة وسيطروا على الدولة؟ وهل يعقل أن يقول النبى صلى الله عليه وآله عن هؤلاء إنهم خير القرون؟!

روى مسلم:١/٧١:(كنا جلوساً مع حذيفة فى المسجد فجاء رجل حتى جلس الينا، فقيل لحذيفة إن هذا يرفع إلى السلطان أشياء، فقال حذيفة: إرادة أن يسمعه: سمعت رسول الله(ص)يقول: لايدخل الجنة قتات)، وفى رواية أخرى(ينقل الحديث إلى الأمير) وفى

البخاری:۷/۸۶: (یرفع الحدیث إلی عثمان)!

فهل یکون هؤلاء خیر القرون بإرهابهم واضطهادهم أبرار الصحابة؟!

وفی الطبرانی الکبیر:۳/۲۸۰: (عن أبی مالک الأشعری أنه قال لقومه: إجتمعوا أصلی بکم صلاة رسول الله(ص)فاجتمعوا فقال: هل فیکم أحد؟ فقالوا لا، إلا بن أخت لنا! قال فذلک من القوم، فدعا بجفنة فیها ماء فتوضأ وهم شهود، فمضمض واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وذراعیه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدمیه، ثم صلی بنا الظهر فکبر فیها ثنتین وعشرین تکبیرة، یکبر إذا سجد وإذا رفع رأسه...الخ.) انتهی.

وفی البخاری:۱/۱۳۴، عن الزهری قال: (دخلت علی أنس بن مالک بدمشق وهو یبکی! فقلت له ما یبکیک؟ فقال لا أعرف شیئاً مما أدرکت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضیعت!!). انتهی.

فهل یکون هؤلاء خیر القرون، وقد انقلبوا علی أعقابهم بعد الرسول صلی الله علیه وآله وغیروا کل شئ، حتی الوضوء والصلاة؟!

قال المفید فی الإفصاح ص۵۳:(وفی قول أنس بن مالک: دخل رسول الله صلی الله علیه وآله المدینة فأضاء منها کل شئ، فلما مات علیه السلام أظلم منها کل شئ، وما نفضنا عن النبی صلی الله علیه وآله الأیدی ونحن فی دفنه حتی أنکرنا قلوبنا شاهد عدل علی القوم بما بیناه). انتهی.

وفی فتح الباری:۸/۱۱۴:(قال أبو سعید فیما أخرجه البزار بسند جید: وما نفضنا أیدینا من دفنه حتی أنکرنا قلوبنا). وفی تحفة الأحوذی:۱۰/۶۲:(قال التوربشتی یرید أنهم لم یجدوا قلوبهم علی ما کانت علیه من الصفاء والألفة)!!

الجام العوام لتغطية مؤامرة خير القرون لقتل النبي

فی صحیح مسلم:۸/۱۲۳: قال رجل لحذیفة (أنشدک بالله کم کان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم أخبره إذ سألک! قال: کنا نخبر أنهم أربعة عشر فإن کنتَ منهم فقد کان القوم خمسة عشر! وأشهد بالله ان اثنی عشر منهم حرب لله ولرسوله فی الحیاة الدنیا ویوم یقوم الأشهاد). انتهی.

فمن هؤلاء الذین کانوا مستعجلین علی الخلافة واستطالوا عمر النبی صلی الله علیه وآله فتآمروا لقتله فی عودته من تبوک، وصعدوا إلی أعلی العقبة لیلاً وألقوا الصخور علی ناقته لیقتلوه، فنجاه الله منهم، ولم یستطع النبی صلی الله علیه وآله أن یعلن أسماءهم ویعاقبهم خوفاً من حدوث حرکة ردة عن الإسلام! فهل هؤلاء خیر القرون؟!

الجام العوام لتغطية اضطهاد خير القرون لأهل بيت نبيهم

وهل خیر القرون أولئک الذین عرض علیهم نبیهم صلی الله علیه وآله وهو علی فراش مرضه ما لم یعرضه نبی علی أمته قط، أن یکتب لهم عهداً إن عملوا به لایضلوا إلی یوم القیامة، ویکونوا سادة العالم إلی یوم القیامة! فرفضوه بقلة أدب وقالوا إن نبیکم یهجر! وهددوه بالردة، فسکت صلی الله علیه وآله علی ألم وطردهم من بیته؟!

وهل خیر القرون أولئک الذین ترکوا جنازة نبیهم صلی الله علیه وآله بین یدی أهل بیته، وعدَوْا إلی السقیفة لیبایعوا أحدهم خلسةً، ثم عادوا مسلحین لا لیعزوا أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله بل لیهددوهم بأن یبایعوا لصاحبهم، أو یحرقوا علیهم دارهم؟!

الجام العوام عن تصديق القرآن بأن أكثرية خير القرون لن يؤمنوا

وکیف یکون أهل عصر النبوة أو قریش خاصة خیر القرون وقد صدر حکم الله تعالی علی أکثرهم بأنهم حق علیهم القول، وبأنهم لن یؤمنوا وإن أظهروا الإیمان، فقال عنهم: لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ. لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَی أَکْثَرِهِمْ فَهُمْ لایُؤْمِنُونَ.وقال:لِیُنْذِرَ

مَنْ كَانَ حَيّاًوَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ. (يس:۷ و۷۰) فهل نقض الله تعالى فى المدينـة ما أنزله فى مكـة؟! فقوله تعالى: لِتُنْـذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ، يشمل أهل مكة، وأهل الجزيرة الذين بلغتهم دعوة النبى صلى الله عليه وآله وإنذاره فى حياته.

وقوله تعالى: لَقَـدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لايُؤْمِنُونَ.إخبار منه وهو العليم بهم بأن أكثريتهم من أهل جهنم، وأنهم لن يؤمنوا واقعاً، وإن آمنوا ظاهراً، طمعاً أو خوفاً. وقـد فسر المقصود بالقول الـذى حق عليهم بقوله تعالى: قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ. لَأَمْلأن جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (صاد ۸۴– ۸۵)

وهل يستطيع المسلم الـذى يؤمن بالقرآن ويقول صدق الله العظيم إلا أن يعتقد بأن أكثر أهل مكة وقريش كانوا كفاراً عند وفاة النبى صلى الله عليه وآله ولم يؤمنوا!

قال ابن الجوزى فى زاد المسير:۶/۲۶۳: (لقد حق القول، فيه قولان: أحدهما وجب العذاب، والثانى سبق القول بكفرهم.

قوله تعالى ":أكثرهم، يعنى أهل مكة، وهذه إشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة لكفرهم. لا يؤمنون، لما سبق من القدر بذلك). انتهى.

وأخيراً، كيف يكونون خير القرون وقـد حكم عليهم الله تعالى بأنهم فراعنـة وجنود للفراعنـة فقال لنبيه صـلى الله عليه وآله:وَاصْبِرْ عَلَى مَايَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً وَذَرْنِى وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً.إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيماً. وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعذاباً أَلِيماً.يَوْمَ تَرْجُفُ الأرض وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً. إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رسولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً. فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أخذاً وَبِيلاً. (المزمل ۱۰–۱۶).

وقـد تحقق إخباره سبحانه، فلم يكن مع النبى صـلى الله عليه وآله من قريش فى مهجره إلا قلـة قليلة جداً! وفى بعضـهم كلام! وعندما فتح النبى صـلى الله عليه وآله مكة مَلَكهم عبيداً، ولم يعتقهم بل أطلقهم إطلاقاً، وسـماهم الطلـقـاء! فكيف صاروا بمجرد وفاته صحابة عدولاً، وكيف يجعل الله فيهم خلافة نبيه صلى الله عليه وآله ويأمر المسلمين أن يطيعوا قريشاً مدى الدهر، لأنهم خير القرون؟ حاشا لله!

من أساليبهم فى إلجام العوام

تمييع الحقائق و حلف الإيمان

قال ابن حزم فى الأحكام:۲/۲۰۳: (وأما قدامة بن مظعون، وسـمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة، وأبو بكرة، رضوان الله عليهم، فأفاضل أئمة عدول.

أما قدامة فبدرى مغفور له بيقين، مرضـى عنه، وكل من تيقنا أن الله عز وجل رضى عنه وأسقط عنه الملامة ففرض علينا أن نرضى عنه وأن لا نعدد عليه شـيئاً، فهو عدل بضـرورة البرهان القائم على عدالته من عند الله عز وجل وعندنا، وبقوله عليه السـلام إن الله اطلع على أهل بدر فقال لهم إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

وأما المغيرة بن شـعبة، فمن أهل بيعـة الرضوان، وقـد أخبر عليه السـلام ألا يدخل النار أحد بايع تحت الشـجرة، فالقول فيه كالقول فى قدامة.

وأما سمرة بن جندب فأُحُدى، وشهد المشاهد بعد أحد وهلم جراً، والأمر فيه كالأمر فى المغيرة بن شعبة.

وأمـا أبو بكرة، فيحتمـل أن يكون شبه عليه، وقـد قـال ذلـك المغيرة، فلاـ يأثم هو ولا المغيرة، وبهـذا نقول: وكل ما احتمل ولم يكن ظاهره يقيناً فغير منقول عن متيقن حاله بالامس، فهما على ما ثبت من عـدالتهما، ولا يسـقط اليقين بالشك وهذا هو استصـحاب الحال الـذى أباه خصومنا، وهم راجعون إليه فى هـذا المكان بالصـغر منهم! فما منهم أحـد امتنع من الروايـة عن المغيرة وأبى بكرة معاً، وأبو بكرة وهو متـأول، وأمـا سـمرة فمتأول أيضاً، والمتأول مأجور وإن كان مخطئاً، وكـذلك قدامـة تأول أن لا جناح عليه وصـدق لاجناح عليه عند الله تعالى فى الآخرة بلا شك، وأما فى أحكام الدنيا فلا، ولنا فى الدنيا أحكام غير أحكام الآخرة. وكذلك كل من قاتل علياً

رضوان الله علیه یوم صفین.

وأما أهل الجمل فما قصدوا قط قتال علی رضوان الله علیه، ولا قصد علی رضوان الله علیه قتالهم، وإنما اجتمعوا بالبصرة للنظر فی قتلة عثمان رضوان الله علیه، وإقامة حق الله تعالی فیهم، فأسرع الخائفون علی أنفسهم أخذ حد الله تعالی منهم-وکانوا أعداداً عظیمة یقربون من الألوف- فأثاروا القتال خفیة حتی اضطر کل واحد من الفریقین إلی الدفاع عن أنفسهم، إذ رأوا السیف قد خالطهم وقد جاء ذلک نصاً مرویاً.....

ولیس عندنا من أمرهم إلا أنهم فیما بدا لنا مسلمون فاضلون، یلزمنا توقیرهم والاستغفار لهم، إلا أننا لا نقطع لهم بالجنة ولا بمغیب عقودهم، ولا برضی الله عز وجل عنهم، لکن نرجو لهم ذلک ونخاف علیهم کسائر أفاضل المسلمین ولا فرق. ثم لا نجیز ذلک لعلی وأم المؤمنین وطلحة والزبیر وعمار وهشام بن حکیم ومعاویة وعمرو والنعمان وسمرة وأبی الغادیة وغیرهم، وهم أئمة الإسلام حقا والمقطوع علی فضلهم وعلی أکثرهم بأنهم فی الجنة، وهذا لا یخیل إلا علی مخذول.

وکل من ذکرنا من مصیب أو مخطئ فمأجور علی اجتهاده، إما أجرین، وإما أجراً، وکل ذلک غیر مسقط عدالتهم. وبالله تعالی التوفیق).

وقال فی المحلی:۹/۴۹: (إن من البرهان الواضح علی کذب هذا الخبر ووضعه وانه لا یمکن أن یکون حقا أصلا ما فیه مما نسب إلی أم المؤمنین من أنها قالت: أبلغی زید بن أرقم أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله(ص)إن لم یتب. وزید لم یفته مع رسول الله(ص)إلا غزوتان فقط بدر وأحد فقط، وشهد معه علیه السلام سائر غزواته، وأنفق قبل الفتح وقاتل وشهد بیعة الرضوان تحت الشجرة بالحدیبیة ونزل فیه القرآن وشهد الله تعالی له بالصدق وبالجنة علی لسان رسوله علیه السلام انه لا یدخل النار أحد بایع تحت الشجرة، ونص القرآن بأن الله تعالی قد رضی عنه وعن أصحابه الذین بایعوا تحت الشجرة. فوالله ما یبطل هذا کله ذنب من الذنوب غیر الردة عن الإسلام فقط وقد أعاذه الله تعالی منها برضاه عنه وأعاذ أم المؤمنین من أن تقول هذا الباطل)

تعلیم العوام إنکار الحقائق نهارا جهارا

قال ابن کثیر فی النهایة:۶/۲۱۱: (ثبت أیضاً الأخبار عنه صلوات الله وسلامه علیه بأنه لایدخل النار أحد بایع تحت الشجرة، وکانوا ألفاً وأربعمائة، وقیل وخمسمائة، ولم ینقل أن أحداً من هؤلاء رضی الله عنه عاش إلا حمیداً، ولا مات إلا علی السداد والاستقامة والتوفیق، ولله الحمد والمنة. وهذا من أعلام النبوات، ودلالات الرسالة). انتهی.

الجام أطفال المسلمین بتربیتهم علی عصمة عمر

قال ابن حبان فی صحیحه:۱۵/۳۱۷: (ذکر الخبر الدال علی أن عمر بن الخطاب (رض) کان من المحدثین فی هذه الأمة.....عن عائشة قالت قال رسول الله(ص)قد کان یکون فی الأمم محدثون فإن یکن فی أمتی أحد فهو عمر بن الخطاب!

ذکر إجراء الله الحق علی قلب عمر بن الخطاب(رض)ولسانه:

عن بن عمر أن النبی(ص)قال: إن الله جعل الحق علی لسان عمر وقلبه.

وقال ابن عمر ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فیه وقال عمر بن الخطاب، إلا نزل القرآن علی نحو مما قال عمر!

ذکر بعض ما أنزل الله جل وعلا من الآی وفاقاً لما یقوله عمر بن الخطاب(رض):

عن حمید عن أنس قال قال عمر بن الخطاب: وافقت ربی فی ثلاث أو وافقنی ربی فی ثلاث....

ذکر الخبر الدال علی أن ناحیة بعد أبی بکر کان عمر...

ذکر البیان بأن عمر بن الخطاب أول ما تنشق عنه الأرض بعد أبی بکر الصدیق...

ذكر البيان بأن عمر بن الخطاب كان أحب الناس إلى رسول الله بعد أبى بكر...

ذكر إثبات الرشد للمسلمين فى طاعة أبى بكر وعمر...

ذكر أمر المصطفى المسلمين بالاقتداء بأبى بكر وعمر بعده...

ذكر شهادة المصطفى للصديق والفاروق بكل شئ كان يقوله (ص)...

ذكر البيان بأن الصديق والفاروق يكونان فى الجنة سيدى كهول الأمم فيها...

ذكر رضا المصطفى عن عمر بن الخطاب فى صحبته إياه... انتهى.

وليس ابن حبان إلا نموذجاً لجميع مصادرهم فى الحديث! فقد عقدوا لهذه الأحاديث أبواباً متعددة متنوعة، فى الصحاح، والسنن، والمسانيد! وعلّموا الناس حفظها ونشرها، وترديدها فى زيارة قبر عمر، كما فى إعانة الطالبين:٢/٣٥٧: (فيسلم على سيدنا عمر(رض)ويقول: السلام عليك ياأمير المؤمنين ياسيدنا عمر بن الخطاب، يا ناطقاً بالحق والصواب، السلام عليك ياحليف المحراب.

السلام عليك يا من بدين الله أمر، يا من قال فى حقك سيد البشر(ص): لو كان بعدى نبيٌّ لكان عمر.

السلام عليك يا شديد المحاماة فى دين الله والغيرة، يا من قال فى حقك هذا النبى الكريم(ص): ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غيره...). إلخ.

قال السيد المرتضى قدس سره فى كتابه الشافى فى الإمامة:٣/١٢٩، وهو يفند الأحاديث القرشية الموضوعة فى فضائل أبى بكر وعمر: (وأما ما رواه من قوله صلى الله عليه وآله: إن الحق ينطق على لسان عمر، فهو مقتض إن كان صحيحاً عصمة عمر والقطع على أن أقواله كلها حجة! وليس هذا مذهب أحد فى عمر، لأنه لاخلاف فى أنه ليس بمعصوم وأن خلافه سائغ!

وكيف يكون الحق ناطقاً على لسان من يرجع فى الأحكام من قول إلى قول، ويشهد على نفسه بالخطأ، ويخالف فى الشئ ثم يعود إلى قول من خالفه، فيوافقه عليه، ويقول (لولا على لهلك عمر) و (لولا معاذ لهلك عمر)؟!

وكيف لم يحتجَّ بهذا الخبر هو لنفسه فى بعض المقامات التى احتاج إلى الإحتجاج فيها؟! وكيف لم يقل أبو بكر لطلحة لما قال له: ما تقول لربك إذ وليت علينا فظاً غليظاً! أقول له: ولَّيتُ من شهد الرسول بأن الحق ينطق على لسانه!

وليس لأحد أن يدعى فى الإمتناع من الإحتجاج بذلك سبباً مانعاً كما ندعيه فى ترك أمير المؤمنين عليه السلام الإحتجاج بذلك بالنص، لأنا قد بينا فيما تقدم أن لتركه عليه السلام ذلك سبباً ظاهراً، وهو تآمر القوم عليه وانبساط أيديهم، وأن الخوف والتقية واجبان ممن له السلطان، ولا تقية على عمر وأبى بكر من أحد، لأن السلطان كان فيهما ولهما، والتقية منهما لا عليهما!

على أن هذا الخبر لو كان صحيحاً فى سنده ومعناه، لوجب على من ادعى أنه يوجب الإمامة (يقصد القاضى عبد الجبار الهمدانى صاحب المغنى، وقد ألف الشافى رداً عليه)، أن يبين كيفية إيجابه لذلك، ولايقتصر على الدعوى المحضة، وعلى أن يقول: إذا جاز أن يدعى فى كذا وكذا أنه يوجب الإمامة، جاز فى هذا الخبر، لأنا لما ادعينا فى الأخبار التى ذكرناها ذلك، لم نقتصر على محض الدعوى، بل بينا كيفية دلالة ما تعلقنا به على الإمامة، وقد كان يجب عليه إذا عارضنا بأخباره أن يفعل مثل ذلك). انتهى.

وقال الأمينى فى الغدير:٦/٣٣١: (هناك أحاديث موضوعة تذكر فى فضائل عمر لاتلتئم مع شئ مما ذكرناه بأسانيده الوثيقة(فى علم عمر) وكلٌّ من ذلك يفنِّدها منها ما يعزى إليه صلى الله عليه وآله من قوله: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر.

ورواية: لو لم أبعث لبعثت يا عمر.

ورواية: لو كان نبى بعدى لكان عمر بن الخطاب.

ورواية: قد كان فى الأمم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فهو عمر.

ورواية: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

وراية: أن الله ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه.

ومنها ما رووه عن علی أمیر المؤمنین علیه السلام من قول: كنا نتحدث إن ملكاً ینطق علی لسان عمر. وقوله: ما كنا نبعد أن السكینة تنطق علی لسان عمر.

ومنها ما یروی عن أعاظم الصحابة مثل ما یعزی إلی ابن مسعود من قوله: لو وضع علم عمر فی كفة وعلم أهل الأرض فی كفة لرجح علم عمر.

وأمثال هذه من الأكاذیب، فإن من یكون بتلك المثابة حتی یكاد أن یبعث نبیاً لایفقد علم واضحات المسائل عند ابتلائه، أو ابتلاء من یرجع أمره إلیه من أمته بها، ولا یتعلم مثله سورة من القرآن فی اثنتی عشرة سنة!

وأین كان الحق والملك والسكینة، یوم كان لایهتدی إلی أمهات المسائل سبیلًا فلا تسدده، ولا تفرغ الجواب علی لسانه، ولا تضع الحق فی قلبه!

وكیف یسعُ المسدَّد بذلك كله أن یحسب كل الناس أفقه منه حتی ربات الحجال؟! وكیف كان یأخذ علم الكتاب والسنة من نساء الأمة وغوغاء الناس فضلًا عن رجالها وأعلامها؟

وكیف كان یری عرفان لفظة مفسرة بالقرآن تكلفاً ویقول: هذا لعمر الله هو التكلف، ما علیك یا بن أم عمر أن لا تدری ما الأبُّ؟!

وكیف كان یأخذ عن أولئك الجم الغفیر من الصحابة ویستفتیهم فی الأحكام.

وكیف كان یعتذر عن جهله أوضح ما یكون من السنة بقوله: ألهانی عنه الصفق بالأسواق.

وكیف كان لم یسعه أن یعلم الكلالة ویقیمها، ولم یتمكن من تعلم صور میراث الجد، وكان النبی صلی الله علیه وآله یقول: ما أراه یعلمها، وما أراه یقیمها. ویقول: إنی أظنك تموت قبل أن تعلم ذلك؟!

وكیف كان مثل أبیٍّ بن كعب یغلظ له فی القول ویراه لاهیاً عن علم الكتاب بالصفق بالأسواق وبیع الخیط والقرظة؟

وكیف كان یراه أمیر المؤمنین علیه السلام جاهلًا بتأویل القرآن الكریم.

وكیف وكیف، إلی مائة كیف؟!

نعم راق القوم أن ینحتوا له فضائل ویغالوا فیها ولم یترووافی لوازمها).انتهی.

وقال المفید رحمه الله فی الإفصاح فی إمامة أمیر المؤمنین علیه السلام ص ۴۰: (فلو سلمنا لك دعواك لمن ادعیت الفضل لهم علی ما تمنیت لم یمنع مما ذكرناه، لأنه لا یوجب لهم العصمة من الضلال، ولایرفع عنهم جواز الغلط والسهو والنسیان، ولایحیل منهم تعمد العناد. وقد رأیت ما صنع شركاؤهم فی الصحبة والهجرة والسبق إلی الإسلام حین رجع الأمر إلی أمیر المؤمنین علیه السلام باختیار الجمهور منهم والإجتماع، فنكث بیعته طلحة والزبیر، وقد كانا بایعاه علی الطوع والإیثار وطلحة نظیر أبی بكر، والزبیر أجل منهما علی كل حال، وفارقه سعد بن أبی وقاص وهو أقدم إسلاماً من أبی بكر، وأشرف منه فی النسب، وأكرم منه فی الحسب، وأحسن آثاراً من الثلاثة فی الجهاد! وتبعه علی فراقه وخذلانه محمد بن مسلمة، وهو من رؤساء الأنصار، واقتفی آثارهم فی ذلك وزاد علیها بإظهار سبه والبراءة منه حسان!! فلو كانت الصحبة مانعة من الضلال لمنعت من ذكرناه ومعاویة ابن أبی سفیان وأبا موسی الأشعری، وله من الصحبة والسبق ما لایجهل وقد علمتم عداوتهم لأمیر المؤمنین علیه السلام وإظهارهم البراءة منه، والقنوت علیه، وهو ابن عم رسول الله صلی الله علیه وآله وأمیره علی أبی بكر وعمر وعثمان.

ولو كانت الصحبة أیضاً مانعة من الخطأ فی الدین والآثام.....ولكانت صحبة السامری لموسی بن عمران علیهما السلام وعظم محله منه ومنزلته، تمنعه من الضلال باتخاذ العجل والشرك بالله عز وجل، ولاستحال أیضاً علی أصحاب موسی نبی الله علیه السلام وهم ستمائة ألف إنسان وقد شاهدوا الآیات والمعجزات وعرفوا الحجج والبینات أن یجتمعوا علی خلاف نبیهم وهو حی بین أظهرهم، ویباینوا خلیفته وهو یدعوهم ویعظهم ویحذرهم من الخلاف وینذرهم، فلا یصغون إلی شئ من قوله، ویعكفون علی عبادة العجل من دون الله عز وجل.

ولكان أيضاً أصحاب عيسى عليه السلام معصومين من الردة، ولم يكونوا كذلك، بل فارقوا أمره وغيروا شرعه، وادعوا عليه أنه كان يأمرهم بعبادته، واتخاذه إلهاً مع الله تعالى تعمداً للكفر والضلال، وإقداماً على العناد من غير شبهة ولا سهو ولا نسيان). انتهى.

الجام العوام باستخدام وسائل الإعلام

لو نظرنا فى حجم ما يقوم به فى عصرنا الذين يسميهم ابن حبَّان (المعتنين بأمر الدين)، لتركيز قداسة أبى بكر وعمر فى نفوس المسلمين، لرأينا العجب!!

من مناهج التربية المدرسية والجامعية، إلى برامج الراديو والتلفزيون، إلى خطب المساجد ودروسها، إلى الكتب والكتيبات والأشرطة، إلى صفحات النت ومواقعها المتنوعة.. ومنها بإسم الصحابة لكن المقصود به أبو بكر وعمر!

والمطلوب فيها كلها غرس الإعتقاد بفضائل أبى بكر وعمر إلى حد العصمة والغلو، وغرس الإعتقاد بأن من لم يعتقد بذلك فهو عدو للإسلام ونبيه وقرآنه!

وفى مقابله لاتكاد تجد شيئاً عن أهل البيت، وحتى عن بقية الصحابة!

والمطلوب أن يكبر الطفل المسلم وعنده تقديس خاص لعمر وأبى بكر لايصل اليه تقديس آخر، وحساسية خاصة تجاههما بحيث تستنفر وسائل دفاعه لأقل ما يحتمل أنه يمس بهما، أكثر مما يستنفر لرسول الله صلى الله عليه وآله!

وبهذا يتجاوز المعتنون بأمر (الدين) قضية إلجام العوام عن المساس بأبى بكر وعمر، إلى تعبئتهم للحرب من أجلهما، ومن أجل كل ما يتعلق بهما!

وليس فى كلامنا هذا مبالغة، إذ يكفى أن تجرب مع هؤلاء المعبئين أن تبحث فى عصمة النبى صلى الله عليه وآله وأخطائه الكثيرة، فتراهم يشاركونك فى البحث! حتى إذا طرحت ما يحتمل أنه خطأ لعمر، انصب عليك جام غضبهم بلا هوادة!

العصمة والمعصومون فى القرآن

المعصومون ثمرة الوجود البشرى

يتصور البعض أن القرآن لايرى عصمة الأنبياءوالأوصياء عليهم السلام، لأنه يتحدث عن(معصية)آدم عليه السلام ويذكر(مؤاخذات)على بعض الأنبياء عليهم السلام كطلب نوح عليه السلام من ربه أن ينجِّى ابنه مع أنه كان كافراً، وما يبدو من تحيُّر إبراهيم عليه السلام فى ربه هل هو النجوم أو القمر أو الشمس، ومن قتل موسى للقبطى، وغضبه على أخيه هارون عليهما السلام. ونحو ذلك من(ذنوب الأنبياء) التى أكثرَ اليهود فيها الكلام والإتهام وتمسك بها المخالفون لمذهب أهل البيت عليهم السلام، فحصروا عصمة الأنبياء عليهم السلام فى التبليغ فقط، ونفوها فى الأمور الشخصية والعامة، بل نسبوا اليهم أخطاء ومعاصى فظيعة حتى فى التبليغ كما تقدم!

لكنَّ النظرة الفاحصة ترينا أن العصمة والمعصومين فى القرآن ظاهرةٌ بارزةٌ من أول مشروع خلق آدم عليهم السلام وذريته، وقد وردت فى القرآن ببضعة عشر عنواناً:

فالمعصومون هم النخبة الذين من أجلهم كان مشروع إسكان آدم فى الأرض، وبهم ستصل الحياة الإجتماعية إلى هدفها الربانى الحكيم الذى لم يعرفه الملائكة: قَالَ إِنِّى أعلم مَا لا تَعْلَمُونَ. وهم الذين تحدى الله تعالى عدوه إبليسَ أن يؤثرَ عليهم فقال له: إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ.

وهم العباد المكرمون عنده الذين: لايَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

وهم الـذين يخصـهم بالإطلاع على غيبه، ويحيطهم برصـد لحفظ الغيب ضـمن خطه المقرر، كما قال تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً. إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فإنه يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا.

وهم الذين يورثهم الكتاب عبر الأجيال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.

وهم الذين وعد أن يغلب بهم: كَتَبَ اللهُ لأغْلِبَنَّ أنا وَرُسُلِي إن الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ.

ووعـد أن تتجلى هذه الغلبة بعد خاتم رسـله وأنبيائه صـلى الله عليه وآله: هُوَ الَّذِى أرسل رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. وهم الذين سيورثهم الأرض بعد عهود الجبابرة: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أن الأرض يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ.

وهم عباد الرحمن الخاصون الذين خصهم بصفات وافية من سورة الفرقان.

وهم الـذين أعطاهم عنـده عهـداً فلن يخلفه: قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عهداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ... إلى آخر الآيات التى تتحدث بيقين عن نجاح المشروع الإلهى فى آدم وذريته. وليس نجاحه إلا بهؤلاء المعصومين عليهم السلام، الذين هم لبُّ هذا المشروع وضمانه، وهدفه الأسمى!

آيات العصمة فى القرآن

فى القرآن الكريم طوائف من الآيات تتحدث عن نخبة من البشرية، وتصفهم بصفات تدل على عصمتهم، وهذه أهمها:

آيات الإستخلاف

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ: إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأرض خَلِيفَةً. قَالُوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَـكَ؟ قَالَ: إِنِّى أعلم مَا لا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الأسـماء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَـهُمْ عَلَى الْمَلائِكَـةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْـمَاءِ هؤُلاءِ إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا: سُبْحَانَكَ لاعِلْمَ لَنَآ إلا مَا عَلَّمْتَنَآ، إنك أنت الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ: ياآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْـمَائِهِمْ! فَلَمَّآ أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أعلم غَيْبَ السَّمَوَاتِ والأرض وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ).(البقرة:٣٠-٣٣)

لا يكون خليفة الله فى الأرض إلا معصوما

قالت أحاديث أهل البيت عليهم السـلام إن المسـتخلف فى الآية هو بعض المعصومين وهم آدم عليه السـلام وبعض الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وليس كل نوع الإنسان.

وذهب أغلب المفسـرين السـنة المتأخرين وتبعهم بعض مفسـرى الشـيعة، إلى أن المسـتخلف فى الآية نوعُ الإنسان، وأكثروا فى توجيه ذلك بلا طائل.

والصـحيح أن هـذا الجعـل الإلـهى مختص بـآدم والمعصومين من ذريته عليهم السـلام، لأنه جعلٌ تشـريعى لولايـة من الله على الأرض وأناسها، وإعطاؤها لغير المعصوم يستوجب نفى الحكمة عن الله ونسبة الظلم اليه، سبحانه وتعالى!

ذلـك أن قوله تعـالى للملائكـة: إِنِّى جَاعِـلٌ فِى الأرض خَلِيفَـةً، ليس إخبـاراً عن مجرد إسـكان آدم وذريته فى الأرض، بل عن جعل خلفاء لله منهم.

وعنـدما تساءل الملائكـة كيف تصـلح ذريـة آدم للخلافة مع أنهم سـيفسدون ويسـفكون الدماء؟ خطَّأهم الله تعالى لأنهم حكموا على جميع ذرية آدم، وجميع مدتهم على الأرض! وأخبرهم سـبحانه أن مشـروع اسـتخلافهم لايضر به ما تفعله ذرية آدم من إفساد وسفك الدماء اى حين! وأن آدم والمسـتخلفين من ذريته عليهم السـلام أفضل من الملائكة فهم يصـلحون ولا يفسدون، وأثبت الله لهم ذلك

فعلم آدم عليه السلام ما لايعلمونه، وأراهم سيرة خلفائه من ذرية آدم عليهم السلام، فاعترف الملائكة واستغفروا!

نعم، يصح القول إن الإنسان خليفة الله فى الأرض، باعتبار أن خلفاء الله الشرعيين من نوعه، لكنه لايعنى شمول الخلافة لغير المعصومين عليهم السلام بحال. وذلك كقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أنبياءوَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً)(المائدة:٢٠) فعبَّر بجعلهم ملوكاً بالعموم، لأنهم منهم.

ولا نطيل فى ذكر أقوال المفسرين فى المسألة ومناقشتها، فإن أحداً منهم لم يأت بدليل من الآية أوخارجها على أن هذه الخلافة تشمل كل ذرية آدم عليه السلام، اللهم إلا الإستحسانات والظنون، وهى لا تنهض دليلًا!

ولعل القائلين بعموم الخلافة لكل بنى آدم غفلوا عن أن الجاعل لها هو العالم الحكيم المطلق عز وجل، وأن أحدنا لايعطى هذا المقام الخطير للمفسدين ولا للعاديين فكيف بالله تعالى! وإذ انتفت خلافة المفسدين بالفعل أو بالقوة، لم يبق إلا المعصومون عليهم السلام، وهذا مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ولعله اختلط عليهم هذا الإستخلاف التشريعى بالإستخلاف التكوينى بمعنى أن الله جعل الإنسان أجيالاً يخلف بعضها بعضاً، كما قال نبى الله هود عليه السلام لقومه: وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.(الأعراف:٦٩)، فهذا استخلافٌ لكن ليس فيه ولاية ولا مقام، بل امتنَّ الله عليهم بخلقهم بعد قوم نوح وتوريثهم حضارتهم، رغم كفرهم.

لأجل ما تقدم فإن مقام خليفة الله لم يثبت فى القرآن إلا لآدم وداود عليهما السلام:يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرض فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ. (سورة صاد:٢٦).

أما قوله تعالى:أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأرض أإِلَهٌ مَعَ اللهِ قليلًا مَا تَذَكَّرُونَ. (النمل:٦٢) وقوله تعالى: وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (النور:٥٥)، فهو وعدٌ إلهى باستخلاف المعصومين وختامهم الإمام المهدى عليه السلام، خليفة الله الموعود، الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً!

فى الكافى:١/١٩٣، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (الأئمة خلفاء الله عز وجل فى أرضه). وعن الإمام الصادق عليه السلام، فى قوله تعالى:وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، قال: هم الأئمة).

أما فى السنة فثبت إسم خليفة الله لنبينا وآله صلى الله عليه وآله، وربما لكبار الأنبياء عليهم السلام. ففى من لايحضره الفقيه:٢/٦١١، فى رواية الزيارة الجامعة: (ورضيكم خلفاء فى أرضه، وحججاً على بريته).

وفى خصائص الأئمة للشريف الرضى رحمه الله ص١٠٥: فى حديث كميل بن زياد رحمه الله فى وصف الأئمة عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خافياً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته.... أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة إلى دينه). انتهى.

أما الزيدية فقد توسعوا فى إعطاء لقب خليفة الله لكل من اجتمعت فيه شروط الإمامة عندهم فكان فقيهاً من ذرية على وفاطمة عليهما السلام وقام بالسيف.(الأحكام:٢/٥٠٥)

تكريم بنى آدم لا يعنى استخلافهم لأنه تكريم تكوينى واقتضائى

استدل بعضهم على عموم الإستخلاف فى الأرض بآية تكريم بنى آدم، وهى قوله تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً. يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً. (الإسراء:٧٠-٧١).

لكن لا علاقة لهذا التكريم بالإستخلاف، لأنه أعم منه محمولاً وموضوعاً، فهو يشـمل المؤمن والكافر، كما قال الله تعالى: فَأَمَّا الإنسان إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ كَلا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. (الفجر:١٥-١٧). فالإكرام هنا دنيوى يشمل حتى الكفار والفجار والطغاة، ولا يصح القول إنهم مكرمون، فهم خلفاء الله فى أرضه!

والمقصود بالتكريم التكوينى خلق الإنسان فى أحسن تقويم، ومنحه قدرات وظروفاً تمكنه من التكامل ونيل التكريم الحقيقى إن أراد، كما قال تعالى عن مؤمن آل ياسين: قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ. (يس:٢٦-٢٧). فوصل بتكريمه التكوينى إلى تكريمه الحقيقى.

وأخيراً، فإن جعل التقوى ميزاناً للكرامة والتكريم، فى قوله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ. (الحجرات:١٣) يؤكد أن ماتحقق لكل بنى آدم فى قوله: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ، تكريمٌ عامٌّ بنعم الله التى وسعت الكافر والمؤمن، أما الإستخلاف فهو تكريمٌ خاص ومنصبٌ لعباد خاصين لا يثبت إلا بدليل، قال تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.(الأنبياء:٢٦-٢٧).

خلفاء الله فى الأرض ليس بالضرورة أن يكونوا حكاما

من الواضح أن خليفة الله فى أرضه وحجته على عباده، ليس بالضرورة أن يكون حاكماً، فأكثر أنبياءالله وأوصيائهم عليهم السلام كانوا محكومين مضطهدين، ولم ينقص ذلك من مقامهم العظيم وخلافتهم عن الله تعالى فى أرضه.

وهذا معنى ما رووه ورويناه من أن الخلفاء الذين بشر بهم النبى صلى الله عليه وآله لايضرهم تكذيب من كذبهم. فقد روى الكافى:١/٥٢٩، وكمال الدين ص٢٩٩، واللفظ له: (عن أبى الطفيل قال: شهدت جنازة أبى بكر يوم مات، و شهدت عمر حين بويع وعليٌّ جالس ناحية، إذ أقبل عليه غلام يهودى عليه ثياب حسان وهو من ولد هارون، حتى قام على رأس عمر فقال: يا أمير المؤمنين أنت أعلم هذه الأمة بكتابهم وأمر نبيهم؟ قال: فطأطأ عمر رأسه، فقال: إياك أعنى وأعاد عليه القول! فقال له عمر: ما شأنك؟ فقال: إنى جئتك مرتاداً لنفسى شاكاً فى دينى، فقال: دونك هذا الشاب قال: ومَن هذا الشاب؟ قال: هذا على بن أبى طالب ابن عم رسول الله، وهو أبو الحسن والحسين ابنى رسول الله، وهذا زوج فاطمة ابنة رسول الله. فأقبل اليهودى على على فقال: أكذلك أنت؟ قال: نعم، فقال اليهودى: إنى أريد أن أسألك عن ثلاث وثلاث وواحدة..... إلى أن قال: أخبرنى عن محمد كم بعده من إمام عدل وفى أى جنة يكون، ومن الساكن معه فى جنته؟ فقال: يا هارونى إن لمحمد صلى الله عليه وآله من الخلفاء اثنا عشر إماماً عدلاً، لايضرهم خذلأن من خذلهم، ولا يستوحشون بخلاف من خالفهم، وإنهم أرسب فى الدين من الجبال الرواسى فى الأرض. ومسكن محمد صلى الله عليه وآله فى جنة عدن معه أولئك الإثنا عشر الأئمة العدل. فقال:صدقت والله الذى لا إله إلا هو إنى لأجدها فى كتاب أبى هارون كتبه بيده). انتهى.

وفى معجم الطبرانى الكبير: ٢/١٩٦، و٢١٣ و٢١٤، و٢٥٦، والأوسط:٣ /٢٠١، ومجمع الزوائد:٥/١٩١:(عن جابر بن سمرة عن النبى(ص)قال: يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيماً، لايضرهم من خذلهم). انتهى.

وقد روى بعضهم زيادة فى حديث الأئمة الإثنى عشر (كلهم تجتمع عليه الأمة) وأراد حصر تطبيقه بالحكام، وأنه لايشمل من أهل البيت إلا علياً عليه السلام، لكن الألبانى رد هذه الزيادة فى سلسلته برقم ٣٧٦، وقال عنها إنها منكرة!

وقد بحثنا فى المجلد الثانى من كتاب (ألف سؤال وإشكال- مسألة ١٦٢) لقب خليفة الله تعالى وخليفة النبى صلى الله عليه وآله، واستغلال القرشيين له وأعطاءه لحكامهم! وأن أبا بكر استكثر على نفسه لقب خليفة الله فنهاهم عنه (ابن أبى شيبة فى المصنف:٨/٥٧٢، وصححه فى الزوائد:٥/١٨٤ عن أحمد. وكذلك عمر: شرح النهج:١٢/٩٤)

بينما سمى معاوية نفسه (خليفة الله) فاعترض عليه صعصعة بن صوحان رحمه الله!

(مروج الذهب للمسعودى:٣/٥٢) ثم تمادى حكام بنى أمية فى استغلا لقب خليفة الله لأنفسهم، ففضلوا الحاكم الأموى بذلك على نبينا صلى الله عليه وآله بحجة أن خليفة المرأ خير من رسوله فى حاجته! (الصحيح السيرة:١/٢٩)

ونقل النووى فى الأذكار ص ٣٦٠، عن البغوى أنه قال: (ولا يسمى أحد خليفة الله تعالى بعد آدم وداود عليهما الصلاة والسلام).

ونقل عنه الشربينى فى مغنى المحتاج:٤/١٣٢، قوله: (ولا ـ يجوز تسميته بخليفة الله تعالى، لأنه إنما يستخلف من يغيب ويموت، والله تعالى منزه عن ذلك).انتهى.

ودليل البغوى ضعيف، والدليل الصحيح: أن خليفة الله وخليفة الرسول منصب يحتاج إلى نص من الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وآله، وإلا كان ادعاءً وافتراءً.

والنتيجة: أن نظام الإستخلاف فى الأرض ومقام الخلافة الذى نصَّت عليه الآية يدل على أن من ثبت له هذا المنصب، فقد ثبتت له العصمة.

وقد اتضح أن توسيع إسم (خليفة الله) لكل بنى آدم، إنما قال به بعض المتأخرين تأثراً بفكر بعض المتصوفة، أو بفكر الغربيين الذى يؤكد على أصالة الإنسان إلى حد تأليهه! فجعلوا التكريم بمعنى الإستخلاف وعمموه لكل إنسان! وأن معاوية أول من ابتدع تعميمه للحاكم أىُّ حاكم! بحجة أن الله أعطاه الحكم فيكون استخلفه فى أرضه!

تعليم آدم الأسماء دليل على عصمة خلفاء الله تعالى

فى آية استخلاف آدم عليه السلام بحوثٌ مهمة تتعلق بموضوعنا، فقد أوضحت أن ملاك خلافة الله تعالى والأفضلية على الملائكة هو العلم الإلهى الذى يعطيه لخليفته، ودرجة العبودية التى يوفقه لها.

فالإنسان رغم أن فيه قابلية الإفساد وسفك الدماء، فيه إيجابيات وقابليات عظيمة لم يعرفها الملائكة، هى التى أوجبت جعله خليفة فى الأرض، وهى تغلب فى مصلحتها على إفساد المفسدين منه! وأنها ستتحق فى المعصومين عليهم السلام ويتحقق على يدهم إقامة دولة العدل الإلهى فى الأرض، التى لا إفساد فيها ولاسفك دماء، والتى تمتد حتى يرث الله الأرض ومن عليها!

وقد أثبت عز وجل للملائكة أن آدم عليه السلام يستطيع أن يتلقى من العلم الإلهى فيصل إلى درجة أعلى من الملائكة، وأن خلفاء الله من ذريته سيكونون أهلًا للتلقى والطاعة بأفضل من الملائكة!

لقد علَّم الله آدم أسماء خلفائه من ذريته وبين له مقامهم، ثم عرض سيرتهم على الملائكة، وامتحنهم فى معرفة(أَسْمَاءِ هؤُلاءِ) العظماء فلم يعرفوهم، وعرفهم آدم عليه السلام فأخبرهم بهم، فاقتنع الملائكة وقالوا: (سُبْحَانَكَ لا ـ عِلْمَ لَنَآ إلا ـ مَا عَلَّمْتَنَآ، إنك أنت الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ).

وقد أكثر المفسرون فى بحث الأسماء التى علمها الله لآدم عليه السلام، ثم فى معنى (عرضهم) على الملائكة، لكنهم ذهبوا بها بعيداً مع أنها لابد أن تكون معلومات عن مستقبل أبناء آدم عليه السلام فى الأرض، لتكون جواباً مقنعاً للملائكة الذين تصوروا أن كل حياة الإنسان على الأرض إفسادٌ وسفك للدماء!

لذلك لانجد تفسيراً معقولاً لها، إلا أن الله علَّم آدم عليه السلام علماً استطاع به أن يرى مستقبل ذريته فى الأرض، ويرى أن مرحلة السماح بالإفساد وسفك الدماء فى الأرض ستنتهى، ثم تبدأ مرحلة دولة العدل الإلهى على يد خلفاء الله من عترة خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وآله، وتمتد إلى آخر حياة الإنسان!

فهذا هو الجواب الوحيد الذى يقنع الملائكة بجدارة آدم للخلافة، وجدارة الخلفاء من أبنائه، وانهم لا ـ يُفسدون فى الأرض ولا يَسفكون الدماء، بل سيصلحونها ويعمرونها، صلوات الله عليهم!

فيكون معنى قوله تعالى: ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ.. أنه عرض عليهم شريطاً لسيرة شخصيات ربانية أعظم مقاماً من الملائكة، فتعجبوا

لهم ولم يعرفوهم، فأخبرهم آدم عليه السلام بأنهم من ذريته، وأنهم ديرون بخلافة الله فى الأرض!

وبهذا المعنى فقط تصح الشرطية فى قوله تعالى: فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هؤُلاءِ أن كُنْتُمْ صَادِقِينَ. أى إن كنتم مصيبين فى قولك إنهم سيفسدون!

وقد يسأل: هل إن صور مايكون محفوظة عند الله تعالى، ليعلمها لمخلوق قبل أن تكون؟

والجواب: أن هذا من بدائه عقيدتنا فى الغيب والنبى وآله صلى الله عليه وآله، وأحاديثه عندنا صحيحة مستفيضة بل متواترة، وأن الله تعالى علم نبيه صلى الله عليه وآله علم ما يكون إلى يوم القيامة، فعلمه لعلى والأئمة من عترته عليهم السلام.

قد يقال: روى أن الله تعالى علم آدم أسماء الأشياء، مما تحتاجه حياته على الأرض مثل إسم الماء والهواء والشجر والحيوان والجبال؟

والجواب: أن هذا لو صح لا يكون جواباً على إشكال الملائكة، إذ لاتلازم بين معرفة أسماء الأشياء، وعدم الإفساد وسفك الدماء!

ثم لو صح أن يكون جواباً لاستخلاف آدم عليه السلام، فلا يصح جواباً لاستخلاف ذريته، فإن الملائكة أخبروا عن إفساد ذريته وليس عن إفساده هو! فهم بحاجة إلى جواب يثبت عدم إفساد الذرية، أو وجود مصلحة فى استخلافهم تغلب ما يقع من إفساد بعضهم، وليس ذلك إلا مرحلة حكم خلفاء الله فى أرضه عليهم السلام.

وبذلك يتضح قوة ما ورد فى مصادرنا فى تفسير الآية الكريمة، كالذى فى تفسير فرات الكوفى ص۵۶ بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى كان ولا شئ، فخلق خمسة من نور جلاله، وجعل لكل واحد منهم إسماً من أسمائه المنزلة، فهو الحميد وسمى النبى محمداً، وهو الأعلى وسمى أمير المؤمنين علياً، وله الأسماء الحسنى فاشتق منها حسناً وحسيناً، وهو فاطر فاشتق لفاطمة من أسمائه إسماً، فلما خلقهم جعلهم فى الميثاق فإنهم عن يمين العرش،وخلق الملائكة من نور، فلما أن نظروا إليهم عظموا أمرهم وشأنهم ولقنوا التسبيح فذلك قوله: وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون فلما خلق الله تعالى آدم نظر إليهم عن يمين العرش فقال: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم هؤلاء صفوتى وخاصتى، خلقتهم من نور جلالى وشققت لهم إسماً من أسمائى، قال: يا رب فبحقك عليهم علمنى أسماءهم، قال: يا آدم فهم عندك أمانة سر من سرى، لايطلع عليه غيرك إلا بإذنى، قال: نعم يا رب، قال: يا آدم أعطنى على ذلك العهد فأخذ عليه العهد، ثم علمه أسماءهم، ثم عرضهم على الملائكة ولم يكن علمهم بأسمائهم فقال: أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم..علمت الملائكة أنه مستودع وأنه مفضل بالعلم، وأمروا بالسجود إذ كانت سجدتهم لآدم تفضيلًا له وعبادة لله). انتهى. (والبحار:۳۷/۶۲)

آيات الإصطفاء الإلهى

الإصطفاء الإلهى، والإستخلاص، والإجتباء، والإختيار، أوصاف قرآنية، وصف الله تعالى بها نخبة عباده.

والمتحصل من كلمات اللغويين أن أعلاها درجة الإصطفاء، لأنه اختيار الصفو بذاته من البشرية، ويليه الإستخلاص وهو تخليص الشئ من الشوائب واختياره، ويليه الإختيار وهو انتخاب الشئ الأفضل من غيره.

قال الراغب فى المفردات ص۱۵۴:(الخالص كالصافى إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافى قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال خلصته فخلص... وقوله تعالى: فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً، أى انفردوا خالصين عن غيرهم....فإخلاص المسلمين أنهم قد تبرؤوا مما يدعيه اليهود من التشبيه والنصارى من التثليث، قال تعالى: مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... فحقيقة الإخلاص التبرى عن كل ما دون الله تعالى). انتهى.

وقال فى ص۲۸۳: (أصل الصفاء خلوص الشئ من الشوب، ومنه وذلك إسم لموضع مخصوص، والاصطفاء تناول صفو الشئ كما أن الإختيار تناول خيره والإجتباء تناول جبايته. واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافياً عن الشوب الموجود فى غيره،

وقد یکون باختیاره وبحکمه وإن لم یتعر ذلک من الأول، قال تعالی: الله یصطفی من الملائکة رسلاً ومن الناس – إن الله اصطفی آدم ونوحا – اصطفاک وطهرک واصطفاک – اصطفیتک علی الناس– وإنهم عندنا لمن المصطفین الإخیار).

واصطفیت کذا علی کذا أی اخترت (أصطفی البنات علی البنین– وسلام علی عباده الذین اصطفی. ثم أورثنا الکتاب الذین اصطفینا من عبادنا. والصفی والصفیة ما یصطفیه الرئیس لنفسه....

والصفوان کالصفا الواحدة صفوانة، قال:صَفْوَانٍ عَلَیْهِ تُرَابٌ، ویقال یوم صفوان، صافی الشمس، شدید البرد). انتهی.

وقال فی ص ۱۶۰: (الخیر ما یرغب فیه الکل، کالعقل مثلاً والعدل والفضل والشئ النافع، وضده الشر....فالخیر یقابل به الشر مرة والضر مرة نحو قوله تعالی: وَإِنْ یَمْسَسْکَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا کَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ یَمْسَسْکَ بِخَیْرٍ فَهُوَ عَلَی کُلِّ شَئٍ قَدِیرٌ....

وقوله: وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَی عِلْمٍ عَلَی الْعَالَمِینَ، یصح أن یکون إشارة إلی إیجاده تعالی إیاهم خیاراً، وأن یکون إشارة إلی تقدیمهم علی غیرهم). انتهی.

أقول: لاشک أن الإستخلاف الإلهی درجةٌ أعلی من الإصطفاء والإستخلاص والإختیار، لکن التفاضل بین هذه الثلاثة لا دلیل علیه من اللغة أو استعمالات القرآن والسنة، بل المصطفون هم المستخلصون وهم المختارون.

واستعمالات القرآن لیست لبیان درجاتها، بل لبیان أنواع فاعلیاته تعالی فی الإصطفاء والإستخلاص والإختیار، المتناسبة مع أبعاد شخصیة الإنسان ومجتمعه.

فالإصطفاء، وهو أخذ الصفو، یتناسب مع جوهر نفوسهم الصافیة، ویشیر إلی کدورة أنفس البشر الإخرین.

والإستخلاص، یتناسب مع جهادهم لتصفیة نیاتهم وأعمالهم وتخلیصها مما هو لغیر الله تعالی، حتی صاروا مخلِصین، فاستخلصهم الله وجعلهم مخلَصین بالفتح. بینما بقی غیرهم فی شوائب الشرک العقدی، وشوائبه العملیة.

والإختیار، یتناسب مع انتخاب الله تعالی لخیر البشر وصفوتهم ومخلصیهم، فی مقابل من اختاره البشر، أو مقابل من لم یستحق اختیار الله تعالی.

ولهذا ورد تفسیر آیات هذه الصفات بالنبی وآله الأطهار صلی الله علیه وآله، کما ورد وصفهم بها فی أحادیث عدیدة.

فقد ورد وصفهم بخلفاء الله تعالی، وبالمصطفین، کما فی الزیاة الجامعة:

(ورضیکم خلفاء فی أرضه، وحججاً علی بریته....

وأشهد أنکم الأئمة الراشدون، المهدیون المعصومون، المکرمون المقربون المتقون الصادقون المصطفون....اصطفاکم بعلمه، وارتضاکم لدینه، واختارکم لسره، واجتباکم بقدرته).

وفی المقنعة ص۳۲: (وأن الأئمة بعد رسول الله صلی الله علیه وآله حجج الله تعالی وأولیاؤه، وخاصة أصفیاء الله...). وفی فقه الرضا/۱۲۸: (اللهم صل علی محمد وآل محمد المصطفین، بأفضل صلواتک..)

وفی علل الشرائع:۱/۱۸: (عن زرارة قال: سئل أبو عبد الله علیه السلام عن بدء النسل من آدم کیف کان وعن بدء النسل عن ذریة آدم فإن أناساً عندنا یقولون إن الله عز وجل أوحی إلی آدم یزوج بناته ببنیه، وإن هذا الخلق کله أصله من الإخوة والإخوات! فقال أبو عبد الله علیه السلام: تعالی الله عن ذلک علوا کبیراً، یقول من قال هذا بأن الله عز وجل خلق صفوة خلقه وأحبائه وأنبیائه ورسله والمؤمنین والمؤمنات والمسلمین والمسلمات، من حرام؟! ولم یکن له من القدرة ما یخلقهم من حلال، وقد أخذ میثاقهم علی الحلال الطهر الطاهر الطیب؟!!). (ورواه فی الفقیه:۳/۳۸۱).

کما ورد وصفهم بالمخلصین بفتح اللام وکسره، ففی الزیارة الجامعة: (السلام علی الدعاة إلی الله، والأدلاء علی مرضات الله، والمستقرین فی أمر الله، والتامین فی محبة الله، والمخلصین فی توحید الله). (من لا یحضره الفقیه:۲/۶۱۰).

وفی من لایحضره الفقیه:۱/۵۱۳:(وأعوذ بک من شر ما عاذ منه عبادک المخلصون).

وورد وصفهم بالمختارين: ففى الزياة الجامعة:(اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لدينه، واختاركم لسره، واجتباكم بقدرته....
السلام على الأئمة الدعاة، والقادة الهداة، والسادة الولاة، والذادة الحماة، وأهل الذكر وأولى الأمر، وبقية الله وخيرته...).
وفى الكافى:١/١٩٩، فى حديث الإمام الرضا عليه السلام عن الإمامة: (إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكانا وأمنع جانبا وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم، إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال: إنى جاعلك للناس إماماً فقال الخليل عليه السلام سرورا بها ": ومن ذريتى؟ قال الله تبارك وتعالى: لا ينال عهدى الظالمين. " فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت فى الصفوة ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها فى ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: ووهبنا له إسحاق و يعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين لم تزل فى ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها الله تعالى النبى صلى الله عليه وآله فقال جل وتعالى: إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين فكانت له خاصة فقلدها علياً).
وليس غرضنا هنا شرح هذه الصفات العظيمة وبيان الفروق بينها، وفيها بحوث مفصلة، بل الغرض أن كلًا من الإصطفاء والإستخلاص والإختيار، يستلزم العصمة كالإستخلاف، لأن أياً منها لايتم إلا لخيرة البشر المطيعين لربهم عز وجل، الورعين عن محارمه ومعاصيه.
ولأن من اصطفاه الله واستخلصه واختاره، يمده بالحماية والعناية والألطاف، التى تعنى عصمته عن المعاصى، بل وما فوق العصمة العادية.
لذلك نكتفى بإيراد آيات هذه الصفات، وبعض الأحاديث الموضحة المؤكدة لدلالتها على العصمة.

آيات الإصطفاء الإلهى

نص القرآن على أن الله تعالى اصطفى عدداً من عباده من الأمم الماضية، ومن هذه الأمة، منهم أشخاص ومنهم أسر، وهو كالإستخلاف يدل على عصمة المصطفيْن صلوات الله عليهم. وهذه عناوين آيات الإصطفاء:
قانون الإصطفاء الإلهى لمهمات وأدوار
اللهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَةِ رسلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأمور. (الحج:٧٥-٧٦)
ابتدأ الإصطفاء الإلهى من آدم عليه السلام
إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. (آل عمران:٣٣-٣٤)
وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. (آل عمران:٤٢)
وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِى الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ فِى الآخرة لَمِنَ الصَّالِحِينَ. (البقرة:١٣٠)
وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِى الأَيْدِى وَالأبصار. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الإخيَارِ. وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الإخيَارِ. (صاد:٤٥-٤٨)
اصطفاء موسى عليه السلام مشروع مستقل
قَالَ يَا مُوسَى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِى وَبِكَلامِى فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. (الأعراف:١٤٤).
اصطفاء طالوت ملكاً
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا إنى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَاتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

(البقرة:۲۴۷-۲۴۸)

المصطفوْن عليهم السلام أهل السلام والأمن الإلهي

قُلِ الْحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللهُ خَيْرٌ أما يُشْرِكُونَ. (النمل:۵۹ (

اصطفاء الإسلام ديناً

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِى إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. (البقرة:۱۳۱-۱۳۲)

معنى الإصطفاء و أنواعه

غرض الإصطفاء: نَصَّ قوله تعالى:(اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رسلاً وَمِنَ النَّاسِ) على أن الإصطفاء يكون لمهمة عظيمة كحمل الرسالة الإلهية، فهو عمل إلهي يكشف عن مقام لغرض اجتماعي في الدنيا: (وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا).

وقد يكون هدفه أن يكون أصحابه قدوة للأجيال فيتبعوا ملتهم وسيرتهم، كما في إبراهيم عليه السلام وذريته: (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ فِي الآخرة لَمِنَ الصَّالِحِينَ). (البقرة:۱۳۰)

أنواع الإصطفاء: فمنه اصطفاء عام على العالمين كاصطفاء آدم ونوح، والأسر المصطفاة من آل إبراهيم عليهم السلام: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ). (آل عمران:۳۳)

ومنه اصطفاء لموجودين أو لآتين، علم الله ما سيعملون فاصطفاهم قبل ولادتهم: (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). (آل عمران:۳۳-۳۴)

ومنه اصطفاء على أناس معينين كاصطفاء طالوت للملك على بني إسرائيل: (قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ).

ومنه اصطفاء بمنصب أو ميزة: (يَا مُوسَى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِى وَبِكَلامِى)، أو بالتطهير المناسب للشخص: (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ)

ومنه اصطفاء لشخص على أهل عصره: (وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ).

والإصطفاء لايكون إلا باستحقاق:

ففي علل الشرائع:۱/۵۶، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:(أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: أتدرى لما اصطفيتك لكلامى دون خلقي؟ فقال موسى: لا، يا رب، فقال: يا موسى إني قلبت عبادى ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لى منك نفساً. يا موسى انك إذا صليت وضعت خديك على التراب).

وعن الصادق عليه السلام قال: (وكان موسى عليه السلام إذا صلى لم ينفتل حتى يلصق خده الأيمن بالأرض والأيسر). انتهى.

أما الذين اصطفاهم الله تعالى قبل أن يولدوا (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ)، فقد علم الله ما هم عاملون فاصطفاهم قبل ولادتهم. على أنه قد امتحن جميع الخلق في نشأة سابقة قبل نشأتهم في الدينا، ففي الكافي:۲/۱۰:(عن أبي عبد الله عليه السلام أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأى شئ سبقت الأنبياءوأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: إنى كنت أول من آمن بربى وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ فكنت أنا أول نبى قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل). انتهى.

تفسير آية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفين

قال الله تعالى: وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا

يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ أن رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ.الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ. (فاطر:۳۱-۳۶).

الآية من متشابهات القرآن

فما معنى توريث القرآن للمصطفين؟ ومن هم؟ وما معنى التقسيم بعدها إلى ظالم ومقتصد وسابق بالخيرات، فهل يمكن أن يكون الظالم من المصطفين الذين أورثهم الله الكتاب؟ وهل يدخل الجميع الجنة بمن فيهم الظالمون؟!

والموقف الشرعى والعلمى عندما يواجه الباحث المتشابه، أن يرده إلى المحكم، وأن يرد الجميع إلى أهل البيت عليهم السلام الذين قرنهم النبى صلى الله عليه وآله بالقرآن فقال: (إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى)، فأوجب بذلك أخذ القرآن وتفسيره منهم. لكن هل يفعل ذلك مفسرو قريش؟ كلا! بل يتبعون ما تشابه منه، ويهيمون فى كل واد! فقد كثرت احتمالاتهم واتسع تحيرهم وتخبطهم فى هذه الآيات، حتى وصل إلى بعض مفسرى الشيعة!

وأصل الموضوع عندهم أن عمر وكعب الأحبار قالا: إن الله ورَّث القرآن للأمة كلها بمن فيها الظالمون، وكلهم فى الجنة! فتبعهما أكثر المفسرين، وحاولوا جعل تفسيرهما مسنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله! وقارب آخرون وباعدوا، وحاولوا ترقيع ما يستلزمه هذا التفسير من مشكلات عقدية!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۵۱: (وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وابن المنذر، والبيهقى فى البعث، عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا نزع بهذه الآية:ثم أورثنا الكتاب... قال: ألا إن سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له!!

وفى تفسير النحاس:۵/۴۵۸: (وقال كعب: هذه الأمة على ثلاث فرق، كلها فى الجنة، ثم تلا: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا..إلى قوله: جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا، فقال: دخلوها ورب الكعبة)! انتهى. (ونحوه تفسير ابن كثير:۳/۵۶۴)

وفى تفسير الطبرى:۲۲/۱۶۰، عن كعب: (قال: كلهم فى الجنة، وتلا هذه الآية: جنات عدن يدخلونها). انتهى.

وفى تفسير عبد الرزاق:۳/۱۳۶: (عن عبد الله بن الحارث عن كعب قال: قرأ هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ حتى بلغ: جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا... فقال كعب: دخلوها ورب الكعبة)! (ورواه فى تفسير الثورى ص۲۴۶)

ورووا ذلك عن عمر وكعب بطرق عديدة، وعن عثمان وعائشة أيضاً، كما فى تفسير ابن كثير:۳/۵۶۴، عن عثمان قال: (هى لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرنا وسابقنا أهل الجهاد). وقال ابن كثير فى تفسيره:۲/۷۹: (والصحيح أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة كلهم يدخلون الجنة).

وفى المعجم الأوسط للطبرانى:۶/۱۶۷: (عن عقبة بن صهبان قال قلت لعائشة: أرأيت قول الله جل ذكره: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...الآية؟ قالت: أما السابق فقد مضى فى حياة رسول الله(ص)وشهد له بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع آثارهم فعمل بمثل أعمالهم حتى يلحق بهم، وأما الظالم لنفسه فمثلى ومثلك ومن اتبعنا. قالت وكلهم فى الجنة). (والحاكم:۲/۴۲۶، وصححه)

القرطبى يرفض التفسير الرسمى

وقال القرطبى فى تفسيره:۱۴/۳۴۶: (هذه الآية مشكلة، لأنه قال جل وعز: اصطفينا من عبادنا ثم قال: فمنهم ظالم لنفسه! وقد تكلم العلماء فيها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم!! قال النحاس: فمن أصح ما روى فى ذلك ما روى عن ابن عباس: فمنهم ظالم لنفسه، قال: الكافر، رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس أيضاً. وعن ابن عباس أيضاً: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد

ومنهم سابق بالخيرات قال: نجت فرقتان، ويكون التقدير فى العربية: فمنهم من عبادنا ظالم لنفسه، أى كافر. وقال الحسن: أى فاسق. ويكون الضمير الذى فى يدخلونها، يعود على المقتصد والسابق، لا على الظالم....

وقيل: الضمير فى يدخلونها يعود على الثلاثة الأصناف لى ألا يكون الظالم ها هنا كافراً ولا فاسقاً. وممن روى عنه هذا القول عمر، وعثمان، وأبو الدرداء، وابن مسعود، وعقبة بن عمرو، وعائشة، والتقدير على هذا القول: أن يكون الظالم لنفسه الذى عمل الصغائر....

قال النحاس: وقول ثالث يكون الظالم صاحب الكبائر، والمقتصد الذى لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيئاته، فيكون: جنات عدن يدخلونها للذين سبقوا بالخيرات لا غير. وهذا قول جماعة من أهل النظر، لأن الضمير فى حقيقة النظر لما يليه أولى.

قلت: القول الوسط(أنه يعود على المقتصد والسابق)أولاها وأصحها إن شاء الله، لأن الكافر والمنافق لم يصطفوا بحمد الله، ولا اصطفىَ دينهم. وهذا قول ستة من الصحابة، وحسبك. وسنزيده بياناً وإيضاحاً فى باقى الآية). انتهى.

وأهم ما عمله القرطبى أنه ذكر التفسير الرسمى بصيغة: (قيل) وحاول تخفيف وقعه بتضييق دخول الظالمين الجنة! فهو من المفسرين القلائل الذين لم يدخل فى قلبهم تفسير عمر وكعب، بل اختار أن آية: جنات عدن يدخلونها... تختص بالسابقين والمقتصدين ولاتشمل الظالمين!

لكنك تجد قول عمر وكعب صار عندهم حديثاً نبوياً! فقالوا إن عمر قال: (سمعت رسول الله(ص)يقول: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له، وقرأ عمر: فمنهم ظالم لنفسه...الآية) انتهى. (الدر المنثور:۵/۲۵۱، عن العقيلى وابن لآل وابن مردويه والبيهقى، وأضاف كنز العمال:۲/۴۸۵ عن الديلمى).

وقال الرازى فى تفسيره:۲۶/۲۴: (اتفق أكثر المفسرين على أن المراد من الكتاب القرآن، وعلى هذا فالذين اصطفينا هم الذين أخذوا بالكتاب وهم المؤمنون، والظالم والمقتصد والسابق، كلهم منهم. ويدل عليه قوله تعالى: جنات عدن يدخلونها، أخبر بدخولهم الجنة، وكلمة: ثم أورثنا، أيضاً تدل عليه لأن الإيراث إذا كان بعد الإيحاء ولا كتاب بعد القرآن فهو الموروث. والإيراث المراد منه الأعطاء بعد ذهاب من كان بيده المعطى..... ويصحح هذا قول عمر عن النبى(ص): ظالمنا مغفور له). انتهى.

وهكذا صار التفسير الذى وضع أساسه عمر وكعب الأحبار، الرأى الرسمى لأجيال مفسرى الدولة، اتبعه أكثرهم على تحيُّر، ومال عنه بعضهم على وجل! ولكنه كان سداً إمام تفسير أهل البيت عليه السلام!

تفسير أهل البيت

نورد فيما يلى نماذج من أحاديثنا المتواترة فى أن أهل البيت عليهم السلام هم ورثة القرآن، وأنهم الذين عندهم علم الكتاب، دون غيرهم!

ففى شرح الأخبار:۳/۴۷۲: (قال أبو جعفر محمد بن على صلى الله عليه وآله: ما يقول من قِبلكم فى هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ.جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا...؟ قال قلت: يقولون نزلت فى أهل القبلة. قال: كلهم؟ قلت: كلهم. قال: فينبغى أن يكونوا قد غفر لهم كلهم. قلت: يا ابن رسول الله فى من نزلت؟ قال: فينا. قلت: فما لشيعتكم؟ قال: لمن اتقى وأصلح منهم الجنة، بنا يغفر الله ذنوبهم وبنا يقضى ديونهم، ونحن باب حطتهم كحطة بنى إسرائيل).

وفى الثاقب فى المناقب ص۵۶۶، عن أبى هاشم الجعفرى رحمه الله قال: (كنت عند أبى محمد عليه السلام فسألته عن قول الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ؟ فقال عليه السلام: كلهم من آل محمد عليهم السلام، الظالم لنفسه الذى لا يقر بالإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والسابق بالخيرات بإذن الله الإمام. قال: فدمعت عيناى وجعلت أفكر فى نفسى عظم ما أعطى الله آل محمد عليهم السلام، فنظر إلىَّ وقال: الأمر أعظم مما حدثتك به نفسك

من عظم شأن آل محمد عليهم السلام فاحمد الله فقد جعلك متمسكاً بحبلهم، تدعى يوم القيامة بهم إذا دعى كل أناس بإمامهم، فأبشر يا أبا هاشم فإنك على خير). انتهى.

وفى بصائر الدرجات ص١٣٥: (حدثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام إن العلم الذى نزل مع آدم لم يرفع، والعلم يتوارث، وكان على عليه السلام عالم هذه الأمة، وإنه لن يهلك منا عالم إلا خلفه من أهله من يعلم مثل علمه، أو ما شاء الله).

وفى بصائر الدرجات ص١٣٤: (حدثنا محمد بن الحسن عن حماد عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبيه عن أبى الحسن الأول عليه السلام قال قلت له: جعلت فداك النبى صلى الله عليه وآله ورث علم النبيين كلهم؟ قال لى: نعم، قلت: من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه؟ قال: نعم، قلت: ورثهم النبوة وما كان فى آبائهم من النبوة والعلم؟ قال: ما بعث الله نبياً إلا وقد كان محمد صلى الله عليه وآله أعلم منه، قال قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله؟ قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم كلام الطير، قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل، فقال إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشك فى أمره: مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، وكانت المردة والريح والنمل والإنس والجن والشياطين له طائعين، وغضب عليه فقال: لأُعَذِّبَنَّهُ عذاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ، وإنما غضب عليه لأنه كان يدله على الماء، فهذا وهو طير قد أعطىّ ما لم يعطَ سليمان! وإنما أراده ليدله على الماء، فهذا لم يعط سليمان، وكانت المردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكانت الطير تعرفه!

إن الله وتعالى يقول فى كتابه: وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرض أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لله الأمر جميعاً، وقد ورثنا هذا القرآن، ففيه ما تقطَّع به الجبال وتقطَّع المداين به ويحيا به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإن فى كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلى أن يأذن الله به، مع ما فيه أذن الله، فما كتبه للماضين جعله الله فى أم الكتاب، إن الله يقول فى كتابه: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالأرض إلا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ. ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فنحن الذين اصطفانا الله فورثنا هذا الذى فيه تبيان كل شئ). انتهى.

وروى فى كتاب بصائر الدرجات ص٦٥، أكثر من خمسة عشر حديثاً فى هذا الموضوع، وفيها صحيح السند بدرجة عالية، منها: (عن أبى جعفر عليه السلام قال فى هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا..الآية، قال: السابق بالخيرات الإمام، فهى فى وُلد على وفاطمة عليهم السلام).

وفى عيون أخبار الرضا عليه السلام:٢/٢٠٧: (عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع فى مجلسه جماعه من علماء أهل العراق وخراسان فقال المأمون: أخبرونى عن معنى هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا؟ فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكنى أقول: أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها فى الجنة لقول الله عز وجل: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير، ثم جمعهم كلهم فى الجنة فقال عز وجل: جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب، الآية. فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا ـ لغيرهم فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله فى كتابه فقال عز وجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله:إنى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى إلا ـ وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفون فيهما أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الآل أم غير الآل؟

فقال الرضا عليه السلام: هم الآل، فقالت العلماء: فهذا رسول الله (ص) يؤثر عنه أنه قال: أمتى آلى وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر

المستفاض الذى لايمكن دفعه آل محمد أمته! فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبرونى فهل تحرم الصدقة على الآل؟ فقالوا: نعم، قال: فتحرم على الأمة؟ قالوا: لا، قال: هذا فرق بين الآل والأمة! ويحكم أين يذهب بكم؟ أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون! أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟ فقال من قول الله عز وجل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، فصارت وراثه النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين). انتهى.

وفى معانى الأخبار للصدوق ص١٠٤: (عن جابر بن يزيد الجعفى، عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليهما السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ؟ فقال: الظالم منا من لا يعرف حق الإمام، والمقتصد العارف بحق الإمام والسابق بالخيرات بإذن الله هو الإمام. جنات عدن يدخلونها، يعنى السابق والمقتصد).انتهى.

اختصاص أهل البيت بعلم الكتاب لا يلغى حجيته

قال السيد الخوئى رحمه الله فى البيان ص٢٦٨: (فإن معنى ذلك أن الله قد خص أوصياء نبيه صلى الله عليه وآله بإرث الكتاب، وهو معنى قوله تعالى: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا(٣٥:٣٢)فهم المخصوصون بعلم القرآن على واقعه وحقيقته، وليس لغيرهم فى ذلك نصيب. هذا هو معنى المرسلة، وإلا فكيف يعقل أن أبا حنيفة لا يعرف شيئاً من كتاب الله حتى مثل قوله تعالى: قل هو الله أحد، وأمثال هذه الآية مما يكون صريحاً فى معناه. والأخبار الدالة على الإختصاص المتقدم كثيرة جداً). انتهى.

ابناء فاطمة و أتباع أهل البيت ورثة مجازيون للكتاب

فى تفسير العياشى:١/٧٠: (عن عاصم بن حميد عن أبى عبد الله عليه السلام:إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، يقول لا حرج عليه أن يطوَّف بهما، فنزلت هذه الآية، فقلت: هى خاصة أو عامة قال: هى بمنزلة قوله: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فمن دخل فيهم من الناس كان بمنزلتهم يقول الله: وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً). انتهى.

الظالم لنفسه درجات متفاوتة

(الظالم لنفسه) مفهوم واسع فى القرآن، يشمل الكافر والفاسق والظالم لغيره، لأن الجميع ظلم للنفس، وقد نص القرآن على أن بعض أنواع الظالمين لأنفسهم يدخلون جهنم، قال تعالى: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِى أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. (النحل:٢٨-٢٩).

وبعضهم يدخل الجنة، قال تعالى: وَسَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأرض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. (آل عمران:١٣٣-١٣٦).

وبعضهم ظالمون لأنفسهم فكرياً وعملياً بترك عقيدة التوحيد واتخاذ عقيدة الكفر، كقوله تعالى: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِى يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ. (هود:١٠١).

وبعضهم ظالم لنفسه عملياً فقط بتعدى حدود الله تعالى: وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ

بَعْدَ ذَلِکَ أَمْرًا. (الطلاق:۱.

أو بعمل سوء یتبعه بالإستغفار: وَمَنْ یَعْمَلْ سُوءً أَوْ یَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ یَسْتَغْفِرِ اللَّهَ یَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِیمًا. (النساء:۱۱۰).

وعلی هذا، فحتی لو جعلنا الظالم لنفسه من أبناء فاطمة علیها السلام قسماً ملحقاً بالمصطفین ورثة الکتاب علیهم السلام فالمقصود به لیس الظالم للناس بل لنفسه بسلوکه الشخصی المحض یتبعه بالإستغفار، کما تقدم.

علی أنک عرفت روایة الصدوق فی معانی الأخبار ص۱۰۴ عن الإمام الباقر علیه السلام قال: (جنات عدن یدخلونها، یعنی السابق والمقتصد). انتهی.

رأی علماء الشیعة

قال المفید رحمه الله فی المسائل العکبریة ص۱۱۱: (وقوله تعالی: فمنهم ظالم لنفسه بعد وصفه الوارثین للکتاب بالصفوة، فإنه عیر ما ظنه السائل أنه لم یرد بقوله: فمنهم من أعیانهم، وإنما أراد من ذوی أنسابهم وذراریهم. فأما المصطفون فقد حرسوا بالاصطفاء من الظلم ووفقوا به للعدل. وکذلک قوله: ومنهم مقتصد، یرید به من نسلهم وأهلهم وذوی أنسابهم. وقوله: ومنهم سابق بالخیرات بإذن الله کذلک. ولم یرد بالأصناف الثلاثة أعیان من خبر اصطفائه وتوریثه الکتاب).

ةقال السید المرتضی رحمه الله فی رسائله:۳/۱۰۲: (والذی أعتمده وأعوِّل علیه أن یکون: فمنهم ظالم لنفسه، من صفة عبادنا، أی أورثنا الکتاب الذین اصطفینا من عبادنا، ومن عبادنا ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخیرات، أی فلیس کل عبادنا ظالماً لنفسه، ولا کلهم مقتصداً ولا کلهم سابقاً بالخیرات، فکان الذین أورثوا الکتاب السابقون بالخیرات دونهما).

وقال الشیخ الطوسی رحمه الله فی التبیان:۸/۴۳۰: (إن الله تعالی أورث علم الکتاب الذی هو القرآن، الذین اصطفاهم واجتباهم واختارهم علی جمیع الخلق من الأنبیاءالمعصومین والأئمة المنتجبین، الذین لا یجوز علیهم الخطأ ولا فعل القبیح لا صغیراً ولا کبیراً. ویکون قوله: فمنهم ظالم لنفسه، راجعاً إلی عبادنا وتقدیره فمن عبادنا ظالم لنفسه ومن عبادنا مقتصد ومن عبادنا سابق بالخیرات، لأن من اصطفاه الله لایکون ظالماً لنفسه، فلا یجوز أن ترجع الکنایة إلی الذین اصطفینا).

وقال الطبرسی رحمه الله فی مجمع البیان:۸/۲۴۵: (اختُلف فی أن الضمیر فی منهم إلی من یعود علی قولین، أحدهما: إنه یعود إلی العباد، وتقدیر الکلام: فمن العباد ظالم. وروی نحو ذلک عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، واختاره المرتضی قدس الله روحه من أصحابنا، قال: والوجه فیه أنه لما علق توریث الکتاب بمن اصطفاه من عباده، بین عقیبه أنه إنما علق وراثة الکتاب ببعض العباد دون بعض لأن فیهم من هو ظالم لنفسه، ومن هو مقتصد، ومن هو سابق بالخیرات.

والقول الثانی: إن الضمیر یعود إلی المصطفیْن من العباد، عن أکثر المفسرین).

بعض مفسری الشیعة وافق علی تفسیر عمر و کعب

قال فی تفسیر المیزان:۱۷/۴۵:(واختلفوا فی هؤلاء المصطفیْن من عباده من هم؟ فقیل هم الأنبیاء، وقیل هم بنو إسرائیل الداخلون فی قوله: إن الله اصطفی آدم ونوحا وآل إبراهیم وآل عمران علی العالمین. وقیل هم أمة محمد صلی الله علیه وآله فقد أورثوا القرآن من نبیهم. وقیل وهو المأثور عن الصادقیْن صلی الله علیه وآله فی روایات کثیرة مستفیضة، إن المراد بهم ذریة النبی صلی الله علیه وآله من أولاد فاطمة علیها السلام).

وقال فی:۱۷/۵۰: (واعلم أن الروایات من طرق الشیعة عن أئمة أهل البیت علیهم السلام فی کون الآیة خاصة بولد فاطمة علیها السلام، کثیرة جداً). انتهی.

أقول: بل وصلت هذه الروایات إلی حد التواتر، وفیها عدد صحیح السند قطعی الحجیة بنفسه، فقد قال السید ابن کاووس فی سعد

السعود ص١٠٨: (أقول: وروى تأويل هذه الآية من عشرين طريقاً). انتهى.

لكن صاحب الميزان رحمه الله أعرض عنها مع الأسف، ولم يصل حتى إلى مستوى تفسير القرطبى، بل أخذ بالتفسير القرشئ الرسمى تبعاً لكثرة المفسرين القائلين به! فخفف معنى وراثة الكتاب، وأدخل الظالمين الجنة!

قال فى الميزان:١٧/۴۵: (وقوله: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات " يحتمل أن يكون ضمير منهم راجعاً إلى الذين اصطفينا، فيكون الطوائف الثلاث الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات شركاء فى الوراثة وإن كان الوارث الحقيقى العالم بالكتاب والحافظ له هو السابق بالخيرات.

ويحتمل أن يكون راجعا إلى عبادنا – من غير إفادة الإضافة للتشريف – فيكون قوله: فمنهم مفيدا للتعليل والمعنى إنما أورثنا الكتاب بعض عبادنا وهم المصطفون لا جميع العباد، لأن من عبادنا من هو ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق ولا يصلح الكل للوراثة.

ويمكن تأييد أول الإحتمالين بأن لامانع من نسبة الوراثة إلى الكل مع قيام البعض بها حقيقة كما نجد نظيره فى قوله تعالى: وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب (المؤمن:۵۴)، وما فى الآية من المقابلة بين الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات، يعطى أن المراد بالظالم لنفسه من عليه شئ من السيئات وهو مسلم من أهل القرآن لكونه مصطفى ووارثاً! والمراد بالمقتصد المتوسط الذى هو فى قصد السبيل وسواء الطريق. والمراد بالسابق بالخيرات بإذن الله من سبق الظالم والمقتصد إلى درجات القرب، فهو إمام غيره بإذن الله بسبب فعل الخيرات، قال تعالى: والسابقون السابقون أولئك المقربون. (الواقعة: ١١).

وقوله تعالى: ذلك هو الفضل الكبير، أى ما تقدم من الإيراث هو الفضل الكبير من الله، لادخل للكسب فيه. هذا ما يعطيه السياق وتفيده الأخبار من معنى الآية! وفيها للقوم اختلاف عجيب)! انتهى.

وتبعه صاحب تفسير الأمثل فقال:١۴/٨٧: (ثم تنتقل الآية إلى تقسيم مهم بهذا الخصوص فتقول: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير. ظاهر الآية هو أن هذه المجاميع الثلاثة هى من بين الذين اصطفينا أى ورثة وحملة الكتاب السماوى. وبتعبير أوضح إن الله سبحانه وتعالى قد أوكل مهمة حفظ هذا الكتاب السماوى بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الى هذه الأمة، الأمة التى اصطفاها الله سبحانه...

وقد ورد فى روايات كثيرة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام فى تفسير:سابق بالخيرات بالمعصوم، وظالم لنفسه: بمن لايعرف الإمام، والمقتصد:، العارف بالإمام. وهذه التفسيرات شاهد واضح على ما اخترناه لتفسير الآية، وهو أنه لا مانع من كون هذه المجاميع الثلاثة ضمن ورثة الكتاب الإلهى! ولا نحتاج إلى التذكير بأن تفسير الروايات أعلاه هو من قبيل بيان المصاديق الأوضح للآية، وهم الأئمة المعصومون، إذ هم الصف الأول، بينما العلماء والمفكرون وحماة الدين الإخرون فى صفوف أخرى). انتهى.

اهم الإشكالات على التفسير الحكومى

أهم الإشكالات عليه: أنه يخرِّب معنى توريث القرآن للمصطفيْن، فيجعل كل الأمة مصطفاة بمن فيها الظلمة والقتلة والجبابرة والمنافقون الذين هم فى الدرك الأسفل من النار! فهو يخرب معنى الإصطفاء الإلهى ويطعن فى حكمة الله تعالى!

وعندما يحكم بأن الظالم يدخل الجنة يصل تخريبه إلى قانون استحقاق الثواب والعقاب، لا يبقى لطاعة الله معنى لأنها تتساوى فى النتيجة مع الظلم والمعصية!

١– معنى توريث الكتاب الإلهى:

قال الراغب الأصفهانى، وهو من أفضل علماء العربية فى تجذير الكلمات، قال فى المفردات ص٥١٨: (الوراثة والإرث: انتقال قُنْيَةٍ إليك عن غيرك، من غير عقد ولا ما يجرى مجرى العقد. وسمى بذلك المنتقل عن الميت، فيقال للقنية الموروثة: ميراث وإرث، وتراث. أصله وُراث، فقلبت الواو ألفاً وتاء، قال: وتأكلون التراث... ويقال: ورثت مالاً عن زيد وورثت زيداً، قال: وورث سليمان داود..

وورثه أبواه.. وعلى الوارث مثل ذلك....ويقال لكل من حصل له شئ من غير تعب: قد ورث كذا. ويقال لمن خَوَّل شيئاً مهنئاً: أوْرث، قال تعالى: وتلك الجنة التى أورثتموها.. أولئك هم الوارثون الذين يرثون....وقال لعلى رضى الله عنه: أنت أخى ووارثى، قال: وما أرثك؟ قال: ما ورَّثت الأنبياءقبلى، كتاب الله وسنتى).

وموضوعنا: وراثة الكتاب الإلهى، وقد وردت فى القرآن بثلاث صيغ:

الصيغة الأولى: الذين ورثوا الكتاب، وأورثوا الكتاب.

ومعناها مطلق الوراثة للأمة، كقوله تعالى عن اليهود: (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأرض أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ...فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا. وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ..(الأعراف:۱۶۸-۱۷۰).

وقوله تعالى عن النصارى: وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ. (الشورى:۱۴). فلم ينسب فيها التوريث إلى الله تعالى، وجاءت فى سياق ذم ورثة الكتاب لأنهم لم يعملوا به، ومدح الذين عملوا به.

وشبيه بها صيغة: (الذين أوتوا الكتاب، وأوتوا نصيباً من الكتاب) بالمبنى للمجهول، بدون نسبة الإيتاء صريحاً إلى الله تعالى. وسياقها أيضاً الذم، كقوله تعالى: نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ. البقرة:۱۰۱

وقوله تعالى: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ. البقرة:۱۴۴

وقوله تعالى: وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ. البقرة:۱۴۵

وقوله تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسلام وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ. آل عمران:۱۹

وقوله تعالى: وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ؟ آل عمران:۲۰

وقوله تعالى: وَإِذْ أخذ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ. آل عمران:۱۸۷

وقوله تعالى: كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ.(الحديد:۱۶)

وقوله تعالى: وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ. (البيّنة:۴)

وينبغى أن نسجل ثلاث ملاحظات على هذا الآيات:

الأولى، أن تعبير(ورثوا الكتاب، وأورثوا الكتاب، وأوتوا الكتاب)، وإن كان فيه مدح بأن الله تعالى آتاهم الكتاب، لكنه مدحٌ بنعمة أنعمها الله عليهم فلم يحفظوها، فهو فى جوهره ذمٌّ لهم، مضافاً إلى صفاتهم الأخرى التى نصت عليها الآيات، كالكفر والفسق، ولذا قلنا إن سياق الآيات هو الذم.

والثانية، أن الذين(أوتوا نصيباً من الكتاب) هم نفس(أوتوا الكتاب) أو بعضهم وهذا التعبير يدل على أنهم استوعبوا شيئاً من الكتاب، أو طبقوه، بينما ضيعوا الباقى! فهو أيضاً ذم لهم وليس مدحاً.

قال الله تعالى:أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إلى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ. آل عمران:۲۳

وقال تعالى: أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا. النساء:۵۱-۵۲

والثالثة، أن إيتاء الكتاب فى هذه الآيات عام لكل الأمة، ومجمل لم يحدد فيه الأنبياءأو الأوصياء عليهم السلام أو العلماء الذين آتاهم الكتاب، ولا مستواهم العلمى لكن يوجد آية أخرى كشفت أن وصف هؤلاء المذمومين بأنهم ورثوا أو أورثوا أو أوتوا الكتاب، كان بسبب وجود الصالحين المصطفيْن منهم الذين أورثهم الله الكتاب، وإنما وصف به المذمومون لأنهم أممهم وقومهم!

قال تعالى: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ). (الأنعام:۸۳-۸۹)

وتعبير: أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ، يكشف عن أن هؤلاء هم أهل الكتاب وأصحابه وورثته الحقيقيين، وأن وصف غيرهم به مجازٌ بسبب وجودهم فيهم.

الصيغة الثانية: أورثنا الكتاب. وقد وردت في آيتين فقط:

إحداهما، توريث الكتاب لبني إسرائيل، وهي قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ. هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ. (غافر:۵۳-۵۴)، فذكرت أن إيتاء الكتاب وتنزيله كان لموسى عليه السلام، بينما توريثه لبني إسرائيل.

والثانية، توريث القرآن للمصطفين من هذه الأمة، وهي الآية موضوع البحث:

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. (فاطر:۳۲).

وهذه الصيغة شبيهة بصيغة: آتيناهم الكتاب في قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. (الجاثية:۱۶)

وقوله تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. (البقرة:۱۴۶).

ومن الملاحظات في الصيغتين:

الأولى، أن المورِّث في الآيتين هو الله تعالى، لكن المورَّث مختلف، فتوريث التوراة والإنجيل كان لبني إسرائيل عامة، أما توريث القرآن فكان للمصطفيْن فقط! فقد تحدث سبحانه في سورة فاطر من آية ۲۷، في سياق متصل عن العلم والعلماء، ثم عن التالين لكتاب الله، ثم عن تنزيل هذا الكتاب على رسوله صلى الله عليه وآله مصدقاً لما بين يديه، ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، ولم يقل: ثم أورثناكم الكتاب، أو ثم أورثنا الأميين الكتاب، كما قال: وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ. هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ؟!

فما هو السر في هذا العموم والخصوص في التوريث الإلهي؟

الثانية، أن توريث الكتاب الإلهي يختلف معناه حسب المورَّثين، فتوريثه للأمة يعني توريثه لأشخاص معينين منها مجازي للأمة وحقيقي لأفراد منها، أما توريثه لأشخاص فهو توريث حقيقي يعني تعليمهم تفسيره وعلومه ليكونوا معلمين له. كما تقول إن فلاناً ورَّث علم الطب للشعب الفلاني، أو ورثه للأطباء الفلانيين، فلا بد من في تفسيره من مراعاة التناسب بين التوريث والمورث!

والفرق الذي يبدو صغيراً هو كبير جداً، فتوريث الكتاب لبني إسرائيل يعني توريث علومه لأنبياءوأوصياء منهم وجعله في متناول كل الأمة.

أما توريث الكتاب للمصطفيْن من أمة النبي صلى الله عليه وآله فيعني توريث علومه لأئمة معينين، وجعله في متناول من تبعهم.

الثالثة، لايمكن تفسير المصطفيْن ورثة الكتاب الإلهي، إلا بملاحظة الصفات المشابهة التي وصف بها القرآن حملة العلم الإلهي في هذه الأمة، كالذين عندهم علم الكتاب، والراسخين في العلم، وأهل الذكر، في قوله تعالى عن وصي سليمان عليهما السلام: قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فإنما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل:۴۰) وقوله تعالى عن وصي النبي صلى الله عليه وآله: وَيَقُولُ الَّذِينَ

كَفَرُوا لَسْتَ مُرسلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)(الرعد:۴۳) وقوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُو الأَلْبَابِ). (آل عمران:٧)

وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلا رِجَالاً نُوحِى إِلَيْهِمْ فَاسْأَلوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (النحل:۴۳).

وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِى إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (الأنبياء:٧) وهى نفس الآية المتقدمة بدون كلمة: (مِن)!

وآية الشهود التالين للنبى صلى الله عليه وآله فى قوله تعالى: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إماماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ) (هود:١٧) فهذه الآيات وغيرها، تعرفنا من هم المصطفوْن الذى خصهم الله فى هذه الأمة بوراثة القرآن. وكذلك أحاديث النبى صلى الله عليه وآله، ومثلها أحاديث أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، لأن النبى صلى الله عليه وآله أرجع أمته إليهم وجعلهم عدل القرآن فى مثل قوله المتواتر صلى الله عليه وآله: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، فقولهم قوله وحديثهم حديثه، ومنهم يجب أن تأخذ الأمة كتاب الله وتفسيره.

٢- الظالم مطلقاً يستحيل أن يكون من المصطفيْن!

القاعدة العامة فى التفسير وكل بحث علمى، بل فى كل الحياة، أن لا نبيع اليقين بالشك، ولا المحكم بالمتشابه. ومن اليقين المحكم أن المصطفيْن من الله أشخاص اختارهم الله لأدوار فى الشعوب والأمم والعالم، لأنهم أهل لذلك، وأعطاهم ما يحتاجونه فى عملهم من علم وتأييد.

وهذا يقتضى طهارتهم وعصمتهم ووجوب اتباعهم.

وعندما نجد نصاً ظاهره أن المصطفيْن فيهم ظالمون عاصون لربهم، فيجب أن نتوقف فيه، لأن قبول ظاهره يعنى تخريب قانون الإصطفاء الإلهى، والطعن فى حكمة الله تعالى!

لهذا لا بد فى آية توريث الكتاب للمصطفين من أحد أمرين:

إما أن نجعل الظالم لنفسه قسماً من عبادنا وليس من المصطفين كما اختاره الشريف المرتضى رحمه الله، وغيره. قال فى مجمع البيان:٨/٢۴۵: (اختلف فى أن الضمير فى منهم إلى من يعود، على قولين، أحدهما: إنه يعود إلى العباد، وتقدير الكلام: فمن العباد ظالم. وروى نحو ذلك عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، واختاره المرتضى قدس الله روحه، من أصحابنا).انتهى.

وإما أن نجعل دخول الظالم لنفسه فى المصطفيْن مجازاً، لأنه منهم نسباً أو اتباعاً، كما فسره الإمام الرضا عليه السلام وهذا الذى أرجحه لأنه روى عن المعصوم عليه السلام، ولعل المرتضى لم يطلع عليه، وقد استدل له الإمام الرضا عليه السلام بقوله تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ. (الحديد:٢۶) فكما أن جعل النبوة والكتاب فى بعض ذرية نوح وإبراهيم، لم يمنع أن يكون بعضهم الآخر فاسقين، فكذلك توريث الكتاب لعترة محمد صلى الله عليه وآله لم يمنع أن يكون بعض آخر منهم ظالم لنفسه.

وقد تقدمت روايته من عيون أخبار الرضا عليه السلام:٢/٢٠٧ وفيها: (فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكنى أقول: أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة. فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها فى الجنة لقول الله عز وجل: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير، ثم جمعهم كلهم فى الجنة فقال عز وجل: جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب، الآية. فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا

عليه السلام: الذين وصفهم الله فى كتابه فقال عز وجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله:إنى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى إلا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفون فيهما. أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم. إلى أن قال: أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟ فقال من قول الله عز وجل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، فصارت وراثه النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين). انتهى.

٣- تعميمهم للمفردات الخاصة، وتمييعهم للقوانين الحاسمة!

ليست محاولة علماء السلطة فى التعميم والتمييع فى تفسير الآية، إلا واحدة من منهج ابتدعوه فى التفسير، كشفنا جانباً منه فى المجلد الثانى من كتاب (ألف سؤال وإشكال- المسألة١٦٣)، وقد ارتكبوا هنا تعميمين للكتاب والمصطفيْن، وتمييعين لتوريث الكتاب، وقانون الثواب والعقاب:

فقد عمموا الكتاب فى قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فجعلوه كل كتاب إلهى، مع أن السياق يتحدث عن القرآن، فالآية التى قبلها: وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا..الآية. فعدلوا عن السياق بلاحجة!

وكأن هدف كعب الأحبار من توسيع المصطفيْن وتوسيع الكتاب، أن يعطى الشرعية للتوراة والثقافة اليهودية وأنها مورَّثة لهذه الأمة، ويعطى لنفسه مقام مستشار الخلافة فى علم الكتاب كله التوراة والإنجيل والقرآن! وإلا فأين التوراة والإنجيل اللذين ورثتهما الأمة، وعند مَنْ يوجدان؟!

أما لو اعترف كعب بأن القرآن هو المورَّث لفئة من هذه الأمة، فلا بد أن تكون عترة النبى صلى الله عليه وآله، فيكون أخرج نفسه وعلمه من الساحة، وأوجب على الأمة أن ترجع إلى العترة ورثة القرآن ومعادله، كما أمرها نبيها صلى الله عليه وآله!

وقد استطاع كعب أن يقنع عمر بذلك وبأشياء كثيرة، لا يتسع لها هذا الكتاب!

ولا نطيل الكلام فى وقوف كعب وراء هذه التعميمات والتمييعات ودوافعه، ونكتفى بالقول إن المقصود بالكتاب فى الآية هو القرآن بحكم السياق، ولا دليل إلا التحكم لمن ادعى تعميمه لكل كتاب إلهى.

وأما جعله الظالمين من المصطفيْن وأهل الجنة، فهو جزءٌ من خطته فى فتح أبواب الجنة لجميع الناس، وهو أمر عمل له كعب وأطاعه فيه عمر حتى قال بشمول الشفاعة لجميع الخلق، ثم قال إن النار تفنى وينقل أهلها إلى الجنة! (راجع المسألة١٥٥ من كتابنا (ألف سؤال وإشكال)، والمجلد الثالث من العقائد الإسلامية).

وأما معنى المصطفيْن الذين أورثهم الله الكتاب، فلا يصح أن يكونوا إلا جماعة خاصين بحكم الظهور المستحكم للكلمة، وهم عترة النبى صلى الله عليه وآله الذين قرنهم بالقرآن وجعلهم عدلاً له، وسماهما الثقلين! وتؤيد ذلك الأدلة الكثيرة لاصطفاء العترة النبوية، التى رواها المؤالف والمخالف.

ولا دليل من عقل ولا نقل على زعم كعب أنهم كل الأمة، ولا زعم غيره أنهم الصحابة، إلا الإستحسان الظنى، أو التحكم، لمصادرة ما خص الله به عترة نبيه صلى الله عليه وآله وأعطاؤها لغيرهم!

فلو كان الصحابة هم المصطفوْن ورثة الكتاب، لَمَا أوجب النبى صلى الله عليه وآله على أمته التمسك بالثقلين الكتاب والعترة فى حديث الثقلين المتواتر عند الجميع، ولَمَا أمر الأمة أن يقرنوا العترة بالنبى صلى الله عليه وآله والصلاة عليهم معه فى صلواتهم!

ثم لو سلمنا أن المقصود بهم الصحابة، لكان أهل البيت أولى بوراثة الكتاب أيضاً، لأنهم صحابة وعترة!

وخامساً، كيف يكون الصحابة مصطفيْن، وقد أخبر النبى صلى الله عليه وآله فى أصح كتب أتباعهم بأن أكثرهم يدخلون جهنم، ولا ينجو منهم إلا مثل هَمَل النعم!

قال البخاري:٧/٢٠٨: (عن أبي هريرة عن النبي(ص)قال: بينا أنا قائمٌ فإذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمَّ، فقلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمَّ! قلت: أين؟قال: إلى النار والله! قلت: ماشأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم)! انتهى.

ولم تصرح رواية البخاري هذه بإسمهم، لكن صرحت روايته الأخرى بالصحابة وفسرها شراحه بهم! قال في صحيحه:٢/٩٧٥: (يرد على الحوض رجالٌ من أصحابي فيحلؤون عنه فأقول يارب أصحابي! فيقول: فإنه لاعلم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقرى)! (وشبيهاً به في: ٨/٨٦.و:٧/١٩٥و٢٠٧_٢١٠ وص٨٤ و٨٧ و:٨/٨٦ و٨٧، ونحوه مسلم:١/١٥٠ و:٧/٦٦ وابن ماجة:٢/١٤٤٠وأحمد:٢/٢٥و٤٠٨ و:٣/٢٨ و:٥/٢١ و٢٤ و ٥٠ و:٦/١٦، والبيهقي في سننه:٤/ ١٤، وغيرهم).

أما دعوى كعب وعمر ومن وافقهما بأن المصطفيْن كل الأمة، فيرد عليها:

أولاً: أنه لادليل عليها من عقل ولا نقل، فإن الله تعالى قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، وظاهره أنه انتخب عباداً خاصين فأورثهم الكتاب، ولا دليل لهم على أنهم كل الأمة إلا التحكم المحض، أو الإستحسان والتخرص!

وثانياً، كيف يتجرأ مسلم أو عاقل على القول إن كل المسلمين مصطفوْن يدخلون الجنة بمن فيهم الظالم والمنافق! ويرفع يده عن آيات القرآن التي تنص على دخول أصناف من هذه الأمة جهنم؟!

فأين قول الله تعالى: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ.(المؤمنون:١٠٣)وعشرات الآيات التي تدفع هذا الزعم وتردهذه الأماني، ومنها قوله تعالى: لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أهل الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا. (النساء:١٢٣)

وأين قول رسول الله صلى الله عليه وآله الذي تقدم في أكثر أصحابه: (قلت: ماشأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم)!

إنه لامناص لمن جعل المصطفيْن ورثة الكتاب كل الأمة، من تخريب قانون الجزاء والعقاب الإلهي! كما لامناص له من تمييع معنى التوريث، وجعله توريثاً شكلياً لايتعدى توريث أوراق القرآن، لأنه لايعترف بمركز لهذا التوريث، وإن سألته عن علم القرآن الذي ورثه الله للأمة أين هو؟ لقال عند جميع الأمة! وهو يعرف أن كبير الصحابة عمر لايعرف معنى مفردات القرآن مثل(وفاكهةً وأبًّا)؟!

وثالثاً، إن روايات أهل البيت عليهم السلام

التوريث الإلهي للكتاب مقام عظيم

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم! بنا يستعطى الهدى، ويستجلى العمى إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولاتصلح الولاة من غيرهم). (نهج البلاغة:٢/٢٧).

وقال عليه السلام: (والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيِّزنا، فكانوا كما قال الأول:

أدمتَ لعمري شُرْبَكَ المحْضَ صابحاًوأكلك بالزبد المقشرةَ البُجْر

ونحن وهبناكَ العلاءَ ولم تكن علياً وحُطنا حولكَ الجُرْدَ والسُّمْرا).

(نهج البلاغة:١/٨٢)

وقال الإمام الباقر عليه السلام:في قوله تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً: نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله أجمعين! فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ

وَالْحِکْمَةَ وَآتَیْنَاهُمْ مُلْکاً عظیماً، یقول: جعلنا منهم الرسل والأنبیاءوالأئمـة، فکیف یقرُّون به فی آل إبراهیم علیه السلام وینکرونه فی آل محمد صلی الله علیه وآله؟!

قال الراوی برید العجلی: قلت: وَآتَیْنَاهُمْ مُلْکاً عَظِیماً؟ قال: الملک العظیم أن جعل فیهم أئمةً مَن أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصی الله، فهوالملک العظیم). (الکافی:۱/۲۰۵)

آیات الإستخلاص والإجتباء الإلهی

اخلاص الدین لله تعالی

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَیْکَ الْکِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّینَ. أَلا للهِ الدِّینُ الْخَالِصُ وَالَّذِینَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِیُقَرِّبُونَا إِلی اللهِ زُلْفَی إِنَّ اللهَ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ فِی مَا هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا یَهْدِی مَنْ هُوَکَاذِبٌ کَفَّارٌ. (الزمر:۲-۳).

قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّینَ. وَأُمِرْتُ لأن أَکُونَ أَوَلَ الْمُسْلِمِینَ. وَأُمِرْتُ لأن أَکُونَ أَوَلَ الْمُسْلِمِینَ. قُلْ إِنِّی أَخَافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذَابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ. قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِینِی. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِینَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِیهِمْ یَوْمَ الْقِیَامَةِ أَلا ذَلِکَ هُوَالْخُسْرَانُ الْمُبِینُ. (الزمر:۱۱-۱۵).

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِی اللهِ وَهُوَرَبُّنَا وَرَبُّکُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَکُمْ أَعْمَالُکُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ. (البقرة:۱۳۹).

إِلا الَّذِینَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِینَهُمْ للهِ فَأُولَئِکَ مَعَ الْمُؤْمِنِینَ وَسَوْفَ یُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِینَ أَجْرًا عَظِیمًا. (النساء:۱۴۶)

وَمَاتَفَرَّقَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَیِّنَةُ. وَمَا أُمِرُوا إِلا لِیَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ حُنَفَاءَ وَیُقِیمُوا الصَّلَوةَ وَیُؤْتُوا الزَّکَوةَ وَذَلِکَ دِینُ الْقَیِّمَةِ.(البیّنة:۴- ۵).

دعاء الله بانقطاع و إخلاص

وَادْعُوهُ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ کَمَا بَدَأَکُمْ تَعُودُونَ. (الأعراف:۲۹).

فَادْعُواْ اللهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ وَلَوْ کَرِهَ الْکَافِرُونَ. (غافر:۱۴).

هُوَ الْحَیُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِینَ. (غافر:۶۵).

وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ کُلِّ مَکَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِیطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ لَئِنْ أَنْجَیْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ. (یونس:۲۲).

فَإِذَا رَکِبُوا فِی الْفُلْکِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلی الْبَرِّ إِذَا هُمْ یُشْرِکُونَ. (العنکبوت:۶۵).

وَإِذَا غَشِیَهُمْ مَوْجٌ کَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلی الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا یَجْحَدُ بِآیَاتِنَا إِلا کُلُّ خَتَّارٍ کَفُورٍ. (لقمان:۳۲).

المخلصون المستخلصون

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ کَذَلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِینَ. (یوسف:۲۴).

وَقَالَ الْمَلِکُ ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی فَلَمَّا کَلَّمَهُ قَالَ إِنَّکَ الْیَوْمَ لَدَیْنَا مَکِینٌ أَمِینٌ. (یوسف:۵۴).

فَلَمَّا اسْتَیْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِیًّا قَالَ کَبِیرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنْ أَبَاکُمْ قَدْ أخذ عَلَیْکُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِی یُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأرض حَتَّی یَاذَنَ لِی أَبی أَوْ یَحْکُمَ اللهُ لِی وَهُوَخَیْرُ الْحَاکِمِینَ. (یوسف:۸۰).

ابراهيم وموسى وغيرهما من المخلصين عليهم السلام

وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأبصار. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الإخْيَارِ. (صاد:٤٥-٤٧).

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رسولاً نبياً. (مريم:٥١).

المخلصون ناجون من الضلال والهلاک

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأولينَ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ. فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ. إلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصافات:٧١-٧٤). أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. الله رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأولينَ. فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. إلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصافات:١٢٥-١٢٨).

المخلصون مقربون من الله و ليسوا أبناءه

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ. إلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصافات:١٥٨-١٦٠).

المخلصون ناجون من العذاب مكرمون فى الجنهٔ

إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ. وَمَا تُجْزَوْنَ إلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. إلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ. أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ. فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ. (الصافات:٣٨-٤٢).

يتمنى غير المخلصين أن يكونوا منهم

وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ. لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الأولينَ. لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصافات:١٦٧-١٦٩)

معنى الإخلاص والمخلص

قال الراغب فى المفردات ص١٥٤:(الخالص كالصافى، إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافى قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال خلصته فخلص....وقوله: ونحن له مخلصون. إنه من عبادنا المخلصين، فإخلاص المسلمين أنهم قد تبرؤوا مما يدعيه اليهود من التشبيه والنصارى من التثليث، قال تعالى: مخلصين له الدين، وقال: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثهٔ، وقال: وأخلصوا دينهم لله، وهو كالأول، وقال: إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً. فحقيقهٔ الإخلاص: التبرى عن كل ما دون الله تعالى). انتهى.

والظاهر أن تسميهٔ الشئ خالصاً ليس بسبب تخليصه من الشَّوْب، بل بسبب أنه فى معرض الشَّوْب، وإن كان من أصله خالصاً لم يَمَسَّه شَوْب فى وقت ما.

ومعنى إخلاص الدين لله تعالى:توحيده توحيداً كاملاً، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

(وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادهٔ كل صفهٔ أنها غير الموصوف، وشهادهٔ كل موصوف أنه غير الصفهٔ). (نهج البلاغهٔ:١/١٤)

هذا هو الإخلاص النظرى العقدى، أما الإخلاص العملى فهو الطاعهٔ الكاملهٔ لله تعالى بالقيام بما أوجبه وترک مانهى عنه، وإخلاص النيهٔ له فى كل ذلک.

فى تحف العقول لابن شعبهٔ الحرانى ص٨٦ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (رأس الدين صحهٔ اليقين، وتمام الإخلاص تجنبک

المعاصی).

وفی معانی الأخبار للصدوق ص ۲۶۰:(أن جبرئیل علیه السلام جاء إلی النبی صلی الله علیه وآله فقال: یا رسول الله إن الله تبارک وتعالی أرسلنی إلیک بهدیة لم یعطها أحداً قبلک، قال رسول الله صلی الله علیه وآله: قلت: وما هی؟ قال: الصبر وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: الرضا وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال قال: الإخلاص وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: الیقین....الی أن قال:

قلت: یا جبرئیل فما تفسیر الإخلاص؟ قال: المخلص الذی لا یسأل الناس شیئاً حتی یجد، وإذا وجد رضی، وإذا بقی عنده شئ أعطاه فی الله، فإن من لم یسأل المخلوق فقد أقر لله عز وجل بالعبودیة، وإذا وجد فرضی فهو عن الله راض والله تبارک وتعالی عنه راض، وإذا أعطی لله عز وجل فهو علی حد الثقة بربه عز وجل. قلت: فما تفسیر الیقین؟ قال: الموقن یعمل لله کأنه یراه فإن لم یکن یری الله فإن الله یراه، وأن یعلم یقیناً أن ما أصابه لم یکن لیخطئه وأن ما أخطأه لم یکن لیصیبه، وهذا کله أغصان التوکل ومدرجة الزهد). انتهی.

وفی الکافی:۱/۱۸۱:(عن الإمام الصادق علیه السلام قال: إنکم لاتکونون صالحین حتی تعرفوا، ولا تعرفوا حتی تصدقوا، ولا تصدقوا حتی تسلموا. أبواباً أربعة لا یصلح أولها إلا بآخرها، ضل أصحاب الثلاثة وتاهوا تیهاً بعیداً. إن الله تبارک وتعالی لا یقبل إلا العمل الصالح ولا یقبل الله إلا الوفاء بالشروط والعهود، فمن وفی لله عز وجل بشرطه واستعمل ما وصف فی عهده نال ما عنده، واستکمل ما وعده، إن الله تبارک وتعالی أخبر العباد بطرق الهدی وشرع لهم فیها المنار وأخبرهم کیف یسلکون، فقال: وإنی لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدی، وقال: إنما یتقبل الله من المتقین، فمن اتقی الله فیما أمره لقی الله مؤمناً بما جاء به محمد صلی الله علیه وآله، هیهات هیهات فات قوم وماتوا قبل أن یهتدوا وظنوا أنهم آمنوا، وأشرکوا من حیث لا یعلمون.

إنه من أتی البیوت من أبوابها اهتدی، ومن أخذ فی غیرها سلک طریق الردی، وصل الله طاعة ولی أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترک طاعة ولاة الأمر لم یطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما انزل من عند الله عز وجل، خذوا زینتکم عند کل مسجد، والتمسوا البیوت التی أذن الله أن ترفع ویذکر فیها اسمه، فإنه أخبرکم أنهم رجال لا تلهیهم تجارة ولا بیع عن ذکر الله وإقام الصلاة وإیتاء الزکاة یخافون یوماً تتقلب فیه القلوب والأبصار.

إن الله قد استخلص الرسل لأمره، ثم استخلصهم مصدقین بذلک فی نذره، فقال: وإن من أمة إلا خلا فیها نذیر. تاهَ من جهل، واهتدی من أبصر وعقل، إن الله عز وجل یقول: فإنها لا تعمی الأبصار و لکن تعمی القلوب التی فی الصدور، وکیف یهتدی من لم یبصر؟ وکیف یبصر من لم یتدبر؟

إتبعوا رسول الله وأهل بیته صلی الله علیه وآله، وأقروا بما نزل من عند الله، واتَّبعوا آثار الهدی، فإنهم علامات الأمانة والتقی). انتهی.

دلالة الإستخلاص الإلهی علی العصمة

یدل لقب المُخْلَص بالفتح، علی عصمة صاحبه، لأن الله تعالی استخلصه، أی أنه استحق بعمله وتخلیصه لفکره ونیاته من الشوائب، أن یتقبله الله تعالی لنفسه فیجعله من المخلَصین له، وذلک یقتضی أنم یحمیه حمایة تامة من شوائب نیة المعصیة فضلاً عن فعلها.

وهذا معنی المعصوم فقد قال الإمام الصادق علیه السلام فی تعریفه: (المعصوم هو الممتنع بالله من جمیع محارم الله، وقال الله تبارک وتعالی: وَمَنْ یَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِیَ إلی صِرَاطٍ مُسْتَقِیم). انتهی.(معانی الأخبار للصدوق: ص۱۳۲).

وقد بیَّن الله تعالی أن عباده المخلَصین لهم علاقة خاصة معه، لکن لیست علاقة نسب ومصاهرة کما یتصورها بعض الناس! قال تعالی: وَجَعَلُوا بَیْنَهُ وَبَیْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا یَصِفُونَ. إلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِینَ. (الصافات:۱۵۸-۱۶۰).

وقال تعالی عن موسی علیه السلام: وَاذْکُرْ فِی الْکِتَابِ مُوسَی إِنَّهُ کَانَ مُخْلَصاً وَکَانَ رسولاً نبیاً. (مریم:۵۱).

وقال عن یوسف علیه السلام:وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ، کَذَلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

الْمُخْلَصِينَ. (يوسف:٢۴).

فقوله: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ، تعليلٌ لصرف السوء والفحشاء عنه، ومعناه أن يوسف عليه السلام لمَّا كان عبداً مخلَصاً مستخلصاً لنا، فقد صرفنا عنه الضرر والمعصية، فمقام الإستخلاص يستوجب هذه الدرجة العالية من العصمة والرعاية!

ومع هذا النص الإلهى، فلا قيمة لكل ما رووه من أن يوسف عليه السلام قد همَّ بالمعصية وفكر بالزنا، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة! معاذ الله!

فكل ذلك إسرائيليات اليهود وطعنهم بيوسف عليه السلام، تلقفها عنهم رواة السلطة!

بل همَّت به لنفسها، وهمَّ بها أن يضربها، فرأى برهان ربه يقول له: أهرب ولا تضربها! فلو ضربها لرآه زوجها الذى كان لدى الباب، ولادَّعت عليه بأنه أرادها فلم تقبل فضربها! وللحق به السوء أى القتل! فدفع الله عنه بإخلاصه واستخلاصه السوء والضرر من زوجها، كما دفع عنه الفحشاء من أول ما راودته عن نفسه، وبقيت نيته خالصة لله تعالى، لم يشبها عمل ولا تفكير ولا نية بالفحشاء والزنا.

وقد تقدم قول الإمام الرضا عليه السلام من العيون:٢/١٧٠: (وأما قوله عز وجل فى يوسف: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا، فإنها همت بالمعصية وهمَّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله عز وجل: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ.(يوسف: ٢۴) يعنى القتل والزنا).

أما جواب من تخيل أن معنى (همَّ بها) فكَّر بالمعصية، فهو:

أن معنى فعل(همَّ به) فى اللغة: أراد به الضرر، فإن وُجدت قرينة صُرف عن معناه بحسبها، وإلا بقى عليه. ومراودة زليخا ليوسف عليه السلام قرينةٌ على أن معنى (همَّتْ به) أرادته لنفسها، لكن لاقرينة توجب صرف (همَّ بها) فى يوسف عليه السلام عن معناها الأصلى، فيبقى معناه: هم أن يضربها كما ورد به الحديث.

وينبغى الغلفات إلى أن نوع الضرر المقصود بـ(همَّ به)قد يُصَرَّح به كقوله تعالى: وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ،(التوبة:١٣)، وقد يعرف بالقرينة كقوله تعالى:يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا. (التوبة:٧۴) أى بقتل النبى صلى الله عليه وآله كما دل الحديث.

وفى مسند أحمد:٢/۴١۶ والبخارى٣/۶١: (أن رجلاً أتى رسول الله يتقاضاه فأغلظ له قال فهمَّ به أصحابه، فقال: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً). انتهى.

أى همَّ المسلمون بطرده أو ضربه أو إيذائه، حيث لم يرد أن المسلمين هموا بقتل أحد فى حضور النبى صلى الله عليه وآله بدون أمره.

وفى البحار:٣٠/٨٥، فى قصة يهودى مع أبى بكر: (فوقف عليه وقال: إنى أريد أن أسألك عن أشياء لايعلمها إلا نبى أو وصى نبى. فقال أبو بكر: سل عما بدا لك؟ فقال اليهودى: أخبرنى عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لايعلمه الله؟ فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة! يا يهودى أو فى السماء شئ لا يعلمه الله؟ وهمَّ به المسلمون، وكان فى القوم ابن عباس فقال: ما أنصفتم الرجل! قال أبو بكر: أوَما سمعت ما تكلم به؟! فقال ابن عباس: إن كان عندكم جواب، وإلا فاذهبوا به إلى من يجيبه، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلى بن أبى طالب: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه...). انتهى.

فقوله (وهم به المسلمون) أى هموا بضربه، أو إيذائه.

على أن قوله تعالى: لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ، كافٍ لتفسير معنى همَّ بها، فمَن استخلصه الله تعالى لايمكن أن يهمَّ بالفحشاء!

وهنا يأتى دور فهم الفعل الإلهى فى الإستخلاص وغيره، وأنه فعلٌ من عالم حكيم رحيم، بالعلم المطلق والحكمة المطلقة والرحمة الشاملة، فلا يصح أن نتصوره كأفعالنا القاصرة المحدودة!

وقد كشف لنا عز وجل أن استخلاصه عز وجل ليوسف عليه السلام يستوجب صرف السوء عنه، أى منع الغير من الإضرار به، وصرف

الفحشاء عنه، أى جعل عقله وتقواه عليه السلام هما المسيطرين الحاكمين على نوازعه الجسدية.

ولئن صح الإستثناء فى صرف الله للسوء عن الأنبياءوالأوصياء عليهم السلام أو السماح به تجاههم لحِكَمٍ يعلمها سبحانه، فإن الإستثناء فى صرف الفحشاء لايمكن، لأنه أمر يتعلق بفعل المستخلص فهومن لوازم الإستخلاص دائماً.

أما كيف تتم عصمة المستخلَص، فقد يكون من وسائلها (رصد الملائكة)، وقد يكون البرهان الذى أراه الله ليوسف عليه السلام أن الملك هتف به كما فى الرواية.

وقد بيَّن الله تعالى أنه يستعمل رصد الملائكة لحفظ معلومة عن الغيب يخبر بها رسوله، فقال: قُلْ إن أدرى أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أم يَجْعَلُ لَهُ ربى أَمَدًا. عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً. إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فإنه يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. لِيَعْلَمَ أن قَدْأَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَئٍ عدداً. (الجنّ:٢٥-٢٨)

والإستخلاص مقامٌ أعظمُ من حفظ ما يخبر به الله رسوله من الغيب، فلا بد أن تكون وسائل حفظ المستخلص أكثر تفصيلاً من حفظ الغيب المخبر به.

هذا، وفى هذه الآيات أبحاث أخرى لايتسع المجال لاستيفائها.

آيات الإجتباء تشبه آيات الإستخلاص

اجتبى الله آدم عليه السلام وعصمه

قال تعالى: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى. (طَه:١٢١-١٢٢).

إبراهيم صلى الله عليه وآله أبو المجتبين وأبو الأنبياء

قال تعالى: إنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِله حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم. (النحل:١٢٠-١٢١).

المجتبون الهداة عليهم السلام شخصيات وأسر هم قدوات البشرية

قال تعالى: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم. ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إنْ هُوَإلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ. (الأنعام:٨٣-٩٠).

وقال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا. (مريم:٥٨).

إجتباء يوسف عليه السلام وتعليمه من علم الغيب

وقال تعالى: قَالَ يَا بُنَىَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأحاديث وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. (يوسف:٥-٦)

اجتباء بعض الأنبياء عليه السلام يعنى رفع درجتهم

وقال تعالى: لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَمَذْمُومٌ. فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. (القلم:٤٩-٥٠).

إجتباء المؤمنين مستمر فى هذه الأمة بعد النبى صلى الله عليه وآله

قال الله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ.(الشورى:١٣).

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَجَاهِدُوا فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَسَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَمَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ. (الحج:٧٧-٧٨).

وقال تعالى: مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ. (آل عمران:١٧٩).

فى مفردات الراغب ص٨٧: (واجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهى يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعى من العبد وذلك للأنبياءوبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء كما قال تعالى: وكذلك يجتبيك ربك. فاجتباه ربه فجعله من الصالحين. واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم. وقوله تعالى: ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى. وقال عز وجل: يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب. وذلك نحو قوله تعالى: إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار).

وفى أساس البلاغة لزمخشرى ص١٧٢: (واجتباه: اختاره. مستعار منه لأن من جمع شيئاً لنفسه فقد اختصه واصطفاه، وهو من جبوة الله وصفوته). انتهى.

والإجتباء على مقام عظيم لكنه أعم من الإستخلاص فى موضوعه، لأنه يشمل غير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام كالمؤمنين من هذه الأمة، قال تعالى: وَجَاهِدُوا فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ.

ولا بد أنه أعم من الإستخلاص فى وسائله أيضاً، ولذلك لا يدل على العصمة إلا بقرينة، كما فى آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام. ونكتفى بغيراد بعض الأحاديث فى الإجتباء والمجتبيْن:

ففى الكافى:١/٤٤٤: من خطبة للإمام الصادق عليه السلام:(فلم يمنع ربنا لحلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم، أن انتجب لهم أحب أنبيائه إليه وأكرمهم عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله فى حومة العز مولده، وفى دومة الكرم محتده، غير مشوب حسبه ولاـ ممزوج نسبه، ولاـ مجهول عند أهل العلم صفته، بشرت به الأنبياء فى كتبها، ونطقت به العلماء بنعتها، وتأملته الحكماء بوصفها...الخ.)

وفى الكافى:٨/٣٧٠: (عن إبراهيم بن أبى زياد الكرخى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثى ربا وكان أبوه من أهلها وكانت أم إبراهيم وأم لوط سارة وورقة أختين وهما ابنتان للاحج وكان لاحج نبياً م نذراً ولم يكن رسولاًـوكان إبراهيم فى شبيبته على الفطرة التى فطر الله عز وجل الخلق عليها، حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباه، وإنه تزوج سارة ابنة لاحج وهى ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة، وكانت قد ملّكت إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه وكثرت الماشية والزرع حتى لم يكن بأرض كوثى ربا رجل أحسن حالاً منه).

وفى الإحتجاج:١/١٣٣، من خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام قالت:

(وأشهد أن أبى محمداً عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بما يلى الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بموقع الأمور. ابتعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه).

وفى تفسير الثعالبى:١/٢٢١: (قوله تعالى: وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى. فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وقيل بل أكلها، وهو متأول، وهو لا يعلم أنها الشجرة التى نهى عنها، لأنه تأول نهى الله تعالى عن شجرة مخصوصة لاعلى

الجنس، ولهذا قیل: إنما کانت التوبة من ترک التحفظ لا من المخالفة، وقیل: تأول أن الله تعالی لم ینهه عنها نهی تحریم).
وفی تفسیر الثعالبی:۳/۱۰۲: (وینزه آدم وحواء عن طاعتهما لإبلیس، ولم أقف بعد علی صحة ما روی فی هذه القصص، ولو صح لوجب تأویله، نعم روی الترمذی عن سمرة بن جندب، عن النبی(ص)قال: لما حملت حواء، طاف بها إبلیس وکان لایعیش لها ولد، فقال لها سمیه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث فعاش ذلک، وکان ذلک من وحی الشیطان وأمره! قال الترمذی: هذا حدیث حسن غریب انفرد به عمر بن إبراهیم عن قتادة، وعمر شیخ بصری. انتهی. وهذا الحدیث لیس فیه أنهما أطاعاه، وعلی کل حال: الواجب التوقف والتنزیه لمن اجتباه الله وحسن التأویل ما أمکن، وقد قال ابن العربی فی توهین هذا القول وتزییفه: وهذا القول ونحوه مذکور فی ضعیف الحدیث فی الترمذی وغیره، وفی الإسرائیلیات التی لیس لها ثبات، ولا یعول علیها من له قلب، فإن آدم وحواء وإن کانا غرهما بالله الغرور فلا یلدغ المؤمن من حجر مرتین، وما کانا بعد ذلک لیقبلا له نصحاً ولا یسمعاً له قولا، والقول الأشبه بالحق: أن المراد بهذا جنس الآدمیین). انتهی.

آیات نفی سلطان الشیطان علی المخلصین

قال الله تعالی: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَیْتَنِی لأزَیِّنَنَّ لَهُمْ فِی الأرض وَلأغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ. إلا عِبَادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ. قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَیَّ مُسْتَقِیمٌ. إِنَّ عِبَادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْغَاوِینَ. (الحجر:۳۹-۴۲).
وقال تعالی: قَالَ فَبِعِزَّتِکَ لأغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِین. إلاعِبَادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ.(ص:۸۲-۸۳).
وقال تعالی: قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ فإن جَهَنَّمَ جَزَاؤُکُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا. وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِکَ وَأَجْلِبْ عَلَیْهِمْ بِخَیْلِکَ وَرَجِلِکَ وَشَارِکْهُمْ فِی الأمْوَالِ وَالأولادِ وَعِدْهُمْ وَمَا یَعِدُهُمُ الشَّیْطَانُ إلا غُرُورًا. إِنَّ عِبَادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطَانٌ وَکَفَی بِرَبِّکَ وَکِیلًا. (الإسراء:۶۳-۶۵).
وقال تعالی:فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّیْطَانِ الرَّجِیم. إِنَّهُ لَیْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَعَلَی رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ. إنما سُلْطَانُهُ عَلَی الَّذِینَ یَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِینَ هُمْ بِهِ مُشْرِکُونَ. (النحل:۹۸-۱۰۰).
وقال تعالی: إِنْ یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ یَدْعُونَ إِلا شَیْطَانًا مَرِیدًا. لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لاتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِکَ نَصِیباً مَفْرُوضاً. (النساء:۱۱۷-۱۱۸).

وجه دلالتها علی العصمة

نصت الآیات الکریمة علی أن عباد الله المخلصین لاسبیل للشیطان علیهم، وهذا یعنی عصمتهم. أما الإشکالات التی قد تورد علی هذا الإستدلال فهی مردودة، وهذه خلاصة لها ولأجوبتها:
الأول: أن مصادر الشر ثلاثة: الشیطان والنفس والناس، فنفی تأثیر الشیطان عن إنسان لایعنی نفی تأثیر مصادر الشر الأخری، فیبقی فی معرض المعصیة.
وجوابه: أن المفهوم من آیات نفی تأثیر الشیطان وأحادیثها، أن هذه الدرجة لاتعطی لإنسان إلا بعد أن یکون غالباً لهواه قویاً إمام تأثیر الناس، فبها تکتمل نعمة الله علی الإنسان المخلَص بالعصمة. وسنورد طرفاً من أحادیثها.
والإشکال الثانی: أن نفی سلطان الشیطان فی قوله تعالی: إِنَّ عِبَادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطَانٌ، وقوله تعالی: إلاعِبَادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ، یعنی نفی سلطنته الکاملة علی سلوک الإنسان ولاینفی بقاء تأثیره إلی حد، وهذا ینافی العصمة.
وجوابه: أن الله تعالی نفی سلطان الشیطان عن جمیع الناس فی قوله تعالی: وَمَا کَانَ لِی عَلَیْکُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُکُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِی فَلا تَلُومُونِی وَلُومُوا أَنْفُسَکُمْ، (ابراهیم:۲۲) وقوله تعالی: فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِیقًا مِنَ الْمُؤْمِنِینَ. وَمَا کَانَ لَهُ عَلَیْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ.. (سبأ:۲۰-۲۱). ثم

نفاه فی الآیة عن عباد الله الخاصین المستخلصین، فدل ذلک علی أنه معناه نفی مطلق التأثیر، وإلا لکان تخصیصه بعباده الخاصین لغواً.

والإشکال الثالث:أن عبادی فی قوله تعالی: إِنَّ عِبَادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطَانٌ (الحجر:۴۲والإسراء:۶۵)، لاتعنی عباد الله الخاصین بل کل العباد، فلا تبقی میزة للمخلصین فی نفیها عنهم لتدل علی امتیازهم بها، فضلًا عن عصمتهم.

قال صاحب المیزان:۱۲/۱۶۶: (فإذا أمعنت فی الآیة وجدتها ترد علی إبلیس قوله لأغوینهم أجمعین إلا عبادک منهم المخلصین، من ثلاث جهات أصلیة:

إحداها، أنه حصر عباده فی المخلصین منهم ونفی عنهم سلطان نفسه وعمم سلطانه علی الباقین. والله سبحانه عمم عباده علی الجمیع، وقصر سلطان إبلیس علی طائفة منهم، وهم الذین اتبعوه من الغاوین، ونفی سلطانه علی الباقین.

والثانیة، أنه لعنه الله ادعی لنفسه الإستقلال فی إغوائهم کما یظهر من قوله لأغوینهم فی سیاق المخاصمة والتقریع بالإنتقام. والله سبحانه یرد علیه بأنه منه مزعمةٌ باطلة وإنما هو عن قضاء من الله وسلطان بتسلیطه، وإنما ملکه إغواء من اتبعه وکان غاویاً فی نفسه وبسوء اختیاره، فلم یأت إبلیس بشئ من نفسه، ولم یفسد أمراً علی ربه، لا فی إغوائه أهل الغوایة فإنه بقضاء من الله سبحانه أن یستقر لأهل الغوایة غیهم بسببه.

وقد اعترف لعنه الله بذلک بعض الإعتراف بقوله رب بما أغویتنی ولا فی استثنائه المخلصین فإنه أیضاً بقضاء من الله نافذ فلا حکم الا لله. وهذا الذی تفیده الآیة الکریمة أعنی تسلیط إبلیس علی إغواء الغاوین الذین هم فی أنفسهم غاوون وتخلیص المخلصین وهم مخلصون فی أنفسهم من کیده، کل ذلک بقضاء من الله مبنی علی أصل عظیم یفیده التوحید القرآنی المفاد بأمثال قوله تعالی: إن الحکم إلا لله،(یوسف:۶۷) وقوله: وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فی الأولی والآخرة وله الحکم، (القصص:۷۰) وقوله: الحق من ربک (آل عمران:۶۰) وقوله: ویحق الله الحق بکلماته، (یونس:۸۲)، وغیر ذلک من الآیات الدالة علی أن کل حکم إیجابی أو سلبی فهو مملوک لله نافذٌ بقضائه.

ومن هنا یظهر ما فی تفسیرهم قوله: إلا من اتبعک من الغاوین، من المسامحة فإنهم قالوا إنه إذا قبل من إبلیس واتبعه صار له سلطان علیه بعدوله عن الهدی إلی ما یدعوه إلیه من الغی، وظاهره أنه سلطان قهری یحصل لإبلیس عن سوء اختیارهم لیس من عند نفسه، ولا بجعل من الله سبحانه.

وجه الفساد: أن فیه أخذ الإستقلال والحول الذاتی من إبلیس وإعطاؤه ذوات الأشیاء، ولو کان إبلیس لایملک شیئاً من عند نفسه وبغیر إذن ربه، فالأشیاء والأمور أیضاً لاتملک لنفسها شیئاً ولا حکماً حتی الضروریات ولوازم الذوات، إلا بإذن من الله وتملیک فافهمه.

والثالثة، إن سلطانه علی إغواء من یغویه وإن کان بجعل وتسلیط من الله سبحانه، إلا أنه لیس بتسلیط علی الإغواء والإضلال الإبتدائی غیر الجائز إسناده إلی ساحته سبحانه، بل تسلیط علی الإغواء بنحو المجازاة المسبوق بغوایتهم من عندهم وفی أنفسهم. والدلیل علی ذلک قوله تعالی: إلا من اتبعک من الغاوین فإبلیس إنما یغوی من اتبعه بغوایته، أی أن الإنسان یتبعه بغوایته أولاً فیغویه هو ثانیاً، فهناک غوایة بعدها إغواء والغوایة إجرام من الإنسان والإغواء بسبب إبلیس مجازاة من الله سبحانه. ولو کان هذا الإغواء إغواء ابتدائیاً من إبلیس لمن لا یستحق ذلک لکان هو الألیق باللوم دون الإنسان، کما یذکره یوم القیامة علی ما یحکیه سبحانه بقوله: وما کان لی علیکم من سلطان إلا أن دعوتکم فاستجبتم لی فلا تلومونی ولوموا أنفسکم. إبراهیم: ۲۲، فاللوم علی الإنسان المجرم وهو مسؤول عن معصیته دون إبلیس. نعم إبلیس ملوم علی ما یتلبس به من الفعل بسوء اختیاره وهو الإغواء الذی سلطه الله علیه، مجازاةً لما امتنع من السجود لآدم لما أمر به. فالإغواء هو الذی استقرت ولایته علیه کما یشیر سبحانه إلیه فی موضع آخر من کلامه إذ یقول: إنا جعلنا الشیاطین أولیاء للذین لا یؤمنون، الأعراف: ۲۷، وقال تعالی وهو أوضح ما یؤید جمیع ما قدمناه: کتب علیه انه من تولاه فإنه یضله ویهدیه إلی عذاب السعیر.(الحج:۴).). انتهی.

وجوابه: أن كلمة عبادى فى الآية وأمثالها كقوله تعالى:يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إرْجِعِى إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِى فِى عِبَادِى وَادْخُلِى جَنَّتِى. (الفجر:۲۷-۳۰) تعنى عباد الله الخاصين، وإضافة العباد اليه تعالى إضافة تشريف من قبيل (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى) (الحجر:۲۹) فهى روح مخلوقة نسبها الله سبحانه إلى نفسه. كما نسب البيت الحرام والمسجد اليه.

وقد أجمع المفسرون واللغويون وأحاديث النبى وآله صلى الله عليه وآله على ذلك، لكن الأمر اشتبه على صاحب الميزان رحمه الله فعمم كلمة عبادى! لأنه تصور أن تخصيصها يعطى لإبليس سلطاناً على الباقين، وهذا ينافى توحيد الله تعالى بالفاعلية، وينافى قانون حرية الإنسان ومسؤوليته عن عمله.

والصحيح أنه لايلزم شئ من ذلك. أما السلطان الذى أعطى لإبليس ونصَّ عليه الله تعالى بقوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ.(النحل:۱۰۰) وقوله: إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ. (الحجر:۴۲). فلم يقل أحد إنه سلطان ابتدائى بلا أرضية من نياتهم وعملهم تجعلهم مستحقين لتسلطه عليهم، فيزدادون غواية إلى غوايتهم، ومعنى نفى سلطانه عن عباد الله الخاصين أنهم بلطف ربهم لاتوجد فيهم أرضية استعمار للشيطان.

فقوله رحمه الله: (وجه الفساد: أن فيه أخذ الإستقلال والحول الذاتى من إبليس وإعطاؤه ذوات الأشياء، ولو كان إبليس لايملك شيئاً من عند نفسه وبغير إذن ربه، فالأشياء والأمور أيضاً لاتملك لنفسها شيئاً ولا حكماً حتى الضروريات ولوازم الذوات، إلا بإذن من الله وتمليك) انتهى.

هذا القول، يصلح رداً على الثنوية القائلين بشراكة إبليس مع الله تعالى، أو على الماديين القائلين بألوهية الأسباب والأشياء أو شراكتها مع الله تعالى!

أما الأحاديث وعامة المفسرين الذين فسروا الآية بوجود سلطان ما للشيطان على قسم من الناس، وعدم وجوده على عباد الله الخاصين، فإنما قصدوا سلطانه الذى نص عليه الله تعالى، وهو سلطان مترتب على غواية الإنسان نفسه وليس فى عرضها، وسلطان تحت سيطرة الله تعالى وليس فى عرضها.

والإشكال الرابع: أن تفسير الآية بعصمة المخلَصين، ونفى سلطان الشيطان وكل أنواع تأثيره عليهم، يستوجب نفى نزغه ووسوسته ومسِّه لهم، مع أن القرآن نص على وسوسة الشيطان لآدم وزوجه فقال: فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى. (طَهَ:۲۰).

وقال: فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الأرض مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إلى حِينٍ. (البقرة:۳۶).

ووصف آدم وحواء بأنهما تأثرا بوسوسة الشيطان: فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. (طه:۱۲۱). ونص على مسِّ الشيطان لأيوب عليه السلام فقال: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أيوب إِذْ نَادَى رَبَّهُ إنى مَسَّنِىَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ. ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ. (صاد:۴۱-۴۲).

ووصف يوسف بأنه أنساه الشيطان فقال: وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ. (يوسف:۴۲).

ووصف إنساءه لموسى عليه السلام فقال: قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ عَجَباً. (الكهف:۶۳). ووصف قتل موسى عليه السلام لعدوه بأنه من عمل الشيطان، فقال: وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أهلها فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ أنه عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ أنه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. (القصص:۱۵-۱۶).

وأخبر أن النبی صلی الله علیه وآله قد یصیبه نزغٌ من الشیطان، وطائفٌ منه فقال له: وَإِمَّا یَنْزَغَنَّکَ مِنَ الشَّیْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ أنه هُوَالسَّمِیعُ الْعَلِیمُ. (فُصِّلَتْ:٣٦).

وقال له: وَإِمَّا یَنْزَغَنَّکَ مِنَ الشَّیْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إنهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ. إنَّ الَّذِینَ اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّیْطَانِ تَذَکَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. (الأعراف:٢٠١).

وقال له: وَإِذَا رَأَیْتَ الَّذِینَ یَخُوضُونَ فِی آیَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّی یَخُوضُوا فِی حَدِیثٍ غَیْرِهِ وَإِمَّا یُنْسِیَنَّکَ الشَّیْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّکْرَی مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ.(الأنعام:٦٨).

وجوابه: مع ما سنذكره من تفسير الآيات، أنا لو سلمنا أن الشيطان يمكنه أن يوسوس أو ينزغ أو يمس المعصوم عليه السلام، فلا يدل ذلك على تأثيره عليه وتسبيبه وقوعه فی المعصية، فلا يقدح فی عصمته.

فالنزغ هو محاولة تخريب الأمر، قال الراغب ص٤٨٨: (النزغ دخول فی أمر لإفساده، قال: مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِی وَبَيْنَ إِخْوَتِی). انتهی. فالسماح له بالنزغ لايعنی تأثيره علی المعصوم عليه السلام إلی حد إيقاعه فی المعصية.

ومسُّ الشيطان يعنی أذاه أو محاولته الأذی، ولا يدل أيضاً علی تسبيبه وقوع المعصوم فی المعصية، قال الراغب ص٤٦٧: (المس كاللمس لكن اللمس قد يقال لطلب الشیء، وإن لم يوجد كما قال الشاعر: وألمسه فلا أجده. والمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس. وكنّی به عن النكاح فقيل: مسها وماسها....وكنی بالمس عن الجنون قال:كالذی يتخبطه الشيطان من المس. والمس يقال فی كل ما ينال الإنسان من أذی نحو قوله: وقالوا لن تمسنا النار. مستهم البأساء والضراء. ذوقوا مس سقر. مسنی الضر. مسنی الشيطان. مستهم إذا لهم مكر فی آياتنا. وإذا مسكم الضر). انتهی.

وكذلك الوسوسة، فهی تعنی أن الشيطان يُحدث فی ذهن الإنسان خطورات رديئة، ولو سلمنا إمكان ذلك فی ذهن المعصوم فلا نسلم أن المعصوم عليه السلام يخضع لها بل يطردها. قال الراغب ص٥٢٢: (الوسوسة: الخطرة الرديئة، وأصله من الوسواس وهو صوت الحلی والهمس الخفی، قال: فوسوس إليه الشيطان. وقال: من شر الوسواس. ويقال لهمس الصائد: وسواس). انتهی.

علی أن التفسير الذی افترضه الإشكال للآيات غير دقيق، وقد تقدم جواب الإمام الرضا عليه السلام عن وسوسة الشيطان لآدم وحواء عليهما السلام ومعصيتهما وأنها كانت فی الجنة وليست فی الأرض، قال عليه السلام:(فإن الله عز وجل خلق آدم حجة فی أرضه وخليفة فی بلاده لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم فی الجنة لا فی الأرض، وعصمته يجب أن تكون فی الأرض لتتم مقادير أمر الله، فلما أهبطه إلی الأرض وجعله حجة وخليفة عصمه بقوله عز وجل: إن الله اصْطَفَی آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبراهيم وَآلَ عِمْرَانَ عَلَی الْعَالَمِينَ. (آل عمران: ٣٣) انتهی.

وفی مسند الإمام الرضا عليه السلام:٢/١٢٥: (وإنما كان من الصغائر الموهوبة التی تجوز علی الأنبياء قبل نزول الوحی عليهم، فلما اجتباه الله تعالی وجعله نبياً كان معصوماً، لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عز وجل:وعصی آدم ربه فغوی ثم اجتباه ربه، فتاب عليه فهدی). انتهی.

أقول: إن صح الحديث بأن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين عن الصغائر قبل البعثة فهو يصح فی بعضهم كآدم عليه السلام، ولا يصح فی كبارهم كنبينا وأوصيائه صلی الله عليه وآله، لأنه ثبت أن عصمتهم اعلی درجة من عصمة جميع الأنبياء عليهم السلام.

وأما قول أيوب عليه السلام: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أيوب إِذْ نَادَی رَبَّهُ إنی مَسَّنِیَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، فلا يدل علی تأثيره عليه فی معصية، بل هو كقوله تعالی: وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَی رَبَّهُ أَنِّی مَسَّنِیَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.(الأنبياء:٨٣).

قال فی مجمع البيان:٨/٣٦٤: (أی بتعب ومكروه ومشقة. وقيل: بوسوسة فيقول له: طال مرضك ولا يرحمك ربك، عن مقاتل. وقيل: بأن يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالی من الأهل والولد والمال، وكيف زال ذلك كله، وحصل فيما هو فيه من البلية، طمعاً أن يزله بذلك، ويجد طريقاً إلی تضجره وتبرمه فوجده صابراً مسلماً لأمر الله).انتهی.

وأما قوله تعالى: أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فمعناه أن يوسف عليه السلام قال للناجي من السجن: أذكرني عند سيدك، أي عزيز مصر، فنسي الناجي أن يذكره عنده، فلا علاقة له بإنساء الشيطان ليوسف عليه السلام.

وأما قوله تعالى: وَمَا أَنْسَانِيهُ إلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، فالذي أنساه الشيطان أن يذكر قصة الحوت لموسى عليه السلام، هو فتاه المرافق له، وليس موسى عليه السلام.

وقال في الميزان:۱۳/۳۱: (ولاضير في نسبة الفتى نسيانه إلى تصرف من الشيطان بناء على أنه كان يوشع بن نون النبي والأنبياءفي عصمة إلهية من الشيطان، لأنهم معصومون مما يرجع إلى المعصية، وأما مطلق إيذاء الشيطان فيما لا يرجع إلى معصية فلا دليل يمنعه قال تعالى: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ). انتهى.

وأما قوله تعالى عن موسى عليه السلام: قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، فقد تقدم جواب الإمام الرضا عليه السلام للمأمون:(إن موسى دخل مدينه من مدائن فرعون عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أهلها، وذلك بين المغرب والعشاء، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ، فقضى موسى على العدو، وبحكم الله تعالى ذِكْره فَوَكَزَهُ، فمات! قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، يعني الإقتتال الذي كان وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى عليه السلام من قَتْلِهِ. أنه عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ، يعني الشيطان. فقال المأمون: فما معنى قول موسى: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؟ قال: يقول: إني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة، فَاغْفِرْ لِي، أي أسترني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني، فَغَفَرَ لَهُ أنه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ، من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزة، فَلَنْ أكون ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ، بل أجاهد سبيلك بهذه القوة حتى ترضى.فَأَصْبَحَ موسى عليه السلام فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ على آخر، قَالَ لَهُ مُوسَى إنك لَغَوِيٌّ مُبِينٌ، قاتلت رجلًا بالأمس وتقاتل هذا اليوم، لأوذينك، وأراد أن يبطش به فَلَمَّا أن أراد أن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا وهو من شيعته قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نفساً بِالأَمْسِ أن تُرِيدُ إلا أن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأرض وَمَا تُرِيدُ أن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ.

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون: فَعَلْتُهَا إذا وأنا مِنَ الضَّالِّينَ؟قال الرضا عليه السلام: إن فرعون قال لموسى لما أتاه: وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ، بي! قال موسى: فَعَلْتُهَا إذا وأنا مِنَ الضَّالِّينَ، عن الطريق بوقوعي إلى مدينه من مدائنك، فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى، يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس. وَوَجَدَكَ ضَالاً، يعني عند قومك، فَهَدَى، أي هداهم إلى معرفتك. وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى، يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً). (العيون:۲/۱۷۷والإحتجاج:۲/۲۱۸).

وأما مجرد خطاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله في الآيتين: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ، وقوله له: وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، فهو من باب مخاطبة المسلمين من خلال النبي صلى الله عليه وآله، ولايدل على أن النبي صلى الله عليه وآله في معرض النزغ والإنساء من الشيطان.

فتبين بذلك، أن كل ما يتصور أنه تسليط للشيطان على المعصومين صلوات الله عليهم، لا يصحُّ، وإن صحَّ فهو محدودٌ لايؤدي إلى وقوعهم في المعصية، فتبقى آية: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (الحجر:۴۲والإسراء:۶۵)، على ظهورها في تحقق عصمتهم، ومنع تأثيره عليهم عليهم السلام.

الحكمة من نزول آيات متشابهة في عصمة الأنبياء

سؤال يرد في الذهن: لماذا جعل الله تعالى بعض الآيات المتعلقة بعصمة أنبيائه عليهم السلام من المتشابهات التي توهم وقوعهم في المعاصي؟

والجواب: نعم، لقد تضمنت الآيات المتعلقة بسلوك الأنبياء عليهم السلام آيات محكمة كقوله تعالى عن نبينا صلى الله عليه وآله: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى.إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى، والذى يعصم الله منطقه فلا يفتح فمه عن كلمة إلا بوحى وعصمة إلهية، لايمكن أن يصدر منه فعلٌ ولا حركةٌ ولا سكونٌ إلا بعصمة إلهية!

وفى نفس الوقت توجد آيات تُوهم وقوعه فى الذنب والمعصية كقوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. (الفتح: ٢). والحكمة المتصورة من ذلك:

أولاً، لعله سبحانه أراد أن يؤكد بشريتهم حتى لايعبدوا من دونه، وأن يبين أن عصمتهم الكاملة محاطة بغلاف وحجاب. ويؤيد ذلك ما رواه الطوسى فى كتاب الغيبة ص٣٢٤، قال رحمه الله (وأخبرنى جماعة، عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين قال: حدثنى محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانى رحمه الله قال: كنت عند الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح رضى الله عنه مع جماعة منهم على بن عيسى القصرى، فقام إليه رجل فقال: إنى أريد أن أسألك عن شئ؟ فقال له: سل عما بدا لك، فقال الرجل: أخبرنى عن الحسين عليه السلام أهو ولىُّ الله؟ قال: نعم، قال: أخبرنى عن قاتله لعنه الله أهو عدو الله؟ قال: نعم، قال الرجل: فهل يجوز أن يسلط الله عز وجل عدوه على وليه؟

فقال له أبو القاسم قدس سره: إفهم عنى ما أقول لك، إعلم أن الله تعالى لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان، ولا يشافههم بالكلام، ولكنه جلت عظمته يبعث إليهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشرا مثلهم، ولو بعث إليه رسلاً من غير صفتهم وصورهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم، فلما جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون ويمشون فى الأسواق قالوا لهم: أنتم مثلنا لا نقبل منكم حتى تأتوا بشئ نعجز عن أن نأتى بمثله فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه، فجعل الله عز وجل لهم المعجزات التى يعجز الخلق عنها.

فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإعذار والإنذار، فغرق جميع من طغى وتمرد.

ومنهم: من ألقى فى النار فكانت عليه برداً وسلاماً.

ومنهم: من أخرج من الحجر الصلد الناقة وأجرى من ضرعها لبناً.

ومنهم: من فلق له البحر، وفجر له من الحجر العيون، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون.

ومنهم: من أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله، وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم.

ومنهم: من انشق له القمر وكلمته البهائم مثل البعير والذئب وغير ذلك.

فلما أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق من أممهم أن يأتوا بمثله، كان من تقدير الله جل جلاله ولطفه بعباده وحكمته، أن جعل أنبياءه مع هذه المعجزات فى حال غالبين وأخرى مغلوبين، وفى حال قاهرين وأخرى مقهورين، ولو جعلهم عز وجل فى جميع أحوالهم غالبين وقاهرين، ولم يبتلهم ولم يمتحنهم، لاتخذهم الناس آلهة من دون الله عز وجل! ولما عُرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والإختبار! ولكنه جعل أحوالهم فى ذلك كأحوال غيرهم، ليكونوا فى حال المحنة والبلوى صابرين، وفى حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا فى جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا ـ متجبرين، وليعلم العباد أن لهم عليهم السلام إلهاً هو خالقهم ومدبرهم، فيعبدوه ويطيعوا رسله، ويكونوا حجة لله ثابتة على من تجاوز الحد فيهم وادعى لهم الربوبية، أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسل، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ! قال محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضى الله عنه: فعدت إلى الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح قدس سره من الغد، وأنا أقول فى نفسى: أتراه ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟! فابتدأنى فقال: يا محمد بن إبراهيم لئن أخرَّ من السماء فتخطفنى الطير أو تهوى بى الريح من مكان سحيق، أحبُّ إلىَّ من أن أقول فى دين الله برأيى ومن عند نفسى! بل ذلك من الأصل ومسموع من الحجة صلوات الله وسلامه عليه). (ورواه فى الاحتجاج:٢/٢٨٤).

ثانياً، ابتلاء المسلمين لكى يتوفق بعضهم فينفذ من حجاب المتشابه ويصل إلى نور المحكم، ويبقى المتخلف يعيش فى خطأ تصوره

عن مقام النبی صلی الله علیه وآله.

معجزة الجغرافیة القرآنیة

لماذا تکلم القرآن فی هذا الموضوع، ولم یتکلم فی ذاک؟

ولماذا تکلم فی هذا مرتین، وفی ذاک مرة واحدة؟

وأطال فی هذا، واختصر فی ذاک؟

وأجمل فی هذا، وبین فی ذاک؟

وذکر هؤلاء بأسمائهم، ولم یذکر أولئک؟

واستعمل التصریح هنا، والکنایة هنا؟

وقال هنا کذا، وهناک کذا؟

وهذا الأسلوب، وذاک الأسلوب، وهذا التعبیر وذاک، وهذه الکلمة وتلک؟

ولماذا أقیم بناؤه علی المحکم والمتشابه، والعام والخاص، والمجمل والمبین والمطلق والمقید، والناسخ والمنسوخ؟

الجواب علی ذلک: أن القرآن بناءٌ ربانیٌّ یحیر عنده الذهن، ویخشع له العقل! وکما یتمیز عن کل ما قرأت وسمعت ببلاغته، فکذلک بمقاصده وأهدافه!

لقد أتقن الله تعالی بناء القرآن بدقة متناهیة وإعجاز کبناء السماء! (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِیمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ). (سورة الواقعة: ۷۵ـ۷۷)

والتناسب القرآنی بین عناصر القسم یدل علی التشابه فی دقة بناء السماء ومواقع نجومها، ودقة سور القرآن وآیاته وکلماته وحروفه!

وإلی الیوم لم یکتشف العلماء من بناء الکون إلا القلیل، وکلما اکتشفوا جدیداً خضعت أعناقهم لبانیه عز وجل! ولم یکتشفوا من بناء القرآن إلا القلیل، وکلما اکتشفوا منه جدیداً خضعت أعناقهم لمعماره عز وجل!!

والحدیث التالی یکشف لنا عجائب فی البناء القرآنی، ففی دعائم الإسلام:۲/ ۱۴۶:

(عن علی علیه السلام قال: اعتلَّ الحسین فاشتد وجعه، فاحتملته فاطمة فأتت به النبی صلی الله علیه وآله مستغیثة مستجیرة فقالت: یارسول الله أدع الله لابنک أن یشفیه، ووضعته بین یدیه، فقام صلی الله علیه وآله حتی جلس عند رأسه، ثم قال: یا فاطمة یا بنیة، إن الله هو الذی وهبه لک، هو قادر علی أن یشفیه. فهبط علی جبرئیل فقال: یا محمد، إن الله لم ینزل علیک سورة من القرآن إلا فیها فاء وکل فاء من آفة، ما خلا (الحمد لله) فإنه لیس فیها فاء، فادع بقدح من ماء فاقرأ فیه الحمد أربعین مرة ثم صبه علیه فإن الله یشفیه، ففعل ذلک فکأنما أنشط من عقال)! (وجامع أحادیث الشیعة:۱۵/۸۳).

یعنی ذلک: أن ما یبدو لنا من القرآن عادیاً بسبب سذاجتنا، کله تابعٌ لحساب بل حسابات، إلهیة لا بشریة، وأن هذه الحروف الثمانیة والعشرین فی القرآن عوالم من الریاضیات والعلوم والحقائق، ولیست حروف کتاب بشری!

فوجود الحرف له دلالة بل دلالات، وعدم وجوده، وعدده، وتوزیعه فی الآیة، وفی السورة، وفی کل القرآن!

الله أکبر.. فحیثما کانت الفاء فی سورة أو موضوع، فهی تدل علی وجود آفة! وحیثما وجدت الباء، والسین، وکل الحروف، تدل علی حقائق أخری!

ثم ما معنی الآفة؟ وما معنی خلو سورة الحمد منها؟ وما معنی قراءة کلام الله الذی لیس فیه آفة علی قدح ماء؟ وماذا یؤثر تکرار القراءة؟ وهل یتغیر ترکیب الماء بذلک؟ ثم هل تؤثر فیزیاؤه المطورة فی بدن المریض وتذهب منه الآفة؟!

من المؤکد أنه یوجد ارتباط بین النظام الفیزیائی والروحی للکون، وبین نظام القرآن، وأن للقرآن إمکانات تأثیر متنوعة علی عالمی

الروح والمادة، هی لون أو ألوان من فاعلیات الله تعالی فی الکون، لأن القرآن کلامه سبحانه!
ومن المؤکد أن النبی صلی الله علیه وآله أعطی من معرفة ذلک أقصی ما یمکن أن یعطاه إنسان ویحتمله، لأنه صلی الله علیه وآله أفضل بنی الإنسان، بل أفضل المخلوقات والمصطفی منها جمیعاً، ولقد أجاد الشاعر الأزری بقوله:
قلَّبَ العالمین ظهراً لبطنفرأی ذات أحمد فاصطفاه
ولکن النبی صلی الله علیه وآله لم یکن یستعمل ذلک إلا بأمر الله تعالی أو إجازته، وهذه قضیة مهمة فی شخصیته وسلوکه صلی الله علیه وآله، حیث أعطی وسائل العمل الإعجازی، ومع ذلک کان یعمل فی کل أموره بالأسباب والقوانین الطبیعیة العادیة، ولا یستعمل الإعجاز إلا عندما یؤمر، أو عند (الضرورة).
إن الفرق بینه وبین موسی والخضر أن الخضر أعطی العلم اللدنی أو علم الباطن فهو یعمل بموجبه، وموسی أعطی الشریعة أو علم الظاهر فهو یعمل بموجبها. أما نبینا صلی الله علیه وآله فقد أعطی العلمین معاً، ولکنه یعمل بالظاهر إلا عندما یؤمر أو عند الضرورة!
وهذه هی سنة الله تعالی، فهو لا یطلع علی غیبه أحداً إلا من ارتضاه، ولا یرتضیه حتی یستوعب مسألة العمل بالقوانین الطبیعیة والغیبیة ویسلم لإرادة الله فیها! ثم یسلک من بین یدیه ومن خلفه رصدا!
والقرآن أکبر، أو من أکبر، تلک الوسائل التی أعطاها الله تعالی لنبیه صلی الله علیه وآله، وقد کان له ترتیب نزل به منجماً فی بضع وعشرین سنة، وکان یؤدی فیه إدارة أحداث النبوة وصناعة الأمة وتوجیه النبی والأمة، وتسجیل کل ذلک للأجیال. ثم صار له ترتیب ککتاب تقرؤه الأجیال، کتاب له مقدمة وفصول وفقرات. أحدث من کل ما أنتجه وینتجه المؤلفون فی منهجة التألیف والأسلوب!
فما المانع أن یکون للقرآن ترتیب ثالث، ورابع، وخامس، أملاه النبی صلی الله علیه وآله علی علی علیه السلام وادخره عنده مع وصیته المحفوظة وعهده المعهود إلی ولده المهدی الذی بشر به الأمة والعالم؟ والذی یظهر الله علی یدیه صدق دین جده علی الدین کله، فتخضع لبراهینه العقول والأعناق!
أرواحنا فداه وعجل الله ظهوره.
وإذا کان نظام حروف القرآن کذلک، فما قولک فی جغرافیته العلمیة، وما ذکره الله فیه وما لم یذکره، ومحکمه ومتشابهه، ومجمله ومبینه...؟!

العصمة و قاعدة اللطف

معنی العصمة فی القرآن واللغة والحدیث

وردت العصمة فی القرآن بمعنی المنع من عذاب الله فی الدنیا: (قَالَ سَآوِی إِلَی جَبَلٍ یَعْصِمُنِی مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاعَاصِمَ الْیَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلا مَنْ رَحِمَ) (هود:۴۳).
والمنع من عذابه فی الآخرة: قُلْ مَنْ ذَا الَّذِی یَعْصِمُکُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِکُمْ سُوءً أَوْ أَرَادَ بِکُمْ رَحْمَةً. (الأحزاب:۱۷). وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ (یونس:۲۷). والأعم منهما: یَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِینَ مَا لَکُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ. (غافر:۳۳).
وفی الإمتناع عن الحرام: وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ. (یوسف:۳۲).
أما قوله تعالی: یَا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْکَافِرِینَ. (المائدة:۶۷)، فقد بینا فی کتاب (آیات الغدیر) أن العصمة فیها لیست بمعنی عصمة الأنبیاء المصطلحة، فهی عصمة من الناس ولیست عصمة عن المعاصی، وقد نزلت فی آخر سورة قبل وفاة النبی صلی الله علیه وآله بنحو ثمانین یوماً، و کان صلی الله علیه وآله قبلها معصوماً عن المعاصی.

فلا بد أن یکون المقصود فیها عصمته صلی الله علیه وآله من أن یطعن الناس بنبوته أو یرتدوا عن الإسلام، إن بلغ ما أنزل الیه فی علی علیه السلام.

وقال الراغب فی مفرداته: (العَصْمُ: الإمساک، والإعتصام: الإستمساک...والعصام ما یعصم به أی یشد. وعصمة الأنبیاء علیهم السلام حفظه إیاهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمیة والنفسیة، ثم بالنصرة وبتثبیت أقدامهم، ثم بإنزال السکینة علیهم، وبحفظ قلوبهم وبالتوفیق، قال تعالی: وَاللهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ.

قال الخلیل فی کتاب العین: العصمة أن یعصمک الله من الشر، أی یدفع عنک. واعتصمت بالله أی امتنعت به من الشر، واستعصمت أی أبیت، وأعصمت أی لجأت إلی شئ اعتصمت به... وأعصمت فلاناً: هیأت له ما یعتصم به. والغریق یعتصم بما تناله یده، أی: یلجأ إلیه... والعصمة: المنع. یقال عصمه الطعام، أی منعه من الجوع. والعصمة: الحفظ. یقال: عصمته فانعصم. واعتصمت بالله، إذا امتنعت بلطفه من المعصیة). انتهی

وفی الفروق اللغویة ص۴۶۴: الفرق بین اللطف والتوفیق: أن اللطف هو فعل تسهل به الطاعة علی العبد، ولا یکون لطفاً إلا مع قصد فاعله وقوع ما هو لطف فیه من الخیر خاصة، فأما إذا کان ما یفعل عنده قبیحاً وکان الفاعل له قد أراد ذلک، فهو انتقاد ولیس بلطف.

والتوفیق فعل ما تتفق معه الطاعة، وإذا لم تتفق معه الطاعة لم یسم توفیقاً ولهذا قالوا إنه لایحسن الفعل...

واللطف قد یتقدم الفعل بأوقات یسیرة یکون له معها تأثیر فی نفس الملطوف له، ولا یجوز أن یتقدمه بأوقات کثیرة حتی لایکون له معها فی نفسه تأثیر، فکل توفیق لطف ولیس کل لطف توفیقاً....

والعصمة هی اللطیفة التی یمتنع بها عن المعصیة إختیاراً، والصفة بمعصوم إذا أطلقت فهی صفة مدح وکذلک الموفق، فإذا أجری علی التقیید فلا مدح فیه، ولا یجوز أن یوصف غیر الله بأنه یعصم.

ویقال عصمه من کذا ووفقه لکذا ولطف له فی کذا، فکل واحد من هذه الأفعال یعدَّی بحرف، وهاهنا یوجب أیضاً أن یکون بینهما فروق من غیر هذا الوجه الذی ذکرناه، وشرح هذا یطول فترکته کراهة الإکثار. وأصولهما فی اللغة واشتقاقاتهما أیضاً توجب فروقا من وجوه أخر فاعلم ذلک).

وفی مجمع البحرین:۱/۲۴۱: (روی أن إبلیس لعنه الله تمثل لیحیی علیه السلام فقال له: أنصحک. قال: لا أرید ذلک ولکن أخبرنی عن بنی آدم. قال: هم عندنا علی ثلاثة أصناف: صنف منهم وهم أشد الأصناف عندنا نقبل علی أحد منهم نفتنه عن دینه ونتمکن منه ثم یفزع إلی الإستغفار والتوبة فلا نحن نیأس منه ولا نحن ندرک حاجتنا فنحن معه فی عناء. وأما الصنف الآخر منهم فهم فی أیدینا کالکرة فی أیدی صبیانکم نتلقفهم کیف شئنا، قد کفونا مؤنة أنفسهم!

وأما الصنف الثالث فهم معصومون لا نقدر منهم علی شئ).

وفی مجمع البحرین:۳/۳۹۳: (وفی الحدیث: ما اعتصم عبدٌ من عبادی بأحد من خلقی إلا قطعت أسباب السماوات من یدیه وأسخت الأرض من تحته. قال بعض الشارحین: هاتان الفقرتان کنایة عن الخیبة والخسران. وفیه: أعوذ بک من الذنوب التی تهتک العصم، وهی کما روی عن الصادق علیه السلام: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وفعل ما یضحک الناس من المزاح واللهو، وذکر عیوب الناس، ومجالسة أهل الریب.

والمعصوم: الممتنع من جمیع محارم الله، کما جاءت به الروایة.

وعن علی بن الحسین علیه السلام الإمام منا لایکون إلا معصوماً، ولیست العصمة فی ظاهر الخلقة فتعرف، قیل: فما معنی المعصوم؟ قال: المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا یفترقان إلی یوم القیامة، والإمام یهدی إلی القرآن والقرآن یهدی إلی الإمام، وذلک قوله تعالی.(أن هذا القرآن یهدی للتی هی أقوم). وفی الدعاء إن عصمة أمری کذا، أی وقایتی وحافظی من الشقاء المخلد. واعتصمت بالله: امتنعت به. وفی حدیث رسول الله صلی الله علیه وآله:أربع من کن فیه کان فی نور الله الأعظم وعد، منها: من کان

عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله " أى ما يعصم من المهلك يوم القيامة. والمعنى: من كانت الشهادتان ويعنى بهما الإيمان، عصمة ووقاية له من المعاصى تحجزه وتمنعه من اقتراف سخط الله وسخط رسوله. ومنه قول أبى طالب: ثمال اليتامى عصمة للأرامل، أى حفظ لهم ووقاية يمنعهم من الضياع والحاجة).

وفى نهج البلاغة:٢/٤٩:(وعليكم بكتاب الله، فإنه الحبل المتين والنور المبين، والشفاء النافع، والرى الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق، لايعوج فيقام، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تخلقه كثرة الرد، وولوج السمع).

وفى نهج البلاغة:٢/٢٣: (وإنما ينبغى لأهل العصمة والمصنوع إليهم فى السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم، فكيف بالعائب الذى عاب أخاً وعيره ببلواه...).

وفى الصحيفة السجادية ص ٩٠: (اللهم صل على محمد وآله، وقنى من المعاصى، واستعملنى بالطاعة، وارزقنى حسن الانابة، وطهرنى بالتوبة، وأيدنى بالعصمة، واستصلحنى بالعافية، وأذقنى حلاوة المغفرة). انتهى.

وقد تقدم قول الإمام الصادق عليه السلام فى تعريف المعصوم: (المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم). (معانى الأخبار: ص١٣٢).

وفى الصراط المستقيم:١/١١٦: قالوا: معصوم إسم مفعول، فيكون مجبوراً على ترك العصيان فى كل آن ولافخر فى ذلك على إنسان. قلنا: العصمة الملجئة من الله إنما هى من الغلط والنسيان وأما العصمة التى لايقع منها عصيان فهى لطف يفعله الله، لايوجب الإجبار، بل يجامع الإختيار، والإنسان يعلم أنه يترك ذنوباً بحسب اختياره فالمعصوم يترك الجميع كذلك).

من تعريفات المتكلمين للعصمة

قال المفيد رحمه الله فى النكت الإعتقادية ص٤٥: (فإن قيل: ما حدُّ العصمة؟

الجواب: العصمة لطف يفعله الله بالمكلف، بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليهما).

وقال فى تصحيح الإعتقادص١٢٨: (العصمة من الله تعالى لحججه هى التوفيق واللطف، واعتصام من الحجج بها عن الذنوب، والغلط فى دين الله تعالى.

وقال فى أوائل المقالات ص١٦٤: (العصمة فى موضوع اللغة هى: المنع، وقد خُصت فى اصطلاح المتكلمين بمن يمتنع باختياره عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذى يحصل من الله تعالى فى حقه.

وعرفه صاحب كتاب (الياقوت) من قدماء الإمامية بأنه: لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية، ولا يمنعه على وجه القهر، أى إنه لا يكون له حينئذ داع إلى فعل المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليهما). انتهى.

وقال الشريف المرتضى رحمه الله فى رسائله:٣/٣٢٦:(إعلم أن العصمة هى اللطف الذى يفعله تعالى، فيختار العبد عنده الإمتناع من فعل القبيح، فيقال على هذا إن الله عصمه بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح، ويقال إن العبد معتصم، لأنه أختار عند هذا الداعى الذى فعل الإمتناع عن القبيح). انتهى.

قاعدة اللطف الإلهى التى استدل بها علماؤنا على العصمة

قاعدة اللطف عقلية و شرعية

معنى قاعدة اللطف: أن العقل يحكم بأن الله تعالى لم ولن يترك عباده سدى، فلا بد أن يلطف بهم فيبعث فيهم أنبياء ويجعل لهم أوصياء، ويكون له على الأرض حجة فى كل عصر، وأن يكون هذا الحجة هادياً مهدياً معصوماً.

وقد ورد هذا المعنى صريحاً وضمناً، فى آيات وروايات عديدة، منها قوله تعالى:أَيَحْسَبُ الإنسان أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. (القيامة:۳۶). وقوله تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ. (المؤمنون:۱۱۵).

وفى الكافى:۱/۱۶۹: (على بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس بن يعقوب قال:كان عند أبى عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام ابن سالم، والطيار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام ألا تخبرنى كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ فقال هشام: يا ابن رسول الله إنى اجلك وأستحييك ولا ـ يعمل لسانى بين يديك، فقال أبو عبد الله: إذا أمرتكم بشئ فافعلوا. قال هشام: بلغنى ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه فى مسجد البصرة فعظم ذلك على فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزر بها من صوف، وشملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لى، ثم قعدت فى آخر القوم على ركبتى ثم قلت: أيها العالم إنى رجل غريب تأذن لى فى مسألة؟ فقال لى: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال يا بنى أىُّ شئ هذا من السؤال؟ وشئ تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت هكذا مسألتى فقال يا بنى سل وإن كانت مسألتك حمقاء! قلت: أجبنى فيه قال لى سل: قلت ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك إذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس.

قلت: أوليس فى هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهى صحيحة سليمة، قال: يا بنى إن الجوارح إذا شكت فى شئ شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك.

قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لابد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم.

فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلهم فى حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشككك؟! قال: فسكت ولم يقل لى شيئاً! ثم التفت إلى فقال لى: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا ـ قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة قال: فأنت إذا هو، ثم ضمنى إليه، وأقعدنى فى مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت.

قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا هشام من علمك هذا؟ قلت: شئ أخذته منك وألفته، فقال: هذا والله مكتوب فى صحف إبراهيم وموسى). انتهى.

ومعنى كون اللطف قاعدة عقلية: أن العقل يدرك بقطع النظر عن نصوص الدين أنه يستحيل على العليم الحكيم القدير عز وجل، أن يترك مخلوقاته بدون هداية بل إن من أفعال الله الثابتة، بمقتضى صفاته، أنه يلطف بعباده فيبعث الأنبياء والأوصياء لهدايتهم، وهذا معنى قولهم: يجب اللطف على الله تعالى. وتعبيرهم وإن كان ثقيلاً وكأنه يفرض شيئاً على الله تعالى، لكنه يعنى أن ذلك مما يدركه العقل من قوانين فعله تعالى.

ومعنى كونها قاعدة شرعية: أن القرآن والسنة يدلأن على أن الله لطيف بعباده، فلا يتركهم بدون أنبياء وهداية، كما نبهت إلى ذلك آيات القرآن، وأحاديث النبى وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وبينت حدودها وتفاصيلها التى لايدركها العقل وحده.

وينبغى الإلفات إلى أن الشرع قد ينبه العقل البشرى إلى بعض الأمور المركوزة فيه فيصل اليها، فتكون من المدركات العقلية ولايضر بذلك أن الشرع ألفته اليها وأثار فيه كامنها. وقد قلنا فى العقائد الإسلامية:۱/۲۶: (سمى الله عز وجل القرآن الكريم: الذكر، ووصف عمل النبى صلى الله عليه وآله بأنه تذكير، واستعمل مادة التذكير فى القرآن للتذكير بالله تعالى، والتذكير باليوم الآخر، والتذكير بالفطرة والميثاق.

ووصف أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله عمل الأنبياء عليهم السلام بأنه مطالبة الناس بالإنسجام مع ميثاق الفطرة، فقال عليه السلام فى خطبة طويلة فى نهج البلاغة:۱/۲۳،يذكر فيها خلق آدم عليه السلام وصفته: (فأهبطه إلى دار البلية، وتناسل الذرية. اصطفى سبحانه من ولده أنبياء، أخذ على الوحى ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسى نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع...). انتهى.

وعلى هذا يمكن أن نعتبر قاعدة اللطف عقلية، لأن العقل البشرى يدرك بقطع النظر عن الدين، أن هذا الخالق العظيم سبحانة لايمكن أن يترك خلقه سدى، بل يجب بمقتضى حكمته أن يعرفهم ما يريده منهم لتحقيق هدفه السامى فيهم.

وقد ذكر أبو الفتح الكراجكى رحمه الله فى كنز الفوائد ص۱۹۵ أن لأفلاطون كتاباً إسمه (كتاب اللطف) ونقل عنه قوله: (نقل الطبع عسير الإنتزاع)، وقد يكون موضوع الكتاب اللطف الإنسانى، ولكنه على أى حال من جوِّ اللطف الإلهى.

اللطف الإلهى فى القرآن

ورد هذا الإسم المقدس فى القرآن فى سبعة مواضع، تشمل لطف ذاته المقدسة، وأنواع ألطافه بمخلوقاته:

۱- لطف الذات الإلهية

قال الله تعالى: لاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَيُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. (الأنعام:۱۰۳).

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن الله تعالى لطيف لكن لايوصف باللطف، ومعناه أن ذاته تعالى من غير نوع المادة والمخلوقات، لكن لايوصف باللطف حتى لاستصور أن ذاته المقدسة مادة شفافة!

ففى التوحيد للصدوق/۳۰۵، من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: (ثم قال: سلونى قبل أن تفقدونى، فوالله الذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتمونى عن آية آية فى ليل أنزلت أو فى نهار أنزلت، مكيها ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم!

فقام إليه رجل يقال له ذعلب وكان ذرب اللسان بليغاً فى الخطب، شجاع القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبى طالب مرقاةً صعبة، لأخجلنه اليوم لكم فى مسألتى إياه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟

قال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذى أعبد رباه لم أره، قال: فكيف رأيته صفه لنا؟ قال: ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، ويلك يا ذعلب إن ربى لا يوصف بالبعد، ولا بالحركة، ولا بالسكون، ولا بالقيام قيام انتصاب، ولا بجيئه ولا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لايوصف بالكبر، جليل الجلالة لايوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لابمجسة، قائل لاباللفظ، هو فى الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كل شئ فلا يقال شئ فوقه، وإمام كل شئ فلا يقال له إمام، داخل فى الأشياء لا كشئ فى شئ داخل، وخارج منها لا كشئ من شئ خارج! فخرَّ ذعلب مغشياً عليه، ثم قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها). انتهى.

۲- لطفه فى إدارة الطبيعة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأرض مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِير. (الحج:۶۳)

۳- لطفه فى التخطيط لأنبيائه عليهم السلام وعباده المؤمنين

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِى إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَالْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. (يوسف:۱۰۰)

۴- لطفه فى إدراة أرزاق عباده

اللهُ لَطِیفٌ بِعِبَادِهِ یَرْزُقُ مَنْ یَشَاءُ وَهُوَالْقَوِیُّ الْعَزِیزُ. (الشوری:۱۹).

۵- لطفه فی مراقبة عمل نساء النبی صلی الله علیه وآله والناس

وَاذْکُرْنَ مَا یُتْلَی فِی بُیُوتِکُنَّ مِنْ آیَاتِ اللهِ وَالْحِکْمَةِ إِنَّ اللهَ کَانَ لَطِیفًا خَبِیرًا.(الأحزاب:۳۴).

۶- لطفه فی الإطلاع علی خفایا خلقه

وَأَسِرُّوا قَوْلَکُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِیمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. أَلا یَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَاللَّطِیفُ الْخَبِیرُ. (الملک:۱۳-۱۴).

۷- لطفه فی الحساب یوم القیامة

یَا بُنَیَّ إِنَّهَا إِنْ تَکُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَکُنْ فِی صَخْرَةٍ أَوْ فِی السَّمَوَاتِ أَوْ فِی الأرض یَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِیفٌ خَبِیرٌ. (لقمان:۱۶).

وفی التوحید للصدوق ص۲۱۷: (اللطیف معناه أنه لطیف بعباده، فهو لطیف بهم بار بهم، منعم علیهم. واللطف البر والتکرمة یقال: فلأن لطیف بالناس بار بهم یبرهم ویلطفهم إلطافاً. ومعنی ثان: أنه لطیف فی تدبیره وفعله یقال: فلأن لطیف العمل، وقد روی فی الخبر أن معنی اللطیف هو أنه الخالق للخلق اللطیف کما أنه سمی العظیم لأنه الخالق للخلق العظیم). انتهی.

وفی کل واحدة من هذه الآیات بحث مفصل لایتسع له المجال.

اللطف فی أحادیث النبی و آله

فی الکافی:۱/۱۵۹: أن رجلاً سأل الإمام الصادق علیه السلام (أجبر الله العباد علی المعاصی؟ قال: لا، قلت: ففوض إلیهم الأمر؟ قالقال: لا، قال: قلت فماذا؟ قال: لطف من ربک بین ذلک).

وفی عیون أخبار الرضا علیه السلام:۲/۱۱۳: (عن عبد العظیم بن عبد الله الحسنی رضی الله عنه عن إبراهیم بن أبی محمود قال: سألت أبا الحسن الرضا علیه السلام عن قول الله تعالی: وَتَرَکَهُمْ فِی ظُلُمَاتٍ لا یُبْصِرُونَ. (البقرة:۱۷) فقال: إن الله تبارک وتعالی لا یوصف بالترک کما یوصف خلقه، ولکنه متی علم أنهم لا یرجعون عن الکفر والضلال منعهم المعاونة واللطف، وخلی بینهم وبین اختیارهم). انتهی.

وفی المقنعة ۳۳۹، من دعاء کل یوم من شهر رمضان: (وکذلک نسبت نفسک یا سیدی باللطف، بلی إنک لطیف فصل علی محمد وآله، والطف لما تشاء). انتهی.

وفی الکافی:۱/۱۲۰، عن الإمام الرضا علیه السلام أنه قال: (إعلم علمک الله الخیر أن الله تبارک وتعالی قدیم، والقدم صفته التی دلت العاقل علی أنه لا شئ قبله ولا شئ معه فی دیمومیته، فقد بان لنا بإقرار العامة معجزة الصفة أنه لا شئ قبل الله، ولا شئ مع الله فی بقائه، وبطل قول من زعم أنه کان قبله أو کان معه شئ، وذلک أنه لو کان معه شئ فی بقائه لم یجز أن یکون خالقاً له، لأنه لم یزل معه، فکیف یکون خالقاً لمن لم یزل معه! ولو کان قبله شئ کان الأول ذلک الشئ لا هذا، وکان الأول أولی بأن یکون خالقاً للأول.

ثم وصف نفسه تبارک وتعالی بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم وتعبدهم وابتلاهم إلی أن یدعوه بها فسمی نفسه سمیعاً، بصیراً، قادراً، قائماً، ناطقاً، ظاهراً، باطناً، لطیفاً خبیراً، قویاً، عزیزاً، حکیماً، علیماً، وما أشبه هذه الأسماء. فلما رأی ذلک من أسمائه القالون المکذبون، وقد سمعونا نحدث عن الله أنه لا شئ مثله ولا شئ من الخلق فی حاله، قالوا: أخبرونا إذا زعمتم أنه لا مثل لله ولا شبه له، کیف شارکتموه فی أسمائه الحسنی فتسمیتم بجمیعها! فإن فی ذلک دلیلًا علی أنکم مثله فی حالاته کلها أو فی بعضها دون بعض، إذ جمعتم الأسماء الطیبة!

قیل لهم: إن الله تبارک وتعالی ألزم العباد أسماء من أسمائه علی اختلاف المعانی وذلک کما یجمع الإسم الواحد معنیین مختلفین. والدلیل علی ذلک قول الناس الجائز عندهم الشائع، وهو الذی خاطب الله به الخلق فکلمهم بما یعقلون، لیکون علیهم حجة فی تضییع ما ضیعوا، فقد یقال للرجل: کلب وحمار وثور وسکرة وعلقمة وأسد! کل ذلک علی خلافه وحالاته. لم تقع الأسامی علی معانیها التی

کانت بنیت علیها، لأن الإنسان لیس بأسد ولا کلب، فافهم ذلک رحمک الله.

وإنما سمی الله تعالی بالعلم، بغیر علم حادث علم به الأشیاء استعان به علی حفظ ما یستقبل من أمره، والرویة فیما یخلق من خلقه، ویفسد ما مضی مما أفنی من خلقه، مما لو لم یحضره ذلک العلم ویغیبه کان جاهلاً ضعیفاً، کما أنا لو رأینا علماء الخلق إنما سموا بالعلم لعلم حادث إذ کانوا فیه جهلة، وربما فارقهم العلم بالأشیاء فعادوا إلی الجهل. وإنما سمی الله عالماً لأنه لایجهل شیئاً، فقد جمع الخالق والخلوق إسم العالم واختلف المعنی علی ما رأیت.

وسمی ربنا سمیعاً لا بخرت فیه یسمع به الصوت ولا یبصر به، (الخِرْت: ثقب الإبرة والأذن والعین ونحوها وجمعه خروت (العین:۱/۲۳۶) کما أن خرتنا الذی به نسمع لا نقوی سبه علی البصر، ولکنه أخبر أنه لایخفی علیه شئ من الأصوات، لیس علی حد ما سمینا نحن، فقد جمعنا الإسم بالسمع واختلف المعنی.

وهکذا البصر لا بخرت منه أبصر، کما أنا نبصر بخرت منا لا ننتفع به فی غیره ولکن الله بصیر لا یحتمل شخصا منظورا إلیه، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنی. وهو قائم لیس علی معنی انتصاب وقیام علی ساق فی کبد کما قامت الأشیاء ولکن قائم یخبر أنه حافظ کقول الرجل: القائم بأمرنا فلأن، والله هو القائم علی کل نفس بما کسبت، والقائم أیضاً فی کلام الناس: الباقی والقائم أیضاً یخبر عن الکفایة کقولک للرجل: قم بأمر بنی فلأن، أی أکفهم، والقائم منا قائم علی ساق، فقد جمعنا الإسم ولم نجمع المعنی.

وأما اللطیف فلیس علی قلة وضآلة وصغر، ولکن ذلک علی النفاذ فی الأشیاء والامتناع من أن یدرک، کقولک للرجل: لطف عنی هذا الأمر ولطف فلأن فی مذهبه وقوله: یخبرک أنه غمض فیه العقل وفات الطلب وعاد متعمقا متلطفا لا یدرکه الوهم فکذلک لطف الله تبارک وتعالی عن أن یدرک بحد أو یحد بوصف. واللطافة منا الصغر والقلة، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنی). انتهی.

من کلمات علمائنا فی قاعدة اللطف

قال المفید علیهم السلام فی النکت الإعتقادیة ص۳۵: (فإن قیل: ما الدلیل علی أن نصب الأنبیاء والرسل واجب فی الحکمة؟ فالجواب: الدلیل علی ذلک أنه لطف واللطف واجب فی الحکمة فنصب الأنبیاء والرسل واجب فی الحکمة.

فإن قیل: ما حد اللطف؟ فالجواب: اللطف هو ما یقرب المکلف معه من الطاعة ویبعد عن المعصیة ولاحظ له فی التمکین ولم یبلغ الالجاء.

فإن قیل: ما الدلیل علی أن اللطف واجب فی الحکمة؟ فالجواب: الدلیل علی وجوبه توقف غرض المکلف علیه فیکون واجباً فی الحکمة وهو المطلوب.

فإن قیل: من نبی هذه الأمة؟ فالجواب: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلی الله علیه وآله. فإن قیل: ما الدلیل علی نبوته؟

فالجواب: الدلیل علی ذلک أنه ادعی النبوة وظهر المعجز علی یده وکل من ادعی النبوة وظهر المعجز علی یده فهو نبی حقاً). انتهی.

وقال فی ص۳۹: فإن قیل: ما الدلیل علی أن الإمامة واجبة فی الحکمة؟

فالجواب: الدلیل علی ذلک أنها لطف واللطف واجب فی الحکمة علی الله تعالی فالإمامة واجبة فی الحکمة.

وقال فی ص۱۶۱: (عرف المتکلمون اللطف بما أفاد هیئة مقربة إلی الطاعة ومبعدة عن المعصیة بحیث لم یکن له حظ فی التمکین ولا یبلغ حد الإلجاء.....

والقول بوجوب اللطف یختص به العدلیة من المعتزلة والإمامیة والزیدیة ویخالفهم فیه الأشعریة، وقد نسب الخلاف فیه أیضاً إلی بشر بن المعتمر من قدماء المعتزلة وإن حکی رجوعه عن ذلک أخیراً بعد مناظرة سائر المعتزلة إیاه، لکن تعلیل المعتزلة بوجوبه من جهة أنهم أوجبوه من جهة العدل وأن الله تعالی لو فعل خلافه لکان ظالماً، والإمامیة إنما أوجبوه من جهة الجود والکرم وأنه تعالی لمَّا کان

متصفاً بهاتين الصفتين اقتضى ذلك أن يجعل للمكلفين ما دام هم على ذلك الحال أصلح الأشياء لهم، وأن لا يمنعهم صلاحا ولا نفعاً). انتهى.

لكن يبدو أن المحقق الحلي رحمه الله يقول به من باب العدل وليس من باب الكرم، فقد قال في المسلك في أصول الدين ص٣٠١: (ومن الواجب في الحكمة اللطف للمكلفين، وهو أن يفعل معهم كل ما يعلم أنه محرك لدواعيهم إلى الطاعة، لأنه لو لم يفعل ذلك لكان ناقضاً لغرضه، إذ لا مشقة عليه في فعله، وهو مفض إلى غرضه). انتهى.

وقال الشريف المرتضى رحمه الله في الشافي:١/٣٩: (والنبوة طريق وجوبها أيضاً اللطف لم يجب عندهم أن تكون المعرفة نبوة، ولا النبوة معرفة لاستبداد كل واحدة منهما بصفة لا يشركها فيها الأخرى، والنبي لم يكن عندنا نبيا لاختصاصه بالصفات التي يشرك فيها الإمام بل لاختصاصه بالأداء عن الله تعالى بغير واسطة، أو بواسطة هو الملك، وهذه مزية بينة).

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله في الإقتصاد ص٧٧: (وأما الكلام في اللطف فيحتاج أن نبين أولاً ما اللطف وما حقيقته. واللطف في عرف المتكلمين: عبارة عما يدعو إلى فعل واجب أو يصرف عن قبيح، وهو على ضربين: أحدهما أن يقع عنده الواجب ولولاه لم يقع فيسمى توفيقاً، والآخر ما يكون عنده أقرب إلى فعل الواجب أو ترك القبيح.....

واللطف على ثلاثة أقسام: أحدها من فعل الله تعالى، والثاني من فعل من هو لطف له، والثالث من فعل غيرهما. فما هو من فعل الله تعالى على ضربين: أحدهما يقع بعد التكليف للفعل الذي هو لطف له فيوصف بأنه واجب، والثاني ما يقع مع التكليف للفعل الذي هو لطف فيه فلا يوصف بأنه واجب، لأن التكليف ما أوجبه ولم يتقدم له سبب وجوب، لكن لا بد أن يفعل به لأنه كالوجه في حسن التكليف.

وأما ما كان من فعل المكلف فهو تابع لما هو لطف فيه، فإن كان واجباً فاللطف واجب وإن كان لطفاً في فعل نفل فهو نفل.

وإذا كان اللطف من فعل غيرهما فلا بد من أن يكون المعلوم من حاله أنه يفعل ذلك الفعل على الوجه الذي هو لطف في الوقت الذي هو لطف فيه، ومتى لم يعلم ذلك لم يحسن التكليف الذي هذا الفعل لطف فيه.

هذا إذا لم يكن له بدل من فعل الله يقوم مقامه، فإن كان له بدل من فعل الله تعالى جاز التكليف لذلك الفعل إذا فعل الله تعالى ما يقوم مقامه).

وقال ابن البراج الطرابلسي رحمه الله في جواهر الفقه ص٢٤٧: (اللطف على الله واجب، لأنه خلق الخلق، وجعل فيهم الشهوة، فلو لم يفعل اللطف لزم الإغراء، وذلك قبيح، والله لا يفعل القبيح، فاللطف هو نصب الأدلة، وإكمال العقل، وإرسال الرسل في زمانهم، وبعد انقطاعهم إبقاء الإمام، لئلا ينقطع خيط غرضه).

وقال المحقق الحلي رحمه الله في المسلك: ص١٠١: (وهل يجب على البارئ سبحانه فعل اللطف أم لا؟ الأكثرون يقولون بوجوبه، واحتجوا على ذلك بوجوه:

أحدها: أن اللطف مفض إلى غرض المكلف، وليس فيه وجه من وجوه القبح ولا يؤدي إلى ما لا نهاية له، وكل ما كان كذلك فهو واجب في الحكمة.

أما أنه مفض إلى غرض المكلف، فلأنا نتكلم على هذا التقدير، وأما أنه ليس فيه وجه من وجوه القبح، فلأن وجوه القبح مضبوطة، وليس فيه شئ منها.

وأما أن كل ما كان كذلك كان واجباً في الحكمة، فلأن داعي الحكمة متعلق به، والصوارف منتفية عنها، وكل ما تعلق به الداعي وانتفى الصارف عنه، فإنه يجب أن يفعل.

الوجه الثاني: لو لم يفعل البارئ سبحانه وتعالى اللطف على هذا التقدير، لكان ناقضاً لغرضه، ونقض الغرض قبيح.

بيان أنه يكون ناقضاً لغرضه، أن من دعا غيره إلى طعام له وعلم أنه يحضر إن أرسل رسولاً إليه لا غضاضة عليه في إرساله، ولم يرسل

رسوله، فإنه یکون غیر مرید لحضوره، والعلم بذلک ظاهر.

الوجه الثالث: لو لم یجب فعل اللطف، لکان الباریٔ مخلاً بما یجب علیه فی الحکمهٔ، إذ لا فرق بین منع اللطف وعدم التمکین.

احتج المخالف بأنه: لو وجب اللطف لوجب أن یفعل بالکافر.

والجواب: لا نسلم أن للکافر لطفاً. وتحقیق ذلک أن اللطف هو ما یعلم المکلف أن المکلف یطیع عنده، أو یکون أقرب إلی الطاعهٔ، مع تمکنه فی الحالین، والکافر قد لا یکون له لطف یحرکه إلی فعل الطاعهٔ. ویجری هذا مجری رجل له ثلاثهٔ أولاد، أحدهم یطیعه بالإکرام، والآخر بالإهانهٔ، والثالث لا یؤثر فیه أحد الأمرین، فلا یکون لذلک لطف، فالکافر الذی لا یطیع یجری مجری الثالث). انتهی.

رد الفقهاء للإستدلال بقاعدهٔ اللطف فی الفقه

رأینا أن أصل قاعدهٔ اللطف الإلهی ثابتٌ بحکم العقل والکتاب والسنهٔ، وأن موردها بعثهٔ الأنبیاء ونصب الأوصیاء علیهم السلام وعصمتهم.

وقد توسع فیها بعض علمائنا فاستعملوها فی حجیهٔ خبر الواحد (رسائل المرتضی:۱/۷۴). وفی حجیهٔ الإجماع (فرائد الأصول:۱/۱۸۸، ومنیهٔ الطالب:۲/۳۳۷ ومصباح الفقاههٔ للخوئی:۲/۱۷۰، و:۵/۶۴۵).

وفی نفی الحرج فی الأحکام: (هدایهٔ المسترشدین:۲/۷۳۷، وعوائد ۱۹۶).

وفی وجوب الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر: (جواهرالکلام:۲۱/۳۵۸ ومصباح الفقاههٔ للسید الخوئی:۱/۲۹۸).

وفی وجوب القضاء بین الناس (جواهرالکلام:۴۰/۱۰، والقضاء للسید الکلبایکانی:۱/۱۴)، وغیرها.

وفی کل هذه الموارد رد العلماء الإستدلال بها إلا نادراً، مثل أصل القضاء کما هو عند السید الکلبایکانی، وعدم خلو الواقعهٔ من حکم کما عند الشهید الصدر (دروس فی علم الأصول:۱/۱۴۸)

وقد توسع بعضهم فی ردها حتی لحق الحیف بأصل قاعدهٔ اللطف، وتحامل بعضهم علیها وکأنها من مبتدعات الشیخ الطوسی رحمه الله، مع أن أستاذه المرتضی استدل بها، وأستاذهما المفید، وغیرهم، رحمهم الله.

نعم یصح القول إن الشیخ الطوسی أکثر فقهائنا استدلالاً بقاعدهٔ اللطف فی الفقه والتفسیر، کما نلاحظ ذلک فی مبسوطه وتبیانه رحمه الله.

وقد نبه السید الخوئی رحمه الله الی ضرورهٔ أن لایسبب الهجوم علی موارد القاعدهٔ فی الفقه مساساً بها فی العقائد، فقال فی أجود التقریرات:۲/۳۷:

(الجههٔ الثانیهٔ فی بیان أن العقل هل یدرک الحسن والقبح بعد الفراغ عن إثبات أنفسهما أم لا؟ والتحقیق أن یقال إن العقل وإن لم یکن له إدراکُ جمیع المصالح والمفاسد، إلا أنَّ إنکار إدراکه لهما فی الجملهٔ وبنحو الموجبهٔ الجزئیهٔ مناف للضرورهٔ أیضاً، ولولا ذلک لما ثبت أصل الدیانهٔ، ولزم إفحام الأنبیاء علیهم السلام! إذ إثبات النبوهٔ العامهٔ فرع إدراک العقل لقاعدهٔ وجوب اللطف، کما أن إثبات النبوهٔ الخاصهٔ بظهور المعجزهٔ علی ید مدعیها فرع إدراک العقل قبح إظهار المعجزهٔ علی ید الکاذب، ومع إنکار إدراک العقل للحسن والقبح بنحو السالبهٔ الکلیهٔ، کیف یمکن إثبات أصل الشریعهٔ فضلاً عن فروعه). انتهی.

وکلامه رحمه الله واضح فی أنه لایقبل قاعدهٔ اللطف فی الفقه، ولکنه یقبلها فی العقائد، غیر أن موقفهم العام منها فی الفقه یبقی أکثر تأثیراً علی الفقیه، ولذا قال السید الخوئی رحمه الله فی جواب سؤال کما فی صراط النجاهٔ:۲/۴۴۵:

(سؤال ۱۴۰۳: قاعدهٔ اللطف التی ناقشتموها فی الأصول صغری وکبری، علی ما فی مصباح الأصول، فی مناقشتکم لشیخ الطائفهٔ التی استدل بها جمع من أصحابنا علی وجوب الإمامهٔ، لأنها من صغریاتها، هل یمکن الإستدلال علی هذه الکبری، بما دل من القرآن الکریم علی أنه لطیف بعباده، فتکون الإمامهٔ من صغریات ما دلت علی الکبری المستفادهٔ من الکتاب العزیز، أم أن اللطف المشار إلیه

فى القرآن الكريم غير اللطف المصطلح الذى تكون مسألة وجوب الإمامة من صغرياته؟

الخوئى: نعم هو كما كتب، لايدل على صحة الإستدلال بالقاعدة إن تمت القاعدة، ولا دلالة للآية الشريفة فى أدلة الأحكام كما زعم). انتهى.

ولعل أهم إشكالاتهم على تطبيقات قاعدة اللطف فى الفقه أن اللطف الواجب على الله تعالى، إنما هو اللطف الواقعى وليس ما نتصوره لطفاً!

ثم إن اللطف الواجب هو اللطف التى تمت مقتضياته وفقدت موانعه، ولا علم لنا بتحقق ذلك، بعكس الأمر فى أصل النبوة والإمامة والعصمة. (راجع هداية المسترشدين للشيخ محمد تقى الرازى:٢/٧٣٧).

ضرر الإغراق فى التأصيل بقاعدة اللطف

كان الطابع العام لخطاب علماء المسلمين سنة وشيعة الإستدلال بـ(النقل)، أى بنصوص الكتاب والسنة، إلى أن ظهر فى مطلع القرن الثالث الأسلوب الكلامى الفلسفى، بسبب اتساع ترجمة الكتب اليونانية، خاصة فى عهدى الرشيد والمأمون، فأخذ علماء السنة يستعملونه فى خطابهم، ويكتبون فيه مؤلفاتهم، فى الكلام والفقه والتفسير!

وقد بقى علماء الشيعة متمسكين فى تآليفهم وخطابهم بالأسلوب التقليدى فحفظوا مؤلفاتهم وخطابهم لقرنين بعيدةً عن التأثر بالأسلوب الفلسفى اليونانى.

لكن بحلول القرن الخامس حدثت ثلاثة تطورات على أسلوب علماء الشيعة:

الأول، ظهر على يد المفيد رحمه الله الذى كان يعيش فى العاصمة بغداد، حيث رأى أن اللازم أن يكتب علماء الشيعة بأسلوب العصر، ويردُّوا الشبهات عن المذهب بنفس أسلوبها الذى كتبها فيه علماء السنة فى عصره وقبلهم!

من هنا اتجه هو وتلاميذه الكبار كالسيد المرتضى والشيخ الطوسى رحمهم الله إلى التأصيل بلغة عصرهم، وكان رحمه الله ينتقد مَن قبله بأنهم اقتصروا على النقل فقلدوا ولم يتعمقوا ولم يجتهدوا!

قال عن الشيخ الصدوق رحمه الله فى مسألة الإرادة والمشيئة: (قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله: نقول: شاء الله وأراد، ولم يحب ولم يرض، وشاء عز اسمه ألا يكون شئ إلا بعلمه، وأراد مثل ذلك.

فعلق عليه المفيد رحمه الله بقوله: الذى ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله فى هذا الباب لايتحصل، ومعانيه تختلف وتتناقض، والسبب فى ذلك أنه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة ولم يكن ممن يرى النظر فيميز بين الحق منها والباطل، ويعمل على ما يوجب الحجة، ومن عول فى مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله فى الضعف ما وصفناه. والحق فى ذلك: أن الله تعالى لا يريد) (تصحيح اعتقادات الإمامية ص٤٨).

وقد اشتبه الأمر على المفيد رحمه الله فإن الصدوق رحمه الله لم يقل ذلك تقليداً، بل عمل بأحاديث غفل عنها المفيد، وهى تجعل الإرادة الإلهية أنواعاً منها الإرادة بمعنى السماح التكوينى، وهذا معنى أنه لايكون شئ فى الكون إلا بإرادة.

ففيالكافى:١/١٥٠: (عن أبى بصير قال قلت لأبى عبد الله عليه السلام: شاء وأراد وقدر وقضى؟ قال: نعم، قلت: وأحب؟ قال: لا، قلت: وكيف شاء وأراد وقدر وقضى ولم يحب؟قال: هكذا خرج إلينا).(راجع: تعليق الطباطبائى على الحديث، والكافى:١/١٥٧، والمحاسن للبرقى:١/٢٤٤، والحدائق الناضرة:١٣/٤٥٢، وتفسير الميزان:١٣/٧٤ و: ١٩/٩٠).

فالملاحظة الأولى على المتجددين، أن التقليديين أكثر إحاطة منهم بأحاديث النبى وأهل البيت عليهم السلام، وهذا ما ينبغى ملاحظته عند إشكالاتهم عليهم.

والملاحظة الثانية، أن المتجددين مع جهدهم المشكور فى التأصيل، واستعمالهم لغة الخطاب العصرية، إلا أنهم قد يبالغون فى

الإعتماد على ما أصَّلوه، ثم يكررونه حتى يتخيل المخالف أن هذا كل دليلهم في المسألة!

وهذا ماحدث في قاعدة اللطف حيث تراها في مؤلفات المفيد وتلاميذه رحمه الله،

أبرز ما استدلوا به على بعثة الأنبياء والأوصياء وعصمتهم عليهم السلام، حتى جاء بعدهم الفخر الرازي فتخيل أنه إن رد قاعدة اللطف فقد رد مذهب الشيعة بكامله!

قال في المحصول ص١٢۴: (فهذا ما على هذه الطريقة من الإعتراضات ومن أحاط بها تمكن من القدح في جميع مذاهب الشيعة أصولاً وفروعاً، لأن أصولهم في الإمامة مبنية على هذه القاعدة، ومذاهبهم في فروع الشريعة مبنية على التمسك بهذا الإجماع. والله أعلم) انتهى.

طبعاً نحن لانصدق ما زعمه الفخر الرازي، وقد ظهر شكه هو في تعميمه بقوله(والله أعلم)، لكنه قرأ للسيد المرتضى والشيخ المفيد فوجد قاعدة اللطف محور استدلالهم على الإمامة والعصمة، فدبَّج صفحات في مناقشتهما دون أن يسميهما، وطمع في أن يصدق القارئ كلامه هذا.

ولو وجد أن المحور في استدلالهم الآيات والأحاديث كآية التطهير وحديث الثقلين وحديث علي مع القرآن والقرآن مع علي، والعشرات من أمثالها،، وأن قاعدة اللطف ليست إلا تأصيلاً عقلياً مكملاً للدليل، لما طمع بذلك!

والنتيجة: أن قاعدة اللطف قاعدة عقلية، يدرك أصلها العقل ويقطع به، لكنه لايدرك تفاصيلها، ولذلك لا بد من الإقتصار في الإستدلال على القدر المتيقن منها، وعدم تجاوزه إلى الإستحسانات والإحتمالات.

أما ما دل عليه القرآن والسنة من أصلها أو تفاصيلها، فيرتقي عن كونه استحساناً واحتمالاً عقلياً، ويكون وحياً من خالق العقل سبحانه.

أما التطور الثاني، على أسلوب علماء الشيعة، فهو تأثير احتكاكهم بثقافة الروم عن طريق علماء حلب، والذي ورثه علماء جبل عامل بشكل خاص.

والتطور الثالث، تأثير الفلسفة اليونانية بعد أن اجتهد فيها المسلمون وحاولوا إخضاعها لثقافة الإسلام، واستعملوا أسلوبها في خطابهم ومؤلفاتهم، واتجاهاتهم العقدية والعرفانية.

ولايتسع المجال لبسط الكلام في صفات وإيجابيات وسلبيات هذه الإتجاهات في أسلوب الفهم والخطاب، وتأثيرها أحياناً على المضمون.

كيف يلطف الله تعالى بالمعصوم

اتفق علماؤنا على أن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام معصومون، عن كل معصية وكل ما يشين شخصيتهم الربانية السامية.

وبحثوا في حدود العصمة، وأدلتها، والموارد التي فيها إشكال أو سؤال.

ثم بحثوا في ماهية العصمة فاتفقوا على أنها من فعل الله تعالى، وبما يحفظ حرية اختياره ومسؤوليته عن عمله.

وعندما تأملوا في كيفية حصولها للمعصوم عليه السلام، والوسائل التي يستعملها الله تعالى لتحقيقها، وجدوها متعددة وأكثرها مجهولاً لنا، فقالوا إنها ألطافٌ إلهية من الله تعالى لعبادة المكرمين، وعرَّفوا العصمة بأنها لطفٌ إلهي بالمعصوم يمنعه من الوقوع في المعصية وما يشين.

وهذا موقف علمي صحيح من كيفية عصمة الله تعالى لخاصة عباده عليهم السلام، لكنا لانعدم نصوصاً تعطينا أضواءً مهمة على الوسائل الربانية في العصمة، منها:

١- ينبغي أن نتذكر السلطة الإلهية والهيمنة الكاملة على كل الوجود، وهي سلطة أعمق، وأكثر تنوعاً، من كل ما نعرف من سلطات.

قال الله تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لايَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرض وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. وَهُوَالَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ. ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَأَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ. (الأنعام:۵۹-۶۲).

وقال تعالى: سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. (الرعد:۱۰-۱۱).

وقال تعالى: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلامُ الْغُيُوبِ. (التوبة:۷۸).

وفى حديث النبى وأهل بيته صلى الله عليه وآله من تفصيل هذه الآيات وتفسيرها ما يخشع له العقل القلب. قال الشريف المرتضى فى الأمالى:۲/۲: (إن سأل سائل عن الخبر المروى عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت النبى(ص)يقول: إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء ثم يقول قال رسول الله(ص)عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك. وعما يرويه أنس قال قال رسول الله(ص) ما من قلب آدمى إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله تعالى فإذا شاء أن يثبته ثبته وان شاء أن يقلبه قلبه.

وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لأم سلمة زوج النبى(ص): ما كان أكثر دعاء النبى(ص)؟ قالت: كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك، فقالت قلت: يا رسول الله ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك؟ فقال: يا أم سلمة ما من آدمى إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله عز وجل، ما شاء أقام، وما شاء أزاغ. فقال ما تأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفى التشبيه؟ أوليس من مذهبكم أن الأخبار التى يخالف ظاهرها الأصول ولا تطابق العقول، لا يجب ردها والقطع على كذب راويها، إلا بعد أن لا يكون لها فى اللغة مخرج ولا تأويل....

ثم استعرض معنى الإصبع وأنها تستعمل بمعان مجازية فى لغة العرب وشعرهم، وقال:(فكأنه صلى الله عليه وآله لما أراد المبالغة فى وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة، وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه، فقال إنها بين إصبعين من أصابعه، كناية عن هذا المعنى واختصاراً للفظ الطويل، وجرياً على مذهب العرب فى إخبارهم عن مثل هذا المعنى).انتهى. وفى قصص الأنبياء للجزائرى ص۴۷۱:(بينما عيسى بن مريم جالس وشيخ يعمل بمسحاة ويثير الأرض، فقال عيسى عليه السلام: اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع، فلبث ساعة فقال عيسى عليه السلام: اللهم أردد إليه الأمل، فقام يعمل بمسحاته، فسأله عيسى عن ذلك فقال: بينما أنا اعمل إذ قالت لى نفسى: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير! فألقيت المسحاة واضطجعت، ثم قالت لى نفسى: والله لابد لك من عيش ما بقيت، فقمت إلى مسحاتى). (وتاريخ دمشق:۴۷/۴۶۸، ومستدرك سفينة البحار:۱/۱۸۵، عن مجموعة ورام).

۲- إن كل شخص منا يحيط به بضعة ملائكة يعملون بأمر الله تعالى، فكيف بالمعصوم؟ قال الله تعالى: إِنَّ رَبِّى عَلَى كُلِّ شَئٍ حَفِيظٌ. (هود:۵۷) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ. (الإنفطار:۱۰-۱۲). إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ.(الطارق:۴). لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ (الرعد:۱۱).

۳- وسائل الفعل الإلهى كثيرة، وهى أوسع وأعمق مما نتصور! قال الله تعالى:

هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلله جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً. (الفتح:۴)، وقد ذكر فى الآية إنزال روح السكينة على قلوب المؤمنين، وهى كما فى الأحاديث روح خاصة ترافق المؤمن وتوجب اليقين فى فكره والطمأنينة فى نفسه، وهى نوع من أنواع جنود السماوات والأرض، التى تشمل أنواعاً كثيرة من المخلوقات، والقوى المنظورة وغير

المنظورة، المتصورة لنا وغير المتصورة!

۴- من وسائل العصمة أن الله يبعث ملكاً يرافق المعصوم ويكلمه ويرشده، قال على عليه السلام يصف رسول الله صلى الله عليه وآله:(ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره). (نهج البلاغة:۲/۱۵۷).

وفى حلية الأبرار للسيد البحرانى:۱/۳۴: (قرن جبرائيل بنبيه محمد صلى الله عليه وآله ثلاث سنين، يسمع حسه ولا يرى شخصه، ويعلمه الشئ بعد الشئ، ولا ينزل عليه القرآن فكان فى هذه المدة مبشراً بالنبوة غير مبعوث إلى الأمة).(عن المناقب:۱/۴۳).

۵- ومن وسائل العصمة أن الله تعالى يلقى حالة خاصة على شخصية المعصوم من الخشوع والإحساس بوجود الله تعالى، فيعيش كل حياته حالة استحضار لربه عز وجل وحضور بين يديه، وكفى بذلك عاصماً له عن معصيته. وتحدث هذه الحالة له فى آخر دقيقة من حياة المعصوم السابق عليهم السلام.

ففى بصائر الدرجات ص۴۹۷: (باب الوقت الذى يعرف الإمام الأخير ما عند الأول. حدثنا محمد بن الحسين، عن على بن أسباط، عن الحكم بن مسكين، عن عبيد بن زرارة وجماعة معه قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: يعرف الإمام الذى بعده علم من كان قبله فى آخر دقيقة تبقى من روحه). (وروى حديثين آخرين مثله. وروى الكلينى فى الكافى:۱/۲۷۴، ثلاثة أحاديث):

وفى بصائر الدرجات ص۴۸۶: (باب فى الإمام متى يعلم أنه إمام. حدثنا محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى قال قلت لأبى الحسن الرضا عليه السلام: أخبرنى عن الإمام متى يعلم أنه إمام حين يبلغه أن صاحبه قد مضى أو حين يمضى؟ مثل أبى الحسن عليه السلام قبض ببغداد وأنت هاهنا؟ قال: يعلم ذلك حين يمضى صاحبه. قلت: بأى شئ؟ قال: يلهمه الله ذلك.....

حدثنا محمد بن عيسى....قال: بينا أبو الحسن عليه السلام جالس مع مؤدب له يكنى أبا زكريا وأبو جعفر عليه السلام عندنا أنه ببغداد وأبو الحسن يقرأ من اللوح إلى مؤدبه، إذ بكى بكاء شديداً، سأله المؤدب ما بكاؤك؟ فلم يجبه، فقال: إئذن لى بالدخول فأذن له، فارتفع الصياح والبكاء من منزله، ثم خرج إلينا، فسألناه عن البكاء فقال: إن أبى قد توفى الساعة. فقلنا: بما علمتَ؟ قال: دخلنى من إجلال الله ما لم أكن أعرفه قبل ذلك، فعلمت أنه قد مضى! فتعرفنا ذلك الوقت من اليوم والشهر، فإذا هو قد مضى فى ذلك الوقت....

عن هارون بن الفضل قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام فى اليوم الذى توفى فيه أبو جعفر عليه السلام فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى أبو جعفر! فقيل له: وكيف عرفتَ ذلك؟ قال: تداخلَنى ذلةٌ لله لم أكن أعرفها). انتهى.

۶- أن المعصوم تحدثه الملائكة وتوجهه عند اللزوم، ففى الكافى:۱/۲۷۱:

(عن محمد بن إسماعيل قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الأئمة علماء صادقون مفهمون محدثون..... عن محمد بن مسلم قال: ذكر المحدث عند أبى عبد الله عليه السلام فقال: إنه يسمع الصوت ولا يرى الشخص. فقلت له: جعلت فداك كيف يعلم أنه كلام الملك؟ قال: إنه يعطى السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك.....

ثم روى عن الإمام الباقر عليه السلام أن علياً عليه السلام كان محدَّثاً فسأله حمران:من يحدثه؟ فقال: يحدثه ملك، قلت: تقول: إنه نبى؟ قال: فحرك يده هكذا: أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذى القرنين، أوَما بلغكم أنه صلى الله عليه وآله قال: وفيكم مثله).

۷- أن الله يؤيد المعصوم بملك خاص. والأحاديث فى ذلك عديدة، منها ما رواه فى الكافى:۱/۲۷۳: (عن أبى بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلا الإيمان؟ قال:خلقٌ من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده...

عن أسباط بن سالم قال: سأله رجل من أهل هيت وأنا حاضر عن قول الله عز وجل: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا؟ فقال: منذ

أنزل الله عز وجل ذلك الروح على محمد، صلى الله عليه وآله ما صعد إلى السماء وإنه لفينا....

عن أبی بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَيَسْأَلونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی؟ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة وهو من الملكوت.

عن أبی حمزة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم، أهو علمٌ يتعلمه العالم من أفواه الرجال، أم فی الكتاب عندكم تقرؤنه فتعلمون منه؟ قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عز وجل: وَكَذَلِکَ أَوْحَيْنَا إِلَيْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِی مَا الْكِتَابُ وَلا الإيمان؟ثم قال: أیُّ شئ يقول أصحابكم فی هذه الآية، أيقرون أنه كان فی حال لايدری ما الكتاب ولا الإيمان؟فقلت: لا أدری جعلت فداك ما يقولون، فقال: بلى قد كان فی حال لايدری ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله تعالى الروح التی ذكر فی الكتاب، فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهی الروح التی يعطيها الله تعالى من شاء، فإذا أعطاها عبداً علمه الفهم....

عن أبی بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وَيَسْأَلونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی، قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضى، غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسددهم، وليس كل ما طلب وجد). انتهى.

وفی الكافی:۱/۲۷۴:(عن سعد الإسكاف قال أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟فقال له أمير المؤمنين:جبرئيل من الملائكة والروح غير جبرئيل، فكرر ذلك على الرجل فقال له: لقد قلت عظيماً من القول ما أحد يزعم أن الروح غير جبرئيل فقال له: أمير المؤمنين: إنك ضال تروی عن أهل الضلال، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ، يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ، والروح غير الملائكة صلوات الله عليهم).انتهى.

وفی الكافی:۱/۲۷۱: (عن جابر الجعفی قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عز وجل: وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِکَ الْمُقَرَّبُون.(الواقعة:۷-۱۱) فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح: أيدهم بروح القدس فبه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان فبه خافوا الله عز وجل، وأيدهم بروح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وأيدهم بروح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذی به يذهب الناس ويجيئون. وجعل فی المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيمان فبه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذی به يذهب الناس ويجيئون....

عن جابر، عن أبی جعفر عليه السلام قال: سألته عن علم العالم فقال لی: يا جابر إن فی الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال: يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب...

عن المفضل بن عمر عن أبی عبد الله عليه السلام قال: سألته عن علم الإمام بما فی أقطار الأرض وهو فی بيته مرخى عليه ستره؟ فقال: يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل فی النبی صلى الله عليه وآله خمسة أرواح:روح الحياة فبه دب ودرج، وروح القوة فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فبه آمن وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة فإذا قبض النبی صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام. وروح القدس لاينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو. والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يرى به). انتهى.

۸- قلنا فی دلالة الإستخلاص الإلهی على العصمة: وقد بيَّن الله تعالى أنه يستعمل رصد الملائكة لحفظ معلومة عن الغيب يخبر بها رسوله، فقال: قُلْ إن أدری أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أم يَجْعَلُ لَهُ ربی أَمَدًا. عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً. إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فإنه يَسْلُکُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. لِيَعْلَمَ أن قَدْأَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَئٍ عدداً. (الجنّ:۲۵-۲۸) والإستخلاص مقامٌ أعظمُ من حفظ ما يخبر به الله رسوله من الغيب، فلا بد أن تكون وسائل حفظ المستخلص أكثر تفصيلاً من حفظ

الغيب المخبر به.

٩- وردت أحاديث عديدة فی صفات ومقامات للنبی والأئمة صلی الله علیه وآله، تُعتبر کل واحدة منها من وسائل الله تعالی فی عصمتهم، صلوات الله علیهم، ویطول الکلام لو أردنا عرضها ولو إجمالاً، لذا نکتفی بالإشارة إلی بعضها:

فمنها: عرض الأعمال علی النبی صلی الله علیه وآله والأئمة علیهم السلام، فقد روی الکلینی فی الکافی تحت هذا العنوان:١/٢١٩، عدة أحادیث، منها: (عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: تعرض الأعمال علی رسول الله صلی الله علیه وآله أعمال العباد کل صباح أبرارها وفجارها فاحذروها، وهو قول الله تعالی: إعْمَلُوا فَسَيَرَی اللهُ عَمَلَکُمْ وَرَسُولُهُ. وسکت.... عن یعقوب بن شعیب قال: سألت أبا عبد الله علیه السلام عن قول الله عز وجل: إعْمَلُوا فَسَيَرَی اللهُ عَمَلَکُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ؟قال: هم الأئمة....

عن عبد الله بن أبان الزیات وکان مکیناً عند الرضا علیه السلام قال: قلت للرضا علیه السلام: أدع الله لی ولأهل بیتی، فقال: أو لست أفعل؟ والله إن أعمالکم لتعرض علیَّ فی کل یوم ولیلة! قال: فاستعظمت ذلک فقال لی: أما تقرأ کتاب الله عز وجل: إعْمَلُوا فَسَيَرَی اللهُ عَمَلَکُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ؟ قال: هو والله علی بن أبی طالب علیه السلام). انتهی.

وفی الکافی:١/٣٨٧: (عن محمد بن مروان قال: سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول: إن الإمام لیسمع فی بطن أمه، فإذا ولد خط بین کتفیه: وَتَمَّتْ کَلِمَتُ رَبِّکَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِکَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ، فإذا صار الأمر إلیه جعل الله له عموداً من نور، یبصر به ما یعمل أهل کل بلدة). انتهی.

ومنها: أن الله تعالی أعطاهم من إسمه الأعظم أضعاف ما أعطی غیرهم، ففی الکافی:١/ ٢٣٠: (عن علی بن محمد النوفلی، عن أبی الحسن صاحب العسکر علیه السلام قال: سمعته یقول: إسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، کان عند آصف حرف فتکلم به فانخرقت له الأرض فیما بینه وبین سبأ فتناول عرش بلقیس حتی صیَّره إلی سلیمان، ثم انبسطت الأرض فی أقل من طرفه عین! وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً. وحرف عند الله مستأثر به فی علم الغیب). انتهی.

ومنها: أن قوة نفس المعصوم علیه السلام وقربه من الله تعالی، یجعل رغبته وتوجهه النفسی إلی الشئ کافیاً لأن یکشفه الله له: ففی الکافی:١/٢٥٨: (عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إذا أراد الإمام أن یعلم شیئاً أعلمه الله ذلک).

ومنها: أنهم أصحاب لیلة القدر الذین تتنزل علیهم الملائکة بأمر الله فیها. ففی الکافی:١/٢٤٧، عن الإمام الصادق علیه السلام فی حدیث: (إن لیلة القدر فی کل سنة، وإنه ینزل فی تلک اللیلة أمر السنة، وإن لذلک الأمر ولاة بعد رسول الله صلی الله علیه وآله فقلت: من هم؟ فقال: أنا وأحد عشر من صلبی أئمة محدثون). انتهی.

أقول: وهذا باب واسع، یفهم منه الکثیر من عطاءات الله وأفعاله عز وجل فی عصمة أنبیائه وأوصیائهم علیهم السلام، وإن کان الکثیر منه منه مختصاً بالنبی وآله صلی الله علیه وآله لایشرکهم فیه غیرهم، فالمعصومون درجات.

درجات العصمة واللطف بالمعصومین

نص القرآن الکریم علی أن الله تعالی جعل مخلوقاته درجات، وفضَّل بعضها علی بعض، لأسباب وحکم وأسرار یعلمها عز وجل.

وهذه أهم آیات التفضیل:

تفضیل بنی آدم علی کثیر من المخلوقات

قال الله تعالی: وَلَقَدْ کَرَّمْنَا بَنِی آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّیِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِیلًا. (الإسراء:٧٠).

تفضیل بعض الناس علی بعضهم فی الرزق والتکوین

(وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَکُمْ عَلَی بَعْضٍ فِی الرِّزْقِ فَمَا الَّذِینَ فُضِّلُوا بِرَادِّی رِزْقِهِمْ عَلَی مَا مَلَکَتْ أَیْمَانُهُمْ فَهُمْ فِیهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ یَجْحَدُونَ).

(النحل:۷۱).

(وَهُوَالَّذِی جَعَلَکُمْ خَلائِفَ الأرض وَرَفَعَ بَعْضَکُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِیَبْلُوَکُمْ فِی مَا آتَاکُمْ إِنَّ رَبَّکَ سَرِیعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِیمٌ). (الأنعام:۱۶۵).

(أَهُمْ یَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّکَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَیْنَهُمْ مَعِیشَتَهُمْ فِی الْحَیَاةِ الدُّنْیَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِیَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِیًّا وَرَحْمَةُ رَبِّکَ خَیْرٌ مِمَّا یَجْمَعُونَ. وَلَوْلا أَنْ یَکُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ یَکْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُیُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَیْهَا یَظْهَرُونَ. وَلِبُیُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَیْهَا یَتَّکِئُونَ.وَزُخْرُفًا وَإِنْ کُلُّ ذَلِکَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَیَاةِ الدُّنْیَا وَالآخرة عِنْدَ رَبِّکَ لِلْمُتَّقِینَ). (الزخرف:۳۲-۳۵).

تفضیل الرجال علی النساء

(أَلرِّجَالُ قَوَامُونَ عَلَی النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَی بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَیْبِ). (النساء:۳۴).

(وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَکُمْ عَلَی بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِیبٌ مِمَّا اکْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِیبٌ مِمَّا اکْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ کَانَ بِکُلِّ شَیْ‌ءٍ عَلِیمًا).(النساء:۳۲).

تفضیل المجاهدین علی القاعدین

(فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِینَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَی الْقَاعِدِینَ دَرَجَةً وَکُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَی وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِینَ عَلَی الْقَاعِدِینَ أَجْرًا عَظِیمًا. النساء:۹۵ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَکَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِیمًا. النساء:۹۶

(یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَاتِی اللهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَیُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّةٍ عَلَی الْکَافِرِینَ یُجَاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللهِ وَلا یَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِکَ فَضْلُ اللهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِیمٌ. المائدة:۵۴

تفضیل العلماء علی غیرهم

(یَرْفَعِ اللهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَالَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ). (المجادلة:۱۱).

التفضیل فی الآخرة أکبر منه فی الدنی

•وَمَنْ أَرَادَ الآخرة وَسَعَی لَهَا سَعْیَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِکَ کَانَ سَعْیُهُمْ مَشْکُورًا. کُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّکَ وَمَا کَانَ عَطَاءُ رَبِّکَ مَحْظُورًا. انْظُرْ کَیْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَی بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَکْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَکْبَرُ تَفْضِیلًا. (الإسراء:۱۹-۲۱).

(وَمَنْ یُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَالصِّدِّیقِینَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِینَ وَحَسُنَ أُولَئِکَ رَفِیقًا. ذَلِکَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَکَفَی بِاللهِ عَلِیمًا. (النساء:۶۹-۷۰).

(فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَیُدْخِلُهُمْ فِی رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَیَهْدِیهِمْ إِلَیْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِیمًا. (النساء:۱۷۵).

تَرَی الظَّالِمِینَ مُشْفِقِینَ مِمَّا کَسَبُوا وَهُوَوَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِی رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا یَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِکَ هُوَالْفَضْلُ الْکَبِیرُ. (الشوری:۲۲).

إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی مَقَامٍ أَمِینٍ. فِی جَنَّاتٍ وَعُیُونٍ. یَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِینَ. کَذَلِکَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِینٍ. یَدْعُونَ فِیهَا بِکُلِّ فَاکِهَةٍ آمِنِینَ.لا یَذُوقُونَ فِیهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأولی وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِیمِ. فَضْلًا مِنْ رَبِّکَ ذَلِکَ هُوَالْفَوْزُ الْعَظِیمُ. (الدخان: ۵۱-۵۷).

(سَابِقُوا إِلی مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا کَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأرض أُعِدَّتْ لِلَّذِینَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِکَ فَضْلُ اللهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ. الحدید:۲۱

تفضیل بعض الأنبیاء علیهم السلام علی بعض

(وَرَبُّکَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِی السَّمَوَاتِ وَالأرض وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِیِّینَ عَلَی بَعْضٍ وَآتَیْنَا دَاوُدَ زَبُورًا. (الإسراء:۵۵)

تفضیل بعض الرسل علیهم السلام علی بعض

(تِلْکَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَی بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ. (البقرة:۲۵۳).

تفضیل إبراهیم وآل إبراهیم ومن معهم علیهم السلام

(وَتِلْکَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّکَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. (الأنعام:۸۳-۸۴)

تفضیل آل إبراهیم عامة

(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا. (النساء:۵۴-۵۵).

تفضیل داود وسلیمان علیهما السلام خاصة

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ علماً وَقَالا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِی فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَیْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَالْفَضْلُ الْمُبِينُ. (النمل:۱۵-۱۶).

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِی مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ. سبأ:۱۰

أن اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِی السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّی بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. سبأ:۱۱

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ. (سبأ:۱۰-۱۲).

تفضیل نبینا صلی الله علیه وآله

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ. وَوَضَعْنَا عَنْکَ وِزْرَکَ. الَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ. وَرَفَعْنَا لَکَ ذِكْرَکَ). (الشرح:۱-۴) (إِلا رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْکَ كَبِيرًا). (الإسراء:۸۷).

(وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْکَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوکَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَکَ مِنْ شَیْءٍ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْکَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَکَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْکَ عَظِيمًا). (النساء:۱۱۳).

تفضیل آل محمد صلی الله علیه وآله

(ذَلِکَ الَّذِی يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ). (الشوری:۲۳).

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). (الأحزاب:۳۳).

(سَلامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ). (الصافات:۱۳۰).

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِکَ هُوَالْفَضْلُ الْكَبِيرُ). (فاطر:۳۲).

تفضیل الیهود علی الأمم المعاصرة لأنبیائهم

(يَا بَنِی إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّی فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ). (البقرة:۴۷ و۱۲۲) (قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ). (الأعراف:۱۴۰).

تفضیل أمهٔ رسول الله صلی الله علیه وآله

(هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیَاتِهِ وَیُزَکِّیهِمْ وَیُعَلِّمُهُمُ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَةَ وَإِنْ کَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ. وَآخَرِینَ مِنْهُمْ لَمَّا یَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَالْعَزِیزُ الْحَکِیمُ. ذَلِکَ فَضْلُ اللهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ. مَثَلُ الَّذِینَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ یَحْمِلُوهَا کَمَثَلِ الْحِمَارِ یَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیَاتِ اللهِ وَاللهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ). (الجمعة:۲-۵).

(یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ یُؤْتِکُمْ کِفْلَیْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَیَجْعَلْ لَکُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَیَغْفِرْ لَکُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ.لِئَلا یَعْلَمَ أهل الْکِتَابِ أَلا یَقْدِرُونَ عَلَی شَیْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِیَدِ اللهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ).(الحدید:۲۸-۲۹). (قُلْ إِنَّ الْهُدَی هُدَی اللهِ أَنْ یُؤْتَی أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِیتُمْ أَوْ یُحَاجُّوکُمْ عِنْدَ رَبِّکُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِیَدِ اللهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِیمٌ. یَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ یَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ). (آل عمران:۷۳– ۷۴)

عصمهٔ نبینا و آله أرقی أنواع العصمهٔ

أجمع المسلمون علی أن نبینا محمداً صلی الله علیه وآله أفضل الخلق عند الله تعالی، وأنه صاحب لواء رئاسهٔ المحشر یوم القیامهٔ، وقد روی ذلک جمیعهم.

لکن رواهٔ السلطهٔ وقعوا فی التناقض، فرووا ذلک ورووا ضده أیضاً! وفضلوا بعض الأنبیاء علی نبینا صلی الله علیه وآله کما فی البخاری! وقد بحثنا ذلک فی کتاب (ألف سؤال وإشکال علی المخالفین لأهل البیت الطاهرین علیهم السلام)، مسألهٔ ۱۳۷.

فقد امتاز الشیعهٔ بالقول إنه صلی الله علیه وآله أفضل الخلق علی الإطلاق، وإن درجهٔ عصمته أعلی من درجهٔ عصمهٔ جمیع الأنبیاء علیهم السلام، فالأفضلیهٔ استحقاق بالعمل وبعمق الوعی والعبودیهٔ، والعصمهٔ استحقاق یتناسب مع مستوی العمل.

ویکفی دلیلًا علیه قوله تعالی: وَمَا یَنْطِقُ عَنِ الْهَوَی. إِنْ هُوَ إِلا وَحْیٌ یُوحَی، فهذه رتبهٔ عظیمهٔ لم تثبت لأحد من الأنبیاء علیهم السلام، ومَن عصم الله منطقه عن الهوی فجعله وحیاً یوحی، فقد عصم فعله أیضاً، أو بطریق أولی! حیث لا یمکن تصور عصمهٔ لسان أحد عن المعصیهٔ والخطأ بدون عصمهٔ بقیهٔ جوارحه!

هذا مضافاً إلی الآیات الأخری، والأحادیث الصحیحهٔ المتواترهٔ، التی نصَّت علی مقامه الفرید صلی الله علیه وآله ودرجهٔ عصمته الخاصهٔ، ودلت علی أن درجهٔ عترته الطاهرین علیهم السلام تلی درجته صلی الله علیه وآله مباشرةً.

وقد رواها معنا رواهٔ الخلافهٔ أیضاً، ولکنهم عملوا علی تأویلها أو تضعیفها، ومنها الحدیث الصحیح المعروف: (نحن ولدَ عبد المطلب سادةُ أهل الجنهٔ، أنا، وعلی أخی، وحمزهٔ عمی، وجعفر بن عمی، والحسن، والحسین، والمهدی). وقد استوفینا مصادره وتصحیحه عند الطرفین فی معجم أحادیث الإمام المهدی علیه السلام:۱/۱۹۸، ومن ذلک تصحیح الحاکم له علی شرط مسلم:۳/۲۱۱.

وینبغی الإلفات إلی أن مقام حمزهٔ بن عبد المطلب وجعفر بن أبی طالب، یلی مقام المعصومین من العترهٔ علیهم السلام ولا یتقدم علی أحد منهم، کما قد یُتوهم من ظاهر الحدیث، فهما مرضیَّان غیر معصومیْن رضی الله عنهما، والعصمهٔ عندنا مختصهٔ بمن دل علیهم النص النبوی فقط، وهم العترهٔ، أو أهل البیت بالمعنی الأخص: علی وفاطمهٔ والحسن والحسین وتسعهٔ من ذریهٔ الحسین آخرهم المهدی علیهم السلام. وهم المعنی النبوی المصطلح لأهل البیت، وآل محمد، والعترهٔ، فی مقابل المعنی اللغوی الأوسع منهم.

ومنها، حدیث النبی صلی الله علیه وآله لفاطمهٔ الزهراء علیها السلام، الذی رواه الصدوق فی کمال الدین ص۲۶۲، عن سلمان قال: (کنت جالساً بین یدی رسول الله صلی الله علیه وآله فی مرضته التی قبض فیها فدخلت فاطمهٔ علیها السلام فلما رأت ما بأبیها من الضعف بکت حتی جرت دموعها علی خدیها، فقال لها رسول الله صلی الله علیه وآله: مایبکیک یا فاطمهٔ؟ قالت:یارسول الله أخشی علی نفسی وولدی الضیعهٔ بعدک! فاغرورقت عینا رسول الله بالبکاء ثم قال: یا فاطمهٔ أما علمت أنا أهل بیت اختار الله عز وجل لنا الآخرهٔ علی الدنیا، وأنه حتم الفناء علی جمیع خلقه، وأن الله تبارک وتعالی اطَّلع إلی الأرض إطلاعهٔ فاختارنی من خلقه فجعلنی نبیاً،

ثم اطلع إلى الأرض إطلاعة ثانية فاختار منها زوجك، وأوحى إلیَّ أن أزوجك إياه، وأتخذه ولياً ووزيراً، وأن أجعله خليفتى فى أمتى. فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بى من أهلى.

ثم اطَّلع إلى الأرض إطلاعة ثالثة فاختارك وولديك، فأنت سيدة نساء أهل الجنة وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبناء بعلك أوصيائى إلى يوم القيامة كلهم هادون مهديون، وأول الأوصياء بعدى أخى على، ثم حسن، ثم حسين، ثم تسعة من ولد الحسين فى درجتى، وليس فى الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتى ودرجة أبى إبراهيم! أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمتى، وخير أهل بيتى، أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً. فاستبشرت فاطمة عليها السلام وفرحت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله...الحديث). (ورواه فى شرح الأخبار: ۱/۱۲۲، عن أبى سعيد الخدرى، والطبرى فى المسترشد ص۶۱۳، بتفصيلات أخرى..الخ.).

وروت منه مصادر الخلافة فقرات مهمة بسند صحيح، كالطبرانى فى الكبير:۳/۵۷ والصغير:۱/۶۷، وابن عساكر:۴۲/۱۳۰، والطبرى فى ذخائر العقبى ص۱۳۵،وابن الأثير فى أسد الغابة:۴/۴۲، والهيثمى فى مجمع الزوائد: ۸/۲۵۳ ولم يضعفه أحد منهم غير الذهبى فى القرن الثامن! بحجة ضعف أحد رواته (الهيثم بن حبيب) الذى قال عنه الهيثمى فى الزوائد:۳/۱۹۰: وأما الهيثم بن حبيب فلم أرَ من تكلم فيه غير الذهبى اتهمه بخبر رواه، وقد وثقه ابن حبان).انتهى.

بل وثق الهيثم هذا كبار أئمة الجرح والتعديل عندهم كأحمد وأبى عوانة وشعبة وأبى حاتم وأبى زرعة وغيرهم، كما بيناه فى (جواهر التاريخ:۱/۱۱۵) ووقع الهيثمى والذهبى فيه فى التناقض أو الكذب!

ونكتفى بهذا القدر فى تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله على بقية الأنبياء عليهم السلام، وقد تعرضنا له فى مؤلفاتنا الأخرى، وبينا أن مقام عترته وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام يلى مقامه مباشرة، بل هو ملحق به، وجزءٌ لايتجزأ منه.

النبى و عترته المعصومون منظومة خاصة لا يقاس بهم أحد

العصمة هى الإمتناع بالله تعالى عن جميع معاصى الله، على حد تعبير الإمام الصادق عليه السلام، وهى مقام ربانىٌّ عظيم دون شك، غير أن مقام النبى وآله صلى الله عليه وآله أعلى منها بكثير! ويكفى لذلك قوله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وآله: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى، وهى أعلى مرتبة يمكن أن يصل اليها إنسان.

وقول النبى صلى الله عليه وآله فى الحديث المتواتر عن أهل بيته عليهم السلام: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علیَّ الحوض. فقد جعلهم عِدلاً للقرآن الذى لايَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ، فهم مثله لايأتيهم الباطل، وهم ورثة القرآن، وحجة الله فى بيانه وهداية الأمة به.

وقد روت مصادر الخلافة قليلاً، وروت مصادرنا كثيراً، من الأحاديث التى تكشف عن مقامهم العظيم، وأنهم مشروع ربانى مميز، منذ تكوين الكون، وفى مسيرة وجوده، إلى ختامها بالحياة الآخرة.

ولا يتسع المجال لبحث مفرداتها ولا لعرضها، فنكتفى بالإشارة إلى أهمها:

۱- صحت الأحاديث بأن الله تعالى أول ما خلق أنوارهم عليهم السلام من نور عظمته قبل خلق الخلق.

۲- وأن وجود المعصوم على الأرض ضرورة، ظاهراً مشهوراً أو غائباً مستوراً، وإلا لساخت الأرض بأهلها.

۳- وأن الله تعالى جعلهم واسطة فى فيض عطائه على الوجود.

۴- وأعطاهم ما شاء من الولاية التكوينية والتشريعية.

۵- وفرض ولايتهم على الأنبياء والأوصياء السابقين عليهم السلام.

۶- وفرض ولايتهم على هذه الأمة، فلا يقبل من أحد عملاً إلا بها.

۷- وأن دولة العدل الإلهی ستقوم علی یدهم، وتستمر إلی یوم القیامة.

درجة شیعة النبی و آله فی أحادیث الطرفین

بـل دلت الأحـادث الصـحیحة علی أن شـیعة أهـل البیت ومحبیهم علیهم السـلام ملحقون بـدرجتهم یوم القیامـة، ومن ذلک الحـدیث المشـهور الـذی رواه أبو داود والترمذی، وأحمد، والطبرانی وغیرهم، وهو حدیث صـحیح لایمکن لأحد أن یطعن فی أحد من رواته. وقد رویناه نحن بنفس السند کما فی کامل الزیارات ص۱۱۷: (عن أبی سـعید قال: حدثنا نصر بن علی قال: حدثنا علی بن جعفر، عن أخیه موسـی بن جعفر قال: أخذ رسول الله صلی الله علیه وآله بید الحسن والحسین فقال: من أحب هذین الغلامین وأباهما وأمهما فهو معی فی درجتی یوم القیامة). (ورواه الصدوق فی الأمالی ص۲۹۹، وغیره).

ورواه منهم کثیرون کالترمذی:۵/۳۰۵، قال: (حدثنا نصـر بن علی الجهضمی أخبرنا علی بن جعفر بن محمد بن علی قال أخبرنی أخی موسـی بن جعفر بن محمـد عن أبیه جعفر بن محمـد عن أبیه محمـد بن علی عن أبیه علی بن الحسـین عن أبیه عن جـده علی بن أبی طـالب أن النبی(ص)أخـذ بیـد حسن وحسـین وقـال: من أحبنی وأحب هـذین وأباهما وأمهما کان معی فی درجتی یوم القیامـة. هـذا حدیث حسن غریب لا نعرفه من حدیث جعفر بن محمد إلا من هذا الوجه).

ورواه الطبری فی الکبیر:۳/۵۰، والصغیر:۲/۷۰، وابن عساکر:۱۳/۱۹۵و۱۹۶، وفی هامشه:مسند أحمد:۱/۷۷، وأسد الغابة:۴/۲۹.

ورواه الخطیب فی تاریخ بغداد:۱۳/۲۸۹ وقال: قال أبو عبد الرحمن عبد الله: لما حدث بهذا الحدیث نصـر بن علی أمر المتوکل بضربه ألف سوط، وکلمه جعفر بن عبـد الواحـد وجعـل یقول له: هـذا الرجـل من أهل السـنة، ولم یزل به حتی ترکه، وکان له أرزاق فوفرها علیه موسی). انتهی.

ورواه المزی فی تهذیب الکمال:۲۰/۳۵۴، وقال: (رواه عن نصـر بن علی، فوافقناه فیه بعلو، وقال: غریب لا نعرفه من حـدیث جعفر إلا من هذا الوجه. وقد کتبناه من وجه آخر عن نصر بن علی فی ترجمة الحسین بن علی). انتهی.

(ورواه المزی فی:۲۹/۳۶۰، وذکر قصة المتوکل. وأسـنده القاضـی عیاض فی الشفا:۲/۴۹، بنحو القطع إلی النـبی صـلی الله علیه وآله، ورواه کنز العمال:۱۲/۱۰۳، و۱۳/۶۳۹، عن مصادر أخری.وأسنده البیهقی فی لباب الأنساب:۱/ ۲۶ بنحو القطع إلی النبی صلی الله علیه وآله).

ورواه الهیتمی فی الصواعق:۲/۴۰۶، وقال: (ولیس المراد بالمعیـة هنا المعیـة من حیث المقام بل من جهة رفع الحجاب نظیر ما فی قوله تعالی: فَأُولَئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَالصِّدِّیقِینَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِینَ وَحَسُنَ أُولَئِکَ رَفِیقاً).

ورواه الذهبی فی سیره:۱۲/۱۳۵، وشـهد بوثاقـة رواته، لکنه رده بخلاً بدرجـة النبی صـلی الله علیه وآله علی الذین یحبون عترته! قال: (قلت: هذا حدیث منکر جداً.... ثم ذکر قصة المتوکل عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وقال: قلت: والمتوکل سنی، لکن فیه نصب. وما فی رواة الخبر إلاـ ثقـة! ومـا کان النبی(ص)من حبه وبث فضـیلة الحسـنین لیجعل کل من أحبهما فی درجته فی الجنـة، فلعله قال: فهو معی فی الجنة. وقد تواتر قوله علیه السلام: المرء مع من أحب. ونصر بن علی، فمن أئمة السنة الأثبات). انتهی.

والعجیب أن الـذهبی قَبِلَ أن یکون محب العترة مع النبی صـلی الله علیه وآله، ولم یقبـل أن یکون فی درجته! وکـان علیه کمـا وسَّع معنی المعیة، أن یقبل توسیع الدرجة!

ولم یطعن الـذهبی فی علی بن جعفر الصـادق علیه السـلام، لکنه شـکک فی حفظه بـدون دلیل! إلا أنه لم یعجبه حـدیثه فشـکک فی حفظه!

کما ارتکب الذهبی تضعیف هذا الحدیث فی سیره:۳/۲۵۴، فقال: (إسناده ضعیف والمتن منکر). انتهی. ولم یبین سبب حکمه بضعفه، لأنه لایستطیع أن یضعف أیاً من رواته! فهل هذا إلا هوی!

وتبعه الألبانى فضعفه فى ضعيف الترمذى ص٥٠۴، والضعيفة ٣١٢٢، وتخريج المختارة٣٩٢، تقليداً بإسم الإجتهاد، وتعصباً بإسم البحث العلمى!

ومن عسى أن يضعف الألبانى والذهبى من رجال رواته، التى تبدأ بنصر الذى اتفقوا على وثاقته وأنه من أئمة السنة، عن على بن جعفر الصادق عليه السلام الذى هو من رجال الترمذى، ولم يجرحه أحد من علماء الجرح، ثم يصل إلى سلسلة الذهب الأئمة المعصومين عليهم السلام الذين قال أحمد بن حنبل عن إسنادهم: (لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه)!!

قال فى هامش مسند زيد بن على ص ۴۴٠: (أورد صاحب كتاب تاريخ نيسابور أن علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، لما دخل نيسابور كان فى قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق، فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسى ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى فقالا: يا أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة، بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ـ ما أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك أن نذكرك به. فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلايق برؤية طلعته، وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه، والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصارخ، ومتمرغ فى التراب، ومقبل حافر بغلته وعلا الضجيج، فصاحت الأئمة الأعلام: معاشر الناس، أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم، وكان المستملى أبا زرعة ومحمد بن أسلم الطوسى، فقال على الرضا رضى الله عنه: حدثنى أبى موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه شهيد كربلا، عن أبيه على المرتضى، قال حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله صلى الله عليه وآله قال حدثنى جبريل عليه السلام قال حدثنى رب العزة سبحانه وتعالى قال: لا إله إلا الله حصنى، فمن قالها دخل حصنى، ومن دخل حصنى أمن من عذابى. ثم أرخى الستر على المظلة وسار، قال فعد أهل المحابر وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً. قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه)! انتهى.

وقال أبو نعيم فى الحلية:٣/١٩١، بعد أن رواه بتفاوت يسير: (هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين، وكان بعض سلفنا من المحدثين إذا روى هذا الإسناد قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق).

وقال ابن الشجرى فى الأمالى ص٢٥، والقزوينى فى التدوين:٣/۴٨١، بعد حديث بسند مشابه: (قال على بن مهرويه: قال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازى: قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروى: لو قرئ هذا الاسناذ على مجنون لأفاق). وقال الزمخشرى فى ربيع الأبرار ص۶٧٣: (كان يقول يحيى بن الحسين الحسنى فى إسناد صحيفة الرضا: لو قرئ هذا الإسناد فى أذن مجنون لأفاق).

وقال الإربلى فى كشف الغمة:١/١٣۴: (هذا الحديث نقله أحمد فى مواضع من مسنده، وهو حديث خطره عظيم، ومجده كريم، ووجده وسيم، وشرفه قديم فإنه جعل درجة محبيهم مع درجته، وهذا محل يقف دونه الخليل والكليم، وههنا ينقاد المنقول والمعقول، وهو صلى الله عليه وآله أعلم بما يقول).انتهى.

وأغرب من الألبانى والذهبى: ابن تيمية الذى قال فى منهاجه:٧/٣٩٧: (فصل. قال الرافضى: الحادى عشر، ما رواه الجمهور من وجوب محبته وموالاته. روى أحمد بن حنبل فى مسنده أن رسول الله(ص)أخذ بيد حسن وحسين فقال: من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما فهو معى فى درجتى يوم القيامة ...وأورد عدة أحاديث أوردها العلامة الحلى رحمه الله فى كتابه منهاج الكرامة الذى ألف ابن تيمية كتابه للرد عليه، ثم قال:

(والجواب من وجوه: أحدها، المطالبة بتصحيح النقل وهيهات له بذلك!

وأما قوله رواه أحمد فيقال: أولاً ـ أحمد له المسند المشهور وله كتاب مشهور فى فضائل الصحابة روى فيه أحاديث لايرويها فى المسند لما فيها من الضعف، لكونها لا تصلح أن تروى فى المسند لكونها مراسيل أو ضعافاً بغير الإرسال.

ثم إن هذا الكتاب زاد فيه ابنه عبد الله زيادات، ثم إن القطيعى الذى رواه عن ابنه عبد الله زاد عن شيوخه زيادات، وفيها أحاديث موضوعة باتفاق أهل المعرفة. وهذا الرافضى وأمثاله من شيوخ الرافضة جهال، فهم ينقلون من هذا المصنف فيظنون أن كل ما رواه

القطیعی أو عبد الله قد رواه احمد نفسه، ولا یمیزون بین شیوخ أحمد وشیوخ القطیعی، ثم یظنون أن أحمد إذا رواه فقد رواه فی المسند، فقد رأیتهم فی کتبهم یعزون إلی مسند أحمد أحادیث ما سمعها أحمد قط، کما فعل ابن البطریق وصاحب الطرائف منهم وغیرهما، بسبب هذا الجهل منهم! وهذا غیر ما یفترونه من الکذب فإن الکذب کثیر منهم.

وبتقدیر أن یکون أحمد روی الحدیث، فمجرد روایة أحمد لا ـ توجب أن یکون صحیحاً یجب العمل به، بل الإمام أحمد روی أحادیث کثیرة لیُعرِّف ویبین للناس ضعفها، وهذا فی کلامه وأجوبته أظهر وأکبر من أن یحتاج إلی بسط، لاسیما فی مثل هذا الأصل العظیم.

مع أن هذا الحدیث الأول من زیادات القطیعی، رواه عن نصر بن علی الجهضمی، عن علی بن جعفر، عن أخیه موسی بن جعفر.الخ.). انتهی.

وأول سؤال یرد فی الذهن: لماذا افترض ابن تیمیة أن راوی الحدیث ابن حنبل وحده؟ ألا یعرف أن له رواة آخرین عدیدین؟!

والجواب: أن هذه عادة ابن تیمیة! فهو یعرف أن للحدیث مصادر عدیدة غیر مسند أحمد، وأنه لایمکنه تضعیف سنده! لکنه تصور أن نقل العلامة الحلی له عن مسند أحمد نقطة ضعف، لأن الحدیث من زیادات عبد الله بن أحمد وتلمیذه القطیعی علی مسند أحمد تحت نظره، فرکز هجومه علیها! وصوَّر الأمر کأنه: هل کتب أحمد هذا الحدیث بیده؟ أو أضافه ولده أو تلمیذه؟

فلو قلنا لابن تیمیة: حسناً، إعتبره من روایة ابن أحمد أو القطیعی، فما رأیک فیه؟ هل تطعن فی واحد منهما، وهل تستطیع تضعیف رواة الحدیث؟!

ثم نلاحظ أن ابن تیمیة قال: (فقد رأیتهم فی کتبهم یعزون إلی مسند أحمد أحادیث ما سمعها أحمد قط! کما فعل ابن البطریق وصاحب الطرائف منهم وغیرهما، بسبب هذا الجهل منهم). انتهی.

وهذا یعنی أنه قرأ الطرائف لابن طاوس رحمه الله، وقرأ العمدة لابن البطریق رحمه الله ورأی أنهما نقلا الحدیث عن مسند أحمد!

أما فی الطرائف ص١١١فقال:(ومن ذلک ما رواه أحمد بن حنبل فی مسنده) انتهی، فقد اقتصر فی روایته علی أحمد، ونسبها الیه کغیره من علماء السنة!

لکن ابن البطریق رواه فی العمدة فی ص٢٧٤ عن عبد الله بن أحمد عن الجهضمی..الخ. ورواه بعده فی ص٢٨٣، فقال: (ومن الجمع بین الصحاح الستة لرزین العبدری فی الجزء الثالث فی باب مناقب الحسن والحسین علیهما السلام، وبالإسناد المقدم من سنن أبی داود قال: عن علی علیه السلام قال: کنت إذا سألت رسول الله صلی الله علیه وآله أعطانی وإذا سکت ابتدأنی وأخذ بید الحسن والحسین یوماً وقال: من أحب هذین وأباهما وأمهما ومات، کان متبعاً لسنتی کان معی فی الجنة). انتهی.

فقد قرأ ابن تیمیة روایته عن الجمع بین الصحاح أیضاً، فلماذا أهملها؟!

إنه لایرید أن یبحث بحثاً علمیاً، لافی سند الحدیث ولا فی متنه! بل همه أن یفتش عن شئ یتصوره نقطة ضعف لیهرج به ویترک کل ما سواه!

وهو حاضر لذلک أن یطعن فی أحمد ومسنده وعبدالله بن أحمد والقطیعی، من أجل أن یردَّ فضیلة للنبی وعترته صلی الله علیه وآله، لمجرد أن عالماً شیعیاً استدل بها!

زیادة رزین العبدری عن أبی داود

قال ابن حجر الهیتمی فی الصواعق المحرقة:٢/٥٠٠: (من أحبنی وأحب هذین یعنی حسناً وحسیناً، وأباهما وأمهما، کان معی فی الجنة فی درجتی. زاد أبو داود (ومات متبعاً لسنتی). وبها یعلم أن مجرد محبتهم من غیر اتباع للسنة کما یزعمه الشیعة والرافضة من محبتهم مع مجانبتهم للسنة، لا یفید مدعیها شیئاً من الخیر بل تکون علیه وبالاً وعذاباً ألیما فی الدنیا والآخرة). انتهی.

أقول: بقطع النظر عن تفسير ابن حجر المتوتر لهذه الزيادة، فقد أخذها هو وغيره من رزين العبدرى، صاحب كتاب الجمع بين الصحاح، حيث نسبها هو إلى سنن أبى داود، ولا وجود للحديث فى سنن أبى داود!

قال السيد البحرانى فى غاية المرام:۶/۴۸: (الخامس عشر: الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدرى فى الجزء الثالث، فى باب مناقب الحسن والحسين من سنن أبى داود عن على، قال: كنت إذا سألت رسول الله أعطانى وإذا سكت ابتدانى، وأخذ بيد حسن وحسين يوماً وقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما ومات متبعاً لسنتى كان معى فى الجنة). انتهى.

ونص صاحب البحار:۳۷/۷۶، على أن الزيادة من رزين نفسه، فقد نقل الحديث عن ابن الأثير عن الترمذى، ثم قال: (وذكر رزين بعد قوله: وأمهما: ومات متبعا لسنتى غير مبتدع). انتهى.

وكذا السيد المرعشئ فى شرح إحقاق الحق:۹/۱۷۸، قال: (رزين العبدرى فى الجمع بين الصحاح(مخطوط) قال: إن النبى أخذ بيد حسن وحسين يوماً وقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما ومات متبعاً لسنتى كان معى فى الجنة).انتهى.

وأدق ما وجدناه قول الأذرعى فى بشارة المحبوب بتكفير الذنوب ص۶۶، بعد نقل الحديث: (رواه الترمذى. زاد رزين: ومات متبعاً لسنتى غير مبتدع).انتهى.

فكيف يصح نسبة الزيادة إلى أبى داود والحديث لايوجد فى سننه أصلًا! وحتى لو قلنا بنقص نسخة أبى داود الموجودة فلا يمكننا نسبة الزيادة اليه، فيتعين أن تكون لرزين تعليقاً منه على رواية الترمذى، كما ذكر الأذرعى.

على أن هذه الزيادة لو ثبتت لا تغير من الأمرشيئاً، ولا تحتمل ما حملها إياه ابن حجر فجعل اتباع سنة النبى صلى الله عليه وآله بمعنى اتباع أبى بكر وعمر! لأن اتباع سنة النبى صلى الله عليه وآله لايتحقق إلا بحب أهل بيته عليهم السلام ولايتحقق حبهم إلا بطاعتهم دون من خالفهم، وأخذ سنة النبى صلى الله عليه وآله منهم دون ما خالفهم.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشّهيد آية الله "الشّمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب

الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهـمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشـّباب و عموم النـاس إلى التّحَرّی الأدَقّ للمسائـل الدّينيّـة، تخليف المطـالب النّافعـة – مكـانَ البَلا-تيثِ المبتذلـة أو الرّديئـة – فی المحـاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّـلام – بباعث نشـر المعارف، خـدمات للمحققين و الطّلّاب، توسـعة ثقافـة القراءة و إغناء أوقات فراغـة هُواةِ برامِـج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسـهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جـهةٍ اُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّـهٔ الحالیّـهٔ لهـذا المرکز، شـَعبیّـهٔ، تبرّعیّهٔ، غیر حکومیّهٔ، و غیر ربحیّهٔ، اقتـُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّـها لا تُـوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّهٔ و العلمیّهٔ الحالیّهٔ و مشاریع التوسعهٔ الثّقافیّهٔ؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّـهٔ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحهٔ بقیّهٔ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.